

ISSN: 2616-5864

الآداب



مجلة علمية فصلية محكمة تعنى بالدراسات والبحوث الإنسانية

تصدر عن كلية الآداب - جامعة ذمار

الإدارة البيئية للنفايات الصلبة في مدينة ذمار

أثر رأس المال الفكري في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة

الذكاء العاطفي وعلاقته بجودة الحياة لدى المرشدين النفسيين في لواء قصبة إربد

علاقة الدولة القاسمية في اليمن بأشراف الحجاز

12



الآداب

مجلة علمية فصلية محكمة - تصدر عن كلية الآداب

الهيئة العلمية والاستشارية:

- أ.د. إبراهيم الصلوي (اليمن)
أ.د. أحمد الأكوع (اليمن)
أ.د. أحمد محمد شجاع الدين (اليمن)
أ.د. أطفاف ياسين خضر الراوي (العراق)
أ.د. حسين العمري (اليمن)
أ.د. خالد الأشعب (اليمن)
أ.د. رابع خوني (الجزائر)
أ.د. رقية حساني (الجزائر)
أ.د. عادل العنسي (اليمن)
أ.د. عاطف عبدالعزيز معوض (السعودية)
أ.د. عبدالكريم أسعد قحطان (كوريا الجنوبية)
أ.د. عبدالكريم إسماعيل زبيبة (اليمن)
أ.د. عبده فرحان الحميري (اليمن)
أ.د. علي سعيد سيف (اليمن)
أ.د. محمد حمزة إسماعيل الحداد (مصر)
أ.د. نصر الحجيلي (اليمن)
أ.د. نعيمة سعدية (الجزائر)

صحح هذا العدد لغوياً:

القسم العربي:

د. عصام واصل

د. عبدالله علي الغُبسي

القسم الإنجليزي:

د. أمين الصلل

تنسيق وإخراج فني:

محمد محمد علي سبيع

الإشراف العام:

أ.د. طالب طاهر النهاري

رئيس التحرير:

أ.م.د. عبد الكريم مصلح أحمد البجلة

نائب رئيس التحرير:

د. عصام واصل

مدير التحرير:

د. فؤاد عبد الغني محمد الشميري

نائب مدير التحرير:

د. فضل العميسي

هيئة التحرير:

د. نجيب الورافي

د. خلدون نعمان

د. أمين الجبر

د. عبدالله علي الغُبسي

سكرتارية التحرير:

د. عبدالله أحمد الجرفي

ندى عزالدين العصيمي

المسؤول المالي:

علي أحمد البخراني



الآداب

مجلة علمية فصلية محكمة

تصدر عن كلية الآداب

جامعة ذمار، ذمار،

الجمهورية اليمنية

العدد الثاني عشر

سبتمبر 2019

التقييم الدولي:

ISSN: 2616-5864

التقييم المحلي:

(551 لسنة 2018)

- جميع الحقوق محفوظة للمجلة.
- لا يحق إعادة نشر المواد المنشورة في المجلة دون إذن مسبق.
- لا يحق الاقتباس من المواد المنشورة في المجلة من غير ذكر المصدر.

قواعد النشر

"الأداب" مجلة علمية محكمة، تعنى بنشر البحوث في مجال العلوم الإنسانية بالعربية واللغات الأوروبية، تصدر عن كلية الآداب، جامعة ذمار، وفقاً للقواعد الآتية:

- 1- أن تتسم الأبحاث بالأصالة والمنهجية العلمية السليمة.
- 2- أن تخضع البحوث للتحكيم العلمي حسب الأصول العلمية المتبعة.
- 3- تكتب البحوث بلغة سليمة، وتراعى فيها قواعد الضبط ودقة الأشكال –إن وجدت– بصيغة (Word)، بحجم (14)، وبخط (Simplified Arabic) بالنسبة إلى الأبحاث باللغة العربية، وبخط (Times New Roman) للأبحاث باللغات الأوروبية، وتكون العناوين الرئيسة بخط غامق، وبحجم (16). على أن تكون المسافة بين الأسطر (1,5سم)، وهوامش (2,5سم) من كل جانب.
- 4- ترسل الأبحاث بصيغتي Word و PDF باسم رئيس التحرير على البريد الإلكتروني للمجلة: D.Aladab2017@gmail.com.
- 5- أن يصحح لغوياً من قبل الباحث، ويرفق معه ملخصان بالعربية والإنجليزية.
- 6- لا يتجاوز البحث (30) صفحة، بما فيها الأشكال والجداول والملاحق، وفي حال الزيادة يدفع الباحث ألف ريال يمني عن كل صفحة.
- 7- توثق الهوامش في نهاية الأبحاث على النحو الآتي:
 - أ- المخطوطات: اسم المؤلف، عنوان المخطوط، مكان حفظه، رقمه، الورقة.
 - ب- الكتب: اسم المؤلف (المؤلفين)، عنوان الكتاب، مكان النشر وتاريخه، الطبعة، الصفحة.
 - ج- الكتب الجماعية: اسم المؤلف، عنوان البحث، عنوان الكتاب، المحرر، مكان النشر وتاريخه، الطبعة، الصفحة.
 - د- الدوريات: اسم المؤلف، عنوان المقال، اسم المجلة، رقم العدد وتاريخه، الناشر، الصفحة.
 - هـ- الرسائل الجامعية: اسم صاحب الرسالة، عناونها، القسم، الكلية، والجامعة، تاريخ إجازتها، الصفحة.
 - و- توثق البحوث النفسية والتربوية وفقاً لطريقة جمعية علم النفس الأمريكية APA.
- 8- تتولى المجلة إبلاغ الباحث باستلام بحثه، وقرار المحكمين حول صلاحيته للنشر من عدمه، أو إجراء التعديلات، ورقم العدد الذي سوف ينشر فيه.
- 9- ترتب الأبحاث عند النشر حسب تاريخ ورودها إلى المجلة.
- 10- يدفع الباحثون اليمنيون أجور النشر البالغة (25000) ريال يمني، ويدفع الباحثون من خارج اليمن (150) دولاراً أمريكياً أو ما يعادلها، في حين يدفع أعضاء هيئة التدريس في جامعة ذمار مبلغاً وقدره (15000) ريال يمني، كما يدفع الباحث أجور إرسال النسخ الورقية من العدد.
- 11- تورد المبالغ إلى حساب رقم (211084) في البنك التجاري اليمني – فرع ذمار، الجمهورية اليمنية. ولا يعاد المبلغ إذا رُفض البحث من قبل المحكمين.

للاطلاع على الأعداد السابقة يرجى زيارة المجلة عبر الرابط الآتي: <http://jthamararts.edu.ye>

عنوان المجلة: كلية الآداب – جامعة ذمار، هاتف (06-509584).

العنوان البريدي: ص.ب (87246) كلية الآداب – جامعة ذمار. ذمار، الجمهورية اليمنية.

المحتويات

- الشواهد المجهولة القائل: بين القبول والرفض دراسة في كتاب (الإنصاف) لأبي البركات الأنباري
5..... د. حسين محفوظ جمعان البوري
- الشعرية: رؤية جديدة في المفهوم والإجراء
36..... محمد علي صالح القبلائي
- مستوى مساهمة مديري المدارس الأساسية (مديرية الضالع) في نشر ثقافة استخدام مستحدثات تقنيات المعلومات والاتصالات
68..... د. عبدالفتاح عبدالله علي محمد، د. سعيد محمد علي القشيري
- الإدارة البيئية للنفايات الصلبة في مدينة ذمار
105..... د. فهد محمد محمد الضلعي
- أحمد عبدالوهاب الوريث رائد حركة التنوير في اليمن المعاصر (1912-1940م)
123..... د. أمين محمد علي الجبر
- صورة الثريا في الشعر العربي بين إبداع الشعراء وتعامل النقاد والبلاغيين في العصر العباسي
149..... د. عبدالباسط عبد الحميد غالب
- أثر رأس المال الفكري في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة: دراسة ميدانية في الشركات اليمنية للصناعات الغذائية
170..... أ.د. عبداللطيف مصلح محمد عايض، د. أحمد جابر حسين أبوهادي
- الصناعة المعجمية والفئة المستهدفة
211..... أطراف محمد الفندي
- علاقة الدولة القاسمية في اليمن بأشراف الحجاز (1050-1100هـ/1650-1700م) (محمل الحج اليمني أنموذجا)
237..... د. محمد فيصل عبدالعزيز الأشول
- حركة التأليف التاريخي في اليمن في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي (1000-1100هـ) (1600-1700م)
265..... د. علي عبدالله محمد عزوان
- الذكاء العاطفي وعلاقته بجودة الحياة لدى المرشدين النفسيين في لواء قصبة إربد
304..... د. سحر عبدالله محمد السعدي
- ظاهرة التمرد في ديوان «كي لا يميل الكوكب» لجاسم الصخّيح
330..... د. حمد البلهد

الشواهد المجهولة القائل بين القبول والرفض دراسة في كتاب (الإنصاف) لأبي البركات الأنباري

د . حسين محفوظ جمعان البوري *

الملخص:

عُني هذا البحث بتوضيح منهجية النحاة - لاسيما القدامى منهم- في الشواهد الشعرية من حيث نسبتها إلى قائلها، وأتهم لم يهتموا كثيرًا بذكر القائل بقدر ما كانوا يهتمون بالوثوق به وفصاحته، فإذا ثبتت فصاحته وثقته لا يضربُ بعد ذلك الجهل به، وإغفال نسبة الشاهد إلى قائله في كتب النحاة ظاهرة لها أسبابها، ومن أهم أسبابها انشغالهم واهتمامهم باستقراء كلام العرب واستنباط القواعد التي تضبطه، ثم إنَّ إغفالهم نسبة الشواهد إلى قائلها لا يعني بالضرورة أنهم لا يعرفون القائل، إذ قد يهملون ذكره في موضع ويصرحون به في موضع آخر.

وذكر الباحث اختلاف النحاة في الشواهد الشعرية التي لم يعرف قائلوها من حيث قبولها أو رفضها، وخلص إلى القول: أنَّ هذه الشواهد يمكن قبولها إذا أنشدها أو احتج بها أحد الأئمة الثقات من البصريين أو الكوفيين؛ لأنَّ الثقة لو لم يعلم أنه من شِعْر مَنْ يصحُّ الاستدلال بكلامه لما أنشده، وكان الأنباري يميل إلى القول بالرفض؛ لأنه اعترض على كثير من شواهد الكوفيين لعدم معرفة قائلها، في حين نجده يسير على منهجية النحاة في عدم الاهتمام بنسبة الشواهد إلى قائلها، مما يجعل كثيرًا من شواهدهُ تُصنَّف ضمن الأبيات المجهولة القائل.

* أستاذ اللغة والنحو المساعد- قسم اللغة العربية- كلية التربية- جامعة سيئون- الجمهورية اليمنية.

وقد اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي في دراسة الشواهد التي اعترض عليها الأنباري لعدم معرفة قائلها، وأجاب الباحث عن كثير من اعتراضات الأنباري، من خلال العثور على قائلها في بعض هذه الشواهد، أو إنشاد النحاة الثقات لها واحتجاجهم بها، ووافق الباحث الأنباري في اعتراضه على بيتين مجهولي القائل.

The Anonymous Poetic Evidences between Acceptance and Rejection: A Study of *Fairness* by Abul Barakat Al-Anbari

Dr.Hussein Mahfoodh Gumaan AL-Bawri

Abstract:

This research was meant to illustrate the methodology of the grammarians-especially the older ones in the poetic references in terms of their relation to their reciters, and that they did not pay much attention to mentioning the recite as much as they were concerned about his confidence and fluency. If his fluency and confidence are proven, his anonymity does not hurt. Not mentioning the writer in the books of the grammarians is a phenomenon that has its causes; most importantly their concern and interest in extrapolating the words of the Arabs and the development of rules that control it and the fact that the omission of the evidence to the reciters does not necessarily mean the grammarians do not know that, they may neglect to mention in a position and declare elsewhere.

The researcher mentioned the differences between the grammarians in the poetic evidence, which they did not know in terms of their acceptance and rejection, and concluded that these evidences can be accepted if they are chanted or protested by one of the Imams who are trustworthy of the Basrien or the Kufis. This is because if he did not know that it is valid to infer his words he wouldn't chant it. Anbari was inclined to the side of rejection, because he objected many of the evidences of the Kufis due to its unknown owner, while we find it easy on the grammarian methodology of lack of attention to the proportion of evidence to its author, making many of his poetic evidences classified in the unknown stanzas.

The researcher adopted a descriptive analytical approach in the study of the evidence that Al-Anbari objection was due to its unknown author. The researcher also answered many of Anbar's objections, because he found the authors of some of these poetic evidences, or they were chanted by confidential grammarians. The researcher agreed with Al-Anbari's objection to two stanzas due to being anonymous.

توطئة:

إنَّ أول خطوة عظيمة قام بها النحاة لضبط كلام العرب هي تلقي اللغة من أفواه العرب الخُلص، الذين لم تختلط ألسنتهم بلكنة الأعاجم، ثم تلا هذه المرحلة الشاقة تسجيل النحاة ملاحظاتهم على ما سمعوه من العرب، وبدأوا يكتبون في الضوابط التي تحكم كلامهم، ومن هنا كان السماع أو النقل عن العرب يمثل حجر الأساس في النحو العربي سواء في التععيد أم في الاستدلال، يقول سيبويه: "ولو أنَّ هذا القياس لم تكن العرب الموثوق بعربيتها تقوله لم يُلتفت إليه"⁽¹⁾.

وأشار سيبويه في قوله هذا إلى مبدأ الثقة فيما سُمع من كلام العرب، وهذه الثقة في

الكلام المسموع من العرب تشمل أمرين، هما:

1- الثقة في المأخوذ به.

2- الثقة في المأخوذ عنه.

أما الأمر الأول فد"للنص المأخوذ به في عملية الاستقراء شروط اهتمَّ بها النحاة، يُلتَمَس بعضها عند النحاة الأوائل وإن لم يتحدثوا عنها حديثًا نظرًا قبل القرن الرابع وما تلاه، وأولها أن تكون الظاهرة كثيرة شائعة لا قليلة نادرة، وأن تكون رواياتها المتعددة موافقة للقياس المُستفَرى من الكثير"⁽²⁾، وغيرها من الشروط التي ذكروها، ثم جاء المتأخرون وأفردوها بالتأليف.

وأما الأمر الثاني فهو المأخوذ عنه، فقد نظر النحاة إلى الأعراب الذين يأخذون عنهم اللغة نظرة دقيقة، واشترطوا فيمن يأخذون عنه اللغة فصاحة لغته، واستقامة لسانه؛ لهذا نرى ابن جني يخشى أن يؤخذ عن كل أحد فيقول: "فينبغي أن يستوحش من الأخذ عن كل أحد إلا أن

تقوى لغته وتشيع فصاحته. وقد قال الفراء في بعض كلامه: إلا أن تسمع شيئاً من بدوي فصيح فتقوله⁽³⁾. ومن هنا ظهرت مسألة الاهتمام بالشواهد النحوية، ولدراسة هذه المسألة ينبغي النظر فيها من زاويتين، هما:

الأولى: النحاة ونسبة الشواهد إلى قائلها.

الثانية: حكم الاستشهاد بالأبيات مجهولة القائل.

النحاة ونسبة الشواهد إلى قائلها:

لو نظرنا إلى تعامل النحاة مع الشواهد ونسبتها إلى قائلها نجد أنهم يتفاوتون في ذلك، ولكن هناك قاسم مشترك بينهم، ولنبدأ بسيبويه في (كتابه)، فقد حدثنا البغدادي عن سيبويه في هذه المسألة بقوله: "فإن سيبويه إذا استشهد ببيت لم يذكر ناظمه، وأما الأبيات المنسوبة في كتابه إلى قائلها فالنسبة حادثة بعده، اعتنى بنسبتها أبو عمر الجرمي، قال الجرمي: نظرت في (كتاب سيبويه) فإذا فيه ألف وخمسون بيتاً، فأما ألف فَعَرَفْتُ أسماء قائلها فأثبتُها، وأما خمسون فلم أعرف أسماء قائلها"⁽⁴⁾، هذا ما نقله البغدادي عن الجرمي إلا أن عددًا من الدارسين المحدثين أثبتوا عدم صحة هذه المقولة، وأن عدد الشواهد المجهولة القائل أكثر من ذلك إلا أن يكون الجرمي اعتمد على نسخ من الكتاب غير موجودة اليوم، وتوصل أحد الباحثين إلى أن الشواهد التي لم يعثر على قائلها بعد البحث بلغت ثمانية عشر ومائة شاهد⁽⁵⁾، وباحت آخر بلغت عنده هذه الشواهد ثمانية ومائة، منها تسعة شواهد نسبت إلى قبائل⁽⁶⁾.

وأما الفراء فقد احتوى كتابه (معاني القرآن) على ما يقارب ثمانمائة شاهد من الشعر، غير أن الفراء لم ينسب منها إلا اثنين وسبعين شاهداً لتسعة وعشرين شاعراً، وسائر الشواهد ذكرها دون نسبة⁽⁷⁾، وهذا لا يدل بأي حال على أن قائلها هذه الأبيات غير المنسوبة مجهولون عنده؛ لأنه قد يذكر الشاهد في موضع بلا نسبة ثم يذكره في موضع آخر منسوباً إلى قائله، ومن ذلك قوله: "فإذا استثنيت الشيء من خلافه كان الوجه النصب، كما قال الشاعر:

أَعَيْتُ جَوَابًا، وما بِالرَّعِ مِنْ أَحَدٍ
والتَّوْئِي كَالْحَوْضِ بِالْمَظْلُومَةِ الْجَلْدِ"⁽⁸⁾

وَقَفْتُ فِيهَا أَصَيْلَانًا أُسَائِلُهَا
إِلَّا الْأَوَارِيَّ لِأَيَّ مَا أُبَيِّهَا

ففي هذا الموضوع لم ينسب الفراء هذين البيتين إلى قائل، وفي موضع آخر نجده ينسبهما إلى قائلها فيقول: "وأنشدونا بيت النابغة"⁽⁹⁾:

.....
وما بالرُّعِّعِ مِنْ أَحَدٍ
إِلَّا الْأَوَارِيَّ لِأَيَّامِ أُبَيِّهَا"⁽¹⁰⁾.

وربما اكتفى بذكر من أنشد الشاهد ممن وثق بروايتهم⁽¹¹⁾، كما يفعل ذلك سيبويه، إذ "اعتمد على شيوخه ونسب الإنشاد إليهم فيقول: أنشدنا -يعني الخليل-، ويقول أنشدنا يونس، وكذلك يفعل فيما يحكيه عن أبي الخطاب وغيره ممن أخذ عنه، وربما قال: أنشدني أعرابي فصيح، وزعم بعض الذين ينظرون في الشعر أنّ في كتابه أبياتاً لا تُعرف، فيقال له: لسنا ننكر أنّ تكون أنت لا تعرفها ولا أهل زمانك، وقد خرج (كتاب سيبويه) إلى الناس والعلماء كثير والعناية بالعلم وتهذيبه أكيدة، ونُظِرَ فيه وفُتِّشَ فما طَعَنَ أحد من المتقدمين عليه ولا ادعى أنه أتى بشعر منكر"⁽¹²⁾.

وأما المبرد في كتابه (المقتضب) فقد بلغت شواهده الشعرية واحداً وستين وخمسائة شاهد، منها ثمانون وثلاثمائة شاهد اشترك فيها مع سيبويه، وقال محقق المقتضب: "وكان في القليل ينسب الشعر لقائله"⁽¹³⁾، وبلغ ذكره للقائل أربعاً وأربعين مرة، وقام المحقق بنسبة كثير من شواهد، وبلغت الشواهد التي لم يعثر على نسبة لها ثلاثة وثمانين شاهداً⁽¹⁴⁾.

وأما أبو علي الفارسي فقد استشهد في كتابه (الإيضاح العضدي) بواحد وثمانين شاهداً، نسب منها أربعة عشر شاهداً فقط، وترك بقية الشواهد بدون نسبة، وقام المحقق بنسبة ستين شاهداً إلى قائلها، وبقية سبعة شواهد مجهولة القائل، وفي كتاب (التكملة) له، استشهد بواحد وخمسين ومائتي شاهد، عزا منها تسعة وأربعين شاهداً، واجتهد المحقق وعزا كذلك جملة منها، ولم يستطع معرفة القائل لعدد تسعة عشر شاهداً⁽¹⁵⁾.

وكذلك الزمخشري في (المفصل) استشهد بثمانية وأربعين وأربعمئة شاهد، نسب منها واحداً وستين ومائة شاهد، وترك نسبة سائر الشواهد، ونسب المحقق ما استطاع نسبته، وبقي ثلاثة وتسعون شاهداً لم يعثر على قائلها⁽¹⁶⁾.

وإذا جئنا إلى الأنباري وجدنا أنه قد استشهد في كتابه (الإنصاف) باثنين وخمسمئة شاهد، نسب ستة وثلاثين ومائة بيت إلى قائلها، وحكم على أحد عشر شاهداً بأنها مجهولة القائل، وأما بقيّة الشواهد فقد ترك نسبتها، وعددها خمسة وخمسون وثلاثمئة شاهد - غير الأحد عشر السابقة-، وقام محقق (الإنصاف) جودة مبروك محمد مبروك بنسبة كثير من شواهد (الإنصاف) غير المنسوبة، إلا أنّ هناك شواهد لم يعثر على قائلها بلغت اثني عشر ومائة شاهد.

وبعد هذا العرض للنحاة ونسبتهم للشواهد يتبين لنا أنّ النحاة لم يكونوا مهتمين بنسبة الشواهد إلى قائلها، وأنّ عدم الاهتمام هذا لم يكن لدى المتقدمين فحسب بل إنه عند المتأخرين أيضاً، وهذا هو القاسم المشترك بينهم، لكن هذا الأمر لا يعني بحال أنهم يقبلون كل ما قيل من شعرو لو لم يعرفوه، وأنهم لا يحرصون على توثيق شواهدهم؛ لأننا نجد منهم مَنْ يذكر بعض هذه الشواهد غير منسوبة في موضع من كتابه ثم بعد ذلك تجده يذكر الشاهد نفسه منسوبة في موضع آخر؛ مما يدل على أنّ كثيراً مما استشهدوا به كانوا يعرفون قائله أو يرونه يصلح للاحتجاج به، لكن يبقى السؤال لماذا لا ينسب النحاة الشواهد إلى قائلها؟

أجاب كثير من الباحثين عن هذا السؤال، فبينوا جملة من الأسباب التي تفسّر عدم نسبة الشواهد في كثير من المصنفات النحوية، ومن هذه الأسباب⁽¹⁷⁾:

1- اهتمام النحاة لاسيما الأوائل - باستقراء النصوص وملاحظة اللغة لاستخراج القواعد التي تضبط كلام العرب، فكان اهتمامهم الأول هو استنباط القواعد، ولعل ثبوت الشاهد الشعري عندهم كان أمراً مألوفاً، إذ لم يعتمدوا إلا على من وثقوا بفصاحته، كما هو ملاحظ في تعبيرات سيبويه في كتابه، فلم يروا أنفسهم بحاجة إلى ذكر القائل؛ مما جعل مسألة نسبة الشواهد إلى قائلها مرحلة ثانية؛ لذلك جاءت العناية بذلك متأخرة قليلاً بعد استقرار القواعد وتبين الآراء فيها⁽¹⁸⁾.

2- قرب عهد النحاة الأوائل بعصور الاحتجاج، إذ لم يكن بين الأئمة المتقدمين وبين عصر الاستشهاد سوى سنوات معدودة، ولذلك يقول البغدادي في الرد على مَنْ يطعن في شواهد سيبويه بحجة الجهل بقائلها: "وزعم بعض الذين ينظرون في الشعر أنّ في كتابه أبياتاً لا تُعرف، فيقال له: لسنا ننكر أنّ تكون أنت لا تعرفها ولا أهل زمانك، وقد خرج كتاب سيبويه إلى الناس والعلماء كثير، والعناية بالعلم وتهذيبه أكيدة، ونُظر فيه وفُتّش، فما طعن أحد من المتقدمين عليه، ولا ادّعى أنه أتى بشعر منكر" (19).

3- طلب الاختصار، فكثير من الشواهد معروفة القائل عند النحوي، بل قائلها مشهور لا يمكن جهله وعدم معرفته، وإنما لم ينسبه النحوي لطلب الاختصار ولشهرة القائل، إذ من المستبعد أن يكون النحاة جاهلين بهذا القدر الكبير من الشواهد غير المنسوبة، ومما يدل على ذلك ما نقلته آنفاً عن الفراء في بيت النابغة، فلم ينسبه عندما أورده أول مرة ثم نسبه بعد ذلك لاحقاً في موضع آخر، وقد فعل الأنباري مثل ذلك في قول النابغة (20):

وَأَخَذُ بَعْدَهُ بِذِنَابِ عَيْشٍ أَجَبَ الظُّهْرَ لَيْسَ لَهُ سَنَامٌ

فذكره أولاً بغير نسبة في اعتراض الكوفيين على البصريين في مسألة (أفعل) في التعجب، هل هي اسم أم فعل، ثم نسبه بعد ذلك إلى قائله حين ردّ البصريون على اعتراض الكوفيين ذلك (21).

4- عدم التأكد من قائل الشاهد بعد الاطمئنان إلى فصاحة البيئة التي صدر عنها فتورعاً من الوقوع في الخطأ لا ينسب البيت إلى قائل معين، ولذلك يعتذر البغدادي لسيبويه عن تركه نسبة الشواهد في كتابه، فيقول: "وإنما امتنع سيبويه من تسمية الشعراء؛ لأنه كره أن يذكر الشاعر وبعض الشعري يروي لشاعرين" (22)، وهذا من باب التورع عن الوقوع في الخطأ في النسبة، بل ربما أظهروا تردّدهم وشكّهم في النسبة إذا

كان ينسب الشاهد إلى شاعرين، فالفارسي يقول: "ألا ترى الكميت أو غيره⁽²³⁾ قال في ذكره حمارًا أراد الورود:

تَدَكَّرَ مِنْ أَتَى وَمِنْ أَيْنَ شُرْبُهُ يُؤَامِرُ نَفْسِيهِ كَذِي الْهَجْمَةِ الْأَيْلِ"⁽²⁴⁾
فهذا التردد قد يدفع النحوي أحيانًا إلى إغفال نسبة الشاهد.

5- اعتماد النحاة على شيوخهم، وثقتهم بما رووه عنهم من شواهد؛ مما جعلهم في اطمئنان إلى الشاهد، وإن لم ينسبوه إلى قائله، فيكتفون بنسبة الإنشاد إليهم، وقد نبه على ذلك البغدادي أيضًا، فقال عن سيبويه: "فاعتمد على شيوخه ونسب الإنشاد إليهم فيقول: أنشدنا -يعني الخليل-، ويقول: أنشدنا يونس، وكذلك يفعل فيما يحكيه عن أبي الخطاب وغيره ممن أخذ عنه"⁽²⁵⁾.

6- ويذكر البغدادي سببًا آخر، هو قديم العهد ببعض الشواهد⁽²⁶⁾؛ لأنَّ أول عصر من عصور الاستشهاد بينه وبين التععيد والتأليف النحوي قرابة ثلاثة قرون، فلا غرو أن يُنسى بعض الشعراء ويبقى شعرهم، لا سيما في عصر لم يعرف فيه العرب الكتابة إلا نزرًا يسيرًا، واعتمادهم كان كبيرًا على الحفظ والمشافهة؛ لذلك ضاع كثير من الشعر العربي القديم، فما بالك بأسماء الشعراء؟! ولكن لا يضر بعد ذلك الجهل بقائله ما دام أنه قيل في عصر الاستشهاد والاحتجاج.

7- أنَّ الأنباري قد قرَّر في كتابه (الإعراب في جدل الإعراب) أنه ليس على المستدل أن يذكر الإسناد، ولكن على المعترض أن يطالب بذلك الإسناد، فإذا طالبه بالإسناد كان على المستدل إثبات ذلك الإسناد أو إحالة المعترض على كتاب معتمد عند أهل اللغة⁽²⁷⁾.

ويعلق جميل علوش على ذلك بقوله: "فكان ابن الأنباري كان مستعدًا في كل لحظة لأن يسند هذه الشواهد إلى أصحابها إذا طوِّلب بذلك؛ لأنه لم يكن عنده متسع من الوقت لأن يعير مسألة الإسناد أكثر مما تستحق، خاصة أنَّه كان منصبًا على هدف واحد، ألا وهو تزويد الطلبة بأكثر قدر ممكن من الفائدة العلمية"⁽²⁸⁾، ومما ذكره

دليلاً على هذا الكلام أنه يستشهد بشاهد من الشعر ينسبه إلى (امرأة من العرب) دون أن يذكر اسمها، وعند التحقيق وجد أنه للخرنق أخت طرفة بن العبد لأمه⁽²⁹⁾، ومن ذلك أيضاً أنه يذكر بعض الشواهد غفلاً دون نسبة، ثم يأتي في موضع الترجيح وينسب ذلك الشاهد⁽³⁰⁾، وفي هذا دليل على أنه كان يعلم في كثير من الأحيان نسبة شواهد، ولكنه كان يرى أنه ليس على المستدل الإسناد، بل على المعترض المطالبة بإثباته.

هذه جملة من الأسباب الحاملة للنحاة على عدم نسبة الشواهد إلى قائلها، ثم جاءت مرحلة عُني فيها بالشواهد من حيث توثيقها، ونسبتها إلى قائلها، وأصبحت الكتب المعنية بالشواهد تحتل حيزاً في مكتبة النحو العربي على أنه ينبغي أن ندرك أن نسبة جميع الشواهد إلى قائلها تكاد تكون مستحيلة، ومع ذلك فقد جاءت مرحلة تدل على اهتمام النحاة بالشواهد وحرصهم على توثيقها، ولعل أول المبادرات في ذلك مبادرة أبي عمر الجرمي التي حاول فيها أن ينسب شواهد (كتاب سيويه)، ثم توالت جهود النحاة في ذلك، وأصبحت الكتب المعنية بالشواهد تحتل حيزاً في مكتبة النحو العربي، وغدت مظهرًا من مظاهر التأليف، واتسعت دائرة عناية النحاة بالشاهد، فعزوا كل بيت إلى قائله - ما أمكنهم ذلك - ونسبوه إلى قبيلته، وميزوا الإسلامي من الجاهلي، وإن كان الشاهد من قطعة نادرة أو قصيدة عزيزة أوردوها كاملة، وشرحوا غريبها ومشكلها، وأوردوا سببها ومنشأها، "كل ذلك بالضبط والتقيد، ليعمّ النفع، ويؤمن التحريف والتصحيف، وليوثق الشاهد لمعرفة قائله، ويدفع احتمال ضعفه"⁽³¹⁾.

ومع تزايد الحرص على توثيق هذه الشواهد والعناية بها قديماً وحديثاً فإنه ما زال كثير منها في عداد المجهول الذي لا يعرف قائله، ولا سابق له ولا لاحق، وإذا تقرر أن هذا هو منهج النحاة في نسبة الشواهد فإنه من الطبيعي أن تكون هناك شواهد كثيرة لا يعرف لها قائل، وحتى في الكتب التي اعتنت بالشواهد ما زال كثير منها في قائمة المجهول الذي لا يعرف سابقه ولا لاحقه ولا قائله، وجاء المحققون المحدثون واجتهدوا في البحث عن هذه الشواهد ونسبتها إلى أصحابها، ومع توافر هذه الجهود، ما زال كثير منها لم يعثر على قائله.

وخلاصة القول هنا، أنّ من ينظر في صنيع النحاة - كما مرّ سابقاً- في نسبة الشواهد إلى قائلها يجد أنهم لا يهتمون بذلك للأسباب المذكورة آنفاً وغيرها، وقد سار على هذا المنهج النحاة المتأخرون كذلك، وأما العناية بنسبة الشواهد فلا نجد لها إلا عند أصحاب كتب الشواهد، وهذا ما جعل كثيراً من هذه الشواهد مع تقادم الزمن لا يُعرف قائلوها، فعدم نسبة الشواهد لا تعني بالضرورة الجهل بقائلها عند المُستشهد، ومن هنا فإنّ الباحث محمد الباتل الحربي قام بدراسة الشواهد من حيث ذكر القائل وعدم ذكره وكم عدد الشواهد التي لم يعثر المحققون على قائلها فصارت مجهولة القائل بالنسبة إلينا، وأقام هذه الدراسة على ثمانية كتب من المصنفات النحوية ابتداء من سيويه في (الكتاب) وانتهاء بابن هشام في (قطر الندى)، وكان عدد الأبيات المجهولة القائل بعد عمل المحققين وتحريم ألفاً وسبعاً وستين شاهداً من أصل أربعة آلاف وأربعمائة وستة شواهد، وهي إجمالي الشواهد المدروسة، وهذا يمثل ما نسبته (24%)⁽³²⁾، وهذه النسبة ليست بالقليلة، إذ تقارب ربع جميع الشواهد التي استشهد بها النحاة في هذه الكتب، فما حكم هذه الأبيات التي لم يعثر المحققون على نسبة لها، فأصبحت مجهولة القائل أو في حكم المجهول؟

حكم الاستشهاد بالأبيات مجهولة القائل:

من معايير الشواهد المقبولة: الفصاحة، ولا شك أننا إذا عرفنا القائل فإنّ النفس تطمئن إلى ما يقوله بعد أن عُرفت حاله وفصاحته، وأما إذا لم يُعرف القائل فإنّ الشك سيحيط بها، لاسيما أنه سيترتب على قبولها أثر في بناء قاعدة، أو تأييد رأي، أو نصرّة مذهب، أو إقامة حجة، أو غير ذلك، وهذه النظرة جعلت بعض النحاة يقفون إزاء هذه الشواهد وقفة رفض وإنكار. ولعل أول إشارة إلى القدر في الشاهد الشعري مجهول القائل كانت من أبي عثمان المازني عندما سئل عن السكين أمذكر هو أم مؤنث؟ فقال: السكين مذكر، ولا يؤنثه فصيح، فأنشدته السائل البيت الذي أنشده الفراء⁽³³⁾:

بِسِكِّينٍ مُؤنَّثَةٍ النَّصَابِ

فَعِيَّتْ فِي السَّنَامِ عَدَاةَ قُرِّ

فقال المازني: "لِمَنْ هذا وَمَنْ صاحبه؟ ما أراه إلا أخرج من الكم، وأين صاحب هذا من أبي ذؤيب، حيث يقول⁽³⁴⁾:

فذلك سَكِينٌ عَلَى الحَلْقِ حَازِقٌ⁽³⁵⁾؟

وقد أخذ بهذا الأصل أيضاً تلميذه المبرد، الذي نقلوا عنه أنه منع حذف اللام وبقاء عملها في النثر والشعر، ورفض الاحتجاج بما احتج به سيبويه، وهو قول الشاعر⁽³⁶⁾:

مُحَمَّدٌ تَفَدٍ نَفْسِكَ كُلُّ نَفْسٍ إِذَا مَا خِفْتَ مِنْ شَيْءٍ تَبَالاً

لأنه مجهول قائله⁽³⁷⁾، وحكم عليه المبرد بأنه "ليس بمعروف"⁽³⁸⁾.

وكذلك فعل مثله تلميذه الزجاج، إذ رفض الاحتجاج بقول الشاعر⁽³⁹⁾:

قَالَ لَهَا: هَلْ لَكَ يَا تَا⁽⁴⁰⁾ فِيَّ قَالَتْ لَه: مَا أَنْتَ بِالْمَرْضِيِّ

وقال: "وهذا الشعر مما لا يلتفت إليه، وَعَمَلٌ مثل هذا سهلٌ، وليس يُعرف قائل هذا الشعر من العرب، ولا هو مما يحتج به في كتاب الله -عزَّ وجلَّ-"⁽⁴¹⁾، وذكر هذا في معرض ردِّه على الفراء الذي احتج به.

وابن النحاس كذلك ردَّ كثيراً من أدلة الكوفيين بحجة أن الشاهد "لا يعرف قائله، ولا أوله، ولم يُذكر منه إلا هذا، ولم ينشده أحد ممن وثق به في اللغة"⁽⁴²⁾.

وتبعهم الزمخشري في ذلك، وقال عن هذا البيت "واستشهدوا لها بيت مجهول"⁽⁴³⁾.

وكذلك نجد أن ابن يعيش يعلق على خمسة شواهد من شواهد المفصل بأنها مردودة لعدم معرفة قائلها⁽⁴⁴⁾.

أما ابن هشام الأنصاري فقد نقل السيوطي عنه أنه ردَّ بعض الشواهد؛ بحجة أنه لا يُعرف قائلها، فقال السيوطي: "وذكر ابنُ هشام في تعليقه على الألفية مثله، فإنه أورد الشعر الذي استدل به الكوفيون على جواز مدِّ المقصور للضرورة، وهو قوله⁽⁴⁵⁾:

قَدْ عَلِمْتُ أُخْتُ بَنِي السَّعْلَاءِ

وَعَلِمْتُ ذَلِكَ مَعَ الْجَرَاءِ

أَنْ نِعْمَ مَأْكُولًا عَلَى الْخَوَاءِ
يَا لَكَ مِنْ تَمْرٍ وَمِنْ شَيْشَاءِ
يَنْشَبُ فِي الْمَسْعَلِ وَاللَّهَاءِ

وقال: الجواب عندنا أنه لا يُعلم قائله فلا حجة فيه⁽⁴⁶⁾، فهنا نجد السيوطي ينقل عن ابن هشام اعتراضه على هذا الشاهد بحجة أنه لا يُعلم قائله، والذي وجده الباحث في (أوضح المسالك) لابن هشام ما يأتي: "واختلفوا في جواز مدِّ المقصور للضرورة فأجازه الكوفيون متمسكين بنحو قوله⁽⁴⁷⁾:"

فَلَا فُزْرِي دَوْمٌ وَلَا غِنَاءُ

ومنع البصريون وقدروا (الغناء) في البيت مصدرًا لـ(غانيت) لا مصدرًا لـ(غنيت) وهو تعسّف⁽⁴⁸⁾، فابن هشام كما يتضح من هذا النص لم يردّ على الكوفيين بأنّ البيت مما لا يُعلم قائله فلا حجة فيه، إنما كان ردّه موجّهًا إلى البصريين الذين يرون أنّ (غناء) مصدر (غانيت) لا (غنيت)، ووصف رأيهم هذا بأنه تعسّف.

ومرة أخرى نجد السيوطي ينقل عن ابن هشام نفسه أنه يجيز الاستشهاد بالشعر المجهول قائله، فيقول: "لكن ذكر في (شرح الشواهد) ما يخالفه، فإنه قال: طعن عبد الواحد الطّراح صاحب كتاب (بغية الأمل) في الاستشهاد بقوله⁽⁴⁹⁾:"

أَكْثَرَتْ فِي الْعَدْلِ مُلِحًا دَائِمًا لَا تُكْثِرُنْ إِيَّيْ عَسَيْتُ صَائِمًا

وقال: هو بيت مجهول، لم ينسبه الشراح إلى أحد، فسقط الاحتجاج به، ولو صح ما قاله لسقط الاحتجاج بخمسين بيتًا من كتاب سيبويه، فإنّ فيه ألف بيت قد عُرف قائلوها وخمسين مجهولة القائلين⁽⁵⁰⁾، وعند النظر في (مغني اللبيب) لم نجد لابن هشام هذا الرأي، ولم يعلّق على هذا البيت بشيء مما قاله السيوطي، وكل ما ورد فيه قوله: "والثالث أقلّ، كقوله:

أَكْثَرَتْ فِي الْعَدْلِ مُلِحًا دَائِمًا لَا تُكْثِرُنْ إِيَّيْ عَسَيْتُ صَائِمًا

وقولهم في المثل: عَسَى الْغَوِيْرُ أَبُوْسًا، كذا قالوا، والصواب أنهما مما حذف فيه الخبر، أي (يكون أبوْسًا) و(أكون صائِمًا)؛ لأنَّ في ذلك إبقاء لهما على الاستعمال الأصلي، ولأنَّ المرجوُّ كونه صائِمًا لا نفس الصائم⁽⁵¹⁾.

فما نقله السيوطي من تردُّد ابن هشام بين منع الاستشهاد بالشعر المجهول القائل وإجازته لم نعثر منه على شيء في كتبه، وفي المواضع التي حدَّدها السيوطي نفسها.

رأي الأنباري في الاستشهاد بشعر مجهول قائله

يعدُّ الأنباري أكثر مَنْ طرق هذه المسألة في كتابه (الإنصاف)، ولا سيما في اعتراضاته على شواهد الكوفيين، إذ حكم على كثير من شواهدهم بأنها مردودة وغير مقبولة؛ لأنها مجهولة القائل، ومن ذلك:

- اعتراضه على الكوفيين في استدلالهم على جواز إضافة النِّيفِ إلى العشرة بقول الشاعر⁽⁵²⁾:

كُلِّفَ مِنْ عَنَائِهِ وَشَقْوَتِهِ
بُنْتُ تَمَانِي عَشْرَةَ مِنْ حِجَّتِهِ

فاعترض عليهم الأنباري بقوله: "أما ما أنشدوه... فلا يعرف قائله، ولا يؤخذ به"⁽⁵³⁾.
- ومن ذلك اعتراضه على ما استدل به الكوفيون على أنَّ الميم ليست عوضًا من ياء النداء في (اللهم)، أنهم يجمعون بينهما، كقول الشاعر⁽⁵⁴⁾:

إني إذا ما حَدَثُ الْمَا أقول: يا اللهم، يا اللهمَّ
وقول الآخر⁽⁵⁵⁾:

وما عليك أن تَقُولِي كَلِّمَا صَلَّيْتِ أَوْ سَبَّحْتِ: يا اللهمَّ ما
أزُدُّ علينا شيخنا مُسَلِّمًا

فقال الأنباري في اعتراضه على ذلك: "هذا الشعر لا يعرف قائله؛ فلا يكون فيه حجة"⁽⁵⁶⁾.

- ويقول عن شواهد آخر: "أما ما أنشدوه فهو مع قلته لا يعرف قائله؛ فلا يجوز الاحتجاج به"⁽⁵⁷⁾، وغيرها من المواضيع.

وهذا يُعلم أن الأنباري يرفض الاستدلال بالنقل إذا لم يُعرف قائله، ويجعل ذلك من مبطلات الاحتجاج به، ويفسر البغدادي مسلك الأنباري في هذا الاعتراض فيقول: "وعلة ذلك مخافة أن يكون ذلك الكلام مصنوعاً، أو مولود، أو لمن لا يوثق بكلامه"⁽⁵⁸⁾.

ونعلم أنّ الأنباري ألف كتابين في أصول النحو وجدله، هما: "لمع الأدلة" و"الإغراب في جدل الإغراب"، وعند النظر في هذين الكتابين لا نجد له رأياً صريحاً في هذه المسألة، بل إنه لم يذكرها ألبتة، في حين أنه حكم على كثير من شواهد الكوفيين بأنها مجهولة القائل، وجعل ذلك دليلاً مبطلاً لما احتجوا به، وهذا دفع ببعض الباحثين المحدثين إلى القول بأنّ الأنباري اضطرب في فهم هذا الأصل واعتماده، وأنّ ما فعله في كتاب (الإنصاف) لم يكن غير استجابة لطبيعة الجدل والمناظرة⁽⁵⁹⁾.

وفي تقدير الباحث أنّ هذا القول غير صحيح، أما أنّ الأنباري لم يذكر ذلك في كتابيه "لمع الأدلة" و"الإغراب" فصحيح وأوافقه على ذلك، ولكن هناك ما يشير في كلام الأنباري إلى هذه المسألة، إذ ذكر أنّ النقل ينقسم إلى متواتر وأحاد، وأنّ من شروط قبول خبر الواحد أن يكون ناقل اللغة عدلاً رجلاً كان أم امرأة حرّاً كان أم عبداً؛ لذا فالمرسل الذي انقطع سنده والمجهول الذي لم يُعرف ناقله عند الأنباري "غير مقبول؛ لأنّ العدالة شرط في قبول النقل، والجهل بالناقل وانقطاع سند الناقل، يوجبان الجهل بالعدالة، فإنّ مَنْ لم يذكر اسمه أو ذكر اسمه ولم تعرف عدالته فلا يقبل نقله"⁽⁶⁰⁾، ومن هنا أقول أليس معرفة القائل أهمّ وأولى من معرفة الناقل والراوي؟، فإن كانت معرفة الناقل والراوي شرطاً من شروط قبول النقل عند الأنباري فإنّ معرفة القائل أولى بأن تكون شرطاً كذلك في قبول النقل؛ لأنّ النقل يشترط فيه الفصاحة، والفصاحة لا تعرف إلا إذا عرفنا القائل، وإذا كان جمهور النحاة لم يقبلوا من أصحاب الطبقة الرابعة وهم شعراء معروفون فكيف يقبلون ممن لا يعرفونهم أصلاً أو أنهم عندهم؟! فأزعم أنّ

هذا من البدهيات التي ليس بالضرورة أن يصحح بذكرها الأنباري، ولذلك نجده ردًا كثيرًا من شواهد الكوفيين للجهل بقائلها، ويبقى البحث في مدى صحة هذا الرأي من عدمها. ويرى بعض الباحثين أن الأنباري هو أول من قرر أنه لا يجوز الاحتجاج بما لا يعرف قائله، في معرض نقاشه لبعض الشواهد التي سيقى لتأييد الرأي الذي لا يرتضيه⁽⁶¹⁾. وفي تقديره أن هذا الرأي غير صحيح؛ لأن الأنباري لم يكن بدعًا من النحاة في تقرير هذا الأصل وتطبيقه، بل سبقه في ذلك نحاة كثير، مثل: أبي عثمان المازني، والمبرد، والزجاج، وابن النحاس، والزمخشري، وابن يعيش، وردوا شواهد بهذه الحجة، نعم يعدُّ الأنباري أكثر من استعمل هذا الأصل كما سبق ولكنه ليس أولهم.

رأي المعاصرين:

ذهب عدد من الباحثين المحدثين إلى ضرورة معرفة القائل، ودعوا إلى إبعاد الشاهد الذي لا يعرف قائله عن دائرة الاحتجاج النحوي، منهم سعيد الأفغاني⁽⁶²⁾، وعبد العال سالم مكرم⁽⁶³⁾، وغيرهما.

وهناك رأي آخر في هذه المسألة، وهو عدم الالتفات إلى ما قال عنه النحاة: "لا يُعرف قائله"، أو ما شابه ذلك من ألفاظ، فما دام أن البيت قد جرى على ألسنتهم فإنه يُقبل؛ ولهذا يُعَلِّق محمد محيي الدين عبد الحميد على أحد اعتراضات الأنباري تلك بقوله: "لا نرى لك أن تُقرَّ هذا -لا في هذا الموضوع ولا في غيره، ولا على لسان الكوفيين ولا البصريين- فكم من الشواهد التي يستدل بها هؤلاء وهؤلاء وهي غير منسوبة، ولا لها سوابق أو لواحق، وفي كتاب سيبويه وحده خمسون بيتًا لم يعثر لها العلماء بعد الجهد والعناء الشديدين على نسبة إلى قائل معين"⁽⁶⁴⁾.

ونلمح في كلام محمد محيي الدين عبد الحميد أنه رفض هذا القول بحجتين هما:

الأولى: أن هناك شواهد غير منسوبة.

الثانية: ما في كتاب سيبويه من شواهد لم يعثروا على قائلها.

ويرى الحلواني أنّ هذا الأصل -أي ردّ الشواهد مجهولة القائل- ضعيف الأساس؛ "لأنّ الذين قالوا به وحكموه إنما استعملوه في معرض الجدل والمناظرة، وهم أنفسهم احتجوا بأبيات لم يُعرف قائلوها، كما ترى في كتب المبرد والزجاج والأنباري وابن هشام"⁽⁶⁵⁾.

وتوسط البغدادي في موقفه بين القائلين بوجوب معرفة القائل وبين المجيزين، فقال: "ويؤخذ من هذا أنّ الشاهد المجهول قائله وتتمته إنّ صدر من ثقة يعتمد عليه قيل، وإلا فلا، ولهذا كانت أبيات سيبويه أصحّ الشواهد، اعتمد عليها خلفٌ بعد سلفٍ مع أنّ فيها أبياتاً عديدة جهل قائلوها، وما عيب بها ناقلوها، وقد خرج كتابه إلى الناس والعلماء كثير، والعناية بالعلم وتهذيبه أكيدة، ونظر فيه وفتش فما طعن أحدٌ من المتقدمين عليه، ولا ادّعى أنه أتى بشعر منكر"⁽⁶⁶⁾، ويقول أيضاً: "الشاهد الذي جهل قائله إن أنشده ثقة كسيبويه وابن السراج والمبرد ونحوهم فهو مقبول يعتمد عليه، ولا يضر جهل قائله؛ فإنّ الثقة لو لم يعلم أنه من شعر مَنْ يصحُّ الاستدلال بكلامه لما أنشده"⁽⁶⁷⁾.

ووافق محمد الخضر حسين ما ذهب إليه البغدادي، فقال: "يحتج بالشعر الذي يرويه من يوثق به في اللغة، واشتهر بالضبط والإتقان وإن لم يعرف قائله"⁽⁶⁸⁾. وعلل عدم احتجاجهم أحياناً بالأبيات مجهولة القائل، فقال: "فإن رأيهم يردون بعض المذاهب ببنائها على شعر لا يعرف قائله، فإنما يكون الرد وجيهاً إذا روى الشعر من لم يكن عربياً فصيحاً، ولم يشتهر بالضبط والإتقان فيما يسوقه من الشعر على أنه عربي فصيح"⁽⁶⁹⁾.

وخلاصة القول أنّ البيت الذي يعرف قائله تميل النفس إليه وتطمئن، وكذلك تقبل الأبيات التي استشهد بها القدماء الثقات كسيبويه والأخفش والكسائي والفراء وابن السراج ومن في طبقتهم ومنزلتهم في الثقة وإن لم نعرف قائلها، أما الأبيات التي لم يعرف قائلوها ولم يروها أحد من الرواة الثقات ولا وجود لها في كتب القدماء المعتمدة، بل جرت على ألسنة المؤلفين المتأخرين، فلا يحتج بها ولا يستشهد، ويمكن أن تذكر من باب الاستئناس والتمثيل لا من باب الاحتجاج، وبخاصة إذا وردت شواهد أخرى أصحّ في المسألة نفسها، وهذا مما يزيد في حفظ

اللغة وضبط أصولها وقواعدها، واعتمادها على أسس راسخة ثابتة، ويبعد عنها الانفلات والفضوى التي لا يحكمها نظام ولا قانون.

دراسة الأبيات التي حكم عليها الأنباري بأنها مجهولة القائل في كتابه (الإنصاف):

بعد عرض المسألة نظريًا يحسن بنا هنا الوقوف على المواضيع التي اعترض فيها الأنباري في كتابه (الإنصاف) على بعض الشواهد بحجة جهل قائلها، لدراستها، والتحقق من مدى صحة الاعتراض أو عدمه، وهذه المواضيع هي:
الموضع الأول: قول الشاعر⁽⁷⁰⁾:

كُلِّفَ مِنْ عَنَائِهِ وَشِقْوَتِهِ

بُنْتُ ثَمَانِي عَشْرَةَ مِنْ حِجَّتِهِ

استدل به الكوفيون على جواز إضافة النيف إلى العشرة، نحو: خمسة عشر، فاعترض الأنباري عليهم بقوله: "أما ما أنشدوه من قوله: بُنْتُ ثَمَانِي عَشْرَةَ مِنْ حِجَّتِهِ فلا يعرف قائله، ولا يؤخذ به"⁽⁷¹⁾.

ويجاب عن الأنباري بعدة أجوبة، هي:⁽⁷²⁾

أولاً: نسبه الجاحظ إلى قائله وهو نفيع بن طارق، وذكرتتمته، فقال: "وأنشدني أبو الرديني الدلهم بن شهاب -أحد بني عوف بن كنانة من عُكل- قال: أنشدني نفيع بن طارق في تشبيهه ركب المرأة إذا جَمَمَ⁽⁷³⁾ بجلد القنفذ:

كُلِّفَ مِنْ عَنَائِهِ وَشِقْوَتِهِ

وقد رأيت هدجًا في مشيته

بُنْتُ ثَمَانِي عَشْرَةَ مِنْ حِجَّتِهِ

وقد جلا الشيبُ عذارَ لحيته

يظهرها ظلًّا بغير رؤيته

تمشى بجهمٍ ضيقه من همته
لم يُخزِه الله برُحْبِ سَعَتِه
جَمَّعَ بعدَ حَلْقِه ونُورَتِه
كقنْفذِ القُفِّ اختفى في فَرْوَتِه
لا يبلغ الأيرُبَنْزِعَ زَهوتِه
ولا يكُرُّ راجِعًا بكرَّتِه
كأنَّ فيه وهَجًا من مَلَّتِه⁽⁷⁴⁾

ثانيًا: أن هذا البيت قد استشهد به أحد أئمة النحاة، وهو الفراء، فقد احتج به في "معاني القرآن" فقال: "أنشدني العكلي أبو ثروان:

كُلِّفَ من عَنَائِه وشِقْوَتِه
بِنْتِ ثَمَانِي عَشْرَةَ مِنْ حِجَّتِه"⁽⁷⁵⁾

ولعل الأنباري هنا تبع البصريين في ردِّهم هذا البيت لعدم معرفتهم بقائله، وممن ذكر ردَّ البصريين لهذا البيت السيرافي، فقال: "واعلم أن الفراء ومن وافقه يجيز إضافة النيف إلى العشرة؛ فتقول: هذا خمسة عشر، وأنشدوا فيه:

كُلِّفَ من عَنَائِه وشِقْوَتِه
بِنْتِ ثَمَانِي عَشْرَةَ مِنْ حِجَّتِه

وهذا لا يجيزه البصريون ولا يعرفون البيت"⁽⁷⁶⁾.

وعدم معرفة البصريين بهذا البيت ليست حجة كافية في ردِّه، فمن عرف حجةً على من لم يعرف، والمثبت مقدم على النافي، لذا نجد السيرافي نفسه يستشهد بهذا البيت في موضع آخر من كتابه، فيقول: "ومنهم من يسكن الياء. فيقول: ثماني عشرة، قال الشاعر:

صَادَفَ مِنْ بِلَائِهِ وَشَقْوَتِهِ

بُنْتُ ثَمَانِي عَشْرَةَ مِنْ حِجَّتِهِ"⁽⁷⁷⁾

ولهذا فإنَّ الاعتراض - في تقديري - على هذا الموضع بجهل قائله لا يستقيم؛ لأنَّ هذا البيت قد عُرف قائله، وأُنشده أحد الأعراب الفصحاء، واستشهد به من النحاة أئمة ثقات.

وليس معنى قبولنا لهذا البيت أن نجيز القياس على ما جاء فيه من جواز إضافة النيف إلى العشرة، بل نقول إنَّ هذا البيت مقبول، ولكنَّ ذلك يقتصر على الضرورة، فهو يحفظ ولا يُقاس عليه؛ ولهذا يقول الفراء: "ولو نويت بخمسة عشر أن تضيف الخمسة إلى عشر في شعر لجاز"⁽⁷⁸⁾، ويقول أبو بكر ابن الأنباري: "ومن العرب من يضيف النيف إلى العَشْر، وهو مما لا يقاس عليه، فيقولون: عندي خمسة عشر، وستة عشر، وأكثر ما يفعلون ذلك في الشعر"⁽⁷⁹⁾، ومن يقرأ هذه المسألة في (الإنصاف) يظن أنَّ الكوفيين يرون أن ذلك يجوز مطلقاً، وهذا غير صحيح كما رأيت، ولم يُشر الأنباري في (الإنصاف) إلى أنَّ الكوفيين لا يرون جواز ذلك إلا في ضرورة الشعر.

الموضع الثاني: قول الشاعر⁽⁸⁰⁾:

وما عليك أن تُؤولي كُلمًا

صَلَّيتِ أو سَبَّحتِ: يا اللهمَّ ما

أزُدُّ علينا شيخنا مُسَلِّمًا

استدل به الكوفيون على أنَّ الميم في لفظة (اللهمَّ) ليست عوضًا عن ياء النداء؛ نظرًا إلى اجتماع ياء النداء والميم، ولا يجمع بين العوض والمُعوض عنه.

فاعترض عليهم الأنباري بقوله: "هذا الشعر لا يعرف قائله؛ فلا يكون فيه حجة"⁽⁸¹⁾.

وبعد البحث والتحري عن قائل هذا البيت - حسب قدرتي - لم أهدِّ إلى قائله، ولكن يمكن أن يجاب عن الأنباري بأنَّ هذا الشعر - وإن لم نعثر على قائله - لا نسلم له الاعتراض عليه

وردّه بهذه الحجة فقط؛ لأنه قد رواه الثقات، فقد رواه الفراء عن أنشده فقال: "وقد أنشدني بعضهم"⁽⁸²⁾، وروى إنشاده عن الكسائي⁽⁸³⁾، كما أنشده أبو بكر ابن الأنباري⁽⁸⁴⁾.

الموضع الثالث: قول الشاعر⁽⁸⁵⁾:

يَطْفَنَ بِحُوزِيِّ الْمَرَاتِعِ لَمْ تُرْعَ بَوَادِيهِ مِنْ قَرْعِ الْقِسِيِّ الْكَنَائِنِ

وهذا البيت كذلك من ضمن الأبيات التي استدلت بها أكثر الكوفيين على جواز الفصل بين المتضايقين، واعترض الأنباري على ذلك بحجة الجهل بقائله⁽⁸⁶⁾.

فيجاب عن الأنباري بأنّ هذا البيت قائله معروف، وهو الطرماح بن حكيم الطائي، والبيت في ديوانه⁽⁸⁷⁾. وقد استشهد بهذا البيت ابن جني في هذه المسألة فقال: "فأما قوله:

يَطْفَنَ بِحُوزِيِّ الْمَرَاتِعِ لَمْ تُرْعَ بَوَادِيهِ مِنْ قَرْعِ الْقِسِيِّ الْكَنَائِنِ

فلم نجد فيه بدءاً من الفصل؛ لأنّ القوافي مجرورة"⁽⁸⁸⁾، فلم يرد ابن جني هذا البيت بحجة عدم معرفة قائله مع أنه لم يصحّ بقائله.

الموضع الرابع: قول الشاعر⁽⁸⁹⁾:

فَأَصْبَحَتْ بَعْدَ خَطِّ بَهْجَتِهَا كَأَنَّ قَفْرًا رُسُومَهَا قَلَمًا

وهذا البيت كذلك من ضمن الأبيات التي استدلت بها أكثر الكوفيين على جواز الفصل بين المتضايقين، واعترض الأنباري على ذلك بحجة الجهل بقائله⁽⁹⁰⁾.

ويجاب عن الأنباري بأمرين:

أولاً: أنّ هذا البيت نسبه بعضهم إلى ذي الرمة، كابن معيط⁽⁹¹⁾، وهو في ملحق ديوان ذي الرمة⁽⁹²⁾.

ثانياً: أنّ ابن جني أنشده عن ابن الأعرابي، فقال: "ومثله في الفصل قول الآخر، فيما أنشده ابن الأعرابي:

فَأَصْبَحَتْ بَعْدَ خَطِّ بَهْجَتِهَا كَأَنَّ قَفْرًا رُسُومَهَا قَلَمًا"⁽⁹³⁾

وابن الأعرابي هذا قال عنه أبو البركات الأنباري: "كان من أكابر أئمة اللغة المشار إليهم في معرفتها، ويقال: لم يكن للكوفيين أشبه برواية البصريين من ابن الأعرابي، وكان عالماً ثقة، وكان ربيباً للمفضل الضبي، وسمع منه الدواوين وصححها"⁽⁹⁴⁾.

وعلى هذا فلا يستقيم للأنباري اعتراضه على هذا البيت لمعرفة قائله، ورواية الثقة له.
الموضع الخامس: قول الشاعر⁽⁹⁵⁾:

فَرَجَّجْتُمْ بِمَرْجَّةٍ نَجَّ الْقُلُوصَ أَبِي مَزَادَةَ

احتج الكوفيون بهذا البيت على جواز الفصل بين المتضايقين، فاعترض الأنباري عليهم بأن هذا البيت وغيره من الأبيات التي استشهدوا بها على الجواز لا يعرف قائلوها⁽⁹⁶⁾.

وهذا البيت لم أهدئ إلى قائله، وقدح فيه بعض النحويين، ورأوا أنه مصنوع، ويروى لبعض المدنيين المولدين، أو لبعض من لم يحتج بشعره⁽⁹⁷⁾، وأبطله الفراء فقال: "هذا باطل والصواب: نَجَّ الْقُلُوصَ أَبُو مَزَادَةَ"⁽⁹⁸⁾، وقدح فيه الطبري فقال: "وقد روي عن بعض أهل الحجاز بيت من الشعر يؤيد من قرأ بما ذكرت من قراءة أهل الشام، رأيت رواة الشعر وأهل العلم بالعربية من أهل العراق ينكرونه..."⁽⁹⁹⁾ وذكر البيت، فأنت ترى هنا قدح الكوفيين فيه، وهم من نسب إليهم القول بالفصل بين المتضايقين وهم مع ذلك يقدحون في هذا البيت، مما يدل على ضعفه وعدم صحة الاحتجاج به، وعلى هذا فاعتراض أبي البركات الأنباري في محله.

الموضع السادس: قول الشاعر⁽¹⁰⁰⁾:

تَمَرُّ عَلَى مَا تَسْتَمِرُّ، وَقَدْ شَفَّتْ غَلَائِلَ عَبْدُ الْقَيْسِ مِنْهَا صُدُورَهَا

وهو من ضمن الأبيات التي استدلت بها أكثر الكوفيين على جواز الفصل بين المتضايقين، واعترض الأنباري على ذلك بحجة الجهل بالقائل⁽¹⁰¹⁾.

ولم أهدئ - كذلك - إلى قائل هذا البيت، ولا يبعد أن يكون هذا البيت مصنوعاً أو من كلام المولدين، إذ يقول السيرافي بعد ذكره هذا البيت: "وهذا قبيح جداً"⁽¹⁰²⁾، وذكر البغدادي عن ابن

السيد أنّ أبا الحسن الأخفش قال عن هذا البيت: "وهو أفحش ما جاء في الشعر، ودعت إليه ضرورة"⁽¹⁰³⁾.

وفي المجمل أنّ النفس لا تطمئن إلى هذا البيت؛ للجهل بقائله، وعدم نقل الثقات له، ومَن ذكره من النحاة المتقدمين قدح فيه، وعده من أردأ الضرورات الشعرية، فيستقيم حينئذ اعتراض الأنباري. لكنّ هذين الموضوعين، الخامس والسادس، يغني عنهما الموضوعان اللذان قبلهما، إذ فهما شواهد على المسألة، وغيرها من الشواهد التي تسلم من الاعتراض.
الموضع السابع: قول الشاعر⁽¹⁰⁴⁾:

قد صرّت البكرة يوماً أجمعا

استدل بهذا البيت الكوفيون على جواز توكيد النكرة بغير لفظها، واعتراض الأنباري على هذا الاستدلال بقوله: "هذا البيت مجهول لا يعرف قائله؛ فلا يجوز الاحتجاج به"⁽¹⁰⁵⁾.

وقد بحثت عن قائل هذا البيت فلم أهد إلى ذلك، وأجاب البغدادي عن اعتراض أبي البركات الأنباري هذا بقوله: "هذا كلامه، وهو مبني على الطعن في روايتهم، وهذا لا يجوز لأهم ثقات"⁽¹⁰⁶⁾.

ويغني عن هذا البيت الذي لم يُعرف قائله شواهد أُخر في هذه المسألة، ومن هذه الشواهد:

1- ما جاء في صحيح مسلم عن عبد الله بن شقيق قال: قُلْتُ لِعَائِشَةَ -رضي الله عنها- أَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَصُومُ شَهْرًا كُلَّهُ؟ قَالَتْ: مَا عَلِمْتُه صَامَ شَهْرًا كُلَّهُ إِلَّا رَمَضَانَ، وَلَا أَفْطَرَهُ كُلَّهُ حَتَّى يَصُومَ مِنْهُ، حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ -صلى الله عليه وسلم-"⁽¹⁰⁷⁾.

2- قول الشاعر⁽¹⁰⁸⁾:

لكنّه شاقه أن قيل ذا رجبٍ يا ليت عدّة حوّلٍ كلّهِ رجبٍ

3- قول الراجز⁽¹⁰⁹⁾:

أوفت به حولاً وحولاً أجمعا

وهذه الشواهد وغيرها تغني عن الشاهد الذي اعترض عليه الأنباري.

الموضع الثامن: قول الشاعر⁽¹¹⁰⁾:

أردت لِكَيْمًا أَنْ تَطِيرَ بِقِرَّتِي
فتركها شَنًّا بِيَدَاءِ بَلْقَعِ

استدل بهذا البيت الكوفيون على جواز إظهار "أَنْ" المصدرية بعد "كي". واعترض عليهم الأنباري بقوله: "هذا البيت غير معروف، ولا يعرف قائله، فلا يكون فيه حجة"⁽¹¹¹⁾.

ويمكن أن يجاب عن الأنباري بأمرين:

أولهما: أَنَّ هذا البيت قد استشهد به الفراء، حين قال: "فلما رأوا "أَنْ" في غير هذين تكون للماضي والمستقبل استوثقوا لمعنى الاستقبال بـ"كي وباللام" التي في معنى "كي"، وربما جمعوا بين ثلاثهن، أنشدني أبو ثروان:

أردت لِكَيْمًا لَا تَرَى لِي عَثْرَةً
وَمَنْ ذَا الَّذِي يُغْطِي الْكَمَالَ فَيَكْمُلُ

فجمع بين "اللام" وبين "كي"، وقال الله - تبارك وتعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣]، وقال الآخر في الجمع بينهما:

أردت لِكَيْمًا أَنْ تَطِيرَ بِقِرَّتِي
فتركها شَنًّا بِيَدَاءِ بَلْقَعِ

وإنما جمعوا بينهما لاتفاقهنّ في المعنى واختلاف لفظهنّ"⁽¹¹²⁾.

ثانيهما: إنشاد النحويين لهذا البيت بكثرة في كتبهم، قال البغدادي: "وهذا البيت قلما خلا منه كتابٌ نحوي، ولم يعرف قائله"⁽¹¹³⁾.

الخاتمة والنتائج:

وهنا يصل هذا البحث إلى نهايته ليكشف لنا نتائج، أهمها:

- أَنَّ الشواهد النحوية تحكمها معايير نقدية عند النحاة، وكان منها فصاحة القائل، وثقة مَنْ تؤخذ عنه اللغة، واعتُبر ذلك شرطاً أساسياً في بناء القواعد واطرادها، والقياس على ذلك.

- أنّ النحاة لم يهتموا كثيراً بنسبة الشواهد إلى قائلها، ولعل ذلك يرجع إلى أنهم كانوا يعتمدون على شيوخهم فيما نقلوه من كلام العرب، فضلاً عن أنّهم كانوا قريبين من عصور الاحتجاج؛ ولذا كان اهتمامهم باستنباط القواعد من كلام العرب أكبر من نسبة الأقوال إلى أصحابها، لا سيما الشعر.
- أنّ الشواهد الشعرية المجهولة القائل يُحتجُّ بها إذا أنشدتها أحدٌ من النحاة الثقات، أو وافقت الاستعمال الشائع من كلام العرب، أو وردت شواهد كافية صالحة للاحتجاج بها، فينفض بها ذلك الشاهد.
- اعترض الأنباري على بعض شواهد الكوفيين بحجة الجهل بالقائل، ولم يسلم له إعتراضه؛ لأنّ بعض هذه الشواهد عُثر على قائلها، كما أنشد أكثرها نحاة ثقات، أو وردت شواهد أخرى تقوّيها، فلا يسلم له ذلك الاعتراض.
- أغفل الأنباري نسبة الشواهد في كثير من الأحيان، مما جعل كثيراً من شواهده مجهولة النسبة عند مَنْ جاء بعده، فلم يعثر المحققون على قائلها بعد البحث والتحري، فلو أجرينا منهجه على شواهدنا لاستبعدنا كثيراً منها بهذه الحجة.

الهوامش والإحالات:

- (1) عمرو بن عثمان، سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408 هـ - 1988 م: 20/2.
- (2) محمد خير الحلواني، أصول النحو العربي، مطبعة إفريقية، الدار البيضاء، 1983 م: ص70.
- (3) ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، (د.ت): 11/2.
- (4) عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1418 هـ - 1997 م: 357/1.
- (5) محمد علي سلطان، حول نسبة الأبيات في كتاب سيبويه، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق الجزء الرابع، مجلد 49، لعام 1394 هـ - 1974 م: ص882-891.

- (6) خالد عبد الكريم جمعة، شواهد الشعر في كتاب سيويه، الدار الشرقية، مصر، ط2، 1409هـ-1989م: ص214.
- (7) ينظر: عبد الرحمن معاضة الشهري، الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم، مكتبة دار المنهاج، الرياض، 1431هـ: ص700.
- (8) يحيى بن زياد الفراء، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي وآخرين، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر (د.ت): 288/1.
- (9) البيت للناطقة الذيباني، ديوان النابغة الذيباني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2: ص14، وينظر: سيويه، الكتاب 321/2.
- (10) الفراء: معاني القرآن 288/1.
- (11) كالكسائي ويونس والمفضل الضبي وأبي ثروان ينظر: الفراء، معاني القرآن (37/1، 80، 133، 144)
- (12) البغدادي، خزانة الأدب 357/1.
- (13) محمد بن يزيد المبرد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1415هـ - 1994م: 93/1.
- (14) ينظر: محمد الباتل الحربي، الشاهد الشعري في النحو العربي دراسة توثيقية وتطبيقية، مطبوعات جامعة الملك سعود، الرياض، 1431هـ: ص415.
- (15) ينظر: الحربي، الشاهد الشعري في النحو العربي: ص415.
- (16) ينظر: نفسه، ص415.
- (17) ينظر: البغدادي، خزانة الأدب (357/1)، ومحمد عيد، الاستشهاد والاحتجاج باللغة، عالم الكتب، ط3، 1988م: ص(158)، والحربي، الشاهد الشعري في النحو العربي ص(415)، ومحمد عبد الرحمن السبيهي، مسائل الخلاف النحوية في ضوء الاعتراض على الدليل النقلي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1426هـ- 2005م: ص44.
- (18) ينظر: عيد، الاستشهاد والاحتجاج باللغة ص158.
- (19) البغدادي، خزانة الأدب 357/1.
- (20) النابغة، ديوان النابغة، ص106، وينظر: سيويه، الكتاب (196/1)، والبغدادي، خزانة الأدب 365/9.

- (21) ينظر: عبد الرحمن بن محمد الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، ط1، 1424هـ- 2003م: م15/109، 111.
- (22) البغدادي، خزانة الأدب 357/1.
- (23) الكميت بن زيد الأسدي، ديوانه، تحقيق: محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، 2000م: ص256، وينظر: محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، (إبل) 4/11.
- (24) الحسن بن أحمد، أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، تحقيق: بدر الدين قهوجي وغيره، دار المأمون للتراث، دمشق، ط2، 1413 هـ - 1993م: (317/1)، والهِجْمَة: الجماعة الضخمة من الإبل، والأبل على وزن (حَدِر): من أبل يأبل على وزن عِلِم يعلم أي حذق مصلحة الإبل والشاء. ينظر: ابن منظور، لسان العرب (أبل) 4/11.
- (25) البغدادي، خزانة الأدب 357/1.
- (26) ينظر: نفسه، 357/1.
- (27) ينظر: عبد الرحمن بن محمد الأنباري، الإغراب في جدل الإعراب، تحقيق: سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية، 1355هـ-1977م: ص46.
- (28) جميل إبراهيم علوش، ابن الأنباري وجهوده في النحو، أطروحة دكتوراه، جامعة القديس يوسف، بيروت، 1977 م: ص327.
- (29) ينظر: الأنباري، الإنصاف 612/2.
- (30) ينظر: الأنباري، الإنصاف، 109/1، 111، حيث ذكر بيتاً للنابغة دون نسبة ثم عاد ونسبه إليه.
- (31) البغدادي، خزانة الأدب 357/1.
- (32) ينظر: الحربي، الشاهد الشعري في النحو العربي ص420.
- (33) لم أهدئ إلى قائله، والبيت في الفراء، المذكر والمؤنث، تحقيق: رمضان عبد التواب، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط2: ص86، وأبي الحسن ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداووي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421 هـ - 2000 م: 718/6، وابن منظور، لسان العرب (عيث) 170/2.
- (34) الشعراء الهذليون، ديوان الهذليين، تحقيق: محمّد محمود الشنقيطي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1385 هـ - 1965 م: 151/1.

- (35) أبو القاسم عبد الرحمن الزجاجي، مجالس العلماء، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1420هـ-1999م: ص 101.
- (36) يُنسب إلى حسان بن ثابت -رضي الله عنه-، وإلى أبي طالب، وإلى الأعشى؛ وليس في ديوان واحدٍ منهم كما ذكر عبد السلام هارون في حواشي كتاب سيبويه (8/3)، والبيت في: سيبويه، الكتاب (8/3)، والمبرد، المقتضب (132/2)، والبغدادي، خزانة الأدب 11/9.
- (37) نقله عنه ابن هشام في مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق: مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط6، 1985م: ص 297.
- (38) المبرد، المقتضب 123/2.
- (39) الرجز للأغلب العجلي، ينظر: البغدادي، خزانة الأدب (394/4)، وبلا نسبة في: الفراء معاني القرآن 76/2.
- (40) (يا) حرف نداء، وتا: منادى وهو اسم إشارة يشاربه إلى المؤنث، أي: يا هذه المرأة.
- (41) إبراهيم بن السري أبو إسحاق، الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، 1408 هـ - 1988 م: 160/3.
- (42) محمد بن إبراهيم أبو عبد الله، ابن النحاس، التعليقة على المقرب، تحقيق: جميل عويضة، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، 2005م: ص 220.
- (43) محمود بن عمرو، الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ: 551/2.
- (44) ينظر: يعيش بن علي، ابن يعيش، شرح المفصل، تحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1422 هـ - 2001 م: 344/1، 366، 375، 229/2، 131/5.
- (45) نسبها عبد الله البكري لأبي المقدم بهس بن صهيب الجرهمي، ينظر: عبد الله البكري، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، تحقيق: عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان: د.ط. دن 874/2.
- (46) عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ 1998م: 110/1.
- (47) وصدر البيت: سَيُغَيِّبُنِي الَّذِي أَغْنَاكَ عَنِّي. لم أهدد إلى قائله، وهو بلا نسبة. ينظر: الفراء، المنقوص والممدود، تحقيق: عبد العزيز الميمني الراجكوتي، دار المعارف، القاهرة، ط3: ص 28، وابن منظور، لسان العرب (غنا) 136/15.

- (48) أبو محمد عبدالله جمال الدين، ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط5، 1979م: 297/4.
- (49) الرجز لرؤية بن العجاج، ديوان رؤية، تصحيح وترتيب: وليم بن الورد، ط ليبسيغ، برلين، 1903م: ص 185، وابن جني، الخصائص (83/1)؛ والبغدادي، خزانة الأدب 320/9.
- (50) السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها 110-111.
- (51) ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب ص303
- (52) نسبه الجاحظ لنفيع بن طارق كما في أبي عثمان، الجاحظ، الحيوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1424 هـ: (6/566)، والبغدادي، خزانة الأدب (391/6)، وبلا نسبة في: ابن منظور، لسان العرب مادة (شقا) 438 / 14.
- (53) الأنباري، الإنصاف م42/1 252.
- (54) الرجز لأبي خراش الهذلي كما في: الحسن بن الحسين، السكري، شرح أشعار الهذليين، تحقيق: عبد الستار فراج ومحمود شاکر، مكتبة دار العروبة، د.ت: (3/1346)، والمبرد، المقتضب، (4/242)، وابن يعيش، شرح المفصل 216/2.
- (55) البيت بلا نسبة في الفراء، معاني القرآن (203/1)، والبغدادي، خزانة الأدب، 259/2.
- (56) الأنباري، الإنصاف، م47/1 282.
- (57) نفسه، م60/2 355.
- (58) البغدادي، خزانة الأدب، 37/1.
- (59) ينظر: الحلواني، أصول النحو العربي، ص67.
- (60) الأنباري، لمع الأدلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية، 1355هـ-1977م: ص90، 91.
- (61) ينظر: عيد، الاستشهاد والاحتجاج باللغة، ص159.
- (62) ينظر: سعيد، الأفغاني، في أصول النحو، المكتب الإسلامي، بيروت، 1407هـ-1987م: ص65.
- (63) ينظر: عبد العال سالم، مكرم، أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية، مؤسسة علي جراح الصباح، الكويت، د.ت: ص374.
- (64) محمد محيي الدين عبد الحميد، الانتصاف من الإنصاف، المكتبة العصرية، ط1، 1424هـ-2003م: 475/2.
- (65) ينظر: الحلواني، أصول النحو العربي ص68.

- (66) البغدادي، خزانة الأدب 38/1.
- (67) نفسه، 320/9.
- (68) محمد الخضر، حسين، القياس في اللغة العربية، المطبعة السلفية، القاهرة، 1353هـ: ص38.
- (69) حسين، القياس في اللغة العربية: ص38.
- (70) نسبه الجاحظ لنفيح بن طارق كما في: الجاحظ، الحيوان: (6/566)، والبغدادي، خزانة الأدب (391/6)، وبلا نسبة في: ابن منظور، لسان العرب مادة (شقا) 14/438.
- (71) الأنباري، الإنصاف م42/1 253.
- (72) ينظر: أبو بكر محمد بن القاسم، ابن الأنباري، المذكر والمؤنث، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، طبعة وزارة الأوقاف، القاهرة، مصر، 1401هـ - 1981م: 2/227.
- (73) ظهر فيه الشعور ولم يغزر، وأصله من الجميم، وهو النبت الذي طال بعض الطول ولم يتم بعد. ينظر: ابن منظور، لسان العرب (جمم) 12/104.
- (74) الجاحظ، الحيوان 6/463.
- (75) الفراء، معاني القرآن 2/34، 242.
- (76) أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي، شرح كتاب سيبويه، تحقيق: أحمد حسن مهدي، وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 2008م: 1/109.
- (77) السيرافي، شرح كتاب سيبويه 2/89.
- (78) الفراء، معاني القرآن 2/34.
- (79) ابن الأنباري، المذكر والمؤنث 2/227.
- (80) البيت بلا نسبة في: الفراء، معاني القرآن (1/203)، والبغدادي، خزانة الأدب (2/259).
- (81) الأنباري، الإنصاف، 1/282.
- (82) ينظر: الفراء، معاني القرآن 1/203.
- (83) ينظر: أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، اشتقاق أسماء الله، تحقيق: د. عبد الحسين المبارك، مؤسسة الرسالة، ط2، 1406هـ - 1986م ص32.
- (84) ينظر: أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1412هـ - 1992م: 1/50.

- 85) البيت للطرماح بن حكيم الطائي، ديوان الطرماح، تحقيق: الدكتور عزة حسن، دارالشرق العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1414هـ-1994م: (269)، وابن جني، الخصائص 406/2.
- 86) ينظر: الأنباري، الإنصاف م60/2.355.
- 87) الطائي، ديوان الطرماح 269.
- 88) ابن جني، الخصائص 408/2.
- 89) البيت منسوب إلى ذي الرمة، ينظر: ذو الرمة، ديوانه، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان، بيروت، 1402هـ-1982م: (3/1909)، وابن جني، الخصائص 331/1.
- 90) ينظر: الأنباري، الإنصاف م60/2.355.
- 91) أبو الحسين يحيى، ابن معط، الفصول الخمسون، تحقيق: محمود محمد الطناحي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، د.ط.ت: 276.
- 92) ذو الرمة، ديوانه 3/1909.
- 93) ابن جني، الخصائص 331/1.
- 94) الأنباري، زهرة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن، ط3، 1405 هـ - 1985 م 120.
- 95) بلا نسبة في: الفراء، معاني القرآن (351/1)، والسيرافي، شرح كتاب سيبويه (241/1)، وابن جني، الخصائص (408/2)، والبغدادي، خزانة الأدب 251/2.
- 96) ينظر: الأنباري، الإنصاف م60/2.355.
- 97) ينظر: البغدادي، خزانة الأدب 251/2.
- 98) الفراء، معاني القرآن 2/81.
- 99) محمد بن جرير، الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، 1420 هـ - 2000 م: 12/138.
- 100) بلا نسبة في السيرافي، شرح كتاب سيبويه (242/1)، والأنباري، الإنصاف م60 (2/350)، والبغدادي، خزانة الأدب 379/4.
- 101) ينظر: الأنباري، الإنصاف م60/2.355.
- 102) السيرافي، شرح كتاب سيبويه 242/1.
- 103) البغدادي، خزانة الأدب 379/4.

- 104) الرجز بلا نسبة في: ابن يعيش، شرح المفصل 2/ 227، و البغدادي، خزنة الأدب 1/ 187.
- 105) الأنباري، الإنصاف م 63 2/ 369.
- 106) البغدادي، خزنة الأدب 5/ 168.
- 107) ينظر: مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت: برقم 1156 2/ 809.
- 108) البيت لعبد الله بن مسلم الهذلي ينظر: السكري، شرح أشعار الهذليين (2/ 910)، وابن يعيش، شرح المفصل 2/ 228، و البغدادي، خزنة الأدب 5/ 170.
- 109) وهو رؤية ينظر: رؤية، بن العجاج ديوانه ص 92، والسكري، شرح أشعار الهذليين 1/ 12.
- 110) البيت بلا نسبة في: البغدادي، خزنة الأدب 8/ 489، وابن يعيش، شرح المفصل 4/ 230.
- 111) الأنباري، الإنصاف م 80، 2/ 473.
- 112) الفراء، معاني القرآن 1/ 262.
- 113) البغدادي، خزنة الأدب 8/ 489.



الشعرية

رؤية جديدة في المفهوم والإجراء

محمد علي صالح القبلائي*

الملخص:

يتناول هذا البحث الشعرية: مفهوماً وإجراءً في الدراسات الغربية والعربية: بهدف الوقوف على جوانب القصور، ثم الخروج برؤية جديدة على صعيد المفهوم والإجراء. وقد توصل البحث إلى جملة من النتائج أهمها:

- أن الشعرية - بصورتها السائدة - غير محكمة بوجهة موحدة عند الدارسين غربياً وعربياً.
- ثمة قصور في تطبيق الشعرية على النصوص ناجم عن تناولها - في الغالب الأعم - من زاوية نصية، وفي حالات قليلة تتعدى إلى الانفتاح على ما هو خارج النص.
- قدم البحث رؤية جديدة عن الشعرية: مفهوماً وإجراءً، يجمع أكثر من بعد للشعرية في تحليل النصوص، يمكن للباحثين السير على وفقها.

* طالب دكتوراه - قسم اللغة العربية - كلية اللغات - جامعة صنعاء - الجمهورية اليمنية.

Poetics: A New Vision in Concept and Procedure

Mohammed Ali Saleh Al-Qablany

Abstract:

This paper focuses on both concept and procedure of poetics in Western and Arab studies to clarify its shortcomings and introduce a new vision. To achieve these objectives, an analytical descriptive approach has been used.

However, a number of findings have been revealed of which the significant ones were:

- Poetics in its pure sense is not determined by unified figure with Western and Arab researchers.
- There is a lack of applying poetics in texts because it is mostly discussed from a textual angle. In rare cases, it goes beyond text.
- This paper has introduced a new vision on poetics in regard to meaning and procedure, collecting more than one poetic dimension of poetics when analyzing texts. This vision can be used by researchers.

تمهيد:

تعد الشعرية (La potique) من أهم إنجازات النقد الأدبي الحديث، وتكمن أهميتها في كونها تمثل "الكليات النظرية عن الأدب نابعة من الأدب نفسه، هادفة إلى تأسيس مساره، فهي تناول تجريدي للأدب مثلما هي تحليل داخلي له" ⁽¹⁾ والناظر في مصطلح الشعرية ومفهومها يجد التعدد والاختلاف والتباين في المصطلح والمفهوم، حتى "أضحت الشعرية من أشكال المصطلحات، وأكثرها زئبقية، وأشدّها اعتياصاً" ⁽²⁾، وهو ما حتم علينا عرض ذلك.

فالشعرية لغة: لفظ مشتق من الفعل شَعَرَ وشَعُرَ، وشعري شعر بمعنى عِلِمَ، وليت شعري أي ليت عِلمي، والشعر منظوم القول غلب عليه؛ لشرفه بالوزن والقافية، وشعر أجاد الشعر ⁽³⁾. أما في الثقافة الأوربية فالشعرية في اللغتين الفرنسية (potique) والإنجليزية (poetics)، منحدره

من الكلمة اللاتينية (poetica)، المشتقة من الكلمة الإغريقية (poietikos) بالصيغة النعتية التي شاعت بين الفرنسيين خلال القرن السادس عشر الميلادي، وتعني كل ما هو مبتدع و مبتكر وخلق، وكل ذلك مشتق من الفعل الإغريقي (poiein) بمعنى فعل أو صنع⁽⁴⁾؛ وبذلك يتضح أن في المعنى اللغوي لمصطلح (La potique) اقتراباً من المعنى اللغوي العام للفظ الشعرية في الثقافة العربية والغربية.

أما من حيث مفهوم الشعرية العام فهي "بؤرة الجمال في الشيء، أو الناتج الجمالي الذي يعتمر من النص، فهي نظام نظري وتطبيقي يركّز على كل ما يتصل بالأدب، ويضع يده على مكامن الجمال في النص"⁽⁵⁾.

أما من حيث حضور المصطلح ومفهومه في الدراسات الأدبية فقد شهد تحولات واتجاهات متعددة في الثقافتين العربية والغربية قديماً وحديثاً، وهو ما يستدعي تتبع تلك الجهود على النحو الآتي:

- الشعرية في الثقافة الغربية قديماً وحديثاً

ترجع بدايات أصل مصطلح الشعرية ومفهومها في التراث الغربي إلى العصور اليونانية القديمة وتحديدًا إلى عهد (أرسطو) حين سمي كتابه بـ(poetics) بمعنى (فن الشعر) أو (في الشعرية)⁽⁶⁾، إذ يتجلى في مضمون هذا الكتاب الشعرية من خلال ما حدد فيه من مبادئ أولية عامة وخاصة عن القول الشعري⁽⁷⁾، وهي عنده بمثابة قوانين للشعر، وتنبثق تلك التحديدات عند (أرسطو) من المحاكاة؛ بوصفها قانوناً للفن بشكل عام، فهي محاكاة للأشياء والأفعال الإنسانية في نطاق الطبيعة، ومحاكاة خارج الطبيعة، أي محاكاة الخيالي⁽⁸⁾، وتتنحصر المحاكاة عند أرسطو في أجناس شعرية ثلاثة: (المأساة، والملهاة، والملحمة)، ولم تشمل الشعر الغنائي؛ لأن عصره عصر الشعر الموضوعي بامتياز⁽⁹⁾.

وفي العصر الحديث بدأ الاهتمام بمفهوم الشعرية في الدراسات النقدية الغربية على يد مجموعة من النقاد، فمن حيث المصطلح نجد أنه قد تعدد مصطلح الشعرية (potique)، وتداخل مع غيره من المصطلحات، ففي اللغة الفرنسية هناك مصطلح (poetisme)، بمعنى

(المدرسة الشعرية)، و مصطلح (poeticite)، بمعنى (السمات الشعرية)، و مصطلح (Litterarite) بمعنى (الأدبية)، وكل هذه المصطلحات تقترب دلالاتها حيناً، وتبتعد حيناً آخر؛ حتى يصعب التمييز بينها في لغتها الأصلية⁽¹⁰⁾.

أما من حيث المفهوم، فقد تجلّى في جهود النقاد على النحو الآتي:

- الشعرية عند (رومان جاكوبسون – Roman Jakobson - 1893 - 1982م).

عمل الشكلاونيون الروس على إعادة البحث في موضوع الأدب؛ حتى يصبح قضية مركزية في النظرية الأدبية؛ بغية تجاوز أحكام القيمة والتعاريف المعيارية والانطباعية التي سعت المجتمعات غير التاريخية إلى إلصاقها بالأدب، فكان هذا العمل من أوائل الاتجاهات النظرية التي اهتمت بتحديد الوظيفة الأدبية المنطلقة من دراسة البنية اللغوية⁽¹¹⁾، وقد مثل هذا الاتجاه (رومان جاكوبسون) الذي يعد من مؤسسي الشعرية الحديثة، إذ عرفت شعرته بشعرية التماثل، حيث استعمل مصطلح الأدبية (Litterarite)؛ للإشارة إلى كل ما يجعل من عمل معين عملاً أدبياً⁽¹²⁾، ومرجع هذا عنده إلى الوظيفة المهيمنة في النص، التي بنى عليها تعريف الشعرية، إذ يقول: "يمكن للشعرية أن تعرف بوصفها الدراسة اللسانية للوظيفة الشعرية في سياق الرسائل اللفظية عموماً، وفي الشعر على وجه الخصوص"⁽¹³⁾، وقد حدد موضع الوظيفة الشعرية ضمن الوظائف الأخرى للغة في نطاق نظرية التوصيل، التي تنهض عنده على ستة عناصر، تمثل الأطراف الأساسية في كل عملية تواصلية، ومن كل عنصر تتولد وظيفة لغوية، كما هو موضح في الآتي⁽¹⁴⁾:



وإذا كان اهتمام جاكوبسون بالوظيفة الشعرية التي تعد هي مهيمنة في النص، فإن هذا لا يعني تغييب الوظائف الأخرى، فهي وظائف تتباين درجة سيادتها من نمط كلامي إلى آخر؛ حيث تهيمن الوظيفة الإفهامية في الخطاب اللغوي العادي، كما تهيمن الوظيفة الشعرية على الخطاب الأدبي؛ لأن هيمنة الجانب الجمالي في اللغة هو المميز الوحيد للغة النص⁽¹⁵⁾، "وذلك حين يصبح القول اللغوي أدباً، وهو تحول فني يحدث للقول بنقله من الاستعمال النفعي إلى الأثر الجمالي"⁽¹⁶⁾. وللوقوف على حقيقة الوظيفة الشعرية عند جاكوبسون، نجد اعتماده على نمطين أساسيين للتعرف على الوظيفة الشعرية في النص، هما الاختيار والتأليف، حيث يقول: "فالاختيار ناتج على أساس قاعدة التماثل والمشابهة والمغايرة والترادف والطباق، بينما يعتمد التأليف وبناء المتواليات على المجاورة"⁽¹⁷⁾، وبهذا تتجلى أهمية الوظيفة الشعرية عنده التي تتغير بانتظام داخل الخطاب الشعري، حيث تنقل التماثل من مكانه الطبيعي (محور الاختيار)، إلى محور التأليف الذي يسهم في بناء المتواليات فيخلق ما يسمى (بنية التوازي)⁽¹⁸⁾. وبذلك فما قدمه (جاكوبسون) والشكلانيون الروس من نقد بنيوي حول الشعرية، وتركيزهم على الجنس الغنائي في التحليل، يعد الأساس الحقيقي للشعرية المعاصرة في دراسة الأدب التي تحدد عبرها القيمة الجمالية في النص⁽¹⁹⁾.

- الشعرية عند (Todorov - تودوروف).

تجلت جهود الناقد الفرنسي (تودوروف) حول الشعرية في كتاباته تنظيراً وتطبيقاً، فقد أشار إلى ما تعنيه الشعرية، فهي مصطلح يحيل إلى ثلاثة أشياء، فهو: "من جهة يشمل كل النظريات التي تدرس الأدب من الداخل، ويطبق من جهة ثانية على اختيار المؤلف لإمكانية من الإمكانيات المتاحة...، ومن جهة ثالثة يحيل هذا المصطلح على النظام المعياري المؤسس من قبل مدرسة أدبية معينة؛ أي كافة القواعد العلمية التي يتحتم على الجميع مراعاتها"⁽²⁰⁾. وبهذا فمفهوم الشعرية عنده يهتم بالتركيز على البنيات الكامنة في الخطاب الأدبي، للبحث عن القوانين داخل الأدب، "فالشعرية إذن، مقارنة للأدب مجردة وباطنة في الآن نفسه"⁽²¹⁾، وهو

بهذا يتوصل إلى تحديد موضوع الشعرية، إذ يقول: "ليس العمل الأدبي في حد ذاته هو موضوع الشعرية، فما تستنطقه هو خصائص هذا الخطاب النوعي الذي هو الخطاب الأدبي، وكل عمل عندئذ لا يعتبر إلا تجلياً لبنية محددة وعامة. ليس العمل إلا إنجاز من إنجازاته الممكنه، ولكل ذلك فإن هذا العلم لا يُعنى بالأدب الحقيقي بل بالأدب الممكن، وبعبارة أخرى يُعنى بتلك الخصائص المجردة التي تصنع فرادة الحدث الأدبي، أي الأدبية"⁽²²⁾، ومن ثم فإن الأثر الأدبي عنده (إنتاج المؤلف) عمل موجود، وموضوع الشعرية هو العمل المحتمل، أي العمل الذي يولد نصوصاً لا نهائية عبر القراءات المتعددة⁽²³⁾.

وقد عد (تودوروف) الشعرية خاصة بالأدب بكامله، حيث يقول: "وتتعلق كلمة شعرية في هذا النص بالأدب كله، سواء أكان منظوماً أم لا، بل قد تكاد تكون متعلقة على الخصوص بأعمال نثرية"⁽²⁴⁾.

- الشعرية عند (جان كوهن Jean Cohen)

تطور مفهوم الشعرية بظهور شعرية الانزياح على يد الناقد (جان كوهن) في كتابه "بنية اللغة الشعرية" الذي ركز فيه على خاصية الانزياح (La Ecart) في النص الشعري، وهو المحدد للشعرية باعتبارها علامة فارقة بين ما هو شعري وما هو غير شعري⁽²⁵⁾، وقد استند في ذلك إلى ثنائية مهمة مثلت محور دراسته للغة الشعر، هي: ثنائية (معياري/ انزياح)⁽²⁶⁾، وقد عرف الانزياح من خلال تعريفه للأسلوب بقوله: "هو ما ليس شائعاً ولا عادياً ولا مصوغاً في قوالب مستهلكة، وهو مجاوزة بالقياس إلى المستوى العادي، فهو إذاً خطأ، ولكنه كما يقول (برونو) خطأ مراد"⁽²⁷⁾، ويرى أن مظاهر الانزياح في النص الشعري تكمن في مستويات محددة، هي:

- الانزياح السياقي: وهذا المستوى عند (جان كوهن) يحدث في مستوى الكلام وبأنماط متعددة، كالحذف، والنعت الزائد، والتقديم والتأخير⁽²⁸⁾.

- الانزياح الاستبدالي: وتمثله الاستعارة⁽²⁹⁾.

- الانزياح الصوتي: ويتمثل عنده في: القافية، والترصيع، والتجنيس⁽³⁰⁾.

مما تقدم، يتبين أن جهود (جان كوهن) في كتابة (بنية اللغة الشعرية) قد تركزت حول شعرية الانزياح في النص الشعري دون النصوص النثرية، وهو بهذا قد خالف من سبقه، أمثال (جاكوبسون)، و (تودوروف)، الذين شمل مفهوم الشعرية عندهم الأدب بشكل كامل، لكنه يتفق معهم من حيث الاعتماد على البنى اللغوية في تحليلاتهم للنصوص، وسرعان ما يعود التوافق بين (جان كوهن) مع من سبقه من أقطاب الشعرية، ويختلف معهم في بعض الآراء، فيتجلى التوافق في شمول شعرية (جان كوهن) لكل النصوص الشعرية والأدبية، ويتجلى هذا في كتابه (الكلام السامي) التالي لكتابه (بنية اللغة الشعرية). وفي كتابه (الكلام السامي) ضمن مشروعه الجديد يختلف مع من سبقه في نقل الشعرية من اللغة إلى الأشياء ذات الألق الجمالي، مثل القمر والبحر والليل والغابة...، وغيرها⁽³¹⁾، وهو بهذا قد جعل الشعرية منتسبة إلى النص ومنفتحة على ما هو خارج النص؛ إذ يقول: "بما أن الشعرية تنتسب إلى العالم بقدر ما تنسب إلى النص فإن النموذج [أي نموذجنا النظري] الذي تشكّل انطلاقاً من الشعر اللغوي ينبغي له أن يبرهن على صلاحيته لنقله إلى الشعر خارج اللغوي. وينبغي للشعرية أن تُبيّن أنها قادرة على الانتقال من الكلمات إلى الأشياء"⁽³²⁾.

- الشعرية عند (جوليا كريستيفا Julia -Kristeva).

عرفت شعرية (جوليا كريستيفا) بشعرية التناص، وقد اتجهت اتجاها سيميائياً في تحديد شعريتها⁽³³⁾، فالنص عندها "فسيفساء من الاستشهادات، وأن كل نص هو امتصاص وتحويل لنص آخر"⁽³⁴⁾، وهي ترى أن علاقة النص باللغة علاقة إعادة توزيع عبر المقولات المنطقية لا عبر المقولات اللسانية⁽³⁵⁾، وهذا يدل على قراءة (جوليا كريستيفا) للغة الشعرية قراءة منفتحة بوصفها ممارسة سيميائية، وليست قراءة مغلقة تختزل وتكثف من بنى شكلية ثابتة دالة على المعنى⁽³⁶⁾.

وقد جاء بعد (جوليا كريستيفا) كثير من الباحثين الغربيين الذين رأوا تحقق الشعرية في النص عبر التناص مع بعض الإضافات والتعديلات فيما بينهم، ومن هؤلاء (جيرار جينيت Gerard Genette) الذي يرى أن الشعرية تكمن في التعالي النصي، يقول: "لا يعني النص إلا من حيث

تعالیه النصی، عرفة كل ما يضعه في علاقة - ظاهرة أو خفية - مع نصوص أخرى⁽³⁷⁾، وهو بهذا يتوصل إلى تحديد موضوع الشعرية، فموضوعها ليس النص بل النص الجامع⁽³⁸⁾.

أما (ميخائل ريفاتير Michael Rifatterre) فقد نهج نهج (جيرار جينيت)، حيث عد التناس المنهج الأوحده لإدراك شعرية النص، وبحسب ما يرى فإن التناس يمكن القارئ من إدراك الدلالات المتعددة والمتوالدة في النص، بعكس الشعرية النصية التي لا تظهر سوى المعنى الجمالي⁽³⁹⁾.

وهناك بعض الجهود الغربية التي ترى أن الشعرية تنفتح على ما هو أبعد من ذلك، لتشمل عدداً من الفنون الجميلة والاستعمالات المختلفة في الحياة، فصارت بذلك، منفتحة على شعرية الرسم، وشعرية الأزياء، وشعرية المشهد⁽⁴⁰⁾، كل ذلك من أجل تكوين شعرية عامة بوصفها مقولة جمالية يمكن أن توجد في الشعر، والشاعر، والطبيعة على حد سواء، وهذا ما ذهب إليه (ميكال دوفران) و (رولان بارت)⁽⁴¹⁾.

- الشعرية في الثقافة العربية قديماً وحديثاً

- الشعرية في التراث العربي

إن المتتبع لمصطلح الشعرية ومفهومها في التراث العربي يجد أن مصطلح الشعرية قد ورد بمعان مختلفة تختلف عما تعنيه مفاهيم الشعرية في النقد الحديث، وهذا ما ورد في كتابات البلاغيين والفلاسفة والنقاد، أمثال الفاربي (260هـ)، وابن سينا (428هـ)، وحازم القرطاجني (684هـ).

أما من حيث البحث عن مفهوم الشعرية في تراثنا العربي القديم والتأصيل له فإن ذلك صعوبة راجعة إلى تعدد مفاهيم الشعرية في الدراسات النقدية الحديثة، وتعدد موضوعها ومعاييرها، وهذا يقودنا إلى السؤال الآتي: ما هو المفهوم الحديث للشعرية الذي نبحت عن أصوله في تراثنا العربي؟ أهو مفهوم شعرية التماثل عند (جاكوبسون)، أم مفهوم الشعرية الانزياح عند (جان كوهن)، أم شعرية التناس عند (جوليا كرسنيفا)؟.

من يستقرئ التراث العربي بحثاً عن مفهوم الشعرية يجد أنه أقرب إلى مفهوم شعرية الانزياح؛ حيث أسهم في بلورة هذا الفهم للشعرية بوصفها انزياحاً اتجاهات ثلاثة، يمكن الوقوف عندها على النحو الآتي:

شعرية الانزياح عند البلاغيين والنقاد:

كان للبلاغيين والنقاد جهد كبير في البحث عن ظواهر بلاغية هي اليوم من مظاهر شعرية الانزياح في النقد الحديث، ومن أبرز تلك الدراسات ما نجده في نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني التي خصص كتابه (دلائل الإعجاز) لعرضها وتفصيلها والتطبيق عليها⁽⁴²⁾، حيث إن شعرية الانزياح بكل صورها وأشكالها تتجلى عند الجرجاني في رصده لأهم المظاهر البلاغية التي يعتمد إليها الكاتب لإظهار الجمال الفني، الذي لا يتحقق عنده في اللفظ بذاته ولا في المعنى وحده إنما يتحقق فيما أسماه النظم⁽⁴³⁾. والنظم عنده: "أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه (علم النحو) وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها"⁽⁴⁴⁾، فمعرفة معاني العبارات لن تتم إلا بالوضع الذي يقتضيه علم النحو الذي يكشف عن الفرق بين الأساليب⁽⁴⁵⁾، ووجه التطابق بين مفهوم الانزياح والنظم عند الجرجاني أن النظم المخصوص في النص بحدوث نظم جديد هو الذي يكسب النص التفرد والإبداع تسهم في خلقه مجموعة من العناصر التي تتفاعل على مستوى التركيب والمستوى التصوري، شريطة المعرفة بعلم النحو، وعدم إغفال دور السياق في إعطاء دلالات جديدة تخرج بالألفاظ عن معانيها الوضعية⁽⁴⁶⁾، فإذا أردت الإبداع والتفرد فعليك "أن تأتي المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته، وتختار له اللفظ الذي هو أخص به، وأكشف عنه وأتم له، وأحرى بأن يكسبه نبلاً، ويظهر فيه مزية، وإذا كان هذا كذلك، فينبغي أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف، وقبل أن تصير إلى الصورة التي بها يكون الكلم إخباراً وأمرأً ونهياً واستخباراً وتعجباً، وتؤدي الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلا بضم كلمة إلى كلمة وبناء لفظ إلى لفظ"⁽⁴⁷⁾، ويقول: "وما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروك وتؤنسك في مواضع ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر"⁽⁴⁸⁾، وفي ضوء ما سبق، فالسياق في نظر الجرجاني له دور فاعل في تحديد فصاحة الكلمات وبلاغتها

ومناسبتها لمعانيها⁽⁴⁹⁾، فالسياق من أهم معايير الجرجاني التي تعبر عن مفهوم الانزياح في النقد الحديث.

يتبين لنا من هذا أن تنظير عبد القاهر يتطابق من حيث المعنى مع ما قاله النقاد الغربيون والعرب المعاصرون حول مفهوم الانزياح، كما مر أثناء الحديث عن مفهوم الانزياح في الدراسات الحديثة.

أما في الجانب التطبيقي فقد رصد عبد القاهر الجرجاني فقد رصد كثيراً من الظواهر البلاغية المتحققة في النصوص التي يعدها النقد الحديث من مستويات شعرية الانزياح، ومن ذلك:

1- على المستوى التركيبي، ويتمثل ذلك عنده في التقديم والتأخير⁽⁵⁰⁾، الحذف⁽⁵¹⁾، والتعريف والتكبير⁽⁵²⁾، وتعامله مع هذه المظاهر البلاغية في النص على أنها أصول مثالية، تتولد عنها مجموعة من الأساليب التي تتسم بالعدول، التي لا ترتقي إلا إذا جعل النحو أساساً لها⁽⁵³⁾.

2- الانزياح الاستبدالي: ويمثل هذا المستوى من المظاهر البلاغية عند عبد القاهر الاستعارة⁽⁵⁴⁾، والتشبيه⁽⁵⁵⁾، والكناية⁽⁵⁶⁾، والمجاز⁽⁵⁷⁾.

3. الانزياح الإيقاعي: مع أن عبد القاهر لم يتوسع في حديثه عن هذا المستوى لكنه "لم ينس أن الصوت، والنغم، والموسيقى جزء لا يتجزأ من المعنى، فقد أبان عن هذه الحقيقة في الفصول التي حدد بها مفهوم الفصاحة والبلاغة"⁽⁵⁸⁾؛ فذكر السجع، والوزن، والتجنيس، والترصيع⁽⁵⁹⁾.

ومن تحليل الجرجاني للنصوص يتبين لنا أنه لا يميل إلى النصوص التي بلغ الغموض فيها حد التعقيد؛ "لأنه إذا كان النظم سَوِيًّا، والتأليف مستقيماً، كان وصول المعنى إلى قلبك تِلْوً ووصول اللفظ إلى سَمْعك، وإذا كان على خلاف ما ينبغي، وصل اللفظ إلى السمع، وبقيت في المعنى تطلبه وتتعب فيه، وإذا أفرط الأمر في ذلك صار إلى التعقيد الذي قالوا: "إنه يستهلك المعنى"⁽⁶⁰⁾. وهذا يتطابق مع ما قاله (جان كوهن) عند حديثه عن شعرية الانزياح، حيث يرى أن للانزياح حداً إذا تجاوزه الشاعر أودى بالقيمة الدلالية والجمالية للنص، وكفت لغة الشعر عن الدلالة

ودخلت باب اللامعقول، وقد كان (كوهن) حذراً إزاء الشعر السريالي كونه يتجاوز تلك الدرجة الحرجة⁽⁶¹⁾؛ ولأن السرياليين يرون أن الجمال في الشعر يكمن في الغرابة والتعقيد، والشذوذ الخارق، وغير المألوف مما جعل الأشعار السريالية يلفها نوع من الغموض والتعقيد المبالغ فيه⁽⁶²⁾، يقول جان كوهن: "إن النحو هو الركيزة التي تستند إليها الدلالة، فبمجرد ما يتحقق الانزياح بدرجة معينة عن قواعد ترتيب وتطابق الكلمات تذوب الجملة وتتلاشى قابلية الفهم"⁽⁶³⁾.

وعلى ضوء ما تقدم يتبين أن نظرية النظم عند الجرجاني تقترب إلى حد التطابق مع شعرية الانزياح، من حيث فهم خصوصية الشعرية.

أما حازم القرطاجني فقد أدرك خاصية شعرية الانزياح في النص، ويظهر هذا في كتابه (منهاج البلغاء وسراج الأدباء)، فقد نقل القرطاجني عن الخليل بن أحمد الفراهيدي قوله: "الشعراء أمراء الكلام يصرفونه أئى شاءوا، ويجوز لهم ما لا يجوز لغيرهم من إطلاق المعنى وتقييده، ومن تصريف اللفظ وتعقيده، ومد المقصور وقصر الممدود، والجمع بين لغاته، والتفريق بين صفاته واستخراج ما كلت الألسن عن وصفه ونعته، والأذهان عن فهمه وإيضاحه، فيقربون البعيد ويبعدون القريب، ويحتج بهم ولا يحتج عليهم، ويصورون الباطل في صورة الحق، والحق في صورة الباطل"⁽⁶⁴⁾، ثم يعلق القرطاجني على كلام الخليل قائلاً: "فلأجل ما أشار إليه الخليل -رحمه الله- من بعد غايات الشعراء وامتداد آمادهم في معرفة الكلام واتساع مجالهم في جميع ذلك، يحتاج أن يحتال في تخريج كلامهم على وجوه من الصحة، فإنهم قل ما يخفى عليهم ما يظهر لغيرهم، فليسوا يقولون شيئاً إلا وله وجه، فلذلك يجب تأول كلامهم على الصحة، والتوقف عن تخطئهم فيما ليس يلوح له وجه، وليس ينبغي أن يعترض عليهم في أقاويلهم إلا من تزاوج رتبته في حسن تأليف الكلام وإبداع النظام رتبته. وإنما يكون مقدار فضل التأليف على قدر فضل الطبع والمعرفة بالكلام. وليس كل من يدعي المعرفة باللسان عارفاً به في الحقيقة"⁽⁶⁵⁾، وقد أكد القرطاجني على وظيفة التخيل والمحاكاة داخل القول الشعري، ناهيك عن عنصر الإيقاع عند من سبقه في تعريفهم للشعر، فالشعر عنده "كلام موزون مقفى من شأنه أن يجذب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها، ويكره إليها ما قصد تكريهه؛ لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب

منه، ما يتضمن من حسن تخييل له ومحاكاة مستقلة بنفسها، أو متصورة بحسن هيئة تأليف الكلام، أو قوة صدقه، أو قوة شهرته، أو بمجموع ذلك، وكل ذلك يتأكد بما يقتزن به من إغراب، فإن الاستغراب والتعجب حركة للنفس، إذا اقترنت بحركتها الخيالية قوي انفعالها وتأثرها"⁽⁶⁶⁾.

من هذا يتبين أن الوزن والقافية من خصائص الانزياح، وهما الفارق بين اللغة الشعرية واللغة العادية حسب ما ذكره (جان كوهن)، كما أن حسن التخييل واستقلال المحاكاة بنفسها في النص عند القرطاجني تعد من مرتكزات الانزياح؛ لأن فيهما خروجاً عن السائد والمألوف، كما ركز القرطاجني في تعريفه للشعر على عنصر الإغراب (الغرابية)، وهو عنصر يحيل إلى الصورة الشعرية المكونة من الانزياح، وهو ما عده (جان كوهن) عمدة الانزياح.

ومن الجهود البلاغية التي ركزت على أهمية خروج النص على المعايير المألوفة في اللغة، ذلك الجهد الذي قام به أبو محمد القاسم السجلماسي (704هـ)؛ فقد عد التخييل جوهر العملية الشعرية إذ يقول: "وموضوع الصناعة حقه الإمام بالتخييل في الأربعة الأنواع هي: التشبيه، والاستعارة، والتمثيل (الكنائية)، والمجاز"⁽⁶⁷⁾، وبهذا يتبين أهمية التصوير البياني في النص عند السجلماسي؛ حيث فصل القول عن أهمية كل نوع من أنواع التصوير، فضلاً عن الاستشهاد بالنصوص وتحليلها، ومن ذلك التفصيل -مثلاً- حديثه عن المجاز، إذ يقول عنه: "ففيه استعمال عرفي بحسب الصناعة وقول جوهره، وهو القول المستفز للنفس، المتيقن كذبه، المركب من مقدمات مختزعة كاذبة تخيّلُ أموراً وتحاكي أقوالاً"⁽⁶⁸⁾، وعليه فإن تجسيد الشعرية عند السجلماسي يكون "من خلال التخييل الذي يعد الطاقة المركزية المنظمة للصناعة الشعرية، ومن خلال مكوناته الرئيسية المتمثلة في المجاز والاستعارة والتشبيه والمماثلة، وهذه الأنواع البيانية تشكل انحرافاً (انزياحاً) عن اللغة العادية المألوفة، إلى اللغة ذات المستوى الفني التي تتجسد في العمل الإبداعي، فضلاً عن ذلك فقد أضاف السجلماسي عدداً إلى الأنواع البيانية بوصفها مكونات نوعية للشعرية تتمثل في الاتساع والالتفات والتكرار"⁽⁶⁹⁾. ومن هنا ندرك أن السجلماسي قد فطن إلى دور الانزياح في النص، وما يثيره من فاعلية تأثيرية وجمالية عند المتلقي، وهو ما ركز عليه جان كوهن في شعرية.

شعرية الانزياح عند الفلاسفة العرب:

كان للفلاسفة العرب أمثال: ابن رشد، وابن سينا، والفارابي جهد كبير في نقد الشعر، ومن خلال نظرتهم إلى الشعر يجد الباحث إشارات كثيرة تدل على منهج واضح حول شعرية الانزياح في بنية النص الشعري وإن لم يسموها بهذا الاسم، فحين حاولوا أن يقفوا على الخصائص النوعية التي تميز لغة الشعر عن اللغة العلمية قرروا: "أن اللغة الشعرية لها خصائصها الصوتية والدلالية والتركيبية؛ مما يجعلها تتجاوز ما هو مصطلح عليه في اللغة الأصلية التي تستخدمها لغة العلم"⁽⁷⁰⁾ ويتجلى ذلك في حديثهم عن مصطلح (التغيير)، وهو من أهم المصطلحات التي تعبر عما قاله النقاد في الدراسات الحديثة حول مفهوم الانزياح؛ لأنهم يقصدون بالتغيير "كل استعمال شعري للغة يبعدها عن لغة التواصل الشائعة"⁽⁷¹⁾، وهذا بمجمله يتطابق مع ما ذكره أغلب النقاد الغربيين والعرب المحدثين عن الانزياح كما تبين آنفاً.

فابن سينا يرى أن التغيير في القول: "هو أن لا يستعمل كما يوجبه المعنى فقط، بل يستعير، ويبدل، ويشبه"⁽⁷²⁾، وأما ابن رشد، وهو أكثر من توسع في بيان دلالة هذا المصطلح، فقد عرف التغيير بقوله: "ومعنى التغيير أن يكون المقصود يدل عليه لفظ ما، فيستعمل بدل ذلك اللفظ لفظ آخر"⁽⁷³⁾، ويقول ابن رشد: "والتغييرات تكون بالموازنة، والموافقة، والإبدال، والتشبيه، وبالجملة بإخراج القول غير مخرج العادة مثل: القلب، والحذف، والزيادة، والتقديم، والتأخير"⁽⁷⁴⁾.

وبهذا كانت أغلب الجهود في تراثنا العربي التي تناولت مفهوم شعرية الانزياح، قد تطابقت مع جهود أخرى لم يتسع المقام لذكرها.

على أن هناك نظرة للشعرية بوصفها مجموعة قوانين للخطاب - كما مر بنا عند (تودوروف) - فقد تجلت في تراثنا العربي عند المرزوقي (421هـ)، إذ استنبط قوانين للشعر القديم لتمييزه من الشعر المحدث، وهي⁽⁷⁵⁾:

شرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، والإصابة في الوصف، والمقاربة في التشبيه، والتحام أجزاء النظم والتثامها على تخيير من لذيذ الوزن، ومناسبة المستعار منه

للمستعار له، ومشكلة اللفظ وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما. والمرزوقي بهذه القوانين قد استطاع أن يبني منهجاً لدراسة النص الشعري. وعليه فقد كان للشعرية حضور في التناول النقدي والبلاغي والفلسفي في تراثنا العربي، سواء بتصورها، أم ببعض طرائق تحليلها.

- الشعرية في الدراسات العربية الحديثة

أما في الدراسات النقدية العربية الحديثة فقد جاءت الشعرية مضطربة على صعيد المصطلح والمفهوم، فضلاً عن تأثرها بالنقد الغربي، وقد جاء هذا التأثير عبر قنوات أهمها: الترجمة، وهو ما أفرز تعدداً في المصطلح والمفهوم؛ لذا سيتم عرض أهم هذه المفاهيم في محاولة للخروج بمفهوم عام وشامل يجمع بينها، يمكن الركون إليه في دراسة النص الشعري الذي هو محور هذه الدراسة، عبر رؤية مقترحة قابلة للتطبيق.

فمن حيث مصطلح الشعرية، فقد تعددت مسمياته عند الدارسين العرب بفعل الترجمة للمصطلح الغربي الفرنسي (La potique)⁽⁷⁶⁾، إذ ترجم المصطلح إلى أكثر من ثلاثين مقابلاً⁽⁷⁷⁾، كان للمقابل العربي (الشعرية) الحظ الأكبر من حيث الاستعمال، يقول يوسف وغيلسي: "تمتاز الشعرية بين كل المصطلحات المتراكمة بقدر وافر من الكفاءة الدلالية، والشيوخ التداولي جعلها تهيمن على ما سواها، ثم تأتي بعدها مصطلحات أخرى من طراز: الشعاعية و الشعريات والإنشائية"⁽⁷⁸⁾، ولا يهمننا التوقف عند إشكالية المصطلح وترجمته، بل المهم التوقف عند رؤى الدارسين العرب لمفهوم الشعرية، حيث تمحورت جهودهم في اتجاهين:

- الاتجاه الأول: تأصيلي تراثي تمثل في البحث عن قوانين الشعر وحدوده في التراث النقدي والبلاغي، والاتجاه الثاني: حدائي تمثل في البحث عن حركات التجديد الشعري والمفاهيمي التي تخترق القوانين والأصول؛ فارتبطت شعريتهم بالحدثة⁽⁷⁹⁾، فمن أصحاب الاتجاه الأول: توفيق الزيدي، الذي تجلت جهوده في كتابه (مفهوم الأدبية في التراث النقدي)، ومن عنوان الكتاب يظهر استعماله لمصطلح (الأدبية) بدلاً من مصطلح (الشعرية).

أما من حيث المفهوم فهو يرى أن مفهوم الأدبية مفهوم غامض إلى حد الحيرة، ومجرد إلى حد الاستعصاء⁽⁸⁰⁾، فهي عنده "ليست ضرباً من القوى الغيبية، وليست كذلك مجموعة من القوانين التي تستعمل بصفة آلية، وهي ليست أخيراً أمراً ينشأ بالطفرة"، بل إن إدراك الشعرية في التراث لا يتحدد إلا عبر استقراء التراث النقدي إلى نهاية القرن الرابع الهجري، عبر ثلاثة أبعاد جدلية، حسب رأيه، تتجلى في بعد انفعال شعوري مركز على تقبل النص، وبعد تفضيل نص على نص أو أديب على أديب، وبعد تعليلي تأصيلي لمبادئ الكلام، وهذا هو الذي يتعدى الإعجاب، وهو أرقى الوجوه وأعلىها درجة في الإحاطة بالأدبية⁽⁸¹⁾، وهذا فهو يرسم الخطوط العريضة لمسار تطور الشعرية في التراث، فمسارها الأول بدأ من نظرة النقاد إلى النص من خارجه⁽⁸²⁾، وتمثل ذلك في مجموعة من القوانين النابعة من تجاذبات مختلفة: خرافية، واجتماعية، وتقنية، فالنظرة الخرافية تمثلت في إرجاع بواعث الشعرية إلى شياطين الشعراء، والنظرة إلى الشعرية من منظور اجتماعي تمثلت عند النقاد في النسب، خصوصاً عند أصحاب الطبقات الذين رأوا أن النسب هو المعيار في إدراك قيمة الشعر؛ فأهملوا شعر الصعاليك والعبيد، والاحتراز عن شعر الشعراء الذين لم يتضح نسبهم، أما النظر إلى النص من جانب التقنية فتمثلت في بحث النقاد عن الطبع الذي مثل شكلاً من أشكال محاصرة الإبداع، من خلال معرفة اقتدار الشاعر على إجادة غرض دون غرض شعري، وهذه النظرات المتعددة للنص من الخارج كلها مهدت الطريق لتحديد الشعرية من داخل النص⁽⁸³⁾، وهو المسار الثاني في تحديد الشعرية، حيث اهتم النقاد بالجانب الإيقاعي والجانب التصويري والجانب التركيبي، فعند ما كانت نظرة النقاد إلى النص المنطوق كان اهتمامهم بفاعلية الإيقاع في النص، وتأكيدهم على وضوح النص، وعند النظر إلى شعرية المكتوب كان الاهتمام بالبحث عن الغموض والاستعارات التي تعد من أهم مرتكزات الشعرية عند العرب⁽⁸⁴⁾.

وممن سار على هذا النهج طراد الكبيسي في كتابه: (في الشعرية العربية قراءة جديدة في نظرية قديمة)، حيث أكد على أوجه التطابق والتشابه بين ما قاله نقاد الشعرية الغربيون مع ما ورد في الموروث العربي من آراء وأقوال البلاغيين والنقاد، بقوله: "هذه القراءة لسته كتب نقدية

عربية قديمة، مما يمكن أن نسميها أيضاً، كتباً في الشعرية العربية، تطرُق قضايا شعرية لا تقلُّ (حادثةً) في رؤيتها عما تطرحه (الشعريات) المعاصرة"⁽⁸⁵⁾، ويقول: "وهذا يلتقي قدامة مع ياكوبسن في أنّ مفهوم الشعرية هو تمييز الاختلاف النوعي بين خطاب وخطاب، وكشف العناصر التي تحوّل الكلام من حالة نثرية عادية مألوفة إلى حالة شعرية مخصصة"⁽⁸⁶⁾، وبهذا يتبين أن نظرة الزيدي والكبيسي إلى الشعرية قد مثلت دراسة للشعرية عبر مراحل تاريخ النقد الأدبي.

أما أصحاب الاتجاه الآخر فقد ارتبطت الشعرية عندهم بالحادثة، أمثال أدونيس، وكمال أبو ديب، وصلاح فضل، ومحمد مفتاح، وغيرهم.

يعد أدونيس (علي أحمد سعيد) من أوائل من ربط الشعرية بالحادثة، حيث راح يتتبع جذورها في الموروث العربي، معترفاً بأن الثقافة الغربية هي التي مكنته من التعرف العميق على جوانب الشعرية في التراث العربي، مثل شعرية أبي نواس وحدثته، ومعرفة أسرار اللغة الشعرية وأبعادها الحديثة عند أبي تمام، والتعرف على بهاء التجربة الصوفية وفرادتها، فضلاً عن إدراك ما يتعلق بخصوصية الشعرية اللغوية عند الجرجاني⁽⁸⁷⁾، يقول: "لا نقدر أن نفهم شعرية الحداثة العربية فهماً صحيحاً إلا إذا نظرنا إليها في سياقها التاريخي -اجتماعياً وثقافياً وسياسياً- فقد اقتبرن نشوؤها في القرن الثاني الهجري بالحركات الثورية التي تطالب -سياسياً واجتماعياً- بالمساواة والعدالة... واقتربت كذلك بنشوء الحركات الفكرية التي تعيد النظر بشكل أو آخر في المفاهيم الثقافية الموروثة، والدينية على الأخص"⁽⁸⁸⁾.

وإذا كان مفهوم الشعرية العربية عند أدونيس في كتابه المذكور أنفاً مرتبطاً بعملية إنتاج الشعر من حيث حركته وتطوره وازدهاره، إذ هي علم موضوعه الشعر، فإنه في كتابه: (سياسة الشعر) يقترب في تحديد مفهومه للشعرية من مفهوم شعرية الانزياح لـ(جان كوهن)⁽⁸⁹⁾، وبهذا فالشعرية عند أدونيس شعرية منغلقة تتحقق في بنية النص، يقول أدونيس: "إن دور الشعر في شعرية ذاتها، في كونه خرقاً مستمراً للمعطى السائد... هنا تكمن اختلافية الشاعر؛ أي فرادته، وهنا تكمن فاعليته وفاعلية الشعر"⁽⁹⁰⁾.

ومن أبرز الدراسات التي أولت الشعرية جل اهتمامها ما نجده عند كمال أبو ديب في كتابه:

(في الشعرية)، إذ يتأسس مفهوم الشعرية عنده عبر العلائقية والكلية، يقول: "لا يمكن أن توصف الشعرية إلا حيث يمكن أن تتكون أو تتبلور، أي في بنية كلية. فالشعرية إذن خصيصة علائقية، أي أنها تجسد في النص شبكة من العلاقات التي تنمو بين مكونات أولية سمّتها الأساسية أن كلا منها يقع في سياق آخر دون أن يكون شعرياً، لكنه في السياق الذي تنشأ فيه هذه العلاقات، وفي حركة متواشجة مع مكونات أخرى لها السمة الأساسية ذاتها، يتحول إلى فاعلية خلق للشعرية ومؤشر على وجودها"⁽⁹¹⁾، ويصف الشعرية بأنها إحدى وظائف الفجوة (مسافة التوتر)، بقوله: "من هنا أصف الشعرية بأنها إحدى وظائف الفجوة أو مسافة التوتر، لا بأنها موحدة الهوية بها، أو الوظيفة الوحيدة لها. بيد أن ما يميز الشعر هو أن هذه الفجوة تجد تجسيدها الطاعي فيه في بنية النص اللغوي بالدرجة الأولى، وتكون المميّزة الرئيسية لهذه البنية"⁽⁹²⁾، وتتحدد عنده طبيعة الفجوة (مسافة التوتر) في النص بمستويات متعددة: تصويرية ودلالية، وصوتية، وتركيبية، وإيقاعية، وتشكيلية، والرؤيا والانفعال⁽⁹³⁾، وهذا التحديد لمستويات الفجوة: (مسافة التوتر)، يكشف أن شعرية أبوديب شعرية منفتحة تشمل البنية اللغوية، وتتجاوزها إلى "مواقف فكرية أو بني شعورية أو تصورية، مرتبطة باللغة أو بالتجربة أو بالبنية العقائدية (الأيديولوجية) أو برؤيا العالم بشكل عام"⁽⁹⁴⁾، إلا أنه عند تحليل النصوص قد اقتصر على تحليل بنيوي.

وممن سار في هذا الاتجاه عبد الله الغدامي، الذي عرفت شعرته بشعرية الانفتاح والتلقي⁽⁹⁵⁾، مستعملاً مصطلح (الشاعرية) بدلاً من (الشعرية)، وعنده أن هذه الشاعرية في النص "هي أبرز سماته وأخطرها، وقد توجد الشاعرية في نصوص غير أدبية، فهي ليست حكراً على النص الأدبي، ولكنها تستأثر به ويستأثر بها؛ لأنه سبب تلقيه باعتباره نصاً أدبياً، وبدونها لا يحظى النص بسمته الأدبية"⁽⁹⁶⁾، وقد أكد على أهم مرتكزات الشعرية في تحليل شعرية النص هي "قضايا لغة النص، وقضايا القراءة أو القدرة الأدبية، وهي أمور لا تعالجها الأسلوبية، ولكننا نجد مفاتيحها عند الشاعرية"⁽⁹⁷⁾.

أما الشعرية عند صلاح فضل فهي شعرية متطابقة مع الأسلوبية ولا يمكن الفصل بينهما⁽⁹⁸⁾، كما جاء في كتابه: (أساليب الشعرية)، الذي قدم فيه قراءات لنماذج من الشعر العربي المعاصر،

اتكأت قراءته على بنية النص التي لا تتم عنده إلا عبر سلم الشعرية المتكون من خمس درجات (الإيقاع، النحوية، الكثافة، التشتت، التجريد)⁽⁹⁹⁾، وعبر التنوعات الأسلوبية (الحسية، الحيوية، الدرامية، الرؤيوية)⁽¹⁰⁰⁾.

ويرى سامح الرواشدة في كتابه (فضاءات الشعرية)، صعوبة تحديد مفهوم الشعرية عند النقاد؛ "الاختلاف وجهات النظر، واقتصار بعض الآراء على جانب دون آخر"⁽¹⁰¹⁾، مؤكداً على أن لكل تجربة معاييرها وقواعدها، فهناك شعرية الشعر، وشعرية القصة، وشعرية النثر الفني⁽¹⁰²⁾؛ ولهذا فالشعرية "تصطنع لنفسها أنظمة وقوانين تحدد على ضوءها الخصائص الشعرية في أي نص أدبي، وتبحث عن آليات يعني تحققها امتلاك النص الخصائص الشعرية"⁽¹⁰³⁾، وعليه فملامح الشعرية المحددة في دراسته هي: شعرية المفارقة، وشعرية الملاءمة، وشعرية الانقطاع، وشعرية الانزياح التركيبي، وشعرية التناص، وشعرية الرمز، وشعرية الإيقاع، وبهذا يتبين أن تحليل النص عند الرواشدة في ضوء الشعرية يتمثل في دراسة ما هو داخل النص من بني، وما هو خارج النص المتمثل في التناص.

أما بسام قطوس فهو يرى أن الشعرية منغلقة على بنية النص ومنفتحة على ما هو خارج النص في الآن ذاته، إذ "الشعرية ليست صفة ثابتة، وإنما هي جملة من المواصفات تستوعب أيضاً القارئ ومجمل إمكانات القراءة، كما تشارك الكتابة والقراءة، بوصفهما نشاطين في هذه اللعبة الموجهة والمبرمجة من قبل النص"⁽¹⁰⁴⁾، ويؤكد على انفتاح الشعرية وعدم الاقتصار على بنية النص لأن "على الشعرية ألا تقصر اهتمامها على الموجود فقط، بل عليها أن تنظر إلى أعمال غير موجودة، لكنها (ممكنة)، أي استكشاف مختلف حالات الخطاب"⁽¹⁰⁵⁾.

أما الشعرية عند رجاء عيد ف "هي ما يمكن أن نسميه بالمضمّر أو المسكوت عنه، وهذا المضمّر هو ما يثيره النص عند متلقيه، ومن هنا فهي تجاوز لأي تحليل أحادي يجعل سبيله - فقط - البحث عن خصائص لغوية، ولا ينفي ذلك - بالضرورة - قيمة هذا التحليل، ولكنه لا يفي بمتطلبات قراءة النص"⁽¹⁰⁶⁾، وعليه فشعريته تهتم بالقارئ عبر المسكوت عنه في النص الذي يسعى القارئ إلى استكشافه وتأويله.

وعند حسين الواد تتمثل الشعرية في "مختلف الخصائص التي يتميز بها الشعر عن سائر أنواع الكلام وأجناسه"⁽¹⁰⁷⁾، وهذه النظرة إلى مفهوم الشعرية متطابقة مع مفهوم شعرية الانزياح، إلا أن حسين الواد يتفرد من حيث إرجاع خاصية تمييز الشعر عن غيره إلى الأنا (الذات) النصية، التي تتجلى في النص بتمظهرات فنية متعددة⁽¹⁰⁸⁾؛ تبعاً لتعدد التجارب والمواقف المعبرة عنها، وعبر هذا التمظهر تتولد الشعرية في النص، وقد تبعه في هذا أحمد الحيزم الذي يرى أن الفاعل الأسامي للشعرية هو الذات (الأنا) وعلاقتها بالآخر⁽¹⁰⁹⁾.

أما محمد مفتاح فقد قدم نظرية للشعرية متأسسة على مفاهيم موسعة عبر ثلاث محاور، هي: (اللغة-الموسيقى-الحركة) ودافعه في تبني ذلك "الصيرورة العلمية المعاصرة [التي] تفرض توظيف مبادئ مجردة تشمل العلوم الخالصة، والعلوم الاجتماعية، والإنسانية لدراسة الشعر، كما توجب تحليله ضمن الحقول الفنية الأخرى، مثل المسرح والسينما والتشكيل والرسم والنحت والهندسة والموسيقى، ذلك أن كثيراً من دراسات الشعر وتحليله بقيت أسيرة لإبدايات تصورية قديمة"⁽¹¹⁰⁾، وبهذا فقد عرفت شعريته بالشعرية المناهجية؛ من أجل الإحاطة الشاملة بالشعرية العربية التي تنطلق من بنية النص لترتبط بما هو خارج النص⁽¹¹¹⁾، وهو بهذا "يسعى إلى توليف العلوم المعرفية وتوحيدها برؤية شعرية تكشف عن مكونات الشعرية العربية المعاصرة"⁽¹¹²⁾.

وتجد الشعرية أكثر اتساعاً عند محمد فكري الجزار في بحثه: (إستراتيجيات الشعرية في قصيدة أمل دنقل)، حيث نظر إلى الشعرية من بعدين: البعد الأول يتمثل في عد الشعرية سمة نصية على المستوى التنظيري يبلغ حد التعميم لجميع الأنواع الأدبية، والبعد الثاني تمثل الشعرية فيه إستراتيجيات على المستوى الإجرائي، فكل نص له خاصيته، وتبلغ هذه الخاصية حد الاختلاف من نص إلى آخر داخل النوع الأدبي الواحد⁽¹¹³⁾، والجامع بين هذين البعدين للشعرية عنده يكمن عبر معيار ضابط لاختلافاتها، ويتكون هذا المعيار من عناصر ثلاثة، هي:

رؤية العالم المكتملة، الرؤية الفنية الموحدة، الموضوعات المنسجمة (الموضوع الشعري)⁽¹¹⁴⁾.

وهذه العناصر هي التي استعان بها محمد فكري الجزار عند تحليله لشعر أمل دنقل، حيث

حوى العنصر الأول (رؤية العالم المكتملة) على المنظور الكلي للإنسان، وشمل العنصر الثاني (الرؤية الفنية الموحدة) الإيقاع، والهاجس البلاغي المتمثل في الاستعارة، والتناص، في حين تضمن العنصر الثالث (الموضوع الشعري) تحليل الرموز الثقافية على وفق سيمياء الثقافة⁽¹¹⁵⁾.

أما الشعرية عند نهلة الأحمد، فليست شعرية مغلقة، بل شعرية منفتحة على ما هو خارج النص، عبر التناص، جاء ذلك في كتابها: (التفاعل النصي - التناصية، النظرية والمنهج)، إذ تقول: "إن الشعرية خصيصة علائقية، فشعرية كل نص كامنة في تفاعلاته"⁽¹¹⁶⁾، وهذا الانفتاح دون الانغلاق لمفهوم الشعرية عندها استمدته من مفهوم التفاعل النصي، وهذا واضح في قولها: "يستمد مفهوم التفاعل النصي قيمته النظرية، وفاعليته الإجرائية، من كونه يقف رهنأ في مجال الشعرية الحديثة، في نقطة تقاطع التحليل الألسني (اللسانيات والشكلانية والبنوية) للنصوص الأدبية مع نظام الإحالة؛ باعتباره مؤشراً على ما هو خارج النص"⁽¹¹⁷⁾، وهي بهذا تتبع (جوليا كرسيفا)، و (جيرار جنيت)، و (ريفاتير)، كما مر بنا سابقاً.

و في ضوء ما تقدم فإن مصطلح الشعرية مصطلح نقدي معاصر، لقي اهتماماً كبيراً من قبل الدارسين الغربيين والعرب، فوقفوا على مسمياته ومفاهيمه، مما ألبسه وجوهاً متعددة ومختلفة في المصطلح والمفهوم؛ نظراً إلى اختلاف التوجهات ومرجعيات الرؤية، الأمر الذي جعل بعض النقاد العرب أسيري المفهوم الغربي، متبنين له في أعمالهم النقدية.

كل ذلك يجعلنا نخرج بتصوير لمفهوم الشعرية عند الدارسين الغربيين والعرب، يتجلى في ثلاثة محاور، هي:

1- مفهوم الشعرية في إطار الانغلاق على بنية النص: تجلى غربياً، بدءاً من الشكلانيين (جاكوبسون)، مروراً ب (تودوروف)، و (جان كوهن) في كتابه (بنية اللغة الشعرية). أما عند العرب فيتضح عند توفيق الزيدي، وطراد الكبيسي، وأدونيس، و صلاح فضل.

2- مفهوم الشعرية في إطار الانغلاق على بنية النص والانفتاح على ما هو خارج النص: مثل هذا الاتجاه في الغرب (جان كوهن) في كتابه (الكلام السامي)، وعند العرب كمال أبو ديب، وعبد الله الغدامي، وسامح الرواشدة، وبسام قطوس، ومحمد فكري الجزار، ومحمد مفتاح.

3- مفهوم الشعرية في إطار الانفتاح على ما هو خارج النص لا غير: يمثل هذا المحور في الدراسات الغربية، (جوليا كرسيفا)، و(جيرار جينيت)، ومثل هذا المفهوم في الدراسات العربية نهلة الأحمد.

ونظراً إلى ما يعتري المفهوم من تجاذبات متباينة واتجاهات متعددة، بنظرات قاصرة تناولت الشعرية من زاوية أحادية من زوايا الإبداع الأدبي، إما من الزاوية الداخلية للنص، وأما من الزاوية الخارجية المتمثلة بالتناسل. فإن الحاجة ماسة إلى الخروج من هذا الإشكال بتصور عام ننطلق منه لبناء رؤية جديدة، تقدم إسهاماً في البحث عن أبعاد متعددة للشعرية، يتم بموجبها تجاوز القصور السائد في دراسة الشعرية.

- رؤية جديدة في تطوير الشعرية

تتبلور الرؤية الجديدة لتطوير الشعرية في تصور مقترح يقوم على الأبعاد الآتية:

أولاً: الهدف:

يهدف هذا التصور إلى تطوير الشعرية مفهوماً وإجراءً.

ثانياً: تعريف الشعرية ومبرراته:

- **التعريف:** يتبنى هذا التصور تعريفاً للشعرية، يتوافق مع الهدف والإجراء، ومفاد هذا التعريف أن: "الشعرية هي البحث عن مكان الإبداع في النص، بتنوعاتها المتعددة داخل النص وخارجه، وتحليلها تحليلاً معمقاً، فهماً ووصفاً وتحليلاً وتأويلاً".

- مبررات التعريف:

إن تبني التصور للتعريف أعلاه، مدفوع بمبررات؛ أهمها: تجاوز القصور في التعريفات السابقة التي كانت ترى الشعرية على النحو الآتي:

- ما يجعل من كلام ما كلاماً أدبياً.
- القوانين العامة التي تتحكم في عملية الإبداع.
- الاستعمال الخاص للغة.
- التفاعل النصي.

وقصور تلك التعريفات يكمن في الآتي:

أ- أغلبها يقصر الشعرية على النص.

ب- على الرغم من حصرها في النص فإن هناك اختلافاً حول تطبيقها فيه؛ كون الشعرية مجموعة قوانين الخطاب الأدبي، وهو ما ورد عند مجموعة من النقاد، وقوبل بالرفض من قبل طرف آخر؛ لأنهم لا يرون وجود خصائص عامة محددة للآداب أو الشعر، فتلك القوانين والخصائص يعتمدها التغيير والتطور نتيجة التغيرات والتبدلات الحضارية والاجتماعية والثقافية والسياسية، كما أن تلك الخصائص والقوانين متولدة من التقاليد الفنية، فهي التي حددت تلك القوانين والخصائص، وليس القواعد العلمية الموضوعية⁽¹¹⁸⁾.

ج- أنها تركز على عملية الإنتاج، ولا تركز على عملية البحث عنها إجرائياً.

د- أغلب هذه التعريفات -باستثناء التفاعل النصي- تغفل دور المتلقي في عملية التأويل، وتأويله الخاص النابع من ثقافته وخبرته في التعامل مع النص، وما يضيف ذلك على النص من جماليات لا تتحقق إن انحصر التحليل في البعد النصي الذي تؤكد تلك التعريفات.

ثانياً: فرضيات التصور:

أما الفرضيات التي ينطلق منها هذا التصور، فتتمحور في الفرضيات الآتية:

- أن الشعرية أساسها نصي، لكن النص لا يمثل كل أبعاد الشعرية.
- يتضمن النص شفرات لا يكشف عن أبعادها مجرد التحليل النصي، بل يستدعي الاستعانة بثقافة القارئ العامة والخاصة، أما الخاصة فهي المتعلقة بالجنس الأدبي، وأما العامة فهي المتعلقة بثقافة المجتمع.
- لا تكون الشعرية النصية شعرية مكتملة ما لم تحدث فعلاً تأثيرياً في المتلقي.
- لا تكتمل جماليات النص إلا بالبحث عن تفاعل النص مع ما هو خارجه من نصوص متنوعة.

إذاً؛ فالشعرية عملية تفاعلية يشترك في تحقيقها كل من النص وقارئه.

ثالثاً: إجراءات تحليل الشعرية:

لا بد من أن يشمل أي تناول للشعرية -على المستوى التطبيقي- جملة من الإجراءات المقترحة التي تحقق شمولية أكثر للبحث عن مكامن الإبداع، وهو ما يمثل تحقيقاً لهدف التصور واختبار فرضياته، وهذه الإجراءات تتجلى في الخطوات التي يسار عليها في تحليل الشعرية على النحو الآتي:

1- شعرية لتراكيب.

2- شعرية التصوير.

3- شعرية الإيقاع.

4- شعرية التفاعل النصي.

5- شعرية الذات (الأنا)، والآخر، والعلاقة بينهما.

ومع كل خطوة من الخطوات الأنفة التي تعد من أهم المرتكزات الأساسية في التحليل، فإن لكل خطوة إجراءات خاصة، يمكن أن تتضح من خلال تفصيل كل خطوة على حدة.

- إجراءات شعرية التركيب:

في تحليل شعرية التراكيب يتم تناول الظواهر التركيبية كالقديم، والحذف، والاعتراض، والالتفات، والأساليب الإنشائية، على أن يخضع تحليل هذه الظواهر التركيبية في النص إلى التأويل المتعدد لتلك الجماليات، الذي يظهر شفراتها ودلالاتها العميقة، ووظائفها في كل سياق، وعلاقتها بالبنية الكلية، وبيان فاعلية الأثر على المتلقي.

- إجراءات شعرية التصوير:

عند تحليل شعرية الصورة ينبغي التوقف عند بنية الصورة، بدءاً بالصورة المفردة، فالمركبة، ثم الكلية، ويتم إجراء ذلك عبر إظهار جمالية الصورة من خلال ربطها بسياقها، وبيان دورها في تحقيق الأثر في نفس المتلقي.

- إجراءات شعرية الإيقاع:

الكشف عن مظاهر الإيقاع الداخلية والخارجية بجميع تنوعاتها، وربطها بأبعاد شعورية وتأثيرية، وإظهار جمالها الإيقاعي.

- إجراءات شعرية التناس:

تتجه هذه المرحلة من تحليل الشعرية إلى التوقف عند تلك النصوص ورصد تفاعلاتها مع ما هو خارج عنها من نصوص متنوعة، ثم بيان أوجه التوافق والاختلاف، من حيث البنية والدلالة، وبيان ما يفرزه النص من تعديلات متوافقة مع البعد الشعوري، والبعد البنائي، وأثر ذلك على المتلقي.

- إجراءات شعرية الذات (الأنا) والآخر، و العلاقة بينهما.

تتمثل هذه الخطوة في ربط مظاهر الشعرية في النص بسياقها التواصلية، عبر رصد تمظهرات الذات والآخر والعلاقة بينهما، وبيان فنية تلك التمظهرات في النص، النابعة من خصوصية الذات والآخر المحكومة بسياقها وثقافتها؛ الأمر الذي يفضي إلى اكتشاف جماليات من نوع آخر، هي جمالية التداول.

والسير على وفق هذه الخطوات يستدعي الاستعانة في بعض الأحيان بالمنهج النقدية ذات الصلة، كمنهج الأسلوبية، الذي يمكن القارئ بداية من رصد مظاهر الانزياح البنائي، ومنهج السيميائية الذي يتبع معاني العلامات؛ لتأويلها تأويلاً متعددًا، ونظرية القارئ (المتلقي) التي بموجبها يتم إكمال ما تم اكتشافه وتأويله؛ لإبراز أكثر من بعد جمالي.

- مبررات هذه الخطوات:

- 1- تحقق هذه المرتكزات تناولاً أوسع وأشمل لأبعاد الشعرية، خلافاً للتناولات السابقة التي كان أصحابها يقتصرون على أبعاد أخرى ومحددة، وإذا ما وجدت بعض الدراسات التي تتبنى بعداً من تلك الأبعاد، فإننا لم نجد هذه الخطوات مجتمعة في أي دراسة سابقة.
- 2- إفساح المجال أمام القارئ عند التحليل، وهو ما ينتج تحليلاً معمقاً، مستمداً بأكثر من

منهج، وينطلق من زوايا عدة؛ مثل: البنية، والشعور النفسي، وفاعلية الأثر على المتلقي، وهذا بخلاف الدراسات التي وقفت في رصد مظاهر الشعرية عند إطارها السطحي، كما في دراسة صلاح فضل.

3- راعت هذه المرتكزات الخمسة التدرج في تتبع مظاهر الشعرية، حيث بدأت من النص إلى ما هو خارج النص، وضرورة السير على وفق هذا التدرج نابع من الآتي:

أن البدء بشعرية التراكيب ضروري؛ لأنها تمثل بداية انطلاق الشعرية، فكل كلمة مفردة لا شعرية فيها ما دامت خارج التركيب النصي، ولا تنحصر الشعرية عند هذا الحد؛ لذلك يتم الانطلاق بعد ذلك إلى شعرية التصوير؛ لأن مظاهر الشعرية في التصوير أوسع وأعمق، حيث يتجلى التصوير بتراكيب جزئية، ثم مركبة، ثم كلية تمثل النص بكامله، ثم ينتقل إلى ما هو أوسع من ذلك إلى شعرية الإيقاع؛ لأن الإيقاع هو الإطار الناظم للنص والانتقال إليه في خطوة تالية يمثل تسلسلاً مترابطاً على وفق خطى منتظمة، يتم بعدها الانتقال إلى ما هو خارج النص بدءاً بشعرية التناص؛ لأن التناص يتأسس من بعدين: بعد داخلي، وبعد خارجي هو مرجعية تلك النصوص، وفيه يتجلى التدرج من الحيز البنائي -تركيبياً وتصويرياً وإيقاعياً- إلى حيز التداخل والانفتاح، وبهذا فإن الانتقال إلى شعرية التناص يمثل تدرجاً منتظماً من الداخل إلى الخارج، وإذا كانت خطوة التناص محكومة بهذا التدرج من الداخل إلى الانفتاح على الخارج، فإن الانتقال إلى البحث عن شعرية الذات (الأنا) والآخر يمثل انفتاحاً آخر في السياق التداولي صوب المتلقي.

وبهذا فإن الالتزام بتلك الخطوات السابقة في البحث عن الشعرية يتوافق مع الآتي:

1- التدرج داخل النص بالبحث عن تنامي الشعرية.

2- التدرج من داخل النص إلى الانفتاح على ما هو خارج النص.

ومع ما تم عرضه في هذا التصور رؤية وإجراء، تبقى محاولة علمية اجتهاد فيها صاحبها بحدود إمكاناته، استشعاراً صادقاً منه لما لاقاه خاصة والدارسون عامة، من صعوبة وإشكال في فهم مفهوم الشعرية وآليات تطبيقها على النصوص، ومهما حقق هذا التصور من قابلية على مستوى المفهوم والإجراء، كما طبقناه على عينة من الشعر العربي القديم شملت ثلاثة عصور

متتالية من العصر الجاهلي إلى نهاية العصر الأموي، فسيخرج في دراسة مكتملة بعد، ويمكن أن يتخذها الباحثون طريقة يسيرون عليها عند دراستهم لشعرية النصوص الشعرية، ومع ذلك كله، فإن صاحب هذا التصور لا يدعي لنفسه أنه قد قال كلمة الفصل، بل يبقى الأمر قابلاً للإثراء والإضافة حسب وجهات النظر.

وفي الختام فإن البحث قد خلص إلى النتائج الآتية:

- تعاني الشعرية من إشكالية تتمثل في اضطراب المصطلح وتعدد المفاهيم، وقصور في الإجراء.
- تمثل القصور في تطبيق الشعرية بحصرها في الغالب الأعم على بنية النص، باستثناء حالات نادرة كانت تحاول تجاوز ذلك الانغلاق صوب الانفتاح على ما هو خارج النص.
- قدم البحث رؤية جديدة لتجاوز القصور الذي آلت إليه الشعرية، في المفهوم والإجراء، تتمثل هذه الرؤية في جملة من المرتكزات يمكن الاستناد إليها في التحليل؛ لاستكشاف أكثر من بعد لشعرية النص.

الهوامش والإحالات:

- (1) عبد الله محمد الغدامي، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشرحية- قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر، النادي الأدبي الثقافي بجدة السعودية، ط2/ 1991م، ص21.
- (2) يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف الجزائري، ط1/ 2008م، ص270.
- (3) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي كبير، وآخرون، دار المعارف، القاهرة، 4/ ص2274.
- (4) ينظر: يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص272. وينظر: نزهة الخليفي، المصطلح والتعدد الدلالي، مصطلح الشعرية في النقد الغربي أنموذجاً، مجلة مقاليد، قاصدي مرياح، ورقلة، الجزائر، ع/ 6، 2004م ص186.
- (5) علي علي آل موسى، شعرية القلق عند بدر شاكر السياب، دار الأولياء، ط1/ 2008م، ص17.
- (6) ينظر: حسن ناظم، مفاهيم الشعرية دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1/ 1994م، ص11.

- (7) ينظر: أرسطو طاليس، فن الشعر، ترجمه عن اليونانية وشرحه وحققه: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1953م، ص161 وما بعدها.
- (8) ينظر: حسن ناظم، مفاهيم الشعرية، ص21.
- (9) ينظر: خليل موسى، قراءات في الشعر العربي الحديث والمعاصر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2000م، ص19.
- (10) ينظر: يوسف وغيلسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص277.
- (11) ينظر: خالد سليكي، من النقد المعياري إلى التحليل اللساني، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج/ 23، ع/1، 1994م، ص379.
- (12) ينظر: سمير سعيد حجازي، معجم مصطلحات فروع الأدب المعاصرة (عربي. فرنسي)، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة، د.ط، د.ت، ص125.
- (13) رومان ياكبسون، قضايا الشعرية، ترجمة: محمد الولي و مبارك حنون، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1/ 1988م، ص78.
- (14) ينظر: المصدر نفسه، ص27.
- (15) ينظر: يوسف وغيلسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص275.
- (16) عبدالله الغدامي، الخطيئة والتكفير، ص8.
- (17) رومان ياكبسون، قضايا الشعرية، ص33.
- (18) ينظر: شرفي لخميسي، الشعرية: مفاهيم نظرية ودلالات جمالية، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد 14، 2014م، ص390.
- (19) ينظر: د. محمد جاسم جبارة، مسائل الشعرية في النقد العربي- دراسة في نقد النقد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1/ 2013م، ص41.
- (20) تزفيطان تودوروف، الشعرية، ترجمة: محمد مساعدي، مجلة نوافد، النادي الثقافي الأدبي، جدة، السعودية ع/ 130، 2000م، ص173.
- (21) تزفيطان تودوروف، الشعرية، ترجمة: شكري المبخوت، ورجاء بن سلامة، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط2/ 1990م، ص23.
- (22) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- (23) ينظر: حسن ناظم، مفاهيم الشعرية، ص34.

- (24) طودوروف، الشعرية، ص24.
- (25) ينظر: جان كوهن، بنية اللغة الشعرية، ترجمة: محمد الولي، و محمد العمري، دار توبقال، المغرب، ط1، 1986م، ص176.
- (26) ينظر: المصدر نفسه، ص15.
- (27) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- (28) ينظر: المصدر نفسه، ص110.
- (29) ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- (30) ينظر: المصدر نفسه، ص51.
- (31) ينظر: جان كوهن، الكلام السامي - نظرية في الشعرية، ترجمة: محمد الولي، دار الكتاب الجديد المتحدة، الصنائع، بيروت، ط1/ 2013م، ص37.
- (32) المصدر نفسه، ص259.
- (33) ينظر: يوسف إسكندر، اتجاهات الشعرية الحديثة الأصول والمقولات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2/ 2008م ص172.
- (34) لورون جيني، استراتيجية الشكل - نظرية التناص في الثقافة العالمية، ترجمة: نور الدين محقق، دال للنشر، دمشق، سورية، ط1/ 2015م، ص32.
- (35) ينظر: جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1997م، ص21.
- (36) ينظر: يوسف إسكندر، اتجاهات الشعرية الحديثة الأصول والمقولات، ص172.
- (37) جيرار جينيت، مدخل إلى النص الجامع، ترجمة: عبد العزيز شبيل، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، د.ط، 1999م، ص70.
- (38) ينظر: المصدر نفسه، ص73.
- (39) ينظر: نعيمة فرطاس، أدبية النص عند ميخائيل ريفاتير، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد 6، 2010م، ص303.
- (40) ينظر: محمد جاسم جبارة، مسائل الشعرية في النقد العربي دراسة في نقد النقد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2013م، ص27.
- (41) ينظر: يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص126.

- (42) ينظر: عبد القاهر عبدالرحمن بن محمد الجرجاني دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر. مطبعة المدني. مصر. ط3 ، 1992م.
- (43) ينظر: المصدر نفسه، ص99 ، 100.
- (44) المصدر نفسه، ص81.
- (45) ينظر: أحمد مطلوب، عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1973م، ص68.
- (46) ينظر: سعاد بولحواش، شعرية الانزياح بين عبد القاهر الجرجاني وجان كوهن، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، الجزائر، 2012 / 1013م، ص220.
- (47) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص43 ، 44.
- (48) المصدر نفسه، ص46.
- (49) ينظر: سعاد بولحواش، شعرية الانزياح، ص50.
- (50) ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص106.
- (51) ينظر: المصدر نفسه، ص146.
- (52) ينظر: المصدر نفسه، ص177.
- (53) ينظر: عبدالله بانقيب، العدول والأداء الشعري، مجلة جذور التراث، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ج/12، ع/31، 2010م، ص130.
- (54) ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص74.
- (55) ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- (56) ينظر: المصدر نفسه، ص306.
- (57) ينظر: المصدر نفسه، ص293.
- (58) محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، 2009 ، ص255.
- (59) ينظر: دلائل الإعجاز، ص60، 61.
- (60) المصدر نفسه، ص271.
- (61) ينظر: حسن ناظم، مفاهيم الشعرية، ص120.
- (62) ينظر: فائق مصطفى، عبد الرضا علي، في النقد الأدبي الحديث منطلقات وتطبيقات - دار الكتب - الموصل - ط1 / 1989م. ص85.

- (63) جان كوهن، بنية اللغة الشعرية، ص178.
- (64) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء. تحقيق: محمد الحبيب بن خوجه. دار الغرب الإسلامي. بيروت. لبنان، ط1، 1989م. ص143. 144.
- (65) المصدر نفسه، ص144.
- (66) المصدر نفسه، ص71.
- (67) أبو محمد القاسم الأنصاري السجلماسي، المنزغ البديع في تجنيس أساليب البديع، تحقيق: علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، ط1/ 1980م، ص259.
- (68) المصدر نفسه، ص252.
- (69) محمود الدرابسة، مفاهيم في الشعرية دراسات في النقد العربي القديم، دار جرير، عمان، الأردن، ط1، 2010م، ص49.
- (70) إلفت كمال الروبي، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين (من الكندي حتى ابن رشد)، دار التنوير، بيروت، لبنان. ط1/ 1983م، ص201.
- (71) عبد الرحيم وهابي، نظرية الانزياح الشعري، مجلة جذور، النادي الأدبي الثقافي بجدة. العدد، 18، مج: 8، ديسمبر، 2004م، ص87.
- (72) أبو الوليد بن رشد، تلخيص تلخيص الخطابة، تحقيق: د. محمد سليم سالم، القاهرة، ط1، 1967، ص539.
- (73) المصدر نفسه، ص532.
- (74) أبو الوليد بن رشد تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الشعر.. ومعه جوامع الشعر للفارابي. تحقيق: محمد سليم سالم. القاهرة، د.ط، 1971م، ص151.
- (75) ينظر: التبريزي أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، تحقيق: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000م، ص10.
- (76) أخذنا المصطلح الفرنسي (La potique) كون أغلب الترجمات كانت عن الغربيين أمثال (جاكوبسون، جان كوهن، تودوروف، جرار جينيت).
- (77) ينظر: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص282.
- (78) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- (79) ينظر: المصدر نفسه، ص80.

- (80) ينظر: توفيق الزيدي، مفهوم الأدبية في التراث النقدي إلى نهاية القرن الرابع، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط2/ 1987م، ص8.
- (81) ينظر: المصدر نفسه، ص9.
- (82) ينظر: المصدر نفسه، ص86.
- (83) ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- (84) ينظر: المصدر نفسه، ص173.
- (85) طراد الكبيسي، في الشعرية العربية قراءة جديدة في نظرية قديمة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، 2004م، ص8.
- (86) المصدر نفسه، ص15.
- (87) ينظر: أدونيس، الشعرية العربية (محاضرات ألقيت في الكوليج دو فرانس، باريس أيار 1984م)، دار الآداب، بيروت، ط2/ 1989م، ص86.
- (88) المصدر نفسه، ص79.
- (89) ينظر: يوسف وجليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص311.
- (90) أدونيس، سياسة الشعر، دار الآداب، بيروت، ط1، 1989م، ص20.
- (91) كمال أبو ديب، في الشعرية، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1987م، ص14.
- (92) المصدر نفسه، ص21.
- (93) ينظر: في الشعرية، ص22.
- (94) المصدر نفسه، ص22.
- (95) ينظر: بشير تاويريت، الشعرية والحدائث بين أفق النقد الأدبي وأفق النظرية الشعرية، مؤسسة رسلان، دمشق، سوريا، ط1، 2008م، ص97.
- (96) الغدامي، الخطيئة والتكفير، ص22.
- (97) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- (98) ينظر: يوسف وجليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص315.
- (99) ينظر: صلاح فضل، أساليب الشعرية المعاصرة، دار الآداب، بيروت، ط1/ 1995م، ص21.
- (100) ينظر: المصدر نفسه، ص34.

- (101) امح الرواشدة، فضاءات الشعرية دراسة في ديوان أمل دنقل، المركز القومي، أريد، الأردن، د.ط، 1999م، ص45.
- (102) ينظر: المصدر نفسه، ص8.
- (103) المصدر نفسه، ص7.
- (104) بسام موسى قطوس، سيمياء العنوان، جامعة اليرموك، أريد، الأردن، د.ط، 2001م، ص75.
- (105) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- (106) رجاء عيّد، القول الشعري من منظورات معاصرة، منشأة المعارف، الإسكندرية، د. ط، دت، ص190.
- (107) د. حسين الواد، اللغة الشعرية في ديوان أبي تمام، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1/ 2005م، ص6.
- (108) ينظر: المصدر نفسه، ص124- 152.
- (109) ينظر: أحمد الحيزم، من شعرية اللغة إلى شعرية الذات قراءات في ضوء لسانيات الخطاب، دار روافد الثقافة، بيروت، لبنان، ط1/ 2016م، ص151- 185.
- (110) د. محمد مفتاح، مفاهيم موسعة لنظرية شعرية (اللغة - الموسيقى - الحركة)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2010م، ج1، ص19.
- (111) ينظر: مسائل الشعرية في النقد العربي، ص148.
- (112) المصدر نفسه، ص165.
- (113) محمد فكري الجزار، استراتيجيات الشعرية في قصيدة أمل دنقل، مجلة فصول، العدد 64، صيف 2004م، ص246.
- (114) ينظر: المصدر نفسه، ص246.
- (115) ينظر: المصدر نفسه، ص246- 270.
- (116) نهلة فيصل الأحمد، التفاعل النصي التناسية، النظرية والمنهج، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط1، 2010م، ص15.
- (117) ينظر: المصدر نفسه، ص249.
- (118) ينظر: سراته البشير، الشعرية: الاختلاف النظري والبعد المفهوماتي، مجلة جذور، النادي الثقافي الأدبي بجدة، العدد، 33، فبراير، 2013م، ص113.



مستوى مساهمة مديري المدارس الأساسية (مديرية الضالع) في نشر ثقافة استخدام مستحدثات تقنيات المعلومات والاتصالات

د. عبدالفتاح عبدالله علي محمد *

د. سعيد محمد علي القشبري *

الملخص:

يسعى هذا البحث إلى معرفة مستوى إسهام مديري المدارس الأساسية في (مديرية الضالع) في نشر ثقافة استعمال مستحدثات تقنيات المعلومات والاتصالات، وإلى معرفة ما إذا كانت الفروقات في متوسطات استجابات أفراد العينة بحسب متغيرات: (النوع، المنطقة التعليمية، سنوات الخبرة التدريسية) ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05)، وقد استعملت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وتكون مجتمع الدراسة من المعلمين والمعلمات العاملين بصورة فعلية في المدارس الأساسية جميعاً، البالغ عددهم (859) معلماً ومعلمة، موزعين على (33) مدرسة أساسية، تم اختيار (3) مدارس منها بصورة عشوائية مثلت (10%) من مجموع المدارس، وقد بلغ عدد المعلمين فيها (85) معلماً ومعلمة، يمثلون (10%) من المجتمع الأصلي، تم أخذهم جميعاً عينة للدراسة، ووزعت عليهم الاستبانة أداة الدراسة، وعاد منها (70) استبانة فقط، وكان الصالح منها للتحليل (62) فقط. وقد أسفرت نتائج الدراسة عما يأتي:

* أستاذ الإدارة التربوية المساعد - قسم التربية وعلم النفس - كلية التربية - الضالع - جامعة عدن - الجمهورية اليمنية.

* أستاذ الإدارة التربوية المساعد - قسم التربية والإدارة التربوية - كلية التربية - صبر - جامعة عدن - الجمهورية اليمنية.

- مستوى الإسهام في التشجيع على نشر الثقافة المعلوماتية الرقمية كان بدرجة متوسطة.
- لم تظهر النتائج أي فروقات ذات دلالة إحصائية بين متوسطات الاستجابات تعزى إلى متغيرات الدراسة (النوع، والمنطقة التعليمية، وسنوات الخبرة التدريسية).

The Level of the Contribution of Primary School Principals at Al-Dhala Governorate in Disseminating the Culture of the Use of Innovations of ICT

Dr. AbduAL-ftah Abdualah Ali Mohammed

Dr. Saeed Mohammed Ali AL-Qashbri

ABSTRACT:

The current study aims to know the level of the contribution of primary school principals at Al-Dhala Governorate in disseminating the culture of the use of innovations of ICT, and to know if the differences in the average of responses to members of the sample according to the variables : (sex, school, district, years of experience, teaching staff) are statistically significant at the level indication (0. 05). The study used the method of the analytical descriptive approach. The sample of the study consisted of (70) teachers, representing all teachers in the three schools (selected randomly). They answered the questionnaire as a tool to gather the information. The findings of the study are:

- The level of the contribution of the headmasters to encourage teachers on the use of innovations of ICT in the educational process was an average.
- The use of the headmasters of ICT in the administration of the educational process of educational was a high degree.
- The encouragement to deploy IT culture digital generally was the level of contributing to the average.
- No results show any differences statistically significant between the averages of responses are attributable to the variables study (gender and the educational region, years of experience, teaching staff).

المقدمة:

للمدرسة دور مهم في تربية النشء، وتتأثر في تربيتها للنشء بعوامل متعددة، منها المنهج الدراسي، والمعلم، والإدارة، وتعد الإدارة أحد العناصر الأساسية في تطوير العملية التربوية، إلا أن هذه الإدارة يجب أن تتمتع بصفات وخصائص متعددة، منها إدراك أهمية استعمال مستحدثات تقنية المعلومات في العملية التربوية، فمحور عمل الإدارة هو المعلمون، حيث يتم رعايتهم، وتطوير إنجازاتهم، وتيسير الظروف وتهيئتها؛ لتوجيه نموهم الفكري والعقلي والروحي والاجتماعي؛ ليكونوا مؤهلين لقيادة العملية التعليمية، وهذا يتم في ظل التطور التكنولوجي ومستحدثات تقنيات التعليم التي تدخل في كل وظيفة من وظائف الإدارة، من تخطيط وتنظيم ومراقبة وغيرها من الأعمال التي تسهم في تحقيق أهداف المدرسة.

ومع التطور التكنولوجي المتسارع أصبحت المستحدثات التقنية التعليمية واقعا لا يمكن تجاهله، وتسابق كل المؤسسات بقطاعها الحكومي والخاص في إيجاد وسائل تعليمية فعالة تحسن من أداء منتسبي مؤسساتهم وترفع من قدراتهم الإبداعية؛ لذلك ازداد تعقيد الدور الذي يقوم به مدير المدرسة، فالتكنولوجيا تحتاج مهارات ومعارف إضافية لدى مدير المدرسة.

ولمدير المدرسة دور فعال في رفع أداء مؤسسته التعليمية، وزيادة الثقة بين المؤسسة التربوية والمعلمين من جهة، وبين أولياء الأمور من جهة أخرى، فمن أهم وظائف المدير في هذه المرحلة إدراك حاجته إلى التغيير في إدخال المستحدثات التقنية في التعليم ضمن عمل المدرسة، وتفعيله بشكل فعال؛ لما له من أهمية في العصر الحالي، ولما له من انعكاس على الأداء (الشناق، 2008، ص9).

وذكر العويرضي (1418 : ص25) واجبات كثيرة ومسؤوليات كبيرة ومتنوعة: إدارية وتعليمية، وواجبات تربوية تقع على عاتق مدير المدرسة، فمن هذه الواجبات ما يتعلق بالمعلمين والطلبة، ومنها ما يتعلق بالمجتمع المحلي، فتكنولوجيا التعليم واحدة من أهم مفاهيم العصر الحديث التي ارتبطت ارتباطا وثيقا بالتعليم، بحيث لا يمكن تجاهلها بأي حال من الأحوال؛ لما لها من آثار مهمة في ترشيد الموارد، واستثمار الجهود البشرية، وتوفير الوقت، وتطوير عملية التعليم في المؤسسة؛ بما

يضمن نجاح العمل ودقته، فلا بد من توفر الوعي الكامل لمدرء المدارس لاستعمال هذه المستحدثات التقنية.

وقد أشار عدد من الدراسات (الصريرة وأبو حميد، ص 2016) إلى دور مدير المدرسة الجوهري في نشر تكنولوجيا التعليم وتفعيلها على مستوى المدرسة، ودوره في تحسين أداء المعلمين، وتحسين العملية التعليمية بشكل عام، وانعكاس ذلك على تطوير إدراكهم وطرق التفكير لديهم. كما أشار عدد من الدراسات إلى وجود علاقة بين عامل الإدارة المدرسية وممارسة المعلمين لهذه التكنولوجيا، فقد أشار ليثوود وهاريس وهوبكينز (Leithwood, Harris & Hobkins, 2006, p204) إلى أن الإدارة المدرسية تعد العامل الثاني الأكثر تأثيراً في أداء الطلبة بعد عامل التدريس الصفّي، وإلى دور مدير المدرسة المحوري في نشر التكنولوجيا ودمجها في العملية التعليمية بشكل عام. مشكلة الدراسة:

قد يكون إدراك مدير المدرسة لأهمية التكنولوجيا الحديثة ودورها في العملية التعليمية من العوامل المهمة التي يتوقف عليها أداء المدرسة بشكل عام، وممارسات المعلمين بشكل خاص، بما في ذلك دمج التكنولوجيا في التعليم وتوظيف المعلمين لهذه التكنولوجيا؛ من أجل تحسين مخرجات التعليم، ولما كانت مدارسنا تشكو الندرة، وربما انعدام مصادر التعلم كالمكتبات، والمعامل، والمختبرات، وغيرها التي يمكن توفيرها رقمياً من خلال مستحدثات تقنيات المعلومات والاتصال، فإن هذا البحث يمثل محاولة علمية لتسليط الضوء على مستوى إسهام مديري المدارس الأساسية في الضالع في نشر ثقافة استعمال المستحدثات التقنية. أسئلة الدراسة:

السؤال الرئيس: ما مستوى إسهام مديري المدارس الأساسية في (مديرية الضالع) في

نشر ثقافة استعمال مستحدثات تقنيات المعلومات والاتصالات؟

ويتفرع السؤال الرئيس إلى الأسئلة الفرعية الآتية:

1. ما مستوى إسهام مديري المدارس الأساسية في (مديرية الضالع) في نشر ثقافة استعمال

مستحدثات تقنيات المعلومات والاتصالات في العملية التعليمية؟

2. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) في متوسطات استعمال أفراد العينة، حول مستوى إسهام مديري المدارس الأساسية في (مديرية الضالع) في نشر ثقافة استعمال مستحدثات تقنيات المعلومات والاتصالات تعزى إلى متغيرات: (النوع، المنطقة التعليمية، سنوات الخبرة التدريسية)؟

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى معرفة مستوى إسهام مديري المدارس الأساسية في (مديرية الضالع) في نشر ثقافة استعمال مستحدثات تقنيات المعلومات والاتصالات، وإلى معرفة ما إذا كانت الفروقات في متوسطات استجابات أفراد العينة بحسب متغيرات: (النوع، المنطقة التعليمية، سنوات الخبرة التدريسية) ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05).

أهمية الدراسة:

تأخذ هذه الدراسة أهميته من الآتي:

أولاً: الأهمية النظرية: من المؤمل أن يقدم هذا البحث إضافة نوعية للأدب النظري السابق، بما يفيد الباحثين في مجال استعمال المستحدثات التقنية في الإدارة التربوية عموماً، والمدرسية على وجه الخصوص.

ثانياً: الأهمية التطبيقية: يمكن لنتائج هذا البحث أن يوسع مدارك مديري المدارس الأساسية ووعيمهم بأهمية توظيف المستحدثات التقنية في إدارة عملية التعليم والتعلم، كما أن نتائج هذه الدراسة ستسهم في رفع كفاءة مديري المدارس في التعامل مع التكنولوجيا الموجودة لديهم، وتوسيع آفاقهم تجاه الدور المتنامي للمستحدثات التقنية في التعليم، وعلاقته بتوظيف معلمي المدرسة لتلك المستحدثات، بما يسهم في الوصول إلى الغايات المنشودة بتكاليف أقل، ووقت أقصر.

حدود الدراسة:

تم تطبيق هذه الدراسة في نطاق الحدود الآتية:

الحد الموضوعي: نشر ثقافة استعمال تقنيات المعلومات والاتصال في العمل المدرسي، الحد المكاني: مديرية الضالع - المدارس الأساسية، الحد الزمني: الفصل الدراسي الثاني 2019-2020م؛ الحد البشري: مديرو المدارس الأساسية.

مصطلحات الدراسة:

مدير المدرسة الأساسية:

يُعرف الباحثان إجرائيا مدير المدرسة بأنه الشخص الذي يقوم بدوره في تطوير وتنمية كفايات المعلمين المهنية والتكنولوجية، وله دور فاعل في قيادة المدرسة؛ لتنفيذ البرنامج التعليمي في مدارس مديرية الضالع الأساسية، بما يحقق الأهداف المنشودة.

مستحدثات تقنية المعلومات والاتصالات:

يعرف الباحثان إجرائيا مستحدثات تقنية المعلومات والاتصالات بأنها مجموعة الأدوات والأجهزة والتقنيات التي يمكن للإدارات المدرسية في مدارس الضالع الأساسية استعمالها في إدارتهم للعملية التعليمية من أجهزة الحاسوب وملحقاتها، وشبكة الإنترنت، ومواقع التواصل الاجتماعي وغيرها.

مديرية الضالع: إحدى مديريات محافظة الضالع، البالغ عددها تسع مديريات، وتمثل مركز

المحافظة وعاصمتها.

الإطار النظري والدراسات السابقة:

أولاً: الإطار النظري

مفهوم الإدارة المدرسية: الإدارة المدرسية هي "تلك الجهود المنسقة التي يقوم بها مدير

المدرسة مع جميع العاملين معه، من مدرسين وإداريين وغيرهم؛ بغية تحقيق الأهداف التربوية داخل المدرسة تحقيقاً يتماشى مع ما تهدف إليه الأمة من تربية أبنائها تربية صحيحة وعلى أساس سليم" (الداود، 1413، ص22).

وتعرف الإدارة المدرسية بأنها جزء من الإدارة التعليمية، وتمثل جميع الجهود المنسقة التي

يقوم بها مدير المدرسة مع جميع العاملين معه، من مدرسين وإداريين وغيرهم؛ بغية تحقيق الأهداف التربوية داخل المدرسة تحقيقاً يتماشى مع ما تهدف إليه الأمة من تربية أبنائها تربية صحيحة وعلى أساس سليم. ويمكن القول أيضاً إن الإدارة المدرسية تعني جميع الجهود، والإمكانات، والنشاطات التي تبذل من أجل تحقيق الأهداف التربوية تحقيقاً فعالاً متطوراً.

(مساد، 2005، ص25)، ويعرف الزبيدي (1988، ص76) الإدارة المدرسية بأنها: "مجموعة من العمليات التنفيذية والفنية التي يتم تنفيذها عن طريق العمل الإنساني الجماعي التعاوني؛ بقصد توفير المناخ الفكري والنفسي والمادي الذي يساعد على تحفيز الهمم، وبعث الرغبة في العمل النشط المنظم؛ فردياً كان أم جماعياً؛ من أجل حل المشكلات وتذليل الصعاب؛ حتى تتحقق أهداف المدرسة التربوية والاجتماعية كما ينشدها المجتمع".

ويرى الباحثان أن الإدارة المدرسية عبارة عن الجهود المنسقة التي يقوم بها فريق من العاملين في الحقل التعليمي (المدرسة) من إداريين، وفنيين؛ بغية تحقيق الأهداف التربوية داخل المدرسة تحقيقاً يتماشى مع ما تهدف إليه الدولة، من تربية أبنائها، تربية صحيحة، وعلى أسس سليمة.

أهمية الإدارة المدرسية:

لم تعد المدرسة مجرد مكان يتلقى الطالب فيها العلم فقط، بل أصبحت المكان الأكبر والأوسع لتلقي المتعلمين لشتى صنوف المعارف والمهارات التي تمكنهم من الاندماج الصحيح في مجتمعاتهم، وتحقيق السياسات التي يهدف إليها التعليم، وليكونوا نواة وأفراداً صالحين يسهموا في بناء مجتمعهم والرقى بأممهم.(الصريرة وأبو حميد، ص1484).

لذلك فإن الاهتمام بالمدرسة نابع من القدر الكبير من المسؤولية المناطة بها تجاه المجتمع أولاً، وما يؤمله واضعو السياسات التعليمية من آمال وتطلعات تعمل المدرسة على تحقيقها بالقدر الممكن والمتاح لها ثانياً؛ لذا فإن عناية التربويين الخاصة والمتنامية تجاه دور المدرسة وما تقدمه عادة ما يكون مبرراً ومعللاً بسبب تلك الأهمية البالغة النابعة مما تضطلع بها من مهام كبرى، في ظل سعيهم الحثيث من أجل الوصول بها إلى القدر الكافي من الكفاءة والقدرة على تحقيق الأهداف الطموحة بكل يسر وسهولة.(الحرمان والعجلوني، 2009، ص 255).

معايير الإدارة المدرسية الحديثة: إن الإدارة المدرسية ليست غاية في حد ذاتها وإنما هي وسيلة لتحقيق أهداف العملية التربوية، كما أن الإدارة المدرسية الحديثة تقوم على أصول ومعايير علمية توجه العمل في المدرسة، ومن هذه المعايير (اللامي، 1429، ص62):

1. وضوح الأهداف التربوية المنشودة، التي تسعى الإدارة المدرسية إلى تحقيقها.
2. التحديد الواضح للاختصاصات والمسئوليات، والواجبات المطلوبة من كل شخص في المدرسة.

3. تجنيد كل طاقات وإمكانات المدرسة لخدمة العملية التربوية فيها.

ثانياً: الدراسات السابقة:

دراسة الصرايرة وأبو حميد (2016): هدفت تلك الدراسة إلى تقصي دور الإدارة المدرسية في نشر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في المجتمع المدرسي، من وجهة نظر مساعدي مديري المدارس في مديرية التربية والتعليم لمنطقة المزار الجنوبي، المملكة الأردنية الهاشمية، ولتحقيق هذا الهدف استعملت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وتم تطوير استبانة مكونة من (42) فقرة، توزعت في خمسة مجالات، هي: نشر الثقافة المعلوماتية الرقمية في محيط المدرسة، ومدير المدرسة، وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وتوفير الدعم الفني والصيانة، وتوفير البنية التحتية المناسبة، وتشجيع المعلمين على استعمال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات باعتبارها أداة للدراسة، وقد تم التأكد من صدقها وثباتها. أما عينة الدراسة فتألفت من (74) شخصاً من مساعدي مديري المدارس، وقد كشفت الدراسة عن النتائج الآتية: إن دور الإدارة المدرسية في نشر استعمال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في المجتمع المدرسي كان متوسطاً على المستوى الكلي، وفي جميع المجالات، وبينت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0.05) تعزى لمتغير النوع على المستوى الكلي وعلى مستوى المجالات كل على حدة، وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0.05) تعزى لمتغير التخصص على المستوى الكلي، في جميع المجالات، باستثناء مجال مدير المدرسة وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات؛ إذ وجد فيه فرق لصالح التخصصات الإنسانية.

دراسة سنكار (Sincar, 2013): هدفت إلى تقصي التحديات التي تواجه مديري المدارس في مجال القيادة التكنولوجية، اشتملت عينتها على ستة من مديري المدارس في منطقة جنوب شرق تركيا، واستعملت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وتم جمع البيانات من خلال المقابلات

المباشرة، وأشارت نتائج الدراسة إلى أن مديري المدارس يواجهون تحديات عندما يمارسون أدوارهم في القيادة التكنولوجية، حيث تشمل على البيروقراطية، وتحدي التغيير، والأفكار الابتكارية، وقلة التدريب، والفقير.

دراسة بوبرا (Bobbera, 2013): هدفت إلى معرفة أثر برنامج تطوير مهني لمديري المدارس على مقدرتهم على إدارة التكنولوجيا في المدارس، اشتملت على (14) مدير مدرسة، اشتركوا في برنامج تأهيلي لدمج التكنولوجيا في المنهج، مع الممارسات الإدارية في منطقة غرب فرجينيا في الولايات المتحدة الأمريكية، إذ تم استعمال المنهج شبه التجريبي، وتقسيم المشاركين في الدراسة إلى مجموعتين: ضابطة، وتجريبية، بالطريقة العشوائية، وأشارت نتائج الدراسة إلى وجود أثر إيجابي لبرامج التطوير المهني لمديري المدارس على مقدرتهم على إدارة التكنولوجيا داخل المدرسة.

دراسة تشانغ (Chang, 2012): هدفت إلى استقصاء مدى فاعلية الإدارة المدرسية، ومدى توافر الثقافة التكنولوجية لدى المعلمين وفاعلية التدريس، وقد اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وجمعت البيانات عن طريق الاستبيان بوصفه أداة للدراسة، وقد وزع على (1000) معلم، تم اختيارهم بطريقة عشوائية من مدارس تايوان الابتدائية، وتوصلت الدراسة إلى نتائج، منها: أن القيادة التكنولوجية لدى مدير المدرسة تحسّن من ثقافة المعلمين التكنولوجية وتشجعهم بشكل مباشر على دمج التكنولوجيا في تدريسهم.

دراسة الزبود (2012): هدفت إلى معرفة درجة ممارسة مديري المدارس الثانوية الحكومية في مملكة البحرين لتكنولوجيا المعلومات من وجهة نظرهم، وعلاقتها بالإبداع الإداري، واستعملت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، والاستبيان بوصفه أداة لجمع المعلومات، وتكونت عينة الدراسة من (15) مديراً ومديرة و(194) معلماً ومعلمة، وأظهرت نتائج الدراسة وجود مستوى مرتفع لدرجة ممارسة تكنولوجيا المعلومات لدى المديرين، ووجود مستوى مرتفع من الإبداع الإداري لدى المديرين، وتبين وجود علاقة ارتباطية دالة إحصائية بين تقديرات مديري المدارس لدرجة ممارستهم لتكنولوجيا المعلومات، وتقديرات معلمهم لمستوى إبداعهم الإداري، وأشارت النتائج إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين درجة ممارسة المديرين الحكومية لتكنولوجيا المعلومات

تعزى للجنس، والخبرة. كما أشارت إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في درجة ممارسة المديرين لتكنولوجيا المعلومات تعزى إلى الخبرة العملية، وأشارت النتائج إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الإبداع الإداري لمديري المدارس من وجهة نظر المعلمين تعزى لمتغير النوع.

دراسة عاشور (2010): هدفت إلى معرفة درجة استعمال مديري ومديرات المدارس الثانوية في محافظة إربد لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وكذلك معرفة مدى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في درجة استعمال المديرين والمديرات لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات تعزى إلى متغيرات النوع، والمؤهل العلمي، وسنوات الخبرة، وقد استعملت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، والاستبيان بوصفه أداة لجمع المعلومات، وتكونت العينة من (180) مديرا ومديرة، وتوصلت الدراسة إلى أن درجة استعمال المديرين والمديرات لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات جاءت متوسطة، وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في استجابة أفراد العينة تعزى للجنس في جميع المجالات، باستثناء مجال القوانين ومشروعية استعمال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وجاءت الفروق لصالح الذكور، وتوصلت إلى عدم وجود فروق تعزى للمؤهل العلمي في جميع المجالات، باستثناء مجال البنية التحتية والتجهيزات الفنية لاستعمال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وجاءت لصالح حملة الماجستير، كما توصلت إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى إلى سنوات الخبرة، لصالح ذوي الخبرة من (5-10) سنوات في مجال البنية التحتية والتجهيزات الفنية لاستعمال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، ومجال كفايات المدير في استعمال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

دراسة أبو ربيع (2015): هدفت إلى معرفة مستوى إدراك مديري المدارس الأساسية الخاصة لأهمية تكنولوجيا التعليم، وعلاقته بمستوى توظيف المعلمين لهذه التكنولوجيا من وجهة نظر المعلمين في محافظة العاصمة عمّان، ولتحقيق أهداف هذه الدراسة تم تطوير استبيانين: الأول لقياس مدى إدراك مديري المدارس لأهمية استعمال تكنولوجيا التعليم، في حين ركزت الاستبانة الثانية على قياس مدى توظيف المعلمين للتكنولوجيا من وجهة نظرهم، حيث استعمل المنهج الوصفي التحليلي الارتباطي لمناسبته لهذه الدراسة، وتكونت عينة الدراسة من (331) معلما ومعلمة

من المرحلة الأساسية، وقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج، منها: أن مستوى إدراك مديري المدارس الأساسية لأهمية تكنولوجيا التعليم من وجهة نظر المعلمين كان متوسطاً، وأن مستوى توظيف المعلمين لتكنولوجيا التعليم من وجهة نظرهم كان متوسطاً، ولوحظ وجود علاقة ذات دلالة إحصائية موجبة عند مستوى ($\alpha \leq 0.05$) بين مستوى إدراك مديري المدارس الأساسية الخاصة بأهمية تكنولوجيا التعليم ومستوى توظيف المعلمين لهذه التكنولوجيا من وجهة نظرهم، وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \leq 0.05$) لمستوى إدراك مديري المدارس الأساسية لأهمية تكنولوجيا التعليم من وجهة نظر المعلمين؛ تبعاً لمتغير النوع، ووجود فروق ذات دلالة إحصائية تبعاً لمتغير المؤهل العلمي؛ لصالح أصحاب الدراسات العليا، وعدم وجود فروق تعزى إلى متغير الخبرة.

دراسة اللامي (2008): هدفت إلى معرفة واقع استعمال تطبيقات الحاسوب في الإدارة المدرسية من وجهة نظر مديري ووكلاء المدارس الثانوية إذ شملت (61) وكيلاً، يمثلون (81%) من المجتمع الأصلي للدراسة، وأسفرت هذه الدراسة عن النتائج التالية: توجد ممارسات حقيقية من قبل مديري المدارس ووكلائهم لأعمالهم الإدارية من خلال استعمال تطبيقات الحاسوب الإدارية بدرجة عالية، كما يوجد اسهام حقيقي تقدمية التطبيقات الحاسوبية الحالية للإدارة المدرسية الحالية، وقصور دور الجهات المختصة وذات العلاقة في جانب تطوير مهارات المديرين والوكلاء في مجال استعمال تطبيقات الحاسوب والارتقاء بها.

دراسة الحمران والعجلوني (2009): هدفت إلى معرفة واقع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في المدارس الاستكشافية في الأردن. استعملت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، والاستبيان بوصفه أداة لجمع المعلومات، وقد تكون مجتمع الدراسة وعينتها من جميع المدارس الاستكشافية في الأردن، البالغ عددها (105) مدارس، وتوصلت الدراسة إلى أن الوزارة قامت بتزويد جميع المدارس بأجهزة عرض (Data Show) ، وبلغ متوسط توافرها ثلاثة أجهزة تقريباً في كل مدرسة، كما زُود عدد من المدرسين بأجهزة الحاسوب المتنقل (Laptop)، كما ربطت جميع المدارس

الاستكشافية بشبكة الإنترنت، وأشارت النتائج إلى أن أكثر الأعمال التي يقوم بها الطلبة والمرتبطة بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات ترتبط باستعمال قواعد بيانات خارجية للحصول على معلومات من مواقع مختلفة على شبكة المعلومات (الإنترنت)، يليها الأعمال المرتبطة بالتواصل مع الأقران بواسطة البريد الإلكتروني من مدارس أخرى في الداخل أو الخارج، أما أقل هذه الأعمال ممارسة من قبل الطلبة فهو نشر معلومات من خلال شبكة المعلومات (الإنترنت)، وفيما يتعلق باستعمال الطلبة للتطبيقات التكنولوجية في المدرسة من وجهة نظر منسقي الحاسوب، اتضح أن أكثر التطبيقات التكنولوجية استعمالاً من قبل الطلبة هي معالج الكلمات والنصوص، يليها مباشرة برمجيات الجداول الإلكترونية (أكسل)، أما أقلها استعمالاً فهو البرمجيات التي تدعم العمل الإبداعي.

التعليق على الدراسات السابقة:

- أجريت الدراسات السابقة في الفترة من 2008-2016م، وشملت البيئات الدراسية العربية والأجنبية.
- اتفقت الدراسات السابقة جميعاً، ومعها دراسة الباحثين، في كونها اتخذت من الإدارات المدرسية ميداناً لها، ولكنها تباينت في المراحل الدراسية، والأهداف، والعينة، والمنهج، كما يأتي:
- من الدراسات السابقة التي أجريت على الإدارات المدرسية الثانوية دراسات: (الحرمان والعجلوني، 2008؛ اللامي، 2008؛ سنكار، 2013؛ الزيود، 2012؛ عاشور، 2010)، وهي جميعاً تختلف مع الدراسة الحالية التي أجريت على الإدارات المدرسية في المرحلة الأساسية، ولكنها تتفق مع دراسات: (أبو ربيع، 2015؛ تشانغ، 2012؛ الصرايرة وأبو حميد، 2016) التي أجريت على الإدارات المدرسية في المرحلة الأساسية.
- اتفقت الدراسة الحالية مع دراسة (الصرايرة وأبو حميد، 2016) في الهدف المتمثل في معرفة مستوى دور الإدارات المدرسية في نشر ثقافة المعلومات والاتصالات في المجتمع المدرسي، في حين تباينت أهداف بقية الدراسات فمنها ما هدفت إلى معرفة درجة استعمال

- مديري المدارس لتكنولوجيا المعلومات كما هو الحال في دراسات: (عاشور 2010؛ الزيود 2012) ومنها ما هدفت إلى معرفة واقع استعمال الإدارات المدرسية لتكنولوجيا المعلومات كما هو الحال في دراسات: (اللامي 2008؛ الحمران والعجلوني 2009).
- أما من حيث حجم العينة ونوعها فتتفق الدراسة الحالية مع الدراسات التي كانت عيناتها من المعلمين، كما هو الحال في دراسات: (الزيود، 2012؛ تشانغ، 2012؛ أبو ربيع، 2015)، وقد تراوحت عيناتها بين "194 و 1000" معلم ومعلمة، بينما اقتصرَت الدراسة الحالية على (72) معلما ومعلمة، وهي عينة متوسطة الحجم إذا ما قورنت ببقية الدراسات التي عيناتها من المعلمين.
- ومن الدراسات التي اتخذت من مديري المدارس ومساعدتهم عينات لها دراسات: (الصريرة وأبو حميد، 2016 بواقع "74" وكيلا؛ وبوبيرا، 2013 بواقع "14" مديرا؛ والزيود، 2012 بواقع "15" مديرا؛ وعاشور، 2010 بواقع "180" مديرا؛ واللامي، 2008 "61" وكيلا؛ والحمران والعجلوني، 2009 بواقع "105" مديرين.
- أما من حيث المنهج فباستثناء دراسة (سنكار، 2013) التي اعتمدت على المنهج شبه التجريبي في تحقيق أهدافها، فإن بقية الدراسات السابقة، ومعها دراسة الباحث، اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي.
- أما ادوات الدراسة فجميع الدراسات السابقة، ومعها دراسة الباحث، فقد اعتمدت على الاستبيان لجمع المعلومات، باستثناء دراسة (اللامي، 2008) التي اعتمدت على المقابلة لجمع المعلومات من العينة.
- وبصورة عامة فقد استفاد الباحثان من الدراسات السابقة في كتابة الجانب النظري، وفقرات الاستبيان، والأسلوب، والطريقة.

إجراءات الدراسة:

أولاً: منهج الدراسة: اعتمد الباحثان على المنهج الوصفي التحليلي: لوصف مستوى الدور الذي يلعبه مديرو المدارس الأساسية في مديرية الضالع، في نشر ثقافة استعمال مستحدثات تقنيات المعلومات والاتصالات في العملية التعليمية من وجهة نظر المعلمين.

ثانياً: مجتمع وعينة الدراسة: يتكون مجتمع الدراسة من جميع معلمي ومعلمات مدارس التعليم الأساسي في مديرية الضالع البالغ عددهم (1050)⁽¹⁾ معلماً ومعلمة، لكن العاملين في المدارس بصورة فعلية من واقع سجلات التحضير ليسوا سوى (859) معلماً ومعلمة، موزعين على (33) مدرسة أساسية، ومن تلك المدارس تم اختيار (3) مدارس أساسية بصورة عشوائية عينة للدراسة، تمثل (10%) من مجموع المدارس، والمدارس المختارة هي: (مدرسة الشهيد الجريدي، ومدرسة الشهيد صالح أحمد ناصر الجلييلة، ومدرسة الشهيد السني الحود)، وقد بلغ عدد المعلمين والمعلمات في المدارس المختارة (85) معلماً ومعلمة، موزعين على المدارس كما هو مبين في الجدول رقم (1) الآتي:

جدول رقم (1) يبين عدد المعلمين والمعلمات في المدارس المختارة

الرقم	اسم المدرسة	عدد المعلمين		الإجمالي
		ذكور	إناث	
1	الشهيد الجريدي	13	18	31
2	الشهيد أحمد ناصر	11	16	27
3	الشهيد السني	9	18	27
	المجموع	33	52	85

وقد وزع الباحثان (70) استبانة، عادت منها (65) استمارة، وبنسبة استجابة بلغت 92%، وكانت الاستمارات الصالحة للتحليل الإحصائي (62) استمارة، ومن ثم فإن نسبة الاستبانات التي تم تحليلها من إجمالي الاستبانات بلغت 88% وهي نسبة عالية. والجدول رقم (2) الآتي يبين توزيع الاستمارات العائدة الصالحة للتحليل على المدارس عينة الدراسة.

¹ - إحصائية مكتب التربية والتعليم للعام 2014م.

جدول رقم (2) يبين توزيع الاستمارات العائدة الصالحة للتحليل على المدارس عينة الدراسة

الرقم	اسم المدرسة	عدد المعلمين		المنطقة التعليمية	الإجمالي
		ذكور	إناث		
1	الشهيد الجريدي	10	14	حضر	24
2	الشهيد أحمد ناصر	7	11	ريف	18
3	الشهيد السنهي	6	14	ريف	20
المجموع					62

خصائص عينة الدراسة:

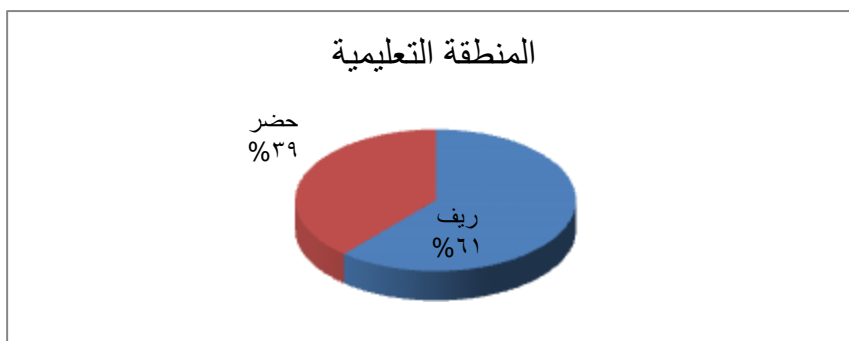
1- خاصية المنطقة التعليمية لأفراد عينة الدراسة: تم سؤال المبحوثين عن المنطقة التعليمية التي تقع مدرستهم فيها، وأعطوا إجابات عن ذلك مبينة في الجدول (3).

جدول رقم (3) يوضح توزيع عينة الدراسة حسب المنطقة التعليمية

النسبة المئوية %	التكرار	المنطقة التعليمية
61.2 %	38	ريف
38.8 %	24	حضر
100 %	62	الإجمالي

من خلال الجدول رقم (3) يلاحظ أن نسبة (66.1%) من إجمالي أفراد عينة الدراسة يقومون بالتدريس في مدارس ريفية، ونسبة (33.9%) من إجمالي أفراد عينة الدراسة يقومون بالتدريس في مدارس تقع في الحضر، والملاحظ أن عينة الدراسة توزعت بنسب متفاوتة لتشمل مناطق الريف والحضر التعليمية، والشكل (1) يبين توزيع أفراد عينة الدراسة حسب المنطقة التعليمية.

شكل (1) يبين توزيع أفراد عينة الدراسة حسب المنطقة التعليمية



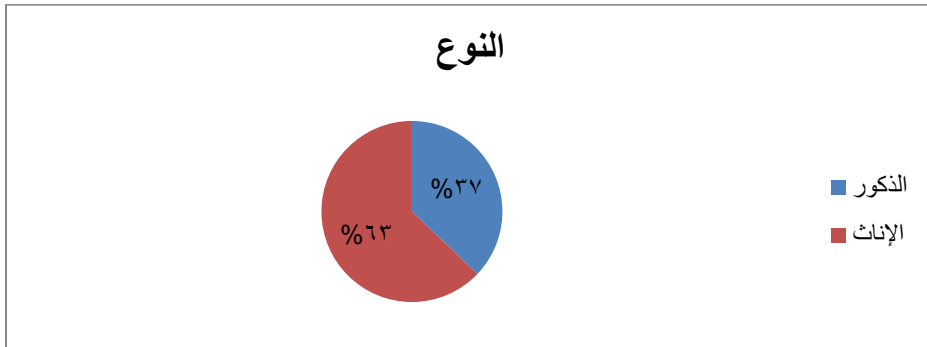
2- خاصية النوع: تم سؤال المبحوثين عن جنسهم، وأعطوا إجابات عن ذلك مبينة في الجدول (4)

جدول رقم (4) يوضح توزيع عينة الدراسة حسب النوع

النسبة المئوية %	التكرار	
38 %	23	ذكور
62 %	39	إناث
100 %	62	الإجمالي

من خلال الجدول رقم (4) يلاحظ أن نسبة (37.1%) من إجمالي أفراد عينة الدراسة ذكور، ونسبة (62.9%) من إجمالي أفراد عينة الدراسة إناث، والشكل (2) يعرض توزيع أفراد عينة الدراسة حسب النوع.

شكل رقم (2) توزيع أفراد العينة حسب النوع



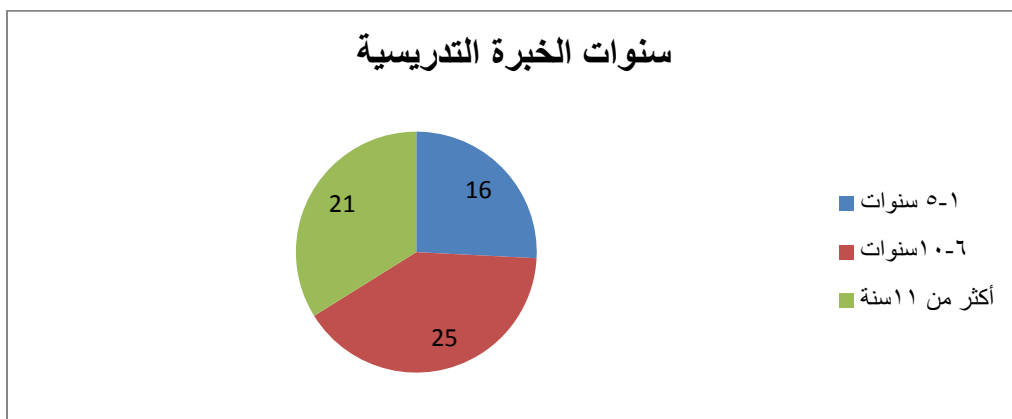
3- خاصية سنوات الخبرة لأفراد عينة الدراسة: تم سؤال المبحوثين عن خبرتهم التدريسية وأعطوا إجابات عن ذلك مبينة في الجدول (5).

جدول رقم (5) يوضح توزيع عينة الدراسة حسب الخبرة التدريسية

النسبة المئوية %	التكرار	فئات الخبرة العملية
25.3	16	1-5 سنوات
40.8	25	من 6-10 سنوات
33.9	21	11 سنة فأكثر
100	62	الإجمالي

من خلال الجدول رقم (5) يلاحظ أن نسبة (33.9%) من إجمالي أفراد عينة الدراسة تتراوح خبرتهم العملية ما بين 11 سنة فأكثر، ونسبة (40.8%) من إجمالي أفراد عينة الدراسة تتراوح خبرتهم العملية ما بين (6-10 سنوات)، ونسبة (25.3%) من إجمالي أفراد عينة الدراسة تتراوح خبرتهم العملية ما بين (1-5 سنوات)، والملاحظ أن العينة توزعت بنسب متفاوتة بين الخبرات التدريسية المختلفة، والشكل (3) يعرض خصائص أفراد عينة الدراسة حسب الخبرة التدريسية.

شكل (3) خصائص أفراد عينة الدراسة حسب سنوات الخبرة التدريسية



ثانياً؛ أداة الدراسة الميدانية: اعتمدت الدراسة على الاستبانة باعتبارها أداة رئيسية للحصول على البيانات والمعلومات اللازمة لموضوع الدراسة، وتحقيقاً للغرض السابق قام الباحثان بتصميم استمارة استقصاء (استبيان) تهدف إلى قياس رأي أفراد العينة حول مستوى الدور الذي يلعبه مديرو المدارس الأساسية في مديرية الضالع في نشر ثقافة استعمال مستحدثات تقنيات المعلومات والاتصالات في العملية التعليمية، وقد قسمت على النحو الآتي:

القسم الأول: اختص هذا القسم بالبيانات والمعلومات العامة (المتغيرات الديموغرافية) لعينة الدراسة، حيث تضمن ثلاثة متغيرات هي (النوع، المنطقة التعليمية، عدد سنوات الخبرة).

القسم الثاني: تضمن هذا القسم المعلومات الفنية، وينقسم إلى (3) مجالات:

أ- المجال الأول: الفقرات التي تمثل دور مديري المدارس الأساسية في مديرية الضالع في تشجيع المعلمين على استعمال مستحدثات تقنية المعلومات والاتصالات في العملية التعليمية، ويتضمن

هذا المجال (8) فقرات تقيس دور مديري المدارس الأساسية في مديرية الضالع في تشجيع المعلمين على استعمال مستحدثات تقنية المعلومات والاتصالات في العملية التعليمية.

ب- المجال الثاني: الفقرات التي تمثل مدى استخدام مديري المدارس الأساسية في مديرية الضالع لمستحدثات تقنية المعلومات والاتصالات في إدارتهم للعملية التعليمية التربوية، ويتضمن هذا المجال (6) فقرات تقيس مدى استعمال مديري المدارس الأساسية في مديرية الضالع لمستحدثات تقنية المعلومات والاتصالات في إدارتهم للعملية التعليمية التربوية.

ج- المجال الثالث: التشجيع على نشر الثقافة المعلوماتية الرقمية عموماً، ويتضمن هذا المجال (6) فقرات تقيس دور مديري المدارس الأساسية في مديرية الضالع في نشر الثقافة المعلوماتية الرقمية عموماً.

صدق أداة الدراسة: ولغرض معرفة صدق الأداة التي استعملت في جمع البيانات الأولية قام الباحثان بالتأكد من صدق الإداة بطريقتين، كما يأتي:

صدق المحكمين: وذلك بعرض الاستبانة في صورتها الأولية على مجموعة من المحكمين ملحق رقم (1)؛ للتحقق من مدى صدق محتوى الاستبانة وملاءمتها، ومناسبة كل فقرة للمجال الذي تنتمي إليه، وأجريت التعديلات بالحذف لبعض الفقرات، وإعادة الصياغة لبعضها الآخر، في ضوء آراء وملاحظات السادة المحكمين القيمة؛ من أجل الحكم على صحة ودقة ووضوح العبارات الواردة في فقرات الاستبانة، قبل أن تأخذ شكلها النهائي.

الصدق العاملي: وذلك من خلال تطبيق معادلة الصدق العاملي (الصدق العاملي = الجذر التربيعي لمعامل الثبات) وكانت النتيجة متضمنة في الجدول المخصص لعرض معاملات الثبات رقم (6).

ثبات أداة الدراسة: أجرى الباحثان اختبار الثبات بعد جمع البيانات باستعمال معامل (ألفا كرونباخ) للاتساق الداخلي، حيث بلغت قيمة ألفا كرونباخ لجميع فقرات الدراسة (0.801)، وهو معامل قوي يجعل من الاستبانة أداة مناسبة للبيانات التي تم جمعها بواسطتها، حيث بلغت قيمته لمجال دور مدير المدرسة في تشجيع المعلمين على استعمال مستحدثات تقنية

المعلومات والاتصالات في العملية التعليمية (0.710)، وبلغت قيمته لمجال استعمال مدير المدرسة لمستحدثات تقنية المعلومات والاتصالات في إدارته للعملية التعليمية التربوية (0.751)، وبلغت قيمته لمجال التشجيع على نشر الثقافة المعلوماتية الرقمية عموماً (0.852)، وهي معاملات قوية تجعل من الاستبانة أداة مناسبة لجمع البيانات المتعلقة بالدراسة، والجدول رقم (6) الآتي يوضح معاملات الثبات (ألفا كرونباخ) لمحاور الأداة ومجالاتها.

جدول رقم (6) معامل ثبات أداة الدراسة

الصدق العالمي	معامل ألفا كرونباخ	عدد الفقرات	المجالات
.842	.710	8	المجال الأول: دور مدير المدرسة في تشجيع المعلمين على استعمال مستحدثات تقنية المعلومات والاتصالات في العملية التعليمية
.870	.751	6	المجال الثاني: استعمال مدير المدرسة لمستحدثات تقنية المعلومات والاتصالات في إدارته للعملية التعليمية التربوية
.923	.852	6	المجال الثالث: التشجيع على نشر الثقافة المعلوماتية الرقمية عموماً
.894	.801	20	الاستبانة

خامساً: أساليب التحليل الإحصائي: لغرض تحليل البيانات المجمعة ميدانياً، تم استعمال برنامج التحليل الإحصائي (SPSS)، ومن أجل إدخال البيانات إلى الحاسوب تم ترميزها وفقاً لمقياس (ليكرت الخماسي)، حيث أعطي الرقم (5) للإجابة بـ (موافق تماماً) وهي أعلى درجات المقياس، وأعطى الرقم (4) للإجابة بـ (موافق)، وأعطى الرقم (3) للإجابة بـ (أوافق إلى حد ما)، وأعطى الرقم (2) للإجابة بـ (غير موافق)، والرقم (1) للإجابة بـ (غير موافق تماماً)، وهي أدنى درجات المقياس، كما استعمل الرقم (3) متوسطاً فرضياً للدراسة، ويحتسب من الصيغة:

$$. M = [1+2+3+4+5]/5=15/5 = 3$$

كما تم إيجاد المدى للمقياس، وهو الفرق بين أكبر قيمة وأصغر قيمة في المقياس، أي أن المدى (4 = 1-5)، كما تم إيجاد طول الخلية، وهو عبارة عن قسمة المدى على عدد الاستجابات، ويساوي (0.80)، أي أن طول الخلية = $5/4 = 0.80$ ، ولمعرفة الحدود الحقيقية للاستجابات تم إضافة طول الخلية إلى أدنى درجة في المقياس، فنتج الآتي:

1) إذا وقع الوسط الحسابي المحتسب من البيانات في المدى (1-1.79) فهذا يشير إلى انعدام المساهمة في نشر ثقافة استعمال مستحدثات تقنيات المعلومات والاتصالات تماماً (غير موافق تماماً).

2) إذا وقع الوسط الحسابي المحتسب من البيانات في المدى (1.80-2.59) فهذا يشير إلى ضعف الإسهام في نشر ثقافة استعمال مستحدثات تقنيات المعلومات والاتصالات (غير موافق).

3) إذا وقع الوسط الحسابي المحتسب من البيانات في المدى (2.60-3.39) فهذا يشير إلى درجة متوسطة للإسهام في نشر ثقافة استعمال مستحدثات تقنيات المعلومات والاتصالات (أوافق إلى حد ما).

4) إذا وقع الوسط الحسابي المحتسب من البيانات في المدى (3.40-4.19) فهذا يشير إلى درجة إسهام عالية في نشر ثقافة استعمال مستحدثات تقنيات المعلومات والاتصالات (موافق).

5) إذا وقع الوسط الحسابي المحتسب من البيانات في المدى (4.20-5) فهذا يشير إلى درجة إسهام عالية جداً في نشر ثقافة استعمال مستحدثات تقنيات المعلومات والاتصالات (موافق تماماً).

ولغرض الإجابة عن أسئلة الدراسة واختبار فرضياتها، تم الاعتماد على الرزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS)، في التحليل باستعمال مجموعة من الأساليب الإحصائية، أهمها:

1. مقاييس الإحصاء الوصفي (Descriptive Statistic Measures)؛ لوصف خصائص عينة الدراسة، اعتماداً على النسب المئوية والتكرارات، وكذلك الإجابة عن أسئلة الدراسة من خلال المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية.

2. اختبار ألفا كرونباخ (Alpha cronbach) لقياس ثبات أداة الدراسة.

3. الاختبار التائي (T-test)؛ لاختبار دلالة الفروق في متوسط الاستجابات؛ تبعاً لمتغير النوع.

4. الاختبار التائي (T-test)؛ لاختبار دلالة الفروق في متوسط الاستجابات؛ تبعاً لمتغير

المنطقة التعليمية.

5. اختبار تحليل التباين الأحادي لاختبار معنوية الفروق حول مجالات الدراسة باختلاف

سنوات الخبرة لأفراد عينة الدراسة.

عرض ومناقشة نتائج الدراسة:

تناول الباحثان في هذا الجزء الإجابة عن تساؤلات الدراسة، مع استعراض أهم النتائج التي ظهرت خلال تطبيق أداة الدراسة (الاستبانة)، وخاصة تحليل فقراتها؛ بهدف التعرف على مستوى إسهام المديرين في نشر ثقافة استعمال مستحدثات تقنيات المعلومات والاتصالات في المدارس الأساسية في مديرية الضالع، من وجهة نظر المعلمين، والخروج بتوصيات للعمل بها، ثم التحقق من فروض الدراسة لمعرفة علاقة مستوى إسهام المديرين في نشر ثقافة استعمال مستحدثات تقنيات المعلومات والاتصالات بمتغيرات الدراسة وهي: (النوع، المنطقة التعليمية، سنوات الخبرة). وللحصول على نتائج الدراسة تم إجراء المعالجات الإحصائية للبيانات الناتجة، من خلال تطبيق الأداة على عينة الدراسة، حيث استعمل الباحث برنامج الرزم الإحصائية للدراسات الاجتماعية. (SPSS) Statistical Package for Social Science وذلك باتباع الخطوات الآتية:

عرض نتيجة السؤال الأول ومناقشتها؛ نص السؤال الأول من أسئلة الدراسة على: ما مستوى إسهام مديري المدارس الأساسية في مديرية الضالع في نشر ثقافة استعمال مستحدثات تقنيات المعلومات والاتصالات؟

وللإجابة عن السؤال الأول تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، وتحديد درجة الإسهام على مستوى كل مجال من مجالات الاستبيان، كما يأتي:

المجال الأول: دور مدير المدرسة في تشجيع المعلمين على استعمال مستحدثات تقنية المعلومات والاتصالات في العملية التعليمية.

تضمن هذا المجال (8) فقرات، وكانت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لها متضمنة في الجدول رقم (8) الآتي:

جدول رقم (8) يعرض المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لفقرات المجال الأول

الرقم	فقرات المجال الأول	المتوسط	الانحراف المعياري	مستوى الإسهام
1	يشجع مدير المدرسة المعلمين على التواصل عبر مواقع التواصل والبريد الإلكتروني.	3.16	.772	متوسطة
2	يوجه مدير المدرسة المعلمين باستمرار بالتواصل عبر مواقع التواصل والبريد الإلكتروني.	2.69	.759	متوسطة
3	يطلب مدير المدرسة من المعلمين تزويده بنسخ إلكترونية من التقارير والخطط.	2.96	1.08	متوسطة
4	يطلب مدير المدرسة من المعلمين تزويده بنسخ مطبوعة من الاختبارات.	3.83	1.02	عالية
5	تسعى إدارة المدرسة إلى عقد دورات تدريبية للمعلمين حول استعمال المستحدثات التقنية في التعليم.	2.58	1.13	ضعيفة
6	يقوم مدير المدرسة بالبحث عن الروابط التعليمية المفيدة ونسخها إلى مجموعة التواصل الخاصة بالمدرسة	2.69	1.23	متوسطة
7	يسعى مدير المدرسة إلى الاستفادة القصوى من المعلمين الذين لديهم خبرة في استعمال المستحدثات التقنية في التعليم.	2.88	1.188	متوسطة
8	يحث مدير المدرسة المعلمين على إنشاء مجموعات تواصل ودعوة أولياء أمور الطلاب إليها.	3.79	.851	عالية
	المتوسط والانحراف الكلي للمجال	3.07	1.00	متوسطة

يتضح من النتيجة في الجدول رقم (8) السابق أن المتوسط الحسابي الكلي للمجال بلغ (3.076)، بانحراف معياري قدره (1.00)، وقيمة المتوسط تقع ضمن مستوى الإسهام المتوسطة لمديري المدارس الأساسية في مديرية الضالع في نشر ثقافة استعمال مستحدثات تقنيات المعلومات والاتصالات، وبصورة أكثر تفصيلاً، فإن الفقرات التي نالت أعلى المتوسطات في هذا المجال هي الفقرتان رقم: (4،8) بمتوسطات حسابية: (4.38؛ 3.79) على التوالي، وانحرافات معيارية: (1.02؛ 0.85) والمتوسطان الحسابيان يقعان ضمن مستوى الإسهام العالي لمديري المدارس الأساسية في مديرية الضالع في نشر ثقافة استعمال مستحدثات تقنيات المعلومات والاتصالات، أما الفقرات التي نالت أدنى المتوسطات في هذا المجال فهي الفقرات رقم: (5؛ 2؛ 6)،

ومتوسطاتها على التوالي: (2.58؛ 2.69؛ 2.69) وهي تقع ضمن مستوى المساهمة الضعيفة لمديري المدارس الأساسية في مديرية الضالع في نشر ثقافة استعمال مستحدثات تقنيات المعلومات والاتصالات، وتباعد الاستجابات التي بينها قيم الانحراف المعياري لفقرات هذا المجال ربما يكون بسبب تنوع المناطق التعليمية للمعلمين عينة الدراسة بين الريف والحضر، الأمر الذي أوجد تفاوتاً في إمكانية توافر المستحدثات التقنية، ومن ثم الإسهام في نشرها.

المجال الثاني: استعمال مدير المدرسة لمستحدثات تقنية المعلومات والاتصالات في إدارته

للعلمية التعليمية التربوية.

تضمن هذا المجال (6) فقرات، وكانت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لها متضمنة في الجدول رقم (9) الآتي:

جدول رقم (9) يعرض المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لفقرات المجال الثاني

الرقم	فقرات المجال الثاني	المتوسط	الانحراف المعياري	مستوى المساهمة
1	تستعمل إدارة المدرسة البريد الإلكتروني ومواقع التواصل في المشكلات مع الجهات والأفراد.	3.37	.927	متوسطة
2	لدى مدير المدرسة بريد إلكتروني خاص باستقبال الاقتراحات والشكاوي.	2.82	1.04	متوسطة
3	لدى المدرسة حساب على شبكات التواصل خاص بالإدارة المدرسية والمعلمين.	2.95	.965	متوسطة
4	لدى المدرسة حساب على شبكات التواصل خاص بالمعلمين وأولياء أمور الطلبة والشخصيات المؤثرة.	3.75	.935	عالية
5	يرسل مدير المدرسة دعوات الحضور للاجتماعات والفعاليات عن طريق موقع التواصل الخاص بالمدرسة	4.03	.767	عالية
6	تسعى إدارة المدرسة إلى توفير الحد الأدنى من المستحدثات التقنية كأجهزة الحاسوب والطابعات.	3.79	.812	عالية
	المتوسط والانحراف الكلي للمجال	3.45	0.90	عالية

يتضح من النتيجة في الجدول رقم (9) السابق أن المتوسط الحسابي الكلي للمجال بلغ (3.45)، بانحراف معياري قدره (0.90)، وقيمة المتوسط تقع ضمن مستوى الإسهام المتوسط لمديري المدارس الأساسية في مديرية الضالع في نشر ثقافة استعمال مستحدثات تقنيات المعلومات والاتصالات، وبصورة أكثر تفصيلاً، فإن الفقرات التي نالت أعلى المتوسطات في هذا المجال هي الفقرتان رقم: (6،5) بمتوسطات حسابية: (4.03، 3.79) على التوالي، وانحرافات معيارية: (1.02، 0.85) والمتوسطان الحسابيان يقعان ضمن مستوى الإسهام العالي لمديري المدارس الأساسية في مديرية الضالع في نشر ثقافة استعمال مستحدثات تقنيات المعلومات والاتصالات، أما الفقرات التي نالت أدنى المتوسطات في هذا المجال ومن ثم أدت إلى ضعف مستوى الإسهام فهي الفقرتان رقم: (2؛ 3) ومتوسطاتهما على التوالي: (2.82، 2.95)، وهي تقع ضمن مستوى الإسهام الضعيف لمديري المدارس الأساسية في مديرية الضالع في نشر ثقافة استعمال مستحدثات تقنيات المعلومات والاتصالات، ومضامين هاتين الفقرتين تتصل بأن لدى المدرسة حسابات على شبكات التواصل تخص المعلمين، والإدارة المدرسية، وأولياء الأمور، والشخصيات المؤثرة، ويرى الباحثان أن هذا ربما يعود إلى أن بعض المعلمين أفراد العينة ليس لديهم حسابات في شبكات التواصل، ما انعكس سلباً على استجاباتهم حول هذا الأمر.

المجال الثالث: التشجيع على نشر الثقافة المعلوماتية الرقمية عموماً: تضمن هذا المجال

(6) فقرات، وكانت متوسطاتها الحسابية والانحرافات المعيارية لها متضمنة في الجدول رقم (10)

الآتي:

جدول رقم (10) يعرض المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لفقرات المجال

الرقم	فقرات المجال الثالث	المتوسط	الانحراف المعياري	مستوى الإسهام
1	تشجع الإدارة المدرسية استعمال المستحدثات التقنية في تعزيز مهارات البحث العلمي.	2.96	1.05	ضعيفة
2	يستعمل مدير المدرسة مواقع التواصل في سبيل تسهيل التواصل مع المعلمين وتذليل الصعاب.	3.50	.762	عالية
3	يتولى المدير الإشراف والمتابعة لكل ما ينشر على مجموعة التواصل الخاصة بالمدرسة.	3.77	.930	عالية
4	يخصص المدير حافزا ماديا للمتميزين في إنجاز المهام التعليمية	2.77	1.04	متوسطة
5	يتابع مدير المدرسة الإدارات التربوية العليا لتدريب المعلمين على الاستعمال الأمثل لمستحدثات تقنيات المعلومات والاتصالات	3.14	1.03	متوسطة
6	يوجه مدير المدرسة المعلمين والإداريين بالتواصل عبر مواقع التواصل والبريد الإلكتروني.	3.37	1.01	متوسطة
	المتوسط والانحراف الكلي للمجال	3.25	0.97	متوسطة

يتضح من النتيجة في الجدول رقم (10) السابق أن المتوسط الحسابي الكلي للمجال بلغ (3.25)، بانحراف معياري قدره (0.974)، وقيمة المتوسط الحسابي تقع ضمن مستوى الإسهام المتوسط لدور مديري المدارس الأساسية في مديرية الضالع في نشر ثقافة استعمال مستحدثات تقنيات المعلومات والاتصالات عموما، أما الفقرات التي نالت أعلى المتوسطات في هذا المجال فهي الفقرتان رقم: (2،3) بمتوسطات حسابية: (3.50،3.77) على التوالي، والمتوسطان الحسابيان يقعان ضمن مستوى الإسهام العالي لمديري المدارس الأساسية في مديرية الضالع في نشر ثقافة استعمال مستحدثات تقنيات المعلومات والاتصالات، فيما نالت بقية الفقرات أدنى المتوسطات في هذا المجال وبالتالي أدت إلى ضعف مستوى الإسهام وهي الفقرات رقم: (1،4،5،6) و متوسطاتها تراوحت بين: (3.37 و 2.77) أعلى وأدنى متوسط، وهي تقع ضمن مستوى المساهمة

الضعيفة والمتوسطة لمديري المدارس الأساسية في مديرية الضالع في نشر ثقافة استخدام مستحدثات تقنيات المعلومات والاتصالات.

خلاصة نتيجة ومناقشة السؤال الأول: الجدول رقم (11) التالي يعرض المتوسطات والانحرافات الكلية، وكذا مستوى الإسهام للمجالات الثلاثة المتضمنة في الاستبيان أداة الدراسة.

جدول رقم (11) يعرض المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ومستوى الإسهام للمجالات الثلاثة وللاستبيان ككل.

الرقم	عنوان المجال	المتوسط	الانحراف المعياري	مستوى الإسهام
1	دور مدير المدرسة في تشجيع المعلمين على استعمال مستحدثات تقنية المعلومات والاتصالات في العملية التعليمية	3.07	1.00	متوسطة
2	استعمال مدير المدرسة لمستحدثات تقنية المعلومات والاتصالات في إدارته للعملية التعليمية التربوية	3.45	0.90	عالية
3	التشجيع على نشر الثقافة المعلوماتية الرقمية عموماً	3.25	0.97	متوسطة
	الاستبيان	3.26	0.96	متوسطة

يتضح من النتيجة المتضمنة في الجدول السابق رقم (11) أن المجال الثاني: استعمل مدير المدرسة لمستحدثات تقنية المعلومات والاتصالات في إدارته للعملية التعليمية التربوية نالت أعلى المتوسطات (3.45)، ويقع ضمن مستوى الإسهام العالي، فيما المجال الأول والثالث بلغت متوسطاتهما: (3.07، 3.25) وهي تقع ضمن مستوى الإسهام المتوسط لمديري المدارس الأساسية في مديرية الضالع في نشر ثقافة استعمال مستحدثات تقنيات المعلومات والاتصالات، وكذلك الحال بالنسبة إلى المجالات الثلاثة مجتمعة فإن لمتوسط الحسابي بلغ (3.26)، بانحراف معياري (0.96) ضمن مستوى الإسهام المتوسط وقيمة المتوسط الحسابي تندرج ضمن الإسهام المتوسط.

عرض ومناقشة نتيجة السؤال الثاني:

نص السؤال الثاني من أسئلة الدراسة على: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند

مستوى دلالة (0.05) بين متوسطات مستوى الإسهام في نشر ثقافة استعمال مستحدثات تقنيات

المعلومات والاتصال تعزى إلى متغيرات: (النوع/المنطقة التعليمية/ سنوات الخبرة)؟

وقد وضع الباحثان اجابة مبدئية عن السؤال الثاني من أسئلة الدراسة تمثل فرضية صفرية، نصت على:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) بين متوسطات مستوى الإسهام في نشر ثقافة استعمال مستحدثات تقنيات المعلومات والاتصال تعزى إلى متغيرات: (النوع/ المنطقة التعليمية/ سنوات الخبرة)، وسيتم التأكد من صحة هذه الفرضية على ثلاث مراحل بحسب المتغيرات المتضمنة في السؤال، كما يأتي:

أولاً: بحسب متغير النوع: تم حساب القيمة التائية (T- test) بحسب متغير النوع عند درجات حرية (60)، ومستوى دلالة (0.05) وكانت النتيجة متضمنة في الجدول رقم (12) الآتي:

جدول رقم(12) يعرض القيمة التائية والقيمة الاحتمالية بحسب متغير النوع للمجالات الثلاثة

القيمة الاحتمالية	T	درجات الحرية	الانحراف المعياري	المتوسط	العدد	متغير النوع	المجال
.864	.172	60	.24777	3.09	23	ذكر	دور مدير المدرسة في تشجيع المعلمين على استخدام تقنية المعلومات والاتصالات في العملية التعليمية
			.67060	3.06	39	أنثى	
.112	1.61	60	.26508	3.57	23	ذكر	استعمال مدير المدرسة لمستحدثات تقنية المعلومات والاتصالات في إدارته للعملية التعليمية التربوية
			.51887	3.38	39	أنثى	
.585	.549	60	.57142	3.31	23	ذكر	التشجيع على نشر الثقافة المعلوماتية الرقمية عموماً
			.64474	3.22	39	أنثى	
.520	.777	60	.58231	3.32	23	ذكر	الاستبيان
			.64474	3.22	39	أنثى	

تبين النتيجة في الجدول السابق رقم(12) أن القيم التائية للمجالات الثلاثة الأول والثاني والثالث على التوالي هي: (0.172 ، 1.61 ، 0.549) وقيمها الاحتمالية هي على التوالي أيضاً: (0.864 ، 0.112 ، 0.585)، وهي أكبر من قيمة مستوى الدلالة المعتمد في تحليل بيانات الدراسة، وعلى مستوى الاستبيان ككل كانت القيمة التائية (0.777) وقيمها الاحتمالية (0.520) وهي اقل من مستوى

الدلالة (0.05) ومن ثم فإن الفروق في متوسطات استجابات الذكور والإناث لم تكن ذات دلالة إحصائية وأن الفروق الطفيفة الظاهرية إنما كانت محض مصادفة فقط.
ثانياً: بحسب متغير المنطقة التعليمية، تم حساب القيمة التائية (T-test) بحسب متغير المنطقة التعليمية عند درجات حرية (60)، ومستوى دلالة (0.05)، وكانت النتيجة متضمنة في الجدول رقم (13) الآتي:

جدول رقم (13) يعرض القيمة التائية والقيمة الاحتمالية بحسب متغير المنطقة التعليمية.

القيمة الاحتمالية	T	درجات الحرية	الانحراف المعياري	المتوسط	العدد	المنطقة التعليمية	المجال
.032	2.19	60	.619	3.18	41	ريف	دور مدير المدرسة في تشجيع المعلمين على استعمال تقنية المعلومات والاتصالات في العملية التعليمية
			.294	2.80	21	حضر	
.416	.819	60	.516	3.48	41	ريف	استعمال مدير المدرسة لمستحدثات تقنية المعلومات والاتصالات في إدارته للعملية التعليمية التربوية
			.270	3.38	21	حضر	
.557	.591	60	.743	3.28	41	ريف	التشجيع على نشر الثقافة المعلوماتية الرقمية عموماً
			.206	3.19	21	حضر	
0.335	1.20	60	0.628	3.31	41	ريف	الاستبيان
			0.254	3.12	21	حضر	

تبين النتيجة في الجدول السابق رقم (13) أن القيم التائية للمجالات الثلاثة الأول والثاني والثالث على التوالي هي: (2.19؛ 0.819؛ 0.591) وقيمها الاحتمالية هي على التوالي أيضاً: (0.032، 0.416، 0.557)، وتشير إلى أنه باستثناء القيمة الاحتمالية للمجال الأول: (دور مدير المدرسة في تشجيع المعلمين على استعمال مستحدثات تقنية المعلومات والاتصالات في العملية التعليمية) كانت ذات دلالة إحصائية، إذ أن قيمتها أصغر من (0.05)، لأن القيمتين الاحتماليتين للمجالين الثاني والثالث تبيينان أن الفروقات لم تكن ذات دلالة إحصائية إذ أن قيمها أكبر من (0.05)، ومن ثم فإننا نرفض الفرضية الصفرية بالنسبة إلى المجال الأول، ونقبل الفرضية البديلة، فيما نقبل الفرضية الصفرية بالنسبة إلى المجالين الثاني والثالث، أما على مستوى المجالات الثلاثة (الاستبيان ككل) فإن القيمة التائية بلغت (1.20)، وقيمها الاحتمالية (0.335)، وهي أكبر من قيمة مستوى الدلالة (0.05)، ومن ثم فإن الفروق على المستوى الكلي لم تكن ذات دلالة إحصائية.

ثالثا: بحسب متغير سنوات الخبرة التدريسية: تم إجراء تحليل التباين الأحادي بحسب متغير سنوات الخبرة التدريسية عند مستوى دلالة (0.05) وكانت النتيجة متضمنة في الجدول رقم (14) الآتي:
جدول رقم (14) يعرض نتيجة تحليل التباين الأحادي بحسب متغير سنوات الخبرة التدريسية.

القيمة الاحتمالية	قيمة F	متوسط المربعات	درجات الحرية	مجموع المربعات	مصدر التباين	المجال
.864	.030	.009	1	.009	بين المجموعات	تشجيع المعلمين على استعمال المستحدثات التقنية
		.307	60	18.439	داخل المجموعات	
			61	18.449	المجموع	
.112	2.601	.511	1	.511	بين المجموعات	استعمال الإدارة المدرسية للمستحدثات التقنية
		.196	60	11.777	داخل المجموعات	
			61	12.287	المجموع	
.585	.302	.116	1	.116	بين المجموعات	التشجيع على نشر الثقافة المعلوماتية
		.383	60	22.980	داخل المجموعات	
			61	23.095	المجموع	
0.520	0.977	0.212	1	0.212	بين المجموعات	الاستبيان
		0.295	60	17.73	داخل المجموعات	
			61	17.94	المجموع	

النتيجة في الجدول السابق رقم (14) تبين أن القيم الفائية للمجالات الثلاثة الأول والثاني والثالث على التوالي هي: (0.302, 2.60, 0.030) وقيمها الاحتمالية على التوالي أيضا: (0.864, 0.112, 0.585) والقيم الاحتمالية الثلاث أكبر من مستوى الدلالة المعتمد في التحليل، وهو (0.05)، وكذلك الحال بالنسبة إلى المجالات الثلاثة (الاستبيان ككل) بلغت القيمة الفائية (0.977)، وقيمها الاحتمالية (0.520)، وهي أكبر من قيمة مستوى الدلالة (0.05) ومن ثم فإن الفروقات بين متوسطات الاستجابة بحسب متغير سنوات الخبرة التدريسية لم تكن ذات دلالة إحصائية، ويرى الباحثان أنها نتيجة تشير إلى صدق استجابات الباحثين عينه الدراسة من المعلمين، بغض النظر عن اختلاف سنوات خبراتهم التدريسية.

الاستنتاجات العامة:

1. استخدام مدير المدرسة لمستحدثات تقنية المعلومات والاتصالات في إدارته للعملية التعليمية التربوية نالت أعلى المتوسطات (3.45)، ويقع ضمن المستوى العالي، في حين أن المجالين الأول والثالث كانت متوسطاتهما: (3.07، 3.25) ويقعان ضمن مستوى الإسهام المتوسط لمديري المدارس الأساسية في مديرية الضالع في نشر ثقافة استعمال مستحدثات تقنيات المعلومات والاتصالات.
2. الفروق في متوسط استجابات الذكور والإناث لم تكن ذات دلالة إحصائية، وأن الفروق الطفيفة الظاهرية إنما كانت محض مصادفة فقط.
3. باستثناء القيمة الاحتمالية للمجال الأول: (دور مدير المدرسة في تشجيع المعلمين على استعمال مستحدثات تقنية المعلومات والاتصالات في العملية التعليمية) كانت تلك القيم ذات دلالة إحصائية، إذ إن قيمتها أصغر من (0.05) لأن القيمتين الاحتماليتين للمجالين الثاني والثالث تبينان أن الفروقات لم تكن ذات دلالة إحصائية، إذ إن قيمها أكبر من (0.05)، ومن ثم فإننا نرفض الفرضية الصفرية بالنسبة إلى المجال الأول، ونقبل الفرضية البديلة، فيما نقبل الفرضية الصفرية بالنسبة إلى المجالين الثاني والثالث.
4. الفروقات بين متوسطات الاستجابة بحسب متغير سنوات الخبرة التدريسية لم تكن ذات دلالة إحصائية.

التوصيات:-

في ضوء نتائج الدراسة يوصي الباحثان بالآتي:

1. الاستفادة من مستحدثات تقنيات المعلومات في ممارسة المهام الإدارية وتنفيذ المهام المناطة بالإدارات المدرسية، خاصة أن معظمها مجانية الاستعمال وقليلة التكلفة.
2. التنسيق مع الإدارات التربوية العليا لتوفير ما يمكن توفيره من التجهيزات كأجهزة الحاسوب وملحقاتها وخدمة الإنترنت الشبكية.
3. تخصيص حوافز مادية ومعنوية للمعلمين والإداريين المبادرين في استعمال المستحدثات التقنية في أداء مهامهم.

المقترحات: في ضوء نتائج الدراسة يقترح الباحثان:

1. إجراء دراسة تتناول اتجاهات مديري المدارس الأساسية نحو استعمال المستحدثات التقنية في المدارس.
2. إجراء دراسة مشابهة للدراسة الحالية في المدارس الثانوية في محافظة الضالع.

الملاحق:

3. ملحق (1) بيانات السادة المحكمين

الرقم	الاسم	الدرجة والتخصص	الكلية التي يعمل فيها
1	صالح أحمد الشعبي	أ.مشارك/ علم الاجتماع	التربية الضالع
2	محمد سيف العيفري	أ.مساعد/ مناهج وطرق تدريس	التربية الضالع
3	محمد مسعد العودي	أ.مشارك/ اللغة العربية	التربية الضالع
4	عبده أحمد محمد	أ.مشارك/ الإدارة والإشراف	التربية عدن
5	عادل عبد المجيد علوي	أستاذ الإدارة والإشراف	التربية عدن
6	سيناء المنصوري	أ.مشارك/ مناهج وطرق تدريس	التربية عدن
7	مصطفى علي الحاج	أ. مساعد/ مناهج وطرق تدريس	التربية الضالع
8	عبد الرحيم صالح عبدالله	أ.مساعد/ اللغة العربية	التربية الضالع

ملحق (2)

الاستبيان بصورته الأولية

المحترمون

السادة المحكمون

حياكم الله وبعد

يقوم الباحثان بإجراء دراسة تهدف إلى معرفة مستوى الدور الذي يلعبه مديرو المدارس في نشر ثقافة استعمال مستحدثات تقنية المعلومات والاتصالات في العملية التعليمية من وجهة نظرکم.

والاستبيان الذي بين أيديکم يمثل أداة الدراسة لجمع المعلومات عن ذلك، نأمل منکم مراجعة الاستبيان للحکم على صلاحية فقراته، ومدى انتمائها إلى المجالات، وذلك بالحذف أو التعديل أو الإضافة.

شاكرين لکم تفضلکم بتحکيم الاستبيان

الباحثان/

الرقم	فقرات المجال الأول: تشجيع المعلمين على استخدام مستحدثات تقنيات المعلومات والاتصالات	مناسبة	غير مناسبة	التعديل المقترح
1	يشجع مدير المدرسة المعلمين على التواصل عبر مواقع التواصل والبريد الإلكتروني.			
2	يوجه المدير المعلمين باستمرار بالتواصل عبر مواقع التواصل أو البريد الإلكتروني.			
3	يطلب المدير من المعلمين تزويدهم بالتقارير والخطط اللازمة إلكترونياً.			
4	يطلب المدير المعلمين بتسليم الإدارة نسخاً مطبوعة من الاختبارات.			
5	تسعى إدارة المدرسة إلى عقد دورات تدريبية للمعلمين على استعمال المستحدثات التقنية في التعليم.			
6	يقوم المدير بالبحث المستمر عن الروابط التعليمية المهمة ونسخها في مجموعة المدرسة.			
7	يسعى مدير المدرسة إلى الاستفادة القصوى من المعلمين الذين لديهم خبرات ومهارات استعمال المستحدثات التقنية في التعليم .			
8	تستعمل الإدارة المدرسية مواقع التواصل والبريد في حل المشكلات مع الجهات والأفراد.			
9	يحث مدير المدرسة المعلمين على إنشاء مجموعات تواصل ودعوة أولياء أمور الطلبة إليها.			
فقرات المجال الثاني: استعمال الإدارة المدرسية لمستحدثات تقنيات المعلومات والاتصالات				
1	لدى مدير المدرسة بريد إلكتروني خاص باستقبال الاقتراحات والشكاوى.			
2	لدى المدرسة حساب على شبكات التواصل خاص بالإدارة المدرسية والمعلمين.			
3	لدى المدرسة حساب على شبكات التواصل خاص بالمعلمين وأولياء الأمور والشخصيات الاجتماعية المؤثرة.			
4	يرسل المدير دعوات الحضور للاجتماعات والفعاليات عن طريق مجموعة التواصل الخاصة بالمدرسة.			
5	تسعى إدارة المدرسة إلى توفير الحد الأدنى من أجهزة الحاسوب والطابعات.			

فقرات المجال الثالث : التشجيع على نشر الثقافة المعلوماتية الرقمية			
1	تشجع الإدارة المدرسية على استعمال المستحدثات التقنية في تعزيز مهارات البحث العلمي في المدرسة.		
2	يستعمل مدير المدرسة مواقع التواصل في سبيل تسهيل تفاعل المعلمين وتذليل الصعوبات.		
3	يتولى المدير الإشراف والمتابعة لما ينشر في مجموعة التواصل الخاصة بالمدرسة.		
4	يخصص المدير حافزا ماديا للمتميزين في إنجاز المهام التعليمية إلكترونيا.		
5	يتابع المدير الإدارات التربوية العليا لتدريب المعلمين على الاستعمال الأمثل للمستحدثات التقنية.		
6	يوجه المدير المعلمين والإداريين بالتواصل عبر مواقع التواصل والبريد الإلكتروني.		

ملحق (3)

الاستبيان بصورته النهائية

الإخوة / معلمو ومعلمات مرحلة التعليم الأساسي في مدارس مديرية الضالع المحترمون

حياكم الله وبعد

يقوم الباحثان بإجراء دراسة تهدف إلى معرفة مستوى الدور الذي يلعبه مديرو المدارس في نشر ثقافة استعمال مستحدثات تقنية المعلومات والاتصالات في العملية التعليمية من وجهة نظرهم. والاستبيان الذي بين أيديكم يمثل أداة الدراسة لجمع المعلومات عن ذلك، علما بأن إجاباتكم ستحاط بالسرية التامة، ولا تستعمل إلا لأغراض البحث فقط.

ونأمل منكم توشي الدقة في الإجابة على فقرات الاستبيان بوضع إشارة (√) أمام كل فقرة من فقرات الاستبيان، تحت درجة الإجابة التي ترونها مناسبة، كما هو موضح في المثال الآتي:

الرقم	الفقرة	أوافق بدرجة كبيرة	أوافق	أوافق بدرجة متوسطة	لا أوافق	لا أوافق بدرجة كبيرة
1	يشجع مدير المدرسة المعلمين على التواصل عبر مواقع التواصل والبريد الإلكتروني		√			

شاكرين لكم تعاونكم

الباحثان/

القسم الأول: المعلومات الديموغرافية:

11 سنة فاكثر	10-6 سنوات	5-1 سنوات	سنوات الخبرة التدريسية

حضر	ريف	المنطقة التعليمية	أنثى	ذكر	الجنس

القسم الثاني: مجالات الاستبيان

لا أوافق بدرجة كبيرة	لا أوافق	أوافق بدرجة متوسطة	أوافق	أوافق بدرجة كبيرة	الرقم	فقرات المجال الأول: تشجيع المعلمين على استعمال مستحدثات تقنيات المعلومات والاتصالات
					1	يشجع مدير المدرسة المعلمين على التواصل عبر مواقع التواصل والبريد الإلكتروني.
					2	يوجه المدير المعلمين باستمرار بالتواصل عبر مواقع التواصل أو البريد الإلكتروني.
					3	يطلب المدير من المعلمين تزويدهم بالتقارير والخطط اللازمة إلكترونيا
					4	يطلب المدير المعلمين بتسليم الإدارة نسخاً مطبوعة من الاختبارات
					5	تسعى إدارة المدرسة إلى عقد دورات تدريبية للمعلمين على استعمال المستحدثات التقنية في التعليم.
					6	يقوم المدير بالبحث المستمر عن الروابط التعليمية المهمة ونسخها في مجموعة المدرسة
					7	يسعى مدير المدرسة إلى الاستفادة القصوى من المعلمين الذين لديهم خبرات ومهارات استعمال المستحدثات التقنية في التعليم
					8	تستعمل الإدارة المدرسية مواقع التواصل والبريد في حل المشكلات مع الجهات والأفراد.
					9	يحث مدير المدرسة المعلمين على إنشاء مجموعات تواصل ودعوة أولياء أمور الطلبة إليها

					فقرات المجال الثاني: استعمال الإدارة المدرسية لمستحدثات تقنيات المعلومات والاتصالات
					1 لدى مدير المدرسة بريد الكتروني خاص باستقبال الاقتراحات والشكاوى.
					2 لدى المدرسة حساب على شبكات التواصل خاص بالإدارة المدرسية والمعلمين.
					3 لدى المدرسة حساب على شبكات التواصل خاص بالمعلمين وأولياء الأمور والشخصيات الاجتماعية المؤثرة.
					4 يرسل المدير دعوات الحضور للاجتماعات والفعاليات عن طريق مجموعة التواصل الخاصة بالمدرسة.
					5 تسعى إدارة المدرسة إلى توفير الحد الأدنى من أجهزة الحاسوب والطابعات.
					فقرات المجال الثالث : التشجيع على نشر الثقافة المعلوماتية الرقمية
					1 تشجع الإدارة المدرسية على استعمال المستحدثات التقنية في تعزيز مهارات البحث العلمي في المدرسة
					2 يستعمل مدير المدرسة مواقع التواصل في سبيل تسهيل تفاعل المعلمين وتذليل الصعوبات.
					3 يتولى المدير الإشراف والمتابعة لما ينشر في مجموعة التواصل الخاصة بالمدرسة
					4 يخصص المدير حافزا ماديا للمتميزين في إنجاز المهام التعليمية إلكترونيا.
					5 يتابع المدير الإدارات التربوية العليا لتدريب المعلمين على الاستعمال الأمثل للمستحدثات التقنية.
					6 يوجه المدير المعلمين والإداريين بالتواصل عبر مواقع التواصل والبريد الإلكتروني.

المصادر والمراجع باللغة العربية:

1. أبورييع، ابتسام أحمد طه (2015): مستوى إدراك مديري المدارس الأساسية الخاصة لأهمية تكنولوجيا التعليم وعلاقته بمستوى توظيف المعلمين لهذه التكنولوجيا من وجهة نظر المعلمين في محافظة العاصمة عمان، رسالة ماجستير، إدارة وقيادة تربوية، قسم الإدارة والمناهج، كلية العلوم التربوية، جامعة الشرق الأوسط.
2. الحمران، محمد خالد والعجلوني، خالد إبراهيم (2009): دراسة مسحية لواقع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في المدارس الاستكشافية في الأردن، مجلة اتحاد الجامعات العربية للتربية وعلم النفس، المجلد (7)، العدد (2)، ص 252-287.
3. الداود، عبد الرحمن بن حمد (1413هـ): مجالات استخدام الحاسب الآلي في أعمال الإدارة المدرسية من وجهة نظر الإداريين والمعلمين، رسالة ماجستير، الرياض، كلية التربية، جامعة الملك سعود.
4. الزبيدي، سلمان عاشور (1988): اتجاهات في تربية الطفل، (ط1) عمان: دار أنس للنشر.
5. الزيود، ماجد محمد (2012): درجة ممارسة تكنولوجيا المعلومات وعلاقتها بالإبداع الإداري لدى مديري المدارس الثانوية الحكومية في مملكة البحرين، مجلة العلوم التربوية والنفسية، البحرين، المجلد (13)، العدد (2)، ص 13-41.
6. الشناق، عبد السلام (2008): دور الإدارة المدرسية في توظيف برامج تكنولوجيا المعلومات لخدمة العملية التعليمية في المدارس الاستكشافية الأردنية، أطروحة دكتوراه، جامعة عمان العربية، عمان-الأردن.
7. الصرايرة، خالد أحمد وأبو حميد، عاطف محمد (2016): دور الإدارة المدرسية في نشر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في المجتمع المدرسي من وجهة نظر مساعدي مديري المدارس دراسات، مجلة العلوم التربوية، المجلد (43)، ملحق (4)، ص 1483-1501.
8. عاشور، م. ع (2010): درجة استخدام مديري ومديرات المدارس الثانوية في محافظة إربد للتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد خاص، ص 259-287.
9. العويرضي، عبد الرحمن بن عبد الله بن عتيق (1418هـ): أهم العوامل المؤثرة في فاعلية أداء مديري المدارس الابتدائية في منطقة الرياض التعليمية، رسالة ماجستير، قسم الإدارة التربوية، كلية التربية، جامعة الملك سعود، الرياض.

10. اللامي، عوض بن علي (1429هـ): واقع استخدام تطبيقات الحاسب الآلي في الإدارة المدرسية من وجهة نظر مديري وكلاء المدارس الثانوية بمحافظة الخبر، رسالة ماجستير، قسم القيادة والإدارة التربوية، كلية التربية، الجامعة الخليجية، البحرين.
11. مساد، عمر حسن (2005): الإدارة المدرسية، (ط1)، عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع.

المصادر والمراجع باللغة الاجنبية:

1. Bobbera , R. L. (2013). Developing the Principal's Capacity to Lead Technology Integration within The School: an Action Research Study, Unpublished Dissertation Doctor of Education, Capella University.
2. Chang, I.-H. (2012). The Effect of Principals' Technological Leadership on Teachers' Technological Literacy and Teaching Effectiveness in Taiwanese Elementary, Educational Technology and Society, 15(2): 328-340.
3. Leithwood, K. and Jantzi, D. (2006). Transformational School Leadership for Large-Scale Reform: Effects on students teachers, and their classroom practices, School Effectiveness and School Improvement, 7(2): 201-22
4. Sincar, M. (2013). Challenges School Principals Facing in the Context of Technology Leadership, Educational Sciences: Theory and Practice, 12(2): 1273-1284.



الإدارة البيئية للنفايات الصلبة في مدينة ذمار

د. فهد محمد محمد الضلعي*

الملخص:

تعاني مدينة ذمار كغيرها من معظم مدن دول العالم الثالث من تزايد سكاني، ترافقه زيادة في كمية النفايات الناجمة عن الأنشطة السكانية المتنوعة، وفي ظل الظروف الصعبة، وتدني إمكانيات التعامل مع هذه المخلفات، فإنها تمثل مشكلة حقيقية وتحدياً قومياً كبيراً، إذ يشكل التزايد المستمر في حجمها وتراكمها بشكل فوضوي، سواء في نقاط التجميع أم في المقلب، كثيراً من الأثار والمخاطر على البيئة والصحة العامة، في حين أنها قد تصبح مورداً اقتصادياً مهماً، إذا تم التعامل معها بالطرق السليمة، من خلال إعادة تدويرها للاستفادة من كثير من مكوناتها من المواد، والمعادن القابلة لإعادة التدوير والاستعمال.

Environmental Management of Solid Waste in Dhamar City

Dr. Fahd Mohammed M. Al-Dhelei

Abstract:

Likewise, most of the DCs , Dhamar City has observed an increase of the rate of the population that lead to the increase of the waste mainly the solid waste as a result of

* أستاذ البيئة والموارد المساعد - قسم الجغرافيا- كلية الآداب - جامعة ذمار - الجمهورية اليمنية.

inhabitants activities. This represents a real and a national problem in how to deal with these wastes in such hard present economic circumstances. The study aims at detecting the environmental reality of solid waste in the city of Dhamar, assessing the efficiency of its collection and its impact on the urban environment of the city, as well as calculating the amount of waste generated, its average density and its components in the six different sectors of the city, and ensuring that it can be recycled and reused, highlight the role of the mechanism of handling and recycling in the preservation of the environment and ensure the environmental sustainability of future generations. The study methodology includes a field work and a questioner.

As a result the study shows that the accumulation of these wastes either at collection places or in the dumps has become dangerous on both: the environment and the public health. In fact, these wastes can become an important economic resource, if properly handled, and recycled to take advantages of their components of materials and minerals.

مقدمة عامة:

تعد مشكلة النفايات الصلبة من القضايا البيئية المهمة التي تواجهها المجتمعات العالمية، لاسيما المجتمعات الحضرية؛ نظراً إلى التزايد السكاني المستمر، والأنشطة التنموية المرتبطة به، مما يعني حاجة المدن الملحة إلى إدارة بيئية محكمة تدير مخلفاتها؛ لتفادي ما ينتج عنها من مخاطر تهدد البيئة الطبيعية ومواردها، سواء المائية أم الأرضية أم الهوائية، وما ينتج عن ذلك ويؤثر سلباً على كل النظم الأيكولوجية السائدة، وصحة الإنسان في بيئته الحضرية، وعليه أصبحت الحاجة ملحة لوضع الأطر والضوابط البيئية والحضرية، وتفعيل الإستراتيجيات التي تدعم أساسيات التخطيط الحضري والبيئي؛ لإدارة النفايات الصلبة الحضرية.

مشكلة الدراسة:

تعد مشكلة النفايات الصلبة من مخلفات منزلية، وصناعية، وزراعية، وطبية من أهم المشاكل التي تواجه الإدارة المحلية في جميع المدن اليمنية عموماً، ومدينة ذمار خصوصاً، ويزداد

خطر هذه المشكلة مع التزايد المتسارع لعدد السكان، وتغير أساليب العيش، وأنماط الاستهلاك، ومحدودية الأراضي الملائمة لطمر النفايات، وارتفاع تكاليف جمعها والتخلص منها.

وهذا البحث يسعى إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- 1- ما الواقع البيئي للنفايات الصلبة في مدينة ذمار؟
- 2- ما مدى كفاءة الآلية المتبعة للتعامل مع هذه النفايات؟
- 3- كيف يمكن الاستفادة من نفايات المدينة او إعادة تدويرها؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن الواقع البيئي للنفايات الصلبة في مدينة ذمار، وتقييم مدى كفاءة جمعها، وتأثيرها على البيئة الحضرية للمدينة، فضلاً عن حساب كمية النفايات المتولدة ومتوسط كثافتها ومكوناتها في قطاعات المدينة الستة المختلفة، والتأكد من إمكانية تدويرها وإعادة استعمالها، وإبراز الدور الذي تؤديه آلية التعامل معها، وإعادة تدويرها في الحفاظ على البيئة، وضمان الاستدامة البيئية للأجيال القادمة.

أهمية البحث:

تتمثل أهمية هذا البحث في تحقيق كثير من الفوائد، من خلال الإدارة البيئية للنفايات الصلبة، والاستفادة منها، وحماية البيئة من أخطارها، فضلاً عن مردوداتها الإيجابية على المجتمع؛ بيئياً، وعمرانياً، واقتصادياً، واجتماعياً، الأمر الذي يسهم في إيجاد موارد تنمية مستدامة في المدينة، ويتمثل ذلك في الآتي:

- الحفاظ على التوازن البيئي.
- تحقيق كثير من الفوائد الاقتصادية والاجتماعية.
- تقليص كمية النفايات الصلبة والتخفيف من أثارها وأضرارها على الإنسان والبيئة.
- الحد من توسع مكب النفايات داخل الحرم الجامعي الناتج عن الزيادة المطردة للنفايات.

طرق جمع البيانات:

تم جمع البيانات بالطرق الآتية:

* العمل المكتبي الأولي:

- يتضمن جمع البيانات والمعلومات من المصادر المكتبية، المتمثلة في الكتب والأبحاث والدوريات، التي لها علاقة بموضوع الدراسة، فضلاً عن النشرات والتقارير الصادرة عن الجهات الرسمية في اليمن، مثل وزارة المياه والبيئة، والهيئة العامة لحماية البيئة، ومكتب التحسين بدمار، وغيرها.

- إعداد خطة العمل الميداني.

- إعداد استمارة الاستبيان لمجتمع الدراسة.

* النزول الميداني:

سعى هذا البحث إلى الاستفادة من العمل الميداني في مؤداه على مراحل متعددة طوال

مدة الدراسة، من خلال الآتي :

(1) زيارة شاملة لمنطقة الدراسة، تم فيها التعرف على الحدود المكانية للمدينة.

(2) التأكد من حجم المخلفات المنتجة والمرفوعة في جميع أنحاء المدينة، وكذا فاعلية الجهة المسؤولة عن إدارة المخلفات الصلبة.

(3) التحقق الميداني ومطابقة جميع العناصر (الألات، المعدات، العمال) التي يتم بها جمع النفايات والتخلص منها في منطقة الدراسة.

(4) معرفة الطرق المتبعة في التخلص من تلك المخلفات وتأثيرها على البيئة، ومدى تأثير

العاملين بمقلب النفايات، والسكان المجاورين له، والأرض الزراعية المجاورة.

أولاً: الموقع والمساحة: تقع مدينة ذمار في إقليم المرتفعات الوسطى اليمنية، على دائرة العرض 14.571 درجة شمالاً، وخط الطول 44.390 درجة شرقاً، وهي بهذا الموقع تقع ضمن الإقليم المداري في نصف الكرة الشمالي، وتبعد عن خط الاستواء شمالاً بحوالي (14.571) درجة عرضية، وتبعد عن مدار السرطان جنوباً بحوالي (9) درجات عرضية. وتبلغ مساحتها 30 كم² تقريباً⁽¹⁾.

ثانياً: الواقع البيئي للنفايات الصلبة في مدينة ذمار: تتمثل النفايات الصلبة في المخلفات الناتجة عن الأنشطة المعيشية والتنموية لسكان المجتمعات البشرية في المواقع التي يستقرون بها، والأنشطة الوظيفية التي يقومون بها، وتبرز دوماً مشكلة المخلفات والنفايات الصلبة التي يجب جمعها والتخلص منها بشكل دوري، إذ تتسبب في حدوث العديد من المشاكل أثناء تصريفها والتخلص منها، وتختلف معدلات النفايات المتولدة عن الشخص الواحد يومياً، بحسب مستوى التحضر، والأسلوب المعيشي للسكان، وإمكانيات الرفاهية المتاحة التي تنعم بها المجتمعات البشرية المختلفة⁽²⁾.

1- خصائص النفايات الصلبة في المدينة وطبيعتها: يمكن تحديد خصائص النفايات الصلبة في مدينة ذمار في الآتي:

- متوسط ما ينتجه الفرد من النفايات الصلبة يومياً (كجم/فرد/يوم).

- مكونات النفايات الصلبة في المدينة.

أ - متوسط إنتاج الفرد من النفايات الصلبة: تبين من خلال الدراسة الميدانية أن متوسط ما ينتجه الفرد في مدينة ذمار من المخلفات الصلبة يبلغ (0,59 كجم/فرد/يوم)، وقد تم إيجاد معدل إنتاج النفايات في المدينة بحساب وزن النفايات، التي يتم جمعها في إحدى قطاعات المدينة الستة، لمدة (5) أيام، وتم التوصل إلى معدل إنتاج الفرد الواحد من النفايات*.

ب- مكونات النفايات الصلبة في المدينة: أصبحت مشكلة التخلص من النفايات الصلبة تستحوذ على كثير من الجهد والمال في كل بقعة من هذا العالم، وعليه فإن التعرف على مصادر هذه النفايات وكميتها وخصائصها الفيزيائية والكيميائية أصبح من الضروريات المهمة؛ لمعرفة كيفية معالجتها⁽³⁾، وتتكون المخلفات الصلبة من مواد مختلفة لا حصر لها، كما تختلف نسب مكوناتها اعتماداً على عدد من العوامل، أهمها: الفصل من السنة، والحالة الاقتصادية، والموقع الجغرافي وغيرها⁽⁴⁾، وقد تبين من خلال الدراسة الميدانية أن النفايات الصلبة في مدينة ذمار تشتمل على عدة أنواع تتمثل في الآتي:

"النفايات المنزلية، النفايات التجارية، النفايات الصناعية، النفايات الطبية، نفايات المسالخ، النفايات الزراعية، مخلفات الهدم والبناء، نفايات أخرى".
وقد تبين اختلاف نسب مكوناتها، إذ تمثل النفايات العضوية (50%) من مكونات النفايات الصلبة في مدينة ذمار، تأتي بعدها المكونات الأخرى بنسب متفاوتة كما في الجدول الآتي:

جدول (1) نسب مكونات النفايات الصلبة في مدينة ذمار.

التسلسل	نوع المادة	%
1	المواد العضوية	50
2	البلاستيك	9
3	الورق والكرتون	7
4	المعادن	4
5	الزجاج	3
6	أخرى	28
الإجمالي		100

المصدر: الدراسة الميدانية

2- طرق جمع النفايات والتخلص منها: تعد عملية جمع النفايات الصلبة الحضرية أول خطوة في عملية المعالجة، وتمثل عملية النقل حلقة الوصل بين عملية الجمع والمعالجة، باعتبار أن عملية المعالجة تشمل كل المراحل التي تأتي بعد عمليتي الجمع والنقل، ويجب أن تتم عملية الجمع والنقل ضمن شروط معينة، دون إحداث ضجيج، أو تطاير للغبار، أو تناثر للنفايات في الشوارع، أو غير ذلك؛ لأن من متطلبات العناية بالصحة العامة سرعة إبعاد جميع النفايات عن المناطق المأهولة بالسكان من جهة، ومن جهة أخرى يلزم التخلص منها دون آثار جانبية ضارة⁽⁵⁾.

ويتم جمع المخلفات الصلبة (القمامة) من أحياء مدينة ذمار وشوارعها بطرق متعددة،

تبعاً لظروف كل منطقة، وكل حي، وكل شارع، وتلك الطرق هي:

- الجمع اليدوي (النظافة العامة للشوارع والمساحات): يتم بواسطة استعمال المكناس اليدوية، ويقوم بها عمال النظافة الموزعون حسب الأحياء والشوارع التي يصعب دخول الآليات إليها، وهم عمال رسميون ويعملون بالأجر اليومي من الجنسين، ومن فئات عمرية مختلفة، إذ تتراوح أعمارهم بين (12- 45 سنة)، ويتم توزيعهم حسب الحي والشارع، مستعملين أدوات الجمع العادية (مكناس، أكياس بلاستيكية) ويتم نقل ما يجمعونه إلى أقرب نقطة تجميع تصل إليها الآليات.
- الجمع الآلي: تستعمل الآلات ذات المحركات في جمع مخلفات الهدم والبناء، وجمع النفايات في حال تكديسها في أحياء المدينة وشوارعها، وتنقسم الآلات إلى: آلات رفع (الشيول، والدنبر)، وآلات نقل (القلابات)، وتنقل النفايات التي يتم جمعها إلى المقلب إذا كانت نفايات منزلية، وتباع أو تصرف في أماكن أخرى إذا كانت نفايات هدم وبناء، بحيث يتم الاستفادة منها.
- الجمع من نقاط التجميع في الأحياء والشوارع: يتم بواسطة آلات الجمع العادية (القلابات) الموزعة على الأحياء والشوارع، ومنها إلى المقلب مباشرة، ويوجد مع كل قلاب ثلاثة عمال وسائق.
- الجمع الآلي من الحاويات الموزعة في أحياء المدينة وشوارعها: يتم بواسطة آلات الجمع الآلية (الفرامات) من حاويات التجميع، ومنها إلى المقلب مباشرة، ويتبع كل آلية عامل وسائق.
- الجمع الانتقائي: يتم فيه جمع علب البلاستيك والمعدن والحديد والكرتون من الشوارع والحاويات، ونقاط التجميع في الأحياء والشوارع، ويتم بواسطة مجموعة من الأفراد، ومن مختلف الفئات العمرية، الذين يعملون لحسابهم الخاص، ولا يتبعون أي جهة رسمية (حكومية)، ويقومون ببيع ما يتم جمعه إلى المستثمر الوحيد الذي أقام حوشاً على مساحة من الأرض في المدينة؛ لاستثمار تلك النفايات، وتتفاوت

أسعارها حسب نوعها، فالكيلو الواحد من البلاستيك سعره ثلاثون ريالاً، فيما سعر الكيلو الواحد من المعدن والحديد ستون ريالاً، ويتم معالجة ما يصل إلى الحوش وفرزه وتجهيزه للتصدير عبر البحر إلى الصين لإعادة التصنيع⁽⁶⁾.
والجدير بالذكر أن طرق جمع المخلفات تختلف من قطاع إلى آخر تبعاً لعدد من العوامل

مثل:

- 1) مدى توافر القوى البشرية والوسائل الآلية.
- 2) الأساليب المتبعة لجمع المخلفات.
- 3) طبيعة المنطقة السكنية وطبيعة شوارعها.
- 4) نظم جمع المخلفات الصلبة.
- 5) موقع مقلب المخلفات (القمامة) النهائي⁽⁷⁾.

وفيما يخص طرق التخلص من النفايات: فإما أن يتم تدويرها منزلياً ليعاد استعمالها، مثل تجفيف بقايا الطعام، وإطعامها للماشية، وإما أن يتم بيعها للغرض نفسه، أو إعادة استعمال بعض المخلفات البلاستيكية والورقية وغيرها من المخلفات، التي تصلح للاستعمال في أعمال فنية، أو حرف يدوية، أو غيرها، أو تنقل من أماكن التجميع إلى المقلب مباشرة حيث ترمى مكشوفة بشكل عشوائي (غير منظم)، أو يتم حرقها في نقاط التجميع الأولى (في البراميل)، أو بجوارها وإما أن تُترك على الأرض لفترة زمنية؛ لتأكلها الأغنام، أو تكون عرضة لتعذب بها الكلاب، وينتج عنها كثير من المخاطر الصحية والبيئية.

ثالثاً: الوضع الحالي لإدارة النفايات الصلبة في المدينة: بلغ عدد سكان مدينة ذمار حوالي (258359 نسمة)، حسب إسقاط عام 2017م⁽⁸⁾، ويشرف على نظافة المدينة مكتب التحسين، ممثلاً بالإدارة العامة للنظافة، وقسمت مدينة ذمار إلى ست مناطق (مربعات)، ويبلغ إجمالي عدد العاملين في مكتب التحسين حوالي (581) موظفاً، يتوزعون بين وظيفة دائمة وتعاقدية، يمثل عمال النظافة منهم حوالي (400) عامل بنسبة (68.8%)، موزعين داخل مدينة ذمار بمعدل

عامل/ (677.5) نسمة، ويبلغ إجمالي عدد الآليات العاملة التابعة للمشروع حوالي (24) آلية، منها (18) قلاباً و(6) فرامات، ويبين الجدول الآتي توزيع الآليات والحمولة المرحلة.

جدول (2) توزيع الآليات حسب المنطقة، وعدد النقلات لكل آلية، و الحمولة المرحلة لكل يوم ولكل شهر.

المنطقة	عدد القلابات	نقطة /قلاب	عدد الفرامات	نقطة /فرامة	حمولة القلابات بالطن	حمولة الفرامات بالطن	طن /يوم	طن /شهر
الشرقية	4	2	1	2	8	10	18	540
الجنوبية	4	2	1	3	8	15	23	690
الشمالية	2	2	1	2	4	10	14	420
الوسطى	2	2	1	2	4	10	14	420
ج.غربية	3	2	1	3	6	15	21	630
ش.غربية	3	2	1	2	6	10	16	480
الإجمالي	18				36	70	106	3180

المصدر: فهد محمد الضليعي، الدراسة الميدانية - مقابلة شخصية مع نائب مدير المكتب لشؤون النظافة بتاريخ: 2019/1/17م.

يتبين من الجدول أعلاه أن كمية المخلفات الصلبة المرحلة إلى المقلب تقدر بحوالي (3180) طناً/شهر، أي ما يعادل (106) أطنان/يوم، وتمثل ما نسبته (69%) من كمية النفايات المنتجة في المدينة يومياً، البالغة (152.4) طناً/يوم، أي حوالي (4572) طناً/شهر، بمعدل (0,59) كجم/ فرد/ يوم، أي أن هناك كمية من النفايات تبقى دون ترحيل تقدر بحوالي (46.4) طناً/يوم، بنسبة (30.4%) من كمية النفايات المنتجة يومياً، ويعزى ذلك إلى قلة العمال والآليات، كما أن الشوارع في أغلب أحياء المدينة لازالت ترايبية، ومن الصعب دخول الآليات والمعدات إليها، حتى أن العمال يجدون صعوبة في عملهم في تلك الأحياء، فضلاً عن أن أغلب نقاط التجميع في هذه الأماكن عشوائية، ولا توجد بها حاويات تجميع (براميل)، وزيادة على ذلك قلة وعي السكان بكيفية التعامل مع تلك النفايات والتخلص منها، وجهلهم بمخاطرها على البيئة والصحة العامة، وتقدر تكلفة ترحيل النفايات إلى المقلب بحوالي (6251880) ر.ي/ شهر، بما يعادل (208396) ر.ي/ يوم⁽⁹⁾. والجدول الآتي يبين كمية النفايات المرحلة إلى المقلب من كل منطقة، حسب تقرير مكتب التحسين بمدينة ذمار وتكاليف نقلها.

جدول (3) كمية النفايات المرحلة بالطن من المدينة، حسب المنطقة إلى المقلب للعام 2017م.

التكاليف ر.ي	الإجمالي بالطن	الشمالية	الوسطى	الشرقية	الجنوبية	الجنوبية الغربية	الشمالية الغربية	الشهر
6198798	3153	484	524	533	674	496	496	يناير
5233492	2662	393	368	479	578	422	422	فبراير
5363248	2728	424	378	401	577	474	474	مارس
5787904	2944	472	495	423	617	468	469	أبريل
6267608	3188	449	498	501	719	510	511	مايو
6975368	3548	525	501	573	785	581	583	يونيو
6487800	3300	538	667	448	590	547	510	يوليو
7669366	3901	542	566	825	777	595	596	أغسطس
7848272	3992	574	640	810	834	625	509	سبتمبر
12655142	6437	849	876	1503	1581	857	771	أكتوبر
12315024	6264	867	855	1173	1416	1128	825	نوفمبر
11807796	6006	834	759	1164	1164	969	1116	ديسمبر
94609818	48123	6951	7127	7833	9312	7672	7282	إجمالي

المصدر: فهد محمد الضلعي، اعتماداً على مكتب التحسين- ذمار، إدارة شؤون النظافة.

ثالثاً: الوضع الحالي لمقلب النفايات في المدينة: يقع مقلب النفايات الصلبة لمدينة ذمار في

الجزء الشمالي الشرقي من المدينة، شمال كلية الزراعة والطب البيطري - جامعة ذمار، ويحتل

مساحة تقدر بحوالي (1) كم²، ويبعد عن مركز المدينة بحوالي (2.5) كم، وقد أعتد المكان مقبلاً

لنفايات المدينة عام 1982م، وتم اختياره بناء على دراسة قام بها المشروع الهولندي آنذاك.

وتجدر الإشارة إلى أنه من خلال الزيارة الميدانية لمقلب القمامة في المنطقة تبين أن موقعه

في المنطقة غير مناسب، إذ إنه أصبح يشكل خطراً على صحة الإنسان والبيئة، مما يوحي بأنه تم

اختياره عشوائياً، دون أي دراسات، ولم يراعَ فيه عامل من عوامل اختيار المواقع السليمة

والصحية، فضلاً عن أنه يتم تصريف المخلفات فيه عشوائياً، ويمكن القول إن الوضع مخيف

لهذا المقلب لأسباب متعددة منها:

(1) عدم اختيار الموقع المناسب للمقلب، وعدم مراعاة صلاحيته من النواحي الهيدرولوجية،

والجيولوجية.

- (2) عدم تجهيز المقلب وفقاً للمواصفات العلمية والفنية الخاصة.
- (3) قلة الإمكانيات المادية لإدارة المقلب، وعدم توفر المعدات الحديثة المخصصة له، وتجدر الإشارة إلى أنه توجد في المقلب بقايا مصنع أقامه المشروع الهولندي لصناعة الأسمدة من المخلفات، وقد تُرك وأهمل حتى أصبحت محتوياته ضمن المخلفات.
- (4) كانت تتم عملية الطمر في كل عشرة أيام بطريقة عشوائية، وهي غير كافية؛ لأنه يتطلب أكثر من عملية طمر في الأسبوع، أما الآن فليس هناك أي عملية طمر داخل الموقع، الأمر الذي أدى إلى تزايد أكوام القمامة داخل المقلب، فشكّلت عائقاً أمام دخول عربات النقل إليه، مما يضطر سائقي العربات إلى طرح النفايات خارج المقلب على الأراضي الزراعية المجاورة له، فأصبح هناك مقلب جديد جوار المقلب الرسمي نتيجة الإهمال.
- (5) انتشار الحرائق اليومية بشكل متواصل؛ نتيجة حدوث الانفجارات الناتجة عن تفاعل بعض النفايات، سواء أكانت طبية أم صناعية، مما يؤدي إلى اشتعال الحرائق تلقائياً، وبشكل دائم في المقلب.
- (6) عدم وجود الرقابة البيئية.
- (7) أصبح المقلب يشكل خطراً كبيراً على صحة المواطنين، وطلاب الجامعة؛ لقربه من التجمعات السكانية ومقر الجامعة، لاسيما كلية الزراعة والطب البيطري.
- (8) هناك تقصير واضح من قبل الجهات المسؤولة عن المقلب، وعدم الاهتمام بالبحث عن الوسائل والإمكانيات اللازمة، وإيجاد البدائل الكفيلة؛ للحد من أخطار التلوث الذي يهدد التجمعات السكانية والجامعية والبيئية، فضلاً عن عدم استعمال طرق معالجة صحية للحد من التلوث⁽¹⁰⁾.

وتتم معظم عمليات تصريف النفايات في مدينة ذمار بأسلوب الطرح المفتوح للنفايات، حيث استعملت بلدية المدينة موقعاً بالقرب من المدينة لطرح النفايات فيه، وهذا الموقع ليس تحت السيطرة، وتدار فيه عمليات معالجة النفايات بطريقة غير آمنة، ولم يتم اختياره من البداية وفق

أسس صحيحة، ويتم التخلص من النفايات فيه بحرقها، ويتم الإشراف عليه من قبل أشخاص غير مختصين ولا يمتلكون الخبرة الكافية، فضلاً عن خلو الموقع من الآت الطمر.

وبناءً على ما ذكر فإن هذا الموقع يجب إغلاقه أو إعادة تأهيله؛ حتى يتم إيجاد موقع بديل له؛ لتتم فيه إدارة النفايات بطريقة أفضل، وفي الوقت الحاضر هناك مساعٍ لتطويره، رغم نقص الإمكانيات لتطوير الموقع أو استبداله، كما أن هناك نقصاً في الإمكانيات والخبرات لتشغيل وصيانة الموقع حتى بعد تطويره، حيث بدأ العمل بتطوير المقلب بضم مساحة جديدة إلى مساحته القديمة، ويجري العمل على إقامة (سور) حائط لتسوير مساحة تقدر بـ (252000) متر²، بتمويل من منظمة اليونيسف، وبإشراف مكتب التحسين، دون أي اعتبارات لملاءمة الموقع من حيث جغرافيته وطبوغرافيته، إذ تم اختيار الموقع بالنظر إلى قلة الكلفة، وعدم تأثر مصالح العاملين في البلدية، وبدون أي اعتبار للأسس الهندسية، ودون قيود في أسلوب العمل، حيث تنتشر الحرائق والهوام في الموقع، إلى جانب عدم وجود ما يمنع من الانتشار الأفقي لموقع الطمر، فضلاً عن المخاطر البيئية والمشاكل التي سيتسبب بها، كما أن انكسار الجدار المائل لطبقات النفايات ظاهرة موجودة بكثرة في كل مواقع الطرح المفتوح.

ولا بد من وضع خطة أو آلية لتطوير المقلب، بالاعتماد على الإمكانيات المتاحة، وتتضمن هذه الخطة الحد الأدنى من التصميم والإجراءات العملية المتوقع القيام بها عند تطوير المواقع، أو تحويل المواقع المفتوحة لطرح النفايات إلى مواقع منظمة ومسيطر عليها، وهذا مع عدم وجود إمكانية لاستبدال هذه المواقع بشكل فوري بمواقع أكثر ملاءمة⁽¹¹⁾.

خامساً: معالجة النفايات الصلبة وطرق التخلص منها: تطورت الحياة الحضرية في مدينة ذمار خلال العقود الماضية بشكل متسارع، وسعى مجتمع المدينة إلى طلب مزيد من التقدم والتطور واستعمال التقنية الحديثة؛ ونتيجة لذلك تزايدت كميات النفايات الصلبة، وتعددت أنواعها ومخاطرها؛ مما أدى إلى التأثير المباشر على البيئة وتلويثها، وأصبح من الضروري مواجهة تلك الأخطار، والبحث عن حلول علمية وعملية للتخلص من تلك النفايات، وحماية الإنسان

وبيئته الطبيعية، مع محاولة الاستفادة ما أمكن من تلك النفايات، وهناك عدة طرق للتخلص من النفايات الصلبة، منها:

1- طريقة استعادة الموارد: وهي طريقة لاسترجاع بعض الموارد النافعة من النفايات الصلبة بدلاً من رميها، وتوجد ثلاثة مسالك لاسترداد الموارد، وهي كالاتي⁽¹²⁾:

أ- إعادة الاستعمال: ويقصد به الاستعمال المباشر للمخلفات في الشكل الذي تولدت عليه وفي العملية نفسها التي تولدت عنها، دون تعريضها لأية معالجة طبيعية، أو كيميائية، أو بيولوجية، قد تؤثر في شكلها، أو في تكوينها. فعلى سبيل المثال، يتم في بلدان كثيرة، لاسيما الدول النامية -ومنها بلدنا- إعادة زجاجات المشروبات الفارغة إلى المحلات التي تتولى بدورها إعادتها إلى الشركات المنتجة؛ لتنظيفها والتأكد من سلامتها، ثم تعبئتها بمنتجاتها وطرحها في الأسواق مرة أخرى⁽¹³⁾.

ب- الانتفاع: ويتضمن أخذ النفايات الصلبة، وإيجاد استعمال جديد لها، لا يرتبط بأصل النفايات، إذ يمكن أن توضع في الاستعمال المباشر، كالرماد مثلاً يستعمل بديلاً للإسمنت في خرسانة السدود، والطرق الخارجية، والإنشاءات الأخرى، أو يمكن الاستفادة من مخلفات الأبنية والمنشآت بجعلها مواد للردم، أو للبيع وغيرها من طرق الانتفاع⁽¹⁴⁾.

ج- إعادة التدوير: "صفر نفايات" هي فكرة تحويل 95% أو أكثر من النفايات من المرادم إلى استخدام آخر نافع، وهي إستراتيجية ليس من شأنها دعم بيئة مدينة ذمار فحسب، بل دعم الاقتصاد المحلي أيضاً. وتساعد أنشطة إعادة التدوير وتحويل النفايات إلى سماد، وإعادة استخدام النفايات في خلق فرص عمل كثيرة في القطاع البيئي. ويشار إلى أن أنشطة إعادة التدوير، وإعادة الاستخدام تخلق فرص عمل، تقدر بتسعة أضعاف من فرص العمل التي تخلقها أنشطة ردم النفايات وحرقها على الأقل.

تعد الإدارة الفعالة للنفايات شأناً محورياً للمستقبل المستدام لمدينة ذمار، وهي عنصر حاسم للحفاظ على الموارد الطبيعية للمدينة. ففي حين يتزايد حجم النفايات في المدينة؛ لا بد

من الإسراع في التركيز على إعادة تدويرها، وإعادة استخدامها، واستعادة الطاقة والاقتصاد التدويري⁽¹⁵⁾.

وتتمثل عملية التدوير في مقلب النفايات الخاص بالمدينة في تحويل المخلفات البلدية إلى سماد عضوي، بناءً على محتوى تلك النفايات من المواد العضوية التي تمثل حوالي (50%) من كمية النفايات الصلبة المرحلة إلى المقلب، كما أن قابليتها للتخمر مؤكدة ومضمونة؛ مما يجعلها مناسبة جداً لتحويلها إلى سماد، ويمكن تحويل النفايات العضوية في مقلب المدينة إلى كومبوست بطريقة لا مركزية، من خلال إنشاء محطة صغيرة الحجم، تتمتع بمعايير فنية مخصصة، ويتم فيها التحويل بالطريقة المفتوحة، وهي عملية سهلة لا تتطلب الكثير من رأس المال؛ إلا أنها بحاجة إلى مساحة كبيرة من الأرض داخل المقلب أو بالقرب منه، ويبين الجدول الآتي تكلفة إنتاج السماد من نصف كمية النفايات العضوية المتولدة في المدينة.

جدول (4) تكاليف إنتاج السماد من النفايات العضوية

المكونات	النسبة % من إجمالي النفايات طن/سنة	كمية النفايات العضوية المتولدة طن/سنة	نسبة النفايات المنتجة %	كمية النفايات المنتجة	تكاليف إنتاج السماد ري/طن	إجمالي التكاليف ري/سنة
مواد عضوية	50	24061	50	12030	6000	72180000

المصدر: الباحث، فهد الضلعي.

يتبين من الجدول أن تكاليف إنتاج السماد من نصف كمية النفايات العضوية المتولدة في السنة تقدر بحوالي (72180000) ري، وعند بيع السماد العضوي بمتوسط ثمن بيع السماد الحالي، الذي يقدر بـ (12000) ري/طن، سينخفض حجم النفايات العضوية بعد إنتاج السماد إلى (60%) من الحجم الأولي للنفايات، أي أن $12000 \times 7218 = 86616000$ ري) بريح يقدر بـ (14436000) ري.

ويمكن تلخيص إيجابيات تحويل المخلفات البلدية إلى سماد عضوي في تحقيق عائد اقتصادي يقلل من تكلفة الجمع والتخلص من النفايات، فضلاً عن التقليل من حجم النفايات

التي يتم التخلص منها بالطمر الصحي، مما يزيد من عمر المدفن الصحي المستعمل، فضلاً عن توفر فرص مستدامة يمكن تطبيقها في نقل كميات كبيرة من المواد العضوية إلى المناطق التي هي بحاجة إلى تحسين، أو تعديل المحتوى العضوي لترتها، إذ إن معالجة الأراضي الزراعية (الكومبوست) يؤدي إلى خفض رطوبة التربة بزيادة احتباس الماء فيها، خصوصاً في تربة المناطق الجافة وشبه الجافة، كما هو في تربة اليمن عموماً، وذمار خصوصاً، أما السلبات فيمكن تلخيصها في التلوث الهوائي الذي قد ينتج عن عملية تصنيع الأسمدة من هذه المخلفات، ويمكن التحكم به، بالالتزام بالشروط البيئية والعمرانية، ومنها اختيار موقع المصنع بعيداً عن المناطق السكنية، مع مراعاة اتجاه الرياح السائدة، ونقل النفايات غير المطلوبة في العملية الإنتاجية إلى موقع الطمر الصحي دون تأخير⁽¹⁶⁾.

2- طريقة حرق النفايات: يتم التخلص من النفايات بحرقها في أماكن تجميعها المؤقتة أو النهائية؛ بهدف تقليل حجمها، والتخلص من الأوثان، حيث تتحول إلى رماد لا ضرر منه، لكن تبقى الخطورة في الغازات المنبعثة من عملية الحرق، التي قد تسبب في حدوث كثير من المشاكل البيئية.

3- طريقة الطمر الصحي:- تتمثل هذه الطريقة بدفن النفايات الصلبة بأسلوب علمي معاصر، يراعى فيه تجنب أكبر قدر ممكن من المخاطر الجانبية، التي تحدث نتيجة التخلص التقليدي من النفايات، مثل تلوث الهواء، والماء، والتربة، والإضرار بالصحة العامة، وتهدف هذه الطريقة إلى تركيز النفايات واحتوائها؛ للحد من الأضرار البيئية، عن طريق تقليص حجم النفايات إلى أقل حجم ممكن، واحتوائها في أقل حيز ممكن، وتطبق طريقة الطمر بأسلوبين:

أ) طريقة الخندق: تحفر خنادق منفصلة بعضها عن بعض، حيث توضع فيها النفايات، وترص، ثم تغطى بالتراب الذي استخراج من عملية الحفر، ويعتمد عمق الخندق على عمق المياه الجوفية في المنطقة، ويكون عرض الخندق ضعيف طول أليات الرص، حتى تتمكن من الحركة.

ب) طريقة المساحة: يتم حفر مساحة معينة بعمق أكبر من عمق الخندق، ثم تملأ بالنفايات وترص، ثم تغطى في نهاية اليوم بعد الانتهاء من العمل⁽¹⁷⁾.

نتائج الدراسة:

- 1- يرافق استمرار التزايد السكاني في المدينة زيادة كبيرة في كميات النفايات الصلبة الحضرية.
- 2- هناك قصور كبير في عدد العمال والألات المخصصة، أدى إلى تدني كفاءة عملية جمع النفايات والتخلص منها.
- 3- تزداد تكاليف ترحيل النفايات إلى المقلب مع تزايد كمياتها.
- 4- ما تزال طريقة جمع المخلفات بدائية، لم تأخذ بالتطورات الحديثة، أو تستفيد من تجارب الدول المجاورة والدول النامية.
- 5- يتسبب تراكم كميات النفايات والتعامل غير المنظم معها في حدوث كثير من المخاطر البيئية والاقتصادية والاجتماعية، إذ إنها تؤثر سلباً على النظم البيئية عند تراكمها وتركها دون معالجة.
- 6- إن موقع المقلب في المنطقة غير مناسب إذ إنه أصبح يشكل خطراً على صحة الإنسان والبيئة، وهذا الموقع ليس تحت السيطرة، وتدارفيه عمليات معالجة النفايات بطريقة غير آمنة، ولم يتم اختياره من البداية وفق أسس صحيحة.
- 7- يمكن خفض كمية النفايات المنتجة في المدينة، ومن ثم خفض تكاليف جمعها والتخلص منها.
- 8- إن (50%) من النفايات الصلبة المرحلة نفايات عضوية، يكمن الاستفادة منها في إنتاج الأسمدة العضوية.

المقترحات:

- 1- نشر الوعي البيئي لدى سكان المدينة، وإظهار أهمية دورهم في عملية التعامل مع النفايات والتخلص منها.

- 2- البدء بتوزيع عدد من السلال، أو أكياس البلاستيك إلى المنازل وبألوان مختلفة، يخصص كل لون منها لنوع معين من النفايات، تشجيعاً لعملية الفرز المنزلي للنفايات.
- 3- تفعيل قانون "من يلوث يدفع" بفرض رسوم عالية، وخصوصاً على أصحاب المحلات التجارية والمصالح والمؤسسات المختلفة.
- 4- تفعيل طريقة الجمع الآلي للنفايات من البيوت والشوارع في جميع قطاعات المدينة.
- 5- زيادة آليات جمع النفايات ونقلها، وزيادة عدد العمال، وتوفير الوسائل والاحتياجات كلها، لاسيما أدوات الوقاية للعمال.
- 6- وضع خطة أو آلية عملية صحيحة لتطوير المقلب، بالاعتماد على الإمكانيات المتاحة تتضمن الحد الأدنى من التصاميم والإجراءات العملية؛ لتتم فيه إدارة النفايات بطريقة سليمة، تضمن سلامة البيئة والصحة العامة.
- 7- توجيه بعض الاستثمارات نحو إعادة تدوير النفايات الصلبة، وتشجيع المستثمرين، بإعطائهم حوافز تشجيعية، لاسيما أن مجال الاستثمار في هذه الصناعة يعود بالمردود المالي الجيد على المستثمر، وعلى المدينة.

الهوامش والإحالات:

- 1) فهد محمد محمد الضلعي، اعتماداً على برنامج ARK GIS.
- 2) أسامة سعد خليل، التخطيط البيئي للتخلص من المخلفات والنفايات العمرانية وأطر تطبيقاتها بالأقطار النامية، متاح على الرابط. <http://www.eea.gov.eg/english/reports/nsdsf.pdf> 2016/7/4م.
- بتطبيق المعادلة: (وزن النفايات/ عدد السكان × عدد الأيام) المصدر: عبد الصاحب ناجي رشيد البغدادي. ضرغام خالد أبو كلل، 2008، التحليل المكاني لمشكلة المخلفات الصلبة في مدينة النجف الأشرف، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، المجلد الحادي عشر، العدد 3، ص 162.
- 3) عبدالقادر عابد، وغازي سفاريني، أساسيات علم البيئة، دار وائل للطباعة والنشر، عمان، الأردن، الطبعة الثانية 2004، ص 236.

- 4) رشيدة العابد، تسيير النفايات الصلبة الحضرية، دراسة حالة بلدية ورقلة، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح – ورقلة، كلية الحقوق والعلوم الاقتصادية، قسم العلوم الاقتصادية، 2008، ص 42.
- 5) فهد محمد الضلعي، الدراسة الميدانية، فبراير، 2019م.
- 6) عبد الصاحب ناجي رشيد البغدادي، ضرغام خالد أبوكلل، 2008، ص 179.
- 7) مكتب التخطيط والتعاون الدولي، ذمار، سكان محافظة ذمار للعام 2018م.
- 8) نتائج الدراسة الميدانية.
- 9) فهد محمد الضلعي، الآثار البيئية للنمو الحضري في مدينة ذمار، دراسة في جغرافية البيئة، رسالة ماجستير، قسم الجغرافيا- كلية الآداب – جامعة ذمار، 2008، ص 65.
- 10) منظمة الصحة العالمية، المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، توجيهات وإرشادات حول أبسط الأساليب لتطوير المواقع المستخدمة لطرح النفايات من قبل البلديات، المركز الإقليمي لأنشطة صحة البيئة، عمان-الأردن، 2004م، ص 2.
- 11) الدراسة الميدانية، فبراير، يونيو 2019م.
- 12) صلاح مهدي عباس، أحمد إبراهيم علي، تحليل مشكلة نقل النفايات الصلبة باستخدام نموذج النقل، بغداد حالة دراسية، Iraqi Journal for Economic Sciences، العدد 1، 2011م، ص 7.
- 13) ندى عاشور عبد الظاهر، المخلفات الصلبة 00 البيئة والاقتصاد، مجلة أسبوط للدراسات البيئية، العدد الخامس والثلاثون، يناير 2011، ص 98.
- 14) صلاح مهدي عباس، أحمد إبراهيم علي، تحليل مشكلة نقل النفايات الصلبة، ص 8.
- 15) الهيئة العامة لترويج الاستثمار وتنمية الصادرات. إثراء، تقارير موجزة حول القطاعات الاقتصادية الواعدة- إدارة النفايات، إثراء، الشركة العمانية القابضة لخدمات البيئة (بيئة)، 2016، ص 4.
- 16) أسامة سعد خليل، التخطيط للتخلص من المخلفات.
- 17) رشيدة العابد، تسيير النفايات الصلبة الحضرية، ص 59.



أحمد عبدالوهاب الوريث

رائد حركة التنوير في اليمن المعاصر (1912-1940م)

د. أمين محمد علي الجبر *

الملخص:

يؤرخ هذا البحث للمفكر اليمني أحمد عبدالوهاب الوريث، مولداً ونشأة وثقافةً، كما يتناول أفاقه الفكري وطبيعة مشروعه الإصلاحية التنويرية، في سياق تاريخي ثقافي أبرز ملامحه تأثيرات مدرسة الإصلاح اليمنية، التي أسسها (ابن الوزير، وابن الأمير، والجلال، والمقبلي، والشوكاني)، وتعد إن لم تسبق، امتداداً فكرياً أيديولوجياً للإصلاحية الإسلامية، التي أسسها (جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ورشيد رضا). وقد تم تقسيم هذا البحث إلى خمسة محاور فضلاً عن المقدمة والخاتمة، على النحو الآتي:

المحور الأول مولد الوريث ونشأته، والمحور الثاني الوريث إفرانز للمدرسة الشمسية في ذمار (كرسي الزيدية).

والمحور الثالث اهتمامه بالفكر التجديدي (فكر الجامعة الإسلامية مع المحافظة على تراث معتزلة اليمن)، والمحور الرابع انتقاله إلى صنعاء ومطاراته، وتمير أفكاره الإصلاحية عبر أعداد مجلة الحكمة الرسمية، والمحور الخامس ملامح من مذهبه الإصلاحية (التنويرية).

* أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد - قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة ذمار - الجمهورية اليمنية.

Ahmed Abdulwahab Al-Wareeth: The Pioneer of the Enlightenment Movement in Contemporary Yemen (1912-1940)

Dr. Amin Mohammed Ali Al-Jabar

Abstract:

This research is a study of the Yemeni thinker Ahmed Abdulwahab Al-Wareeth; his birth, growth and culture. It also deals with his intellectual horizons and the nature of his reformist project in the cultural and historical contexts, with its prominent features that echo that of (Yemeni Reform School: Ibn Alwazeer, al-Ameer, Al-Jalal, Al-Muqbili and Al-Shawkani) which is considered, if not preceded, an ideological and thought extension of the (Islamic reform: Afghani, Abdu and Reza). It has been divided into five axes along with the introduction and conclusion as follows:

The first axis discusses his birth and growth, and the second axis discusses "Al-Wareeth as the secretion of *Al-Shamsiyah* of Dhamar (Zaidi chair). The third axis shows his interest in innovative thought (the same Islamic university while preserving the heritage of the Yemenite *Mu'tazilah*). The fourth axis deals with his move to Sana'a and presenting his reformist thoughts in Al-hikma Editions. Finally, the fifth axis discusses some features of his reformist and enlightened doctrine.

التأريخ للشخصيات منهجية بحثية علمية معتمدة في الحقل الأكاديمي، خصوصاً في مجال الدراسات التاريخية، تسند ذلك خلفية نظرية فلسفية تولي الواقعة الفردية اهتماماً كبيراً، ليس باعتبارها صانعة الحدث التاريخي، بفعل ما تمتلكه من كاريزما وقدرات ذاتية وحسب، وإنما باعتبارها محور المسار التاريخي نفسه، سواء أكان ذلك على صعيد السيرورة أم الصيرورة، وهو ما يطلق عليه في الفكر التاريخي بـ"نظرية البطل"، وتبعاً لمقولة فلسفة التاريخ: "التاريخ من صنع شخصيات"⁽¹⁾. وربما قد يكون المقصود بها هنا الشخصية السياسية العسكرية التي تلعب دوراً

قيادياً ومحورياً في المسار التاريخي، وبما تصنعه من تحولات وانتصارات، وليست الشخصية المثقفة التي تحمل مشروعا إصلاحيا تنويريا وحسب. ولكن من باب المقاربة أو المماثلة لا نرى فرقا جوهريا بين الشخصيتين، على اعتبار واحدة الدور ومماثلة الفعل، وإن تعدد المقصد وتنوع المجال، وهو ما يسعى إليه هذا البحث الذي يخص فردانية الإنتلجنسيا أو المثقف "البطل"، ذلك المثقف الذي حمل ويحمل -تاريخيا- مشروع استنارة لا يقل في أهميته عن دور انتصارات السياسي البطل وفاعلية، إن لم يكن في الغالب الأعم مقدمة وإرهاصا له، المثقف المتماهي عضويا مع أيديولوجيا الأمة الذي يستطيع صنع انعطافة فكرية، ومقدرة على إحداث نقلة نوعية في بنية الفكر المجتمعي التقليدي، قد تكون إرهاصاً لقادم جديد ومستقبل مغاير.

هذه النخبة - بالطبع - ليست حصرا على أمة بعينها، أو حضارة معينة، إنما هي ظاهرة إنسانية كونية تشهدا المجتمعات البشرية كلها أي كانت ثقافتها ومعتقداتها.

ومن هذا المنطلق، فإن هذه الدراسة تسعى، منهجيا، إلى إبراز دور المثقف في عملية التغيير والتنوير. كما تهدف إلى التعرف على طبيعة العلاقة البنينة بين النخبة المثقفة والنخبة السياسية. تلك العلاقة القلقة التي يشوبها في الغالب الريبة والترصد، خصوصا في عالمنا العربي المعاصر، حيث إن معظم المثقفين يعيشون حالة غربة في بلدانهم، لا يقدرّون على صنع التغيير والإصلاح، ليس لأنهم يعيشون في مجردات ومطلقات لا صلة لها بواقعهم وحسب، وإنما بفعل طبيعة علاقتهم القلقة مع النخبة البيروقراطية السياسية، التي يحكمها الشك وعدم الثقة، إن لم يحكمها التناقض والعداء⁽²⁾.

أهمية البحث: تكمن أهمية هذا البحث في أنه سيقف بمنهجية علمية عند المثقف الإصلاحى، أعني المثقف الذي يروم الإصلاح ويمارس الاستنارة، وهو في كنف السلطة، وأعني به أحمد عبدالوهاب الوريث بوصفه أنموذجا رائدا لحالة المثقف اليميني في ثلاثينيات القرن المنصرم، الذي حمل مشروع استنارة كاد أن يشرق، لولا عدم تكامل شروطه الذاتية مع شروطه الموضوعية، بسبب طبيعة تخلف الواقع اليميني حينئذ⁽³⁾، كما مثل بكتاباتة الإصلاحية الناقدة علما من أعلام الفكر والثقافة في اليمن المعاصر، وشخصية علمية هامة جديرة بالبحث والدراسة.

أهداف البحث: تتلخص أهداف البحث في النقاط الآتية:

- 1- التأريخ لشخصية المفكر اليميني أحمد عبدالوهاب الوريث، مولدا ونشأة وثقافة.
- 2- التعرف على طبيعة فكره الإصلاحية، وماهية رسالته التنويرية.
- 3- الوقوف عند أهم مطارحاته الفكرية وتحليل بعض نماذج منها.
- 4- إبراز دوره التنويري والريادي في حركة الإصلاح والتنوير اليمينية.

محاوير البحث: يتكون هذا البحث، إلى جانب المقدمة والخاتمة، من المحاور الآتية:

- مولده ونشأته.
- الوريث إفرانز لشمسية ذمار (كرسي الزيدية).
- اهتمامه بالفكر التجديدي فكر (الجامعة الإسلامية مع المحافظة على تراث معتزلة اليمن).
- انتقاله إلى صنعاء ومطارحاته، وتمير أفكاره الإصلاحية عبر أعداد الحكمة الرسمية.
- ملامح من مذهبه الإصلاحية التنويرية.

المقدمة:

في زمن اتسمت معالمه السياسية والدينية بالجدل المذهبي الفقهي العام، وتشكلت منطلقاته الفكرية النظرية وفقاً للمنطق الأيديولوجي الرسمي السائد، وفي ظل التنميط المذهبي السلطوي، والخندقية الفكرية، التي مارسها السلطة إبان الفترة من 1918م حتى 1962م، نشأ ما يمكن أن نسميه إشكالاً معرفياً بين "المثقف والسلطة" أو "المفكر والسلطة" أو "الفقيه والأمير" أو "التكنوقراط والقرار السياسي" إلى غير ذلك من المسميات.

هذه الإشكالية، وهذا التأزم الفكري العقدي (الأيديولوجي)، أفرز نخبة من المفكرين والعلماء تمردت على تقاليد المألوف الفكري المذهبي للسلطة، ورفضت النمط العلائقي التراتبي المعتاد بين السلطة والمؤسسة الدينية؛ ليكون هدفها الإستراتيجي خلق أو صياغة أنموذج سياسي/اجتهادي/إصلاحية يتوافق مع الكتاب والسنة الصحيحة، ويتنافى مع المنطق المذهبي/الفقهي الرسمي للسلطة المتسم بالجمود والانغلاق⁽⁴⁾.

شكلت هذه النخبة، وما تحمله من أفكار ومفاهيم تجديدية تخالف القواعد الجامدة للمذهب الإمامي الرسمي في كثير من الجوانب، شكلت بحد ذاتها مدرسة إصلاحية تجديدية متكاملة، لها جذورها وعوامل تطورها، إن لم تكن امتداداً فكرياً لمدرسة الإصلاح اليمينية الرائدة التي أسسها نخبة من علماء اليمن المجددين أمثال (ابن الوزير، وابن الأمير، والجلال، والمقبلي، والشوكاني)⁽⁵⁾. لقد كان أحمد عبدالوهاب الوريث واحداً من أهم المثقفين اليمينيين آنذاك الذين تأثروا بفكر تلك المدرسة وثقافتها، إن لم يكن واحداً من أهم دعائها في تاريخ اليمن المعاصر، لاسيما بعد أن تجلّى خطه الإصلاحي التنويري في كتاباته ومساجلاته على صفحات مجلة الحكمة اليمانية كما سيتضح تباعاً.

المحور الأول: مولده ونشأته

يجمع أغلب المصادر على أن أحمد عبد الوهاب الوريث ولد في شهر رمضان من عام 1331هـ الموافق 1912م في مدينة ذمار⁽⁶⁾، الواقعة جنوب العاصمة صنعاء على بعد حوالي 90 كيلومتراً. تلك المدينة التي وصفت في كثير من الحوليات الإمامية الرسمية بـ "كرسي الزيدية" ربما لكثرة الحواضن والمراكز التعليمية الهادوية فيها، التي طبعت الوريث نشأة وثقافة، وشكلت أفاقه الفكري ابتداءً، لكنه أبدى نوعاً من المغايرة لتلك البداية، وعاكس ما أدلج به فيما بعد. فهو -بحسب المصادر التاريخية التقليدية- سليل أسرة علم وحكم معاً، حيث عرفته بـ "العلامة أحمد بن عبدالوهاب بن أحمد بن علي بن يحيى بن أحمد الوريث بن محمد بن إسماعيل بن عبدالله بن الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد الحسين، المعروف بالوريث"⁽⁷⁾ ويتضح من خلال هذا النسب الطويل أن أول من لقب بالوريث هو جده أحمد بن محمد، ويعزو بعضهم سبب هذا اللقب إلى أنه ورث جماعة من أقاربه، كما أن المعنى بالدراسة يعتبر حفيد الإمام عبدالله بن الإمام القاسم.

هذه الواحدية في الانتماء التي جمعت بين العلمي والأميري، المثقف والسلطة، الفقيه والأمير، تعد مآثرة وفرادة قلما وجدناها عند غير الوريث؛ وذلك -في اعتقادنا- بسبب رجحان الهم العام على الهم الشخصي، وتغليب قيم المثال على شهوانية التسلط وتضخم الأنا.

لقد نشأ الوريث في كنف والده القاضي والعلامة عبدالوهاب الوريث أحد أبرز فقهاء الزيدية في مدينة ذمار، والموظف الرسمي الذي كان يعتمد عليه في الحكم والإدارة، حيث تولى القضاء في يريم حيناً، ثم استقر في ذمار. ونتيجة لعداؤه الذي أبداه تجاه الأتراك العثمانيين هرب ذات مرة إلى الحذاء عند عودتهم إلى ذمار. هذه المكانة العلمية والاجتماعية التي حظي بها والده كان لها أثر كبير في تكوين شخصيته⁽⁸⁾. فضلاً عن البيئة التي كان قوامها التعليم الديني التقليدي، والأدلجة المذهبية الرسمية، حيث لقن في بادئ الأمر، إلى جانب القرآن الكريم، الكتب التقليدية المتداولة آنذاك، مثل: (شرح العمدة، شرح الأزهار، بلوغ المرام... إلخ)، على يد والده، وبعض علماء تلك الفترة. وسرعان ما هضم الوريث تلك الكتب وتفتق ذهنه، لينتقل بعد ذلك إلى القراءة المتنوعة والواسعة، مثل: (علم الكلام، والصرف، والنحو، والبلاغة، والفلسفة... إلخ)⁽⁹⁾ التي أكسبته تراكماً معرفياً وحساً جدلياً مبكراً؛ لتصله فيما بعد تجربة المدرسة الشمسية.

المحور الثاني: الوريث إفراراً للمدرسة الشمسية في ذمار (كرسي الزيدية):

تعد مرحلة المدرسة الشمسية في ذمار وما أكسبته من علوم ومعارف متنوعة بالنسبة إلى أحمد عبدالوهاب الوريث المرحلة التأسيسية التي شكلت أفاقه، وحددت اتجاهاته الإصلاحية المبكرة، تجلّى ذلك في كتابه الجدلي التأملي (نور القلوب في معرفة علام الغيوب)⁽¹⁰⁾ الذي ناقش فيه بعض مسائل علم الكلام الجدلية مبدياً ترجيحاً وتوافقاً مع النسق الفكري الجدلي للعقلانية الاعتزالية، لولا أنه اختار نهايته المأساوية بالحرق خوفاً من السلطة. كما أنه أبدى مغايرة لمجايليه من طلاب المدرسة الشمسية، حيث قرأ، إلى جانب المنهج الرسمي التقليدي، كتباً ذات نَفَسٍ سني، كانت تعد -وقتذاك- خروجاً عن المألوف التعليمي في ذمار، حيث تشكل قراءتها نوعاً من الجدل والحراك الفكري بين الطلاب أنفسهم من جهة، وبين المعلمين (زيديين وسنة) من جهة أخرى⁽¹¹⁾.

ونتيجة لسعة اطلاعه وثقافته المتنوعة منحه والده العلامة عبدالوهاب بن أحمد الوريث إجازة علمية كانت بمثابة شهادة عليا، وفقاً لمقياس ذلك العهد، مكنته من التدريس والإفتاء في المدرسة الشمسية نفسها. وعلى الرغم من أن والده حاول آنذاك أدلجته -بشكل أو بآخر- وغرس المفاهيم المذهبية الضيقة في عقله، عن طريق حثه على اتباع نمط فقهي تقليدي معين، تجلّى ذلك

في قصيدته الطويلة التي بعثها إليه. فإنه أبدى استعصاء ومغايرة على ما أدلج به، كما أظهر تمرداً على التقليد. أفصح عن ذلك في طروحاته الفقهية والفكرية المبكرة، ومساجلاته مع نخبة من فقهاء عصره المقلدين، حيث رد عليهم وعلى قصيدة والده بقوله:

فلا سمت بي عقوة علوية إن كنت للتقليد ذا إذعان.
ما مذهبي إلا الكتاب وسنة المختار لا قول بلا سلطان⁽¹²⁾.

عكف الوريث على التدريس والإفتاء في المدرسة الشمسية في ذمار مدة غير قصيرة، كان خلالها نموذجاً للعالم المتعلم. لذا نستطيع القول إنه كان إفراساً للمدرسة الشمسية، ونتاجاً ثقافياً لفكرها ومنهجها ليس إلا. تلك المدرسة الرائدة، في زمانها، التي أنجبت كوكبة من العلماء والمفكرين الكبار، ولعل المفكر والمصلح أحمد عبدالوهاب الوريث، إلى جانب شاعر اليمن الكبير عبدالله البردوني، وغيرهما كثير أهم نماذجها وخيرة طلابها.

المحور الثالث: اهتمامه بالفكر التجديدي (فكر الجامعة الإسلامية).

لاشك في أن الوريث تأثر بمدرسة الأفغاني ومحمد عبده الإصلاحية، وقد ظهر ذلك من خلال قراءته وطروحاته التي شكلت آنذاك نوعاً من الغربة الثقافية في وسط علمي تقليدي جامد، حيث أتى على كتب الأخر المذهبية قراءة وتأملاً على غير المعتاد عند مجاليه، الأمر الذي أكسبه ثراء وتنوعاً انعكس على رؤاه الإصلاحية وأفقه الفكري. كما كان يدعو إلى التجديد والإصلاح الديني والعودة بالإسلام إلى منابعه الأصلية (القرآن والسنة)، واجتهد في محاربة البدع والخرافات التي رأى أنها قد علقت بالدين الإسلامي بفعل الجهل والتقليد الأعمى⁽¹³⁾، وهو بهذا بدا متأثراً بفكر من سبقوه من رواد المدرسة الإصلاحية اليمنية الأنفة الذكر، الذين حملوا لواء التجديد والاجتهاد في عصر أصبح الجمود والتقليد سمته، إلى جانب تأثره بالمدرسة الإصلاحية الإسلامية (الأفغاني - محمد عبده).

وعلى الرغم من أن الوريث كان نتاجاً لثقافة المدرسة الشمسية وفكرها إلا أنه استطاع بجهوده الذاتية أن يكتسب ثقافة إصلاحية حديثة أخرجته من إطاره المحلي المحدود إلى الإطار العربي الإسلامي الأوسع، ترجم ذلك عملياً في كتاباته ذات النَفَس الفكري الإصلاحية في بعض

الصحف والمجلات اللبنانية والمصرية، وغيرها من الصحف الإصلاحية في العالم الإسلامي، وهي الكتابات التي نستشف من خلال مضامينها نَفَس (الجامعة الإسلامية)⁽¹⁴⁾، التي كرس معظم كتاباته لمشروعية تحققها، ولو على المستوى النظري، وأكد عليها أثناء موقفه الجدلي مع أحد علماء الحجاز الذي اعتبر مسألة الحج مجرد أداء فريضة، وممارسة شعيرة من شعائر الإسلام التقليدية وحسب، بينما عدها هو بمثابة مؤتمر إسلامي عام، يلتقي فيه المسلمون بشكل موسمي؛ ليناقدوا فيه قضاياهم ويتدارسوا مستقبل شؤونهم، ويكون سبيلاً إلى تآلفهم وتعاظدهم⁽¹⁵⁾.

المحور الرابع: انتقاله إلى صنعاء ومطارحاته وتمير أفكاره عبر مجلة الحكمة:

اتسعت شهرة الوريث على المستويين المحلي والعربي والإسلامي⁽¹⁶⁾، كما شعرت السلطة الإمامية بخطورته وما يمثله فكره المستنير من نور عقل وثورة فكر بددت رتابة المشهد الثقافي السياسي وركوده آنذاك، لاسيما وقد تبلور الوعي السياسي لدى قطاع واسع من مثقفي تلك الفترة. الأمر الذي قاد المؤسسة الحاكمة إلى استدعائه إلى صنعاء وتعيينه في "لجنة التأليف" ثم رئيساً لتحرير مجلة الحكمة اليمنية، التي أصدرها عام 1357هـ - 1939م⁽¹⁷⁾، هادفة من وراء ذلك احتوائه ومحاولة تطهيره.

لكنه أبدى استعصاء على الاحتواء الرسمي، وتمرداً على التأييد المؤدلج. فقد أفصح عن مشروعه الإصلاحية التنويرية من خلال "مجلة الحكمة" التي ترأس تحريرها، وأخذت على عاتقها "السعي في الإصلاح والدعوة إلى الخير، وتهذيب الأخلاق، وبث الثقافة الحقة، ونشر أخبار صحيحة، وإقامة سوق عكاظية للأدب والمتأديين"⁽¹⁸⁾، كما مارس من خلالها التوعية والتثقيف والتنوير بالأفكار الإصلاحية بين أوساط المجتمع⁽¹⁹⁾.

لقد اتسمت علاقة أحمد عبدالوهاب الوريث بالسلطة الإمامية بنوع من الضبابية، حيث شابها نوع من الحميمية حيناً، وكثيراً من الريبة أحيان كثيرة، فعلى الرغم من أنه عين رسمياً في "لجنة التأليف" ورئيساً لتحرير "مجلة الحكمة"؛ إلا أنه ومن خلال وظيفته الرسمية استطاع أن يمرر أفكاره الإصلاحية، ويمارس وظيفته التنويرية، وهو ما وتر علاقته مع الحاكم المستبد من جهة، ومع المجتمع التقليدي الأبوي من جهة ثانية. إذ تفاعل في سياق ثقافي سادت فيه الأبوية

(البيطريارية)، وتفشت خلاله ثقافة الاستقطاب، الأمر الذي فرض عليه نمطاً علائقياً مع السلطة، اتسم في الغالب بالمجاراة والنقد (المغلف) متى ما ساحت له الفرصة. فقد كان حذراً في دعواته الإصلاحية، لم يحاول الاصطدام بالسلطة مباشرة، كما أن السلطة لم تتخذ موقفاً عنيفاً إزاءه، وإن كانت متهمّة بتهيئة الظروف المناسبة لإسكاته وتوقيف مجلته⁽²⁰⁾.

والواقع أنه، استطاع بذكائه أن يحافظ على قدر من الانسجام مع السلطة، ولم يوجه لها النقد بصورة مباشرة، أو حتى نقد سياستها بشكل صريح، اللهم إلا بعض التلميحات التي كانت ترد في مقالاته على شكل عموميات، وضمن سياقات عامة، كنقد أوضاع المسلمين عامة، ونقد ثقافتهم السياسية المتخلفة، واستيطان ثقافة الاستبداد في مجتمعاتهم، وإشاعة ثقافة الجهل والخرافة في أوساطهم، وغير ذلك.

ومن هذا المنطلق حدد الوريث رسالة "مجلة الحكمة" التي أراد لها أن تكون حاملة لمشروعه الإصلاحية التنويرية، الذي اختزله في الآتي:

- التنوير، والتثقيف والإصلاح، ومحاربة الجهل.
- نشر الفضيلة ومحاربة الفساد والرذيلة.
- نشر الحقائق العلمية والأبحاث الأدبية والتاريخية.
- تعزيز الصلات والتثاقف بين مختلف الأمم والشعوب.
- تنمية ملكات الإبداع وصقل المواهب الكتابية.
- تسليط الضوء على الحاضر والاحتفاظ بالتراث وصيانة الموروث⁽²¹⁾.

كما رأى أن تلك المهمة لا يمكن لها النجاح إلا إذا كانت المجلة جادة وملتزمة تحمّل مشروع أمة، لا نزوات أفراد ورغبات سلطان: "ونعني بهذه الصحافة ما يكون مسلكها في الإرشاد والحث على مكارم الأخلاق، وعلو الشمائل، لا تلك الصحائف التي ملأت صدورنا بالخلاعات والعزوف عن الديانة والخروج عن قواعد الإيمان، وبث ما يكون بعضه داعياً إلى هوة الفساد وسحق الإخلاق الذميمة..."⁽²²⁾، كما طالب بضرورة أن تكون القضية المركزية للصحافة عموماً

هي الوظيفة الاجتماعية قبل أي شيء آخر؛ إذ يقول: "إن الصحافة هي لسان الأمة الناطق، وترجمانها المعبر، ودماغها المفكر، وعرقها النابض، ويدها العاملة في الذود عن حياضها، والمطالبة بحقوقها، والإهابة بالمائل منها عن طريق الحق، والسائر في سبيل الغي، وهي مذياعها الذي تسمع به العالم صوتها، ومهذبها المقوم لأخلاقها والمربي لأبنائها، وهي الوساطة بينها وبين زعمائها ومفكرها ومصلحها ورجال العلم فيها والأدب"⁽²³⁾.

ذلك هو جوهر مشروع الوريث، ذي البعد الإصلاحي الاجتماعي، الذي يرفض الجمود والتقليد، ويسعى إلى التنوير والتحديث، والنهضة الشاملة. ومن مطارحاته الفكرية التي مررها عبر مجلة الحكمة مفهومه للوحدة الوطنية، التي تمازج فيها الوطني بالقومي بالديني.

فالوطن في مفهومه ليس حيزاً مكانياً تحدده الجغرافيا، أو مجرد هوية وطنية تؤطرها مرجعية تراثية وحسب، إنما هو إلى جانب ذلك كله، العزة والكرامة والشعور بالانتماء، بل الحياة ذاتها، "الوطن ويا لها من كلمة تبعث في الروح الحياة، وتوحي بجزالتها إلى النفس السرور، وتلعب بشجي ألحانها أوتار القلوب، ويستهو المرء في سبيلها الغالي والرخيص، والغث والثمين، ويستهو الموت حرمة لها، ودفاعاً عنها، وإعلاءً لشأنها، ورفقاً لكلمتها وصوناً لها، الوطن كلمة ضمت جميع معاني الحياة، وحتوت عموم أنواع المسرات، وحلق فوقها طائر البشر، ورفرفت عليها رايات السعادة والهناء، الوطن منشأ العزة، ومبعث الرفعة، ومصدر الشرف، ومحط الأمل، وموطن الرغد والرفاهية، ومكان الفخر والمباهاة..."⁽²⁴⁾. وهنا نجد أن مفهوم الوطن عند الوريث قد امتزج بكل معاني القيم والأخلاق الفاضلة، وتماهى مع العقيدة والدين. بحيث صار الوطني الحق في رأيه هو ذلك الملتزم بأخلاق الإسلام، المجسد لها قولاً وفعلاً، والعامل بها قلباً وقالبا: ف"المتدين الوطني إذا رأى ما ينافي الدين والأخلاق الفاضلة من أي فرد من أبناء وطنه يؤسفه ذلك، فيسعى في إصلاح ذلك الفرد بكل قوته ناصحاً ومعلماً، الوطني المتدين يخلص لإمامه وأمتة وحكومته...، ويسعى في توطيد الأمن، يخضع للأحكام الشرعية بلا حرج، يطيع الله ورسوله وولي الأمر، الوطني المتدين لا يرضى أن يعيش بدون وحدة، بدون استقلال، بغير حكومة، لا يرضى أن يرفرف في جو

بلادهم غير رايتها الإسلامية التي لا تسقط...، لا يرضى أن يرى دينه أو أمته أو حكومته مهانة من أجنبي بالقول أو بالفعل، يدافع عنها بكل قوته، يُكذّب الدعايات والدسائس الأجنبية المفسدة، ولا يسمعها ولا يصدقها ولا يسمح بانتشارها، بل يبطلها ببيانه ويفسدها ببراهينه، لا تسمم فكره ولا تززع عقيدته، يقضي على نشرها بين ذوي العقول البسيطة والسذج الذين يتطرق إليهم تسمم الفكر بلا روية⁽²⁵⁾.

وهو بهذا يحاول صياغة شخصية وطنية يمنية موحدة مشبعة بالروح الإسلامية، لا تتنازعها الدعوات المذهبية، ولا تؤثر فيها النعرات المنطقية، كون الإسلام هو المسوغ الوحيد القادر على صياغة تلك الشخصية المثالية.

كان للورث فلسفته الخاصة حول التاريخ وصياغته. فقد انتقد الكتابات التاريخية الرسمية التي رأى أنها مجرد بيانات سياسية عسكرية اقتصرت وظيفتها على تمجيد الحاكم، ورصد حركاته وانتصاراته، بحيث قدمت التاريخ الإسلامي الرسمي وكأنه تاريخ المنتصر، مغفلة دور الشعب في حركية التاريخ. كما رفض الانتقائية في التاريخ، واقتصره على الأمور السياسية وإغفال دور الشعب أيضاً، باعتبار التاريخ صيرورة مجتمعية متكاملة لا تقبل الاختزال أو الاجتزاء، واصفاً ذلك الأسلوب في صياغة التاريخ بأنه من مخلفات ثقافة ماضوية تنتمي إلى العصور المظلمة: "... خلافاً لما يسود بعض الأفكار من أن التاريخ قصر على الأحوال السياسية فحسب، وهذا الوهم جرثومة من جرائم الماضي المظلم، الذي كان لا يرى غير المواقع الحربية، والمآسي الدامية، وتنازع الأقطار، والتكالب على السلطة، وتجاذب أطراف البلاد، وسفك الدماء...، لا يرى غير ذلك جديراً بالذكر، ولا أهلاً لشيء من العناية والاهتمام..."⁽²⁶⁾.

هذه السمة الغالبة، التي اتسمت بها الكتابات الرسمية، ما لبثت أن تحولت - من وجهة نظر الورث - إلى تقليد مألوف لدى بعض الكتاب والمؤرخين الرسميين، ليس بفعل تراكم الجهل، والاستبداد على الأمة منذ آمام فحسب، إنما لاستساعة منطق القوة والغلبة على حساب الجهل بقيم العدل والمساواة؛ "لأن التيار الذي كان يغمره ولا يزال يغمر حاضر بعض الأقطار، تيار يقذف بالجهل ويرمي بموجبات كلها غطرسة وجبروت، وكلها تحكّم وتضييق وقيود وأغلال،

وسموم ومخدرات، تيار جهنمي، يقدس الغلظة والفظاظة في أشخاص أفراد مخصوصين، ويعبد العظمة المزعومة والعبقرية المكذوبة في هياكلهم، فهو لا يحسب لغيرهم حساباً ولا يقيم لسواهم وزناً، ولا يسمع ولا يرى غير أصواتهم وحركاتهم، فلم يحتفل بغير أعمالهم ولم يسجل في صحافته إلا مآثرهم...⁽²⁷⁾. وهو هنا يقصد في نقده الثقافة السياسية التي من شأنها تمجيد الاستبداد وتبرير الظلم بحجج واهية يدعي أصحابها أنها من الدين؛ لأن كتابة رسمية كهذه -في نظره- تقتصر على التاريخ للنخبة السياسية وصراعاتها العسكرية وحسب، كقيلة بإحالة موضوع التاريخ إلى تاريخ نخبوي استعلائي "وهو [فريق من الكتاب] يعتقد التاريخ وقفاً على ذكرك الأحوال -أي السياسية- أما غيرها من الحالات العلمية والعقلية والاجتماعية والاقتصادية وكل ما هو بمجموع الأمة ألصق، فليس -في اعتقاده- من التاريخ في شيء؛ لأن الأمة عنده أهون من أن يعنى بشأنها، وأرذل من أن ينظر في حالها"⁽²⁸⁾، إلى أن يصل إلى تأكيد شمولية التاريخ وضرورة الأخذ بعبره والاتعاظ بحوادثه؛ بغية الوصول إلى الواقع المنشود؛ كون الهدف العام للتاريخ في نظره هو: "أن التاريخ... دراسة أحوال الأمم في جميع مناحيها... فليست غايته استعراض حياة الملوك والأبطال، أو سرد وقائع الحروب وحوادث السياسة... وإنما غايته الوقوف على جميع...، النواحي...، وقوفاً يستفاد منه في الحاضر، ويرشد الأمة إلى سواء السبيل في حالتها الراهنة، ويدرب ملكات العقل لمعالجة ما يماثل مواضيعه في الشؤون العامة، ومن ثمة كان التاريخ الأستاذ الأكبر والمعلم الأول الذي يعلم الأفراد والشعوب، كيف تكون الحياة وكيف يجب أن يعيش بنو الإنسان"⁽²⁹⁾.

وعلى الرغم من أنه يرفض بشكل صريح مسألة اختزال التاريخ في شخص الحاكم أو اقتصاره على الأمور السياسية، كما رأينا آنفاً، فإنه يقر بوجود صعوبات على صعيد صياغة التاريخ، لاسيما التاريخ للأحوال الفكرية والنواحي العقلية، ويكمن سبب ذلك -من وجهة نظره- في عدم الوعي بتجلياتها واستكناه أطوارها وتطوراتها، وتزداد الصعوبة عندما تتدخل الأيديولوجيا السياسية والتحزبات المذهبية في تلك الصياغة، "ونحن موقنون بأن أعظم العقبات التي تعترض الباحث يجدها عند أن يتناول بحث الأحوال الفكرية والنواحي العقلية، لغموض مؤشراتها

وأَسباب تطورها وصعوبة إدراك مظاهرها التي تتجلى فيها جميع أدوارها...، وعلاوة على ذلك فالتعصب المذهبية والميول والنزعات السياسية، قد لعبت دوراً مهماً، ولونت التاريخ اليمني بألوان مختلفة وغمطت كثيراً من حقائقه وقلبته رأساً على عقب⁽³⁰⁾.

لقد تجلت هذه النزعة النقدية التي اتسم بها أحمد عبدالوهاب الوريث في طروحاته ومساجلاته كلها. فكما أنها في آرائه السياسية الجريئة، فهي أيضاً في فكره الإصلاحى المستنير في القضايا والجوانب المتنوعة.

المحور الخامس: مذهبه الإصلاحى التنويرى

أوضح أحمد عبدالوهاب الوريث طبيعة مشروعه الإصلاحى التنويرى (مذهبه الإصلاحى) وكنهه في مجلة الحكمة اليمانية. إذ استهل وذلك منذ العدد الأول بطرح سؤال جوهرى من أسئلة النهضة مفاده: "كيف يستعيد المسلمون سيرتهم الأولى؟"، في سياق سلسلة من مقالاته تحت عنوان "الإصلاح، حالة العرب قبل الإسلام وبعده، ماضي المسلمين وحاضرهم".

في المقالة الأولى أشار إلى حالة العرب قبل الإسلام، وقارنها بالنقلة النوعية التي حققتها الأمة الإسلامية بفعل اعتناقها للإسلام، الذي نقلها، في مدة زمنية وجيزة، من طور حياتى تسوده ثقافة القطيع وقانون الغاب إلى طور حياتى أكثر رقى وأحفل مدنية⁽³¹⁾؛ لأن العقيدة الصحيحة التي جاء بها الإسلام تنجز من الأفعال الحضارية، في زمن قياسي، ما لا تستطيعه الماديات، وهو ما انطبق على حالة الإنسان العربى القديم، إذ نقلته العقيدة الإسلامية، بفعل الطاقة الروحية الهائلة التي بثتها في كيانه، من إنسان بدائى متخلف تحكمه الغرائز والأهواء، وتقيدده حدود البيئة المحلية، إلى إنسان راشد قادر على التجاوز، والتفاعل بإيجابية في فضاء الأُممية الإسلامية، "أتى مرشداً إلى الأخلاق الفاضلة والشيم العالية والمزايا الطيبة، أنجى على الاختلافات الحزبية، وهدم أركان العصبية الجنسية والفرقة الجاهلية، وعلمهم أن المسلمين كتلة واحدة، لا تفاضل بينهم إلا بطاعة الله ورسوله وتنفيذ أوامرهما"⁽³²⁾ ودعا في المقالة ذاتها إلى ما يمكن تسميته ليبرالية الإسلام العبادية، وفردانية اختياراته الحياتية، وهو ما يعتبر تجلياً فكرياً ذا نزعة عقلانية اعترالية، "... إن مناط السعادة في الدنيا والآخرة هو الأعمال الشخصية التي يجب أن يقوم بها كل

فرد...، إن العقل مناط التكليف ومحك التمييز بين الحق والباطل، وإنه قسطاس الحكم وميزان الأمور، كما نعى على الأخذين بالظنون والأوهام، وأوضح خطر الاعتقاد بدون عقل ولا علم⁽³³⁾.

كما بشر بمجتمع مدني قوامه العلم والمعرفة، واستهجن الدعوات الغيبية (الميتافيزيقية) التي يراد بها تخدير العقول، والجمود عند مستوى فكري معين، فضلاً عن محاولته التنظير لمشروع الدولة الإسلامية المثالية المنشودة: "... إن السعادة الأخروية لا تنافي السعادة في الدنيا، وإن المدنية والحضارة إذا قصد بهما خير البشر وتسهيل المنافع في الحياة وإظهار بدائع الوجود فهما مما يدعو إليه (الإسلام)...، إن أكبر سبب في بقاء الأمم هو صلاحيتها للبقاء بالعلم والعمل، والأخذ بأسباب الحياة، لا يتمني الأماني الباطلة وإزجاء الآمال السرابية...، فتتألف دولة متينة القواعد...، ثم تندفع إلى الخارج حاملة لواء الحق، داعية إلى خير الإنسانية وصلاحها، لا تدعو إلى تكوين دولة تفتح البلاد، وتدوخ الشعوب لتغني بإفكارها وتحيا بإهلاكها، وتنتعم بإنزال اليأس والشقاء عليها، ولكن للقيام بتأييد الحق وإزهاق الباطل، ورفع منار الأخلاق، وإعلاء كلمة الله"⁽³⁴⁾.

وفي المقالة الثانية من مقالات الإصلاح استعرض الوريث انطلاقة الإسلام نحو العالمية، وكيف أن المسلمين حملوا لواءه ونشروا دعوته في أقطار الأرض؛ بغية إيجاد مجتمع إسلامي عالي يسوده الخير والعدل والسلام، بعد أن كان العالم يعيش حالة من الانقسام والصراع واللاإنسانية، وكيف أن مختلف شعوب العالم استساغت قيمه، واستوعبت مبادئه، بحيث قبلت به ديناً وهوية، بفضل مرونة المسلمين الأوائل، وتعاطيمهم الإيجابي مع واقعهم الجديد وفقهه: "فهموا مبادئ الدين كما أَرادها الله ورسوله، وطبقوها على جميع أحوالهم، ولم يسيئوا فهمها ولا عكسوها بتأويلها وإرجاعها إلى غير ما أَراده الشارع الحكيم، ولا قصرُوا في أعمالها وتطبيقها..."⁽³⁵⁾، ويحاول الوريث في نهاية المقالة تفنيد أسباب تدهور المسلمين، التي رأى أن من أهمها انفراط عقد الجامعة الإسلامية بين جميع المسلمين، ناهيك عن نشوب الحرب الصليبية، واكتساح التتار معظم مناطق العالم الإسلامي.

ثم يواصل في المقالة الثالثة البحث في تفكك الدولة الإسلامية، وما آلت إليه الأوضاع الدولية بعد الحرب العالمية الأولى؛ ليصل في نهاية المقالة إلى حث الشعوب الإسلامية على الحفاظ على استقلال بلادهم، والحذر من الاستعمار وحبائله⁽³⁶⁾.

وقد طرح الوريث رؤية تحليلية لواقع المسلمين حاول من خلالها كشف مكان الخلل الذي أصاب الأمة، وأعاق مسيرة تقدمها وازدهارها، اختصره في سبب إجمالي هو إهمال المسلمين العمل بقواعد الدين القويم، وتمثله في كل أحوالهم، وتعلقهم بالقشور والظواهر فيما حافظوا عليه من العبادات وسائر الواجبات الشخصية، وإدخالهم فيه ما ليس فيه، وغلوهم في ذلك؛ حتى جعلوا ما لا يرضاه الإسلام ديناً صادقاً، وصيروا ما هو للإسلام روح وللدين قوام بدعة وضلالاً⁽³⁷⁾. وهناك أسباب أخرى متفرعة عن الأصل، منها ما يتعلق بالعلماء مثل:

- العلماء وتهافتهم على المال والجاه.
- العلماء والمداجاة.
- العلماء والجمود.
- من مخترعات العصر الحديث (علماء مسلمون اسماً متفرنجون فعلاً).
- العلماء وتفريق الكلمة.

وكلها تركزت على العلماء ودورهم، إذ حملهم في هذه المقالة كل ما لحق بالأمة من جمود وتخلف، لاسيما علماء السلطة الذين جوزوا لها ما لا يجيزه الشرع من استبداد واحتكار للسلطة، كما اتهمتهم بإشاعة ثقافة الخرافة والخنوع بين أوساط العوام، إذ خلقوا بذلك مجتمعاً نمطياً مأسوراً عصبياً على التجاوز والابتكار.

وما ينطبق على العلماء الجامدين المقلدين ينطبق أيضاً على العلماء المتفرنجين (العلمانيين) - حسب وصفه - إذ رأى أنهم لا يختلفون عن الآخرين في جنائيتهم على الإسلام، بدعوتهم إلى الثورة على تعاليمه والتمرد على قيمه، تحت ذريعة مواكبة العصر وعلمنته، معتبراً أن مثل تلك الدعوات لا تمثل سوى تقليد فارغ للغرب لا قيمة له، وأنها مجرد محاكاة لا واعية،

الهدف منها تزييف وعي الجماهير؛ لذا نجده يحذر من الفرقة المذهبية وتداعياتها بين العلماء؛ لان تفريق الكلمة بينهم وتنافسهم غير المبرر قاد في حالات كثيرة إلى التعصب المذهبي والانغلاق السياسي، المفضي بالضرورة إلى الصراع والتحزب، حيث تضيق في هذه الحالة عقول العلماء ولا تكاد تستسيغ الآخر المذهبي، ويكون البديل المنطقي هو الانحطاط والتشردم لا محالة، حسب تعبيره، وهو ما جسده الواقع الإسلامي بكل تجلياته⁽³⁸⁾.

وثمة عوامل طرحها الوريث ضمن سياق مشروعه الفكري الإصلاحية، رأى أنها سبب انحطاط المسلمين وتخلفهم ، ويمكن اختصارها في النقاط الآتية:

- 1- الإعراض عن الكتاب والسنة وإدخال ما ليس من الدين فيه.
 - 2- جهل روح الدين⁽³⁹⁾.
 - 3- تصدع وحدة العقائد وظهور والاختلاف المذهبي.
 - 4- إهمال مبدأ التضحية بالنفس والمال⁽⁴⁰⁾.
 - 5- التخاذل وموت الشعور الأخوي.
 - 6- ضعف الأخلاق وفسادها⁽⁴¹⁾.
 - 7- نزع السلطة الإدارية والعسكرية من أيدي العرب، وقبض العناصر الغربية على زمامها⁽⁴²⁾.
- ولعل الجدير ذكره والوقوف قليلاً عنده ما تضمنته النقطة السادسة الخاصة بضعف الأخلاق وفسادها، حيث طرح الوريث إشكالية الحاكم في سياق حديثه عن تفشي تلك الظاهرة عند المسلمين، بوضع مقارنة بين نموذجين متضادين لصورة الحاكم؛ صورة مثالية رأى أنها منبثقة عن مفهوم النص الديني، ويجسدها الحاكم العادل، وأخرى سلبية من إنتاج التراث الاجتماعي، ويجسدها الحاكم المستبد.
- النموذج الأول (العادل) يتسم، بصفات إيجابية يستمدّها من طبيعة فهمه للدين الحيف والتزامه به مثل:

- الشورى في الحكم.

- الإخلاص للمصلحة المشتركة.
- اعتقاد المسؤولية من أجل إقامة الشريعة.
- الشعور بالمسؤولية الكبرى والجدية.
- التواضع، والأخلاق، والديمقراطية، والقبول بالنصيحة.
- العدل والإنصاف.
- اليقظة الشديدة والعناية بأمر الرعية.
- إنفاق الأموال العامة في الصالح العام.
- تشجيع العلماء على تحصيل العلم.
- إقامة الأحكام الشرعية وفقاً لأحكام الدين.
- الإمارة في مفهومه تكليف لا تشريف.

أما النموذج الثاني (المستبد) فإن غلبة السلبيّة تكون في كل أمورهِ، مثل:

- لا يأبه بالشورى ولا يعمل بها.
- أسير أوهامه وحاشيته.
- فاقد الإخلاص والجدية.
- لا يفهم من معنى الولاية غير كونها وسيلة لإرواء الشهوة، وتنمية الثروة، والتمتع بمظاهر الغطرسة والجبروت.
- فاقد الشعور بالمسؤولية، لا يبالي بقتل المسلمين واحتلال بلدانهم.
- عنيد، معجب بنفسه.
- لا يقبل النصيحة المغايرة لرأيه.
- يجعل بينه وبين الناس حواجز.
- يعشق الألقاب والتعالي والمظاهر الخادعة.
- ثقافته الاستبداد ومصادرة الحقوق.

- لا يهتم إلا بمصالحه الخاصة، ومصالح حاشيته وأسرته، التي يسلمهم على الرعية، على حساب المصالح العامة.
- يجعل الوظيفة المركزية للدولة الجباية وجمع الضرائب وتأميم الممتلكات.
- يتباهى بالملذات وبناء القصور ودور الرقص والغناء...، إلخ.
- لا يلتزم بقوانين الشريعة، ولا يؤدي الشعائر الإسلامية.
- يحارب العلم والحكمة بحجة أن العلماء خطر على السلطة.
- من صفاته العمالة للأجنبي ضد بني دينه ووطنه⁽⁴³⁾.

هذه المصفوفة من شروط نموذجي الحاكم ومواصفاتهم، حاول الوريث -بشكل أو بآخر- إسقاطها على الواقع اليمني آنذاك، بغية المماثلة وانتقاء العبر والعضة والمواعظ بالضرورة إلى الإصلاح والتثوير في آن معاً.

ومما تجدر الإشارة إليه -أيضاً- ما ورد في النقطة السابعة والأخيرة من مشروعه، الخاصة بنزع السلطة الإدارية والعسكرية من أيدي العرب وقبض العناصر الغربية على زمامها. تلك النقطة التي استند إليها البعض، على اعتبار أن ذلك يمثل نَفَساً قومياً مبكراً في فكر الوريث ووعيه.

وهذا -في اعتقادنا- ليس شرطاً كافياً أو تبريراً موضوعياً، يمكن الاعتماد عليه حيث "يتضح أن الوريث كان مفكراً إسلامياً وداعياً إلى الجامعة الإسلامية، أكثر من أن يكون ذا فكر قومي بحت، أو مؤمناً بالقوموية العربية في حد ذاتها"⁽⁴⁴⁾.

إن الوريث عندما يتحدث هنا عن إقصاء العناصر الغربية عن السلطة لا يعني بذلك تعصباً للجنس العربي أو العروبة على حساب الجنسيات الإسلامية الأخرى، وإنما يقصد بذلك نقد بعض سلاطين المسلمين في استعانتهم بالعناصر الغربية غير المشبعة بروح الإسلام الحنيف وقيمه، التي رأى أن تسلطها أدى إلى استغلال السلطة استغلالاً سيئاً وغير سليم، فضلاً عن إشاعة ثقافة الدسائس والمؤامرة بين السلاطين، وتسيد منطق القوة والغلبة على حساب مبدأ

الكفاءة والقيم، وبمعنى أدق بروز الثقافة الإمبراطورية في الفكر السياسي الإسلامي، التي كان من تبعاتها إزاحة العناصر النزهة والناضجة، التي من ضمنها العناصر العربية المهمشة، مما أدى إلى انحطاط المسلمين وتخلفهم، وقد عزز موقفه هذا، بتحديد شرط الإصلاح والنهضة، في كفاح الأمة في سبيل إحياء الجامعة الإسلامية وليس العربية⁽⁴⁵⁾.

إن مقالات الإصلاح التي كتبها الوريث في مجلة الحكمة تبين طبيعة مذهبه الإصلاحية التنويرية، كما تؤكد إسلامية أفاقه الفكري، وليس أدل على ذلك من دعواته المتكررة إلى إحياء الجامعة الإسلامية، في معظم مقالاته، إما بشكل واضح وصریح وإما على شكل إيماءة ضمنية، فعلى سبيل المثال لا الحصر، ما ورد في مقالته في مجلة الحكمة العدد السابع من السنة الأولى، بعنوان "الجامعة الإسلامية أقوى رابطة بين الأمم، انبناؤها على الوحدة العربية"، فبعد أن رأى استحالة توحيد الأمة - حينها - لعدة عوامل (جغرافية، واجتماعية، وثقافية، وإثنية... إلخ)، ذكر أن الإسلام استطاع، بصحة دعوته ونقاء رسالته، توحيد تلك المتناقضات والكتل البشرية المتباينة المنازع، والمتعددة المشارب والثقافات، تحت راية واحدة، وهوية جامعة، "شاعرة بأنها كالأسرة البيتية في وحدة الجنس والوطن والحقوق والمصالح...، ما من شك في أنها لا تستطيع ذلك، إلا إذا كان هناك عامل قوي مؤثر يعمل على نبذ الفوارق، ويقضي على أسباب التباعد...، فتمتزج بها امتزاجاً قوياً، ويتألف من مجموعها أمة تعتبر كل جزء من أوطانها وطناً للجميع..."⁽⁴⁶⁾، ولا يتأتى ذلك إلا بوحدة الدين وقوته، بل إنه اعتبر جوهر رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، هو الرابطة الإسلامية وتوحيد العالم على مقتضاها وشروطها، وأقرن إسلام المرء بها، "ومن أهم ما بلغ عن ربه فقد جاء بالجامعة الإسلامية والأخوة الدينية والرابطة الإيمانية التي وحدت مختلف الأمم، وجمعت شتات الشعوب، وساوت بينها في الحقوق والمصالح، أخوة إسلامية ورابطة دينية دعى إليها خاتم المرسلين...، وجعلها مبدأً عظيماً من مبادئ الدين الحنيف، ودستوراً من دساتير القرآن الحكيم، لا يتحقق إسلام فرد حتى يعتنقه، ولا يتم إيمان مؤمن إلا به، وكرر الدعوة إليه وإلى الحث عليه"⁽⁴⁷⁾.

وبعد أن ساق عدداً من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تدعو إلى وحدة المسلمين وتحث على المحافظة عليها وصل إلى القول: "... كل هذا يدلنا على مقدار الرابطة التي شرعها الإسلام لأبنائه، وجعلها جامعة بين شتيت الأمم، تقوم مقام الرابطة الوطنية، وتحل محل العصبية القومية...، الإسلام دين عام يشترك فيه الشرقي والغربي، والأبيض والأسود، والأحمر والأصفر، والعربي وغير العربي، ويطلب من جميع البشر الدخول في حظيرته المقدسة، فلا جرم، كانت جامعته فوق الفوارق الجنسية والتحزبات الوطنية، والتقسيمات الجغرافية، ولا جرم، كانت تلك الفواصل ملغاة في نظره، فلا جنسية في الإسلام ولا قومية في نظر الدين الحنيف...، وبذلك كانت حدود الإسلام هي حدود الوطن، وكل ما أحاطت به تلك الحدود فهو من المناطق التي يتحتم على المسلمين حياطتها... هذه هي الجامعة الإسلامية الكبرى"⁽⁴⁸⁾، وهو يحاول هنا التدليل على ما للرابطة، أيا كان نوعها، من أهمية في بناء الأمم، فقد تطرق إلى نموذجي بريطانيا وأمريكا الشمالية وربطتهما الصناعية، وكذلك نموذجي ألمانيا وإيطاليا وربطتهما القومية، حتى خلاص إلى القول: "ولكن هذه الروابط وتلك الصلات إذا قورنت بالجامعة الإسلامية التي جاء بها الدين الحنيف وراعاها المسلمون الأولون لم تكن شيئاً مذكوراً"⁽⁴⁹⁾.

وعلى الرغم من نظرتة المثالية نحو الجامعة الإسلامية، التي أملاها ضميره الإسلامي، فإنه تعامل مع ظروف ومعطيات زمانه ومكانه بواقعية سياسية مجردة، حيث طرح، في سياق حديثه ذلك، صيغة توفيقية، حاول من خلالها تشخيص الماضي وحلحلة إشكال الحاضر، بغية الوصول إلى وضع أسس واستراتيجيات لبناء المستقبل، وإن كان بصورة متدرجة، وتكتيك مرحلي، وهو ما رآه ابتداءً في تحقيق الوحدة العربية الصادقة: "... ولكن تجديد هذه الجامعة، وجعل جميع الأقطار الإسلامية وطناً واحداً كما كانت، وتأليف كل المسلمين كتلة واحدة أمام عدوهم، وإعادة بني القرآن إلى ما كانوا عليه، كل ذلك لا يمكن أن يكون طفرة وبلا تدرج وبدون أن يوضع له الحجر الأساس الذي يبني عليه وحده...، وأن أساس الجامعة الإسلامية العامة تحقق الوحدة العربية الصادقة"⁽⁵⁰⁾.

والمرحلية هنا لا تعني - بأي شكل من الأشكال - دعوة، صريحة أو ضمنية، للقومية العربية، أو نزوعاً عنصرياً نحوها، كما ذهب إلى ذلك بعض الكتاب والباحثين، وإنما اعتبر الوحدة العربية في هذه الحالة، حالة عبور، بل مقدمة وجسراً للوحدة الإسلامية العامة، كون العرب يمثلون جزءاً من مشروع إسلامي عام وليس خاصاً: "نحن من دعاة الوحدة العربية ونصرائها، ولكن لا باعتبارها نزعة قومية وعصبية جنسية تستقل بنفسها ضمن أسوارها، وتقتصر جهودها على العرب وبلاد العرب، رافضة لغير العرب من المسلمين، فهذا أمر يحاربه الإسلام، وينكره القرآن وتآباه الجامعة الإسلامية، التي ليس لها وطن محدود، ولا عصبية قومية كما أسلفنا، بل ندعو إليها من حيث إنها الأُس الوحيد لبناء صرح مجد المسلمين، وباعتبار أن عز الإسلام مرهون بعز العرب، وبصفتها الوسيلة الطبيعية الفذة إلى تحقيق الجامعة الإسلامية، وبذلك نتمكن من الجمع بين تطبيق المبدأ الإسلامي العام وإعادة وحدة العرب دعاة الإسلام وأبطاله ومؤسسي مجده الأثيل"⁽⁵¹⁾.

ومن ملامح مشروعه الإصلاحية التنويري ما أوضحه في المقالة العاشرة من مقالات الإصلاح المعنونة بـ "نهضة الإسلام الحاضرة"، التي قيل إنها نشرت في العدد الخامس من السنة الثانية بعيد وفاته، حيث أشار إلى النهضة الإسلامية التي بدأ العالم الإسلامي يشهد بعض مؤشراتها النسبية، التي تعد نوعاً من المغايرة لما هو سائد وما كان عليه المجتمع الإسلامي في أواسط القرن الثامن عشر وما قبله، وقد عزا حدوث تلك الطفرة إلى عامل الصدمة الحضارية التي أحدثها المشروع الاستعماري في بنية الفكر الإسلامي، التي بمقتضاها أصبح المجتمع الإسلامي يحس بآلامه وآماله، ويتطلع إلى مستقبل أكثر إشراقاً وتطوراً، فضلاً عن إلى تنامي نزعة التمرد على السائد السياسي والثقافي، وتكثيف الحس الثوري ضد سياسة احتلال الأوطان ومصادرة الحقوق والحريات، التي حتمت عليه تقدير قيمة العلم، وتحرير العقل من قيود التقليد والجمود.

وبعبارة أخرى أراد الوريث في هذه المقالة القول: إن الصحوة الإسلامية التي بدأ المجتمع الإسلامي يشهد إرهاباتها آنذاك، ما هي إلا ردة فعل طبيعية للسياسة الاستعمارية التي مورست على المنطقة، كما أنها حصيلة منطقية لمراجعات أثارها الصدمة الحضارية، وحتمتها ظروف

الانحطاط والتخلف، ومن أبرز ملامح هذه النهضة أن المجتمع الإسلامي: "قد انتقل من طور إلى آخر، انتقل من طور الجمود والغفلة، والكسل والبطالة، والجهل والتخريف، والاستسلام والتبذل، والتقليد والخنوع، والذلة والمهانة، والاستعباد والتقديس إلى طور - لا أقول انه يغيره تماماً- ولكنه يخالفه في شيء ما، ففيه شيء من التحرر العقلي، والإصلاح الديني، والنهوض العلمي، والرقي الأدبي، والنشاط العملي، والتقدم الاقتصادي والنظام السياسي، والشعور القومي، والاعتزاز الوطني"⁽⁵²⁾؛ لتكون في المحصلة بمثابة الفريضة الدينية والضرورة السياسية، التي لا بد من تحقيقها على أرض الواقع، وهو ما رآه الوريث متجسداً في دعوة الحركة الإسلامية الصاعدة: "من ذا الذي لا يشعر بالحركة الإسلامية النزاعة إلى التقدم في كل جهة من جهات الحياة، كل ذلك مما لا مجال للاستراية فيه، وكل ذلك يدل على أن هناك نهضة إسلامية أخذت في الظهور، ودخلت دور الترعع"⁽⁵³⁾.

وهكذا كان المفكر أحمد عبدالوهاب الوريث رائد حركة الإصلاح والتنوير في اليمن المعاصر، تبنى ومضة ثقافية فكرية، تحمل مشروعاً تنويرياً تحديتياً كان يبشر بالجميل القادم، وإن خطفته يد القدر في مدة وجيزة، قبل اكتمال تحققه ونضج ثماره، حيث توفاه الله يوم الاثنين الموافق 1940م.

الخاتمة:

خلصت هذه الدراسة إلى جملة من الاستنتاجات يمكن إجمالها في الآتي:

- أن أحمد عبدالوهاب الوريث كان رائداً طليعياً لحركة الإصلاح والتنوير في اليمن المعاصر، والمؤسس للفكر المستنير في زمن سادت فيه، كل البلدان العربية، ثقافة الجمود والتقليد، وأوصد باب الاجتهاد في معظم الأقطار الإسلامية.
- تعمقت الأفكار الإصلاحية وفكرة الدستور لدى مدرسة (الحكمة اليمانية)، لاسيما الوريث، متأثرة بأفكار (العروة الوثقى)، وكانت من خلال المناداة بتلك الأفكار تهدف إلى إيصالها إلى سمع الإمام آنذاك.

- حاول الوريث ان يمثل صدى أسلوب الكواكبي، ومن ثم مثل تجسيدا عصريا للتفكير المعتزلي الذي احتفظ به اليمينيون باعتباره إرثاً ثقافياً من أهم روافد تفكيرهم الديني.
- كان أحمد عبدالوهاب الوريث نتاج ثقافة إسلامية إصلاحية ترفض الجمود والتقليد، وتدعو إلى التجديد والإصلاح. فقد عاش جل عمره، القصير زمننا، الكبير عطاء فكريا، في العقدين الثاني والثالث من القرن العشرين، الذين كانا يعجان بالتطورات السياسية والثقافية والاقتصادية، واحتدام الصراع الفكري والمذهبي، حيث تفاعل مع هذا الواقع متأثراً به، ومؤثراً فيه بصورة إيجابية، ولم ينفصل عن الإطار الاجتماعي الثقافي الذي كان يحياه، إلا أنه ظل استثناء لقاعدة الثقافة الدينية - الفقهية تلك التي ظلت منجذبة في إجمالها، إما إلى الجدل الكلامي للفرق الدينية - السياسية وما نجم عنه من تحزبات مذهبية - فكرية، وإما إلى الحماس الإثني - السلافي (مشجر الأنساب) وما أسقط منه في الفكر الديني، وإما إلى النزوع الأيديولوجي - الطوباوي لمثاليات السياسة السلطوية الواعدة.
- أن الفكر الإصلاحي التجديدي مثل زمن الوريث ظاهرة إسلامية عامة، وإن كان لكل بيئة محلية خصوصية تنفرد بها، وقد جسد الوريث البيئة اليمنية باقتدار وحرفية عالية، حتى عندما كان في كنف السلطة.
- النفس الاعتزالي العقلي وخاصية فتح باب الاجتهاد سمة يمنية ملازمة ومتواصلة إلى الوقت الراهن، وهذا ما يحسب للبيئة الثقافية اليمنية.

الهوامش والإحالات:

- (1) أحمد محمد صبيحي، في فلسفة التاريخ، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1989م، ط2، ص63، 64.
- (2) أحمد بهاء الدين، المثقفون والسلطة في عالما العربي، سلسلة كتاب العربي، الكتاب رقم 38، مطبعة حكومة الكويت، وزارة الإعلام، 15 أكتوبر 1995م، ص 17.

- 3) محمد الحاضري، أزمة المجتمع اليمني، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، ط1، 2002، ص31.
- 4) إسماعيل الوريث، رواد التنوير في مدرسة الحكمة اليمانية، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط1، 2003م، ص 14.
- 5) المرجع نفسه، ص14.
- 6) محمد بن محمد زبارة، نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر، ج2، 1، تحقيق ونشر مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط1، 1990م، ص 108.
- 7) عبد الكريم عبدالحميد الخلف، الجانب الديني عند العلامة احمد بن عبدالوهاب الوريث، مجلة الآداب، جامعة ذمار، كلية الآداب، العدد (3) مارس 2003م، ص282.
- 8) عبد الكريم عبدالحميد الخلف، الجانب الديني عند العلامة احمد بن عبدالوهاب الوريث، مجلة الآداب، كلية الآداب، العدد 2، مارس 2003م، جامعة ذمار، ص 282، 283. إسماعيل الوريث، المرجع السابق، ص 11.
- 9) زبارة: نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر، ص 108، 109.
- 10) علي بن حمود الدولة: مجلة الحكمة الجديدة: اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين صنعاء، ديسمبر 1988م، ص 56.
- 11) إسماعيل الأكوغ: هجر العلم ومعاقله في اليمن، ج4، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط1، 1416هـ- 1995م، ص 2229.
- 12) للمزيد يمكن الرجوع إلى: محمد زبارة: نزهة النظر، ص 109.
- 13) عبدالله البردوني: الأعمال الكاملة، ج1، وزارة الثقافة، صنعاء، ص26.
- 14) إسماعيل الوريث: المرجع السابق، ص 14.
- 15) إسماعيل الوريث: المرجع السابق، ص 24، 25، 26.
- 16) سيد مصطفى سالم: مجلة الحكمة اليمانية، 1938-1941م، وحركة الإصلاح في اليمن، مركز البحوث والدراسات اليمني، صنعاء، ط2، 1988م، ص 45، 46.
- 17) إسماعيل الوريث: المرجع السابق، ص 23
- 18) الحكمة اليمانية: العدد 1، السنة الأولى، ذو القعدة سنة 1357هـ، ص 4، 5.
- 19) سيد مصطفى سالم: المصدر السابق، ص 51.
- 20) نفسه، ص 148.

- (21) الحكمة: العدد 1، السنة الأولى، ص 1، 2، 3.
- (22) نفسه، ص 3.
- (23) الحكمة: العدد 3، السنة الأولى، محرم 1358هـ، ص 82، 83، 84، 85، 86.
- (24) الحكمة: العدد 1، السنة الأولى، ص 22، 23، 24.
- (25) نفسه، ص 23، 24.
- (26) الحكمة: العدد 1، السنة الثانية، المجلد الثاني، ذو القعدة سنة 1358هـ- ديسمبر 1939م - يناير 1940م، ص 9، 10.
- (27) نفسه، ص 9، 10.
- (28) الحكمة: العدد 1، السنة الثانية، ص 10.
- (29) نفسه، ص 10.
- (30) نفسه، ص 12، 13.
- (31) نفسه، ص 5.
- (32) نفسه، ص 7.
- (33) نفسه، ص 8.
- (34) نفسه، ص 10.
- (35) الحكمة: العدد 2، السنة الأولى، ذو الحجة 1357هـ، ص 38.
- (36) الحكمة: العدد 3، السنة الأولى، محرم 1358هـ، ص 69.
- (37) الحكمة: العدد 8، السنة الأولى، المجلد الأول، جمادي الآخرة 1358هـ، يولييه / أغسطس 1939م، ص 226.
- (38) الحكمة: العدد 8، السنة الأولى، ص 233، 234، 235، 236.
- (39) الحكمة: العدد 9، السنة الأولى، المجلد الأول، رجب 1358هـ، أغسطس / سبتمبر 1939م، ص 257، 258، 259.
- (40) الحكمة: العدد 10، السنة الأولى، المجلد الأول، شعبان 1358هـ، سبتمبر / أكتوبر 1939م، ص 290، 293.
- (41) الحكمة: العدد 12، السنة الأولى، المجلد الأول، شوال 1358هـ، نوفمبر / ديسمبر 1939م، ص 353، 356.

- (42) الحكمة: العدد 1، السنة الثانية، المجلد الثاني، ذو القعدة 1358 هـ، ديسمبر 1939 م / يناير 1940 م، ص 5: العدد 2، السنة الثانية، المجلد الثاني، ذو الحجة 1358 هـ، يناير / فبراير 1940 م، ص 33.
- (43) الحكمة: العدد 12، السنة الأولى، شوال 1358 هـ، نوفمبر / ديسمبر 1939، ص 356 – 362.
- (44) سالم، سيد: المصدر السابق، ص 128.
- (45) الحكمة: العدد 2، السنة الثانية، المجلد الثاني، ذو الحجة 1358 هـ، يناير / فبراير 1940 م، ص 33، 39.
- (46) الحكمة: العدد 7، السنة الأولى، المجلد الأول، جمادى الأولى 1358 هـ، ص 196.
- (47) نفسه، ص 197.
- (48) نفسه، ص 199.
- (49) نفسه، ص 200.
- (50) نفسه، ص 202.
- (51) نفسه، ص 204.
- (52) الحكمة: العدد 5، السنة الثانية، ربيع الأول 1359 هـ، أبريل / مايو 1940 م، ص 136 – 141.
- (53) نفسه، ص 138.



صورة الثريا في الشعر العربي

بين إبداع الشعراء وتعامل النقاد والبلاغيين في العصر العباسي

د. عبدالباسط عبد الحميد غالب *

الملخص:

يتطرق هذا البحث إلى شعر هذه المدة الزمنية كونها تتضمن صور شعراء العرب التي شكلت أقوال شعرائها وصورهم الأساس الذي قامت عليه معظم آراء النقاد والبلاغيين ومواقفهم، متوقفاً عند العوامل التي وجهت شعراء العصر الجاهلي وما بعده إلى تصوير مجموعة نجوم الثريا في شعرهم بالجواهر والحلي، كالتأثر بالثقافة الطبيعية والاجتماعية والدينية، والأسطورية، وعلاقة مجموعة نجوم الثريا بالجواهر والحلي فضلاً عن الحسن والجمال، والرفعة والعلو، ثم نجدهم يقومون ببناء صور أخرى قريبة في دلالتها وعلاقتها من الصور السابقة، نظراً إلى ازدياد ثرواتهم منها، وكان إبداع الشعراء في رسم صورة الثريا محط عناية النقاد والبلاغيين في تصوير مجموعة الثريا بالجواهر والحلي، وتمثل اهتمامهم بها في الوقوف على عدد منها، والقيام بشرحها وتحليلها، وفي إيرادها ضمن شواهدهم واختياراتهم؛ لأجل الصور نفسها، أو لأجل معنى آخر، أو قضية من قضايا النقد والبلاغة وكان تناولهم لهذه الصور محكوماً بعوامل أدبية وثقافية وعلمية، ومعتمداً على مختلف الثقافات، بينما تركزت نظرتهم إلى العلاقة بين عناصرها على النواحي الشكلية الظاهرية، مع أنهم تأثروا بالعلاقة الرمزية.

* أستاذ البلاغة والنقد القديم المساعد - قسم اللغة العربية - كلية التربية - جامعة عدن - الجمهورية اليمنية.

Pleiades Portrait in Arabic Poetry between Creativity of Poets and the Treatment of the Critics and Rhetoricians in Abbasid Age

Dr. Abdul-Basset Abdul-Hameed Ghaleb

Abstract:

Returning to the heritage is an urgent necessity imposed by the nature of contemporary life in which the human lives in general, and the literary man and critics in particular. It is a tool for Arabic-self-confirmation, discovering its core and genuineness depth to confront the suspicious calls and campaigns being exposed to.

Returning to the heritage in itself includes contemporary critical troubles that pushed the research to think and study thereof to make an opportunity in upgrading a specific aspect of various ones, which is the "Pleiades (a group of stars which are arranged like a chandelier) portrait in Arabic Poetry between creativity of poets and dealing of critics and rhetoricians at the Abbasid Age" in terms of portraying and when dealing of the critics and rhetoricians at the Abbasid Age in their dealing with, quoting and selecting these artistic portraits.

I selected the poetry of such period because it includes the materials, formed the sayings and portraits of the poets and considered it as the basis for most opinions of critics and rhetoricians, and their critical and literary rhetoric attitudes until the latest periods of Abbasid Age.

Pre-Islamic Age Poets illustrated the Pleiades stars as jewels and trinkets because they were impressed by the natural, social, rural mythic culture in addition to the relation between the Pleiades stars group with jewels and trinkets, and charms, beauty, sublimity, prestige as well. Due to the increase of their treasures, the poets excelled for creating literary portrayal of Pleiades stars group, which won the full admiration of many critics and rhetoricians, through describing the Pleiades stars group as jewels and trinkets. Their attention in Pleiades shows that they know, explain and analyze and mention them in their scenes and selections in the literary illustrations themselves and in another meaning, or in the critics and also the artistic exaggeration matters. Furthermore, their dealing with this imagination depends on literary, scientific and cultural factors, beside their view for the relation between the elements at the nominal and apparent aspects, while they were impressed by the symbolic relation.

The researcher has depended on an analytical approach with using other approaches, such as the cultural approach in order to interpret the background for portraying this phenomenon.

المقدمة:

صورة الثريا في الشعر العربي، بين إبداع الشاعر وتعامل النقاد والبلاغيين في العصر العباسي، تناولت فيه الذاكرة على التاريخ الطويل لهذا العلم في الثقافة الإنسانية عامة، والثقافة العربية خاصة، حاولت فيه أن أكون محايداً أمام المادة الهائلة التي كانت بين يدي من ناحية، وأن أوجز القول؛ لأنني محدد بكمٍ معين يناسب معجم البحث.

فقد كانت الصور المعنية بالبحث هي صور شعراء العرب بين إبداع الشاعر وتعامل النقاد والبلاغيين في العصر العباسي، فهذه المدة هي التي شكلت أقوال شعرائها وصورهم، الأساس الذي قامت عليه معظم آراء النقاد والبلاغيين ومواقفهم النقدية والبلاغية وقد استعنت في التحليل والتفسير بأضواء السياق الاجتماعي والثقافي، وقد قسمت الدراسة بعد الملخص والمقدمة إلى مطلبين:

المطلب الأول: صورة الثريا عند الشعراء منذ العصر الجاهلي إلى أواخر العصر العباسي.

المطلب الثاني: صورة الثريا وتعامل النقاد والبلاغيين في العصر العباسي.

المطلب الأول: صورة الثريا عند الشعراء منذ العصر الجاهلي إلى أواخر العصر العباسي

يستدعي تناول صورة الثريا عند الشعراء في هذه العصور التوقف عند طبيعة الصورة وهما (الثريا) و (الجواهر والحلي) في الثقافة العربية.

الثريا هي "تصغير ثروى، ولم ينطق بها إلا مصغرة"⁽¹⁾، وهي ستة نجوم تتخللها نجوم كثيرة خفيفة، وهي من نجوم الأنواء، ونوؤها محمود؛ لكونه يأتي في الوقت الذي فقدت الأرض فيه الماء، ولأن مطرها تكون عنه الثروة، وكثرة العدد، والغنى. والثريا في ثقافة العرب ترمز للرفعة والعلو، وفي ذلك يقول الحارث بن حلزة⁽²⁾:

وبيت شراحيل في وائل مكان الثريا من الأنجم

ويقول عنتره بن شداد⁽³⁾:

وجاوزنا الثريا في علّاهما ولم نترك لقاصدنا وفودا

وبها ضرب المثل في البعد والرفعة، فقيل: "أبعد من النجم، والنجم اسم للثريا"⁽⁴⁾، وقيل أيضاً: "أبعد من مناط الثريا"⁽⁵⁾.

هذا ما كان عن طبيعة المشبه (الثريا) في الثقافة العربية، أما المشبه به وهو الجواهر، والجوهر واحدته جوهرة، والجمع جواهر، وهي عناصر يستخلصها الإنسان من الطبيعة، ويستفيد منها في حياته الاجتماعية والاقتصادية، وهي من العناصر الثقافية التي تشكل جزءاً من ثقافة العرب.

وطبيعة بلاد العرب، احتوت على عدد من خامات المعادن الثمينة، التي عرف العرب قيمتها، وقاموا باستخلاصها من الطبيعة، وتحويلها إلى مصوغات مختلفة، ومن هذه الخامات: الذهب، والفضة، والجزع، والعقيق، واليقران، والسعدان، والدهنج، والزمرد، والزبرجد، والشذر، والجمست، والبلور، فضلاً عن الحديد، والنحاس، والرصاص، وإلى ما كان يستخرج من أعماق البحر كاللؤلؤ، والياقوت، والمرجان⁽⁶⁾.

أما أبرز الصناعات التي قامت على هذه المعادن، والأحجار الكريمة، فهي صياغة الحلي، والحلي هو: "ما يتزين به من مصوغ المعدنيات أو الحجارة"⁽⁷⁾، وهي أنواع مختلفة، عادة ما تزين بها المرأة عدداً من أعضاء جسمها، كالأذن، ولها الشَّنْف والقرط والرعدة، أو المعصم، وله الوقف والقلب والسوار، أو العنق، وله القلادة والمخنقة، أو الرجل، ولها الخلخال والخدمة، أو الإصبع، ولها الخاتم والفتح، أو العضد، وله الدمليج، أو الساعد، وله الجبيرة، أو الصدر، وله القلادة⁽⁸⁾. فضلاً عن الوشاح، وهو: "كرسان من لؤلؤ وجوهر، منظومان، مخالف بينهما، معطوف أحدهما على الآخر، تتوشح به المرأة، الجوهري: الوشاح: ينسج من أديم عريضاً ويرصع بالجواهر، وتشده المرأة بين عاتقها وكشحيها"⁽⁹⁾. ناهيك عن أنواع أخرى من الحلي كالخرص، والسخاب، والحلق، والسلسلة، والأطواق، والأجراس، والجلال، والسكة، والحلية⁽¹⁰⁾، على أن استعمال المرأة العربية لهذه الأنواع من الحلي، لم يكن شائعاً عند كل النساء، وفي مختلف المجتمعات، بل إن شيوعه عند نساء أهل الحضرة أكثر من شيوعه لدى الأعرابيات؛ لأن المرأة الحضرية "أكثر تفناً واعتناء بنفسها من الأعرابية، بسبب اختلاف المحيط والوضع الاقتصادي، ولها من أمور الزينة مالا

تعرفه الأعرابيات من وسائل تجميل وتحلية جسم وملبس، ولاسيما النساء الغنيات القريبات من مواطن الأعاجم، فقد تأثرن بالأعجميات، وأخذن منهن ما راق لهن من ملبس وزينة وطيب وحلية"⁽¹¹⁾.

لقد استعمل العرب في العصر الجاهلي الذهب والفضة في معاملاتهم التجارية بعد تحديد قيمة السلعة بأوقية محددة من الذهب والفضة، وسك أهل العربية الجنوبية من هذين المعدنين، ومن معادن أخرى، نقوداً استعملوها في معاملاتهم التجارية، الى جانب استعمالهم لبعض النقود الأجنبية كالإيونانية، والرومانية، والمصرية، والحبشية، والفارسية⁽¹²⁾.
أما العلاقة بين مجموعة نجوم الثريا والجواهر والحلي، فهي الحسن والجمال، والرفعة والعلو. فكما أن نجوم الثريا ترمز للحسن والجمال، والرفعة والعلو، في ثقافة العصر الجاهلي، فكذلك أيضاً الجواهر والحلي.

ورمزية الجواهر والحلي للحسن والجمال، تعود إلى كونها من مقتنيات المرأة وعناصرها الثقافية التي تزين بها، والمرأة هي الرمز الأول للحسن والجمال في الثقافة العربية، خصوصاً إذا كانت معتنية بجمالها، وعلما من الحلة والجواهر ما يزيدا فتنة وروعة.
أما رمزيتهما للرفعة والعلو، فيعود إلى صعوبة الحصول عليهما؛ لارتفاع قيمتهما، وغلاء ثمنهما، وأن امتلاكها والتزين بها غير متاح إلا لأصحاب المقام الرفيع من سادة، وملوك، وأصحاب ثروات، أما العامة فإنهم لا يملكون منها إلا ما قلت قيمته، وانخفض سعره.

فمن تصوير الشعراء مجموعة نجوم الثريا بالجواهر والحلي قول امرئ القيس:⁽¹³⁾

إذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرض أثناء الوشاح المفصل

وقول الحطيئة:⁽¹⁴⁾

إذا ما الثريا آخر الليل أعنقت كواكبها كالجزع مُنحدرات

فامرؤ القيس شبه تعرض نجوم الثريا وسط السماء، بتعرض الوشاح المفصل بالجواهر

وسط المرأة المتوشحة، بينما شبه الحطيئة انحدار نجوم الثريا للمغيب بانحدار الخرز من العقد الذي نظمت فيه.

فقد أورد هذه الصورة امرؤ القيس بن مالك، فالأوشحة المفصلة بالجواهر، ليست غريبة على امرئ القيس بن مالك، بل هي جزء من ثقافته الاجتماعية، في معلقته ضمن أبيات لوحة بيضة الخدر، وفي سياق وصف الليلة التي تجاوز فيها الأحراس والأقوام للوصول إلى معشوقته، والخروج بها من الحي ليقتضي معها ليلة من ليالي الأنس، والوشاح المرصع بالجواهر أو المفصل به، مما تتزين به المرأة المترفة، وفي وجود الأحراس والأقوام حول الخبء دلالة على حسنيتها وترفها وتنعمتها، وانتمائها إلى بيت رفيع، وهي أمور زادت بقية أبيات اللوحة من تأكيدها، ومن ثم فإن الوشاح المفصل بالجواهر، لا يستبعد أن يكون من أدوات زينتها.

أما الحطيفة، وإن لم يكن من السادة أو من أصحاب رؤوس الأموال أو أبناءهم، فإنه من الذين يترددون على بيوتهم لمدهم ونيل عطاياهم، ومن ثم فإن عقود الحلي ليست غريبة عليه أو على ثقافته، وبخاصة إذا كانت هذه العقود من خرز؛ لأن الخرز غالي الثمن كاللؤلؤ والذهب وغيرهما، وهو من هذه الناحية متاح ومعروف لدى كثير من أبناء المجتمع.

وقد جاء بيته مع بيت آخر في وصف ليله بالطول، في مقدمة قصيدة هجا فيها قومه بخمسة أبيات، ومدح فيها إبلة بخمسة وعشرين بيتاً، حتى أن الخليفة عمر بن الخطاب قال له معلقاً على هذه القصيدة: "بئس الرجل أنت، تمدح إبلك، وتهجو قومك"⁽¹⁵⁾. لقد كان الغرض الأساسي من القصيدة، هو مدحه لإبله، وافتخاره على قومه بامتلاكها، والإبل ثروة العربي في ذلك الوقت، وبامتلاكها ينال الشرف والمكانة الرفيعة، وهي في حاجة إلى الأنواء المحمودة كنوء الثريا الذي يجلب الثروة.

لذلك نجد أن تصوير الشاعرين لمجموعة نجوم الثريا بجواهر الوشاح أو بخرز العقد، والسياقين اللذين جاءا فيهما، كانا متماشيين مع ما ترمز إليه نجوم الثريا والجواهر والحلي في ثقافة العصر الجاهلي.

وإذا كان المشهور لدى الشعراء هو تشبيه الثريا بالحلي والجواهر، فإن بعضهم قد عمد إلى تشبيه الحلي والجواهر بنجوم الثريا، على سبيل التشبيه المقلوب، يقول عنتر بن شداد:⁽¹⁶⁾

لعوب بألباب الرجال كأنها إذا سفرت بدر بدا في المحاشد

كأن الثريا حين لاحت عشية على نحرها منظومة في القلائد
ويقول قيس بن الخطيم:⁽¹⁷⁾

وجيد كجيد الرئم صاف يزينه توقد ياقوتٍ وفصل زبرجد
كأن الثريا فوق ثغرة نحرها توقد في الظلماء أي توقد

فقد شبه عنبرة بن شداد محبوبته عبلة في البيت الأول بالبدر، وفي البيت الثاني شبه الجواهر المنظومة في القلائد المتدللية على نحرها بنجوم الثريا، في حين شبه قيس بن الخطيم في البيت الأول جيد محبوبته بجيد الرئم، وفي البيت الثاني شبه الجواهر المتوقدة في الظلماء فوق ثغرة نحرها بنجوم الثريا.

معنى ذلك أن علاقة الحسن والجمال قائمة بين نجوم الثريا، والحلي والجواهر، سواء أصورت النجوم بالجواهر، أم الجواهر بالنجوم، وهذا انعكاس للثقافة وتأثيرها. على أن تصوير الشعراء في العصر الجاهلي لمجموعة نجوم الثريا أو غيرها من النجوم أو المجاميع النجمية، لم يكن بتلك الكثرة مقارنة بتصوير بعض الحيوانات، وفي اعتقادي أن ذلك يعود إلى عدة أسباب لها صلة بحياة أبناء ذلك المجتمع، والثقافة الشائعة بينهم، منها أن معظم العرب في العصر الجاهلي أهل بادية يعتمدون على الحيوان في حياتهم كما يعتمدون على الجواهر والحلي، التي هي أكثر ارتباطاً بأهل الحضر، أما أهل البادية فلم يكن حظهم منها كبيراً، إلا عند سادات القوم، ومن تحسنت أوضاعهم الاقتصادية.

أما تصوير النجوم في الثقافة الأدبية لذلك العصر، فقد ارتبط في الغالب بحالات وصف الليل بالطول، وما يعانیه الإنسان فيه من هموم وأحزان، ناهيك عن أن الليل نفسه، يرمز في جانب من جوانب تلك الثقافة إلى الخوف والمجهول، في حين ترمز الجواهر إلى الحسن والجمال. لقد كان تشبيه نجوم الثريا، أو النجوم بشكل عام بالحلي والجواهر، يزداد تدريجياً فأتسع نطاق شيوعه بين الشعراء، والسبب في ذلك يعود إلى بقاء تأثير الثقافة المتعلقة بالنجوم، وازدياد تأثير الثقافة المتعلقة بالجواهر والحلي عما كانت عليه في العصر الجاهلي، فالثقافة المتعلقة بالنجوم، لاسيما الثقافة المتعلقة بالثريا، ظلت على حالها، ومن ثم استمرت تأثيرها على الشعراء، فقد ظلت

الثريا من نجوم الأنواء، وظل نوؤها محموداً، وإن كان مفهوم الأنواء في عصر ما بعد العصر الإسلام، قد تغير عما كان عليه في العصر الجاهلي، يقول جرير متأثراً بهذه الثقافة: (18)

وسقاك من نوء الثريا عارضُ تنهلُ منه ديمة مدار

وظلت أسطورة الثريا والدبران شائعة في ثقافة ما بعد العصر الجاهلي، واستمر تأثيرها على الشعراء، يقول الشريف الرضي: (19)

نجوت من الغمائم، وهي قريبة نجا الثريا من يد الدبران

ورمزية الثريا للرفعة والعلو بقيت على حالها في تلك الثقافة، وبقيت على ألسنة الشعراء في مدحهم وفخرهم، يقول الأحموس: (20)

وإن بني حرب كما قد علمتم مناط الثريا قد تلت نجومها

كما بقيت رمزيها للحسن والجمال على ما كانت عليه، وفي ذلك يقول ابن الرومي: (21)

كأن الثريا علقت في جبينه وبدر الدجى في النحر صيغ له عقدا

وفي كون الثريا رمزاً للعزة والجمال يقول ذو الرمة: (22)

فخرت بزيدٍ وهي منك بعيدة كبعد الثريا عزا وجمالها

فالثقافة المتعلقة بصورة الثريا، ازداد شيعوها في مجتمع ما بعد الإسلام، وبخاصة في العصر العباسي، وهو أمر يعود إلى عدة أسباب، منها:

ميل غالبية أبناء المجتمع إلى حياة التحضر بدلاً من حياة التبدلي، ونزوح معظمهم من الصحراء إلى المدن ومراكز الحضرة التي أخذت تتسع شيئاً فشيئاً، ومما أسهم في ذلك، وجود سلطة مركزية وسلطات فرعية تتولى إدارة شؤون الدولة تتخذ من المدن مقراً لها، وكذلك تحسين الأوضاع الاقتصادية للدولة ولأبناء المجتمع؛ نتيجة الأموال الطائلة التي غنمها المسلمون جراء الفتوحات الإسلامية.

وكذلك تأثر العرب بثقافات الدول المفتوحة، وبخاصة فيما يتعلق بالملابس والحلي والمجوهرات التي يرتدونها أو يترنون بها، علماً بأن بعض هذه الدول، كانت من أبرز الدول الغنية

والمحضرة، وانتشار الثقافة المتعلقة بالحلي والجواهر في أي مجتمع يعود بالدرجة الأولى إلى درجته في التحضر وأوضاعه الاقتصادية.

ولهذا فمن الطبيعي أن تنعكس هذه الثقافة على الشعراء، وتبرز في شعرهم وصورهم البلاغية، ومما جاء على ألسنة شعراء ما بعد الإسلام من تصوير نجوم الثريا بالجواهر والحلي قول الراعي النميري:⁽²³⁾

تألأت الثريا فاستنارت تألؤ لؤلؤ فيه اضطمار
وقول يزيد بن الطثرية:⁽²⁴⁾

إذا ما الثريا في السماء كأنها جُمان وهي من سلكه فتبددا
ويقول ابن المعتز:⁽²⁵⁾

كأن الثريا والظلام يحفها فصوص لجين قد أحاط بها سبيج
وقول صاحب بن عباد:⁽²⁶⁾

تنير الثريا وهي قرط مسلسل ويعقل منها الطرف دُر مبدد
وقول ابن سكرة:⁽²⁷⁾

ترى الثريا والغرب يجذبها والبدر يهوي والفجر ينفجر
كف عروس لاحت خواتمها أو عقد در في الجوينتثر

* اللؤلؤ المضطمر: الذي في وسطه بعض الانضمام.

* الجمال: حبات اللؤلؤ الصغار، وقيل حب يتخذ من اللؤلؤ أمثال الفضة، وقيل خرز يبيض بماء الذهب.

* الفصوص: جمع فص، وهو ما يركب في الخاتم من الحجارة الكريمة، واللجين: الفضة، والسبيج: خرز أسود.

فقد شبه الراعي النميري، تألؤ نجوم الثريا واستنارتها بتألؤ اللؤلؤ، وشبه يزيد بن الطثرية نجوم الثريا بحبات الجمال التي تبددت بعد أن سقطت من سلكها.

وشهها ابن المعتز، وقد لفها الظلام، بفصوص فضة محاطة بخرز أسود، في حين شهها
الصاحب بن عباد في الشطر الأول من بيته بالقرط المتصل بعضه ببعض وفي الشطر الثاني شهها
بالدر المتبدد.

أما ابن سكرة فقد شهها وهي تتجه نحو الغرب وقت مغيب البدر وبزوغ الفجر بكف
عروس ظهرت للعيان خواتمها، أو بعقد در منتشر في الجو، بعد أن استعار في البيت الأول الجذب
لاتجاه نجوم الثريا ناحية الغرب، والهويان لمغيب البدر، والانفجار لبزوغ الفجر.

والعلاقة بين نجوم الثريا والحلي والجواهر في هذه الصور، حتى وإن كان لحاسة البصر دور
في إدراكها، تعود في الأصل إلى وضع نجوم الثريا والجواهر والحلي في ثقافة هؤلاء الشعراء، ورمزيتها
للحسن والجمال، ورفع المنزلة، وعلو القيمة. والسياقات التي جاءت فيها هذه الصور، معظمها
متصل بوصف ليالي الأنس ومجالس الشرب، كما في أقوال ابن المعتز، وابن عباد، وابن سكرة،
وهؤلاء الثلاثة من أصحاب المنزلة الرفيعة، والثروة الطائلة في المجتمع، فابن المعتز أحد أمراء بني
العباس، وابن سكرة أحد أبناءهم، وابن عباد من كبار الوزراء في إمارة بني بويه، لذلك كانت
الجواهر في قوله حلياً يلبس كالقرط، أو مالاً يمنح وينثر كالدر المبدد. أما بيت الراعي النميري فكان
مفرداً، في حين جاء بيت ابن الطثرية في سياق الفخر بالشجاعة، والنشوة بالنصر في إحدى
المعارك، وهو مظهر يدعو إلى الفخر والاعتزاز، ومن شأنه أن يرفع قيمة الفرد ومنزلته.

فكما صور شعراء العصر العباسي مجموعة نجوم الثريا المتعلقة بالجواهر والحلي فقد
صوروا غيرها من النجوم أو نجوم السماء بعامة بتلك الجواهر والحلي أيضاً، يقول عمر بن أبي
ربيعة: (28)

أرغب نجماً كأن آخره عد السماكين لؤلؤ نسق

ويقول مخلد الموصلي: (29)

وترى النجوم المشرقات، كأنها درر العصابة

ويقول الوأواء الدمشقي: (30)

ولقد ذكرتك والنجوم كأنها در على أرضٍ من الفيروزج

فقد شبة عمر بن أبي ربيعة آخر النجم الذي كان يرقبه بعد السماكين، باللؤلؤ المنتظم، وشبهه مخلد الموصللي النجوم المشرقات بالدرر التي ترصع بها العمامة، في حين شبه الوأواء دمشقي النجوم بدر منثور على بسط وفرش مصبوغة بالألوان، فتتجلى العلاقة بين النجوم والجواهر كما أوحى بها هذه الصور، في الحسن والجمال، وكان ذلك بتأثير الثقافة المتعلقة بالجواهر والجلي.

فباللؤلؤ أو الدر، وإن كان من أنفس الجواهر، فإن التحلي به، أو منحه وإهداءه، أصبح أمراً شائعاً في عهد الدولة الأموية والدولة العباسية، وجزءاً من ثقافة أبناء ذلك العصر، وبخاصة أصحاب المناصب والثروات في الدولة، والشعراء من أبرز من كان يتردد على مجالسهم ليمدحهم وينالوا عطاياهم. ومن خلال هذه الصور، فإن اللؤلؤ أو الدر قد يكون منظوماً في القلائد وقد تطرز به الثياب مثل العمام، وقد ينثر على البسط أو الفرش.

المطلب الثاني: صورة الثريا وتعامل النقاد والبلاغيين في الصعر العباسي

أولاً: تعامل النقاد

لقد أورد الجمحي صورة الثريا، ضمن ما أورده من التشبيهات التي استحسناها الناس من شعر امرئ القيس، وفي المقابل ذكر أن منهم من أنكر عليه هذا الوصف للثريا، ومنهم من غلط، لكنه برر ذلك بوقوعه في كلام العرب، فقال:

فأنكر قومٌ قوله: (إذا ما الثريا في السماء تعرضت)، وقالوا: الثريا لا تعرض.

وقال بعض العلماء: عنى الجوزاء، وقد تفعل العرب بعض ذلك، قال زهير:⁽³¹⁾

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

ويُعد القاضي الجرجاني من أولئك الذين غلطوا امرأ القيس في تشبيهه تعرض نجوم الثريا

بتعرض الوشاح، حيث استشهد بالبيت في موضوع أغاليط الشعراء، ومقالاته فقال: "والثريا لا

تتعرض، وإنما التي تتعرض الجوزاء"⁽³²⁾. إن الإنكار على امرئ القيس في هذه الصورة التشبيهية،

جاء بتأثير عدد من مكونات الثقافة، سواء أكانت أدبية ونقدية، أم اجتماعية وطبيعية. فتأثير

المكون الأدبي والنقدي للثقافة تأثر في النظرة الظاهرية الشكلية إلى العلاقة بين نجوم الثريا وجواهر الوشاح، وهي نظرة عادة ما يطلب فيها أكبر قدر من التوافق الشكلي بين المشبه والمشبه به. أما تأثير المكون الاجتماعي الطبيعي فقد تمثل في كون الوشاح المفصل بالجواهر في ثقافتهم الاجتماعية، يتعرض وسط جسم المرأة عندما تتزين به، في حين أن نجوم الثريا في ثقافتهم الطبيعية لا تتعرض وسط السماء، وإنما التي تتعرض هي نجوم الجوزاء، ومن هنا انعدم في نظرهم التوافق الشكلي، والعلاقة الظاهرية بين المشبه والمشبه به.

واعتمد من قام بتبرير هذا النوع من الغلط على الثقافة الأدبية التي تقضي حسب رأيهم، بشيوع مثل هذا النوع من الغلط لدى عدد من شعراء ما قبل الإسلام، وعلى رأسهم زهير بن أبي سلمى. وإذا كان وقوف هؤلاء النقاد على هذه الصورة، جاء في معرض الإنكار أو التغليب، فإن نقاداً آخرين جاء وقوفهم عليها، أو اختيارهم لها، في معرض الإعجاب والاستحسان. فقد اعتبر المبرد تشبيه امرئ القيس هذا من التشبيه العجيب، ورأى أن الناس أكثروا القول؛ لما في الثريا، فلم يأتوا بما يقارب هذا المعنى، ولا بما يقارب سهولة هذه الألفاظ⁽³³⁾.

ثانياً: تعامل البلاغيين

عد ثعلب هذا التشبيه من التشبيه الجيد، الخارج عن التعدي والتقصير⁽³⁴⁾، واختار هذا بن أبي عون على رأس التشبيهات الواقعة في الثريا التي اختارها من أقوال الشعراء⁽³⁵⁾. أما أبو أحمد العسكري، فقد ذكر أن بيت امرئ القيس هذا، كان أول بيت أنشدته الجماعة التي طلب منها صالح بن حسان أن تنشده أحسن شيء قيل في الثريا⁽³⁶⁾. فإعجاب هؤلاء النقاد بهذه الصورة التشبيهية، واستحسانهم لها، أو تقديمها على بقية التشبيهات الواقعة في الثريا من قبل الشعراء، كان بتأثير جانب من جوانب المكون الأدبي للثقافة، الذي يقضي بتقديم امرئ القيس، والعناية بشعره وصوره البلاغية، واعتبارها أصلاً من أصول الثقافة الأدبية للشعراء، والنقاد، والبلاغيين، وعلماء اللغة، وغيرهم من المهتمين بالشعر وصوره البلاغية، واستشهد ابن رشيق القيرواني ببيت امرئ القيس على ما يقع من الشعراء في التشبيه الواحد بغير أداة، والتي كان تقديرها: كمتعرض أثناء الوشاح⁽³⁷⁾.

وعبد القاهر الجرجاني من أبرز النقاد والبلاغيين الذين تعرضوا لتشبيه نجوم الثريا بالوشاح المفصل، حيث قام بتحليل هذه الصورة التشبيهية، وبيان الوجه الذي جلب لها شيئاً من الظرف واللفظ والإحسان، وتحديد العلاقة بين المشبه والمشبه به وطريقة إدراكها، وأن تشبيه نجوم الثريا بالوشاح المفصل، غالباً ما يكون مقروناً بكلامه عن تشبيهها بعنقود الكرم المنور، واللجام المفضض.

فقد أكد عبد القاهر وجود تباعد بين المشبه والمشبه به في هذا التشبيه، وتباين بينهم في الجنس، وهذا التباعد والتباين، هو الذي أوجب له الظرف واللفظ والاستحسان؛ لأنك -على حد قوله: "إذا استقرت التشبيهات، وجدت التباعد بين الشئيين، كلما كان أشد، كانت إلى النفوس أعجب، وكانت النفوس لها أطرب، وكان مكانها إلى أن تُحدث الأريحية أقرب، وذلك أن موضع الاستحسان، ومكان الاستظراف، والمثير للدفين من الارتياح، والمتألف للنافر من المسرة، والمؤلف لأطراف البهجة أنك ترى بها الشئيين مثلين متباين ومؤلفين ومختلفين، وترى الصورة الواحدة في السماء والأرض، وفي خلقة الإنسان، وخلال الروض"⁽³⁸⁾.

وعَدَّ عبد القاهر وجه الشبه بين نجوم الثريا، والوشاح المفصل في تشبيه امرئ القيس قائماً على الشكل الظاهري المدرك بحاسة البصر، وهو ليس مطلقاً أو محدداً بهيئة التعرض في وسط الشيء، وإنما هو محدد في اللون الفضي، وفي هيئة التفصيل في الوشاح، والشكل الذي يكون عليه الخرز المنظوم في الوشاح⁽³⁹⁾. وذكر أيضاً أنه لا يمكن القول بأن الثريا شهيت "بالوشاح المفصل لتأويل كذا، بل ليس بأكثر من أن أنجم الثريا لونها لون الفضة"⁽⁴⁰⁾.

إن تناول عبد القاهر الجرجاني لهذه الصورة التشبيهية، وتحليله لها، اعتمد فيه على الثقافة الاجتماعية المتعلقة بالوشاح ووضعها الجواهر فيه ولون هذه الجواهر، وعلى الثقافة الطبيعية والمعرفية بنجوم الثريا، من حيث سطوعها، ومن حيث هيئتها أو وضعها في السماء، كما تأثر تناوله للصورة، بالثقافة الفكرية التي شاعت في ذلك العصر، والتي كان عبد القاهر من أبرز أعلامها في مجال البحث النقدي والبلاغي.

(1) أما ما اختاره النقاد والبلاغيون من الصور البلاغية التي جرى فيها تصوير مجموعة نجوم الثريا بالجواهر والحلي، وأوردوها ضمن اختياراتهم من الصور البلاغية، فهي كثيرة ومتنوعة. ومن ذلك على سبيل المثال قول الأشهب بن رميلة:⁽⁴¹⁾

ولاحت لسارها الثريا كأنها لدى الأفق الغربي قرط مسلسل
وقول يزيد بن الطثرية:⁽⁴²⁾

إذا ما الثريا في السماء كأنها جُمان وهي من سلكه فتبددا
وقول ابن الرومي:⁽⁴³⁾

والثريا كأنها في بروج المطالع
كف خود تختمت في رءوس الأصابع

وقول ابن المعتز:⁽⁴⁴⁾

كأن الثريا والظلام يحفها فصوص لجين قد أحاط بها سيج
وقوله أيضاً:

وقد هوى النجم والجوزاء تتبعه كذات قُرطٍ أرادته وقد سقطا
وقول ابن طباطبا العلوي:⁽⁴⁵⁾

كأن الثريا لؤلؤ متراصف يُرى أبداً حلياً لظلماء عاطل
وقول آخر:⁽⁴⁶⁾

نظرت إليها والثريا كأنها قلادةٌ سلك سُل منها نظامها
وقول آخر:⁽⁴⁷⁾

إذا ما الثريا في السماء تعرضت يراها حديد العين ستة أنجم
على كبد الجرباء وهي كأنها جبيرةٌ درّكبت فوق معصم

فقد جاء بيت الأشهب بن رميلة، وبيت يزيد بن الطثرية، وبيت ابن المعتز الثاني، والأبيات الثلاثة الأخيرة، ضمن ما اختاره ابن أبي عون من التشبيهات الحسان الواقعة في الثريا⁽⁴⁸⁾.

واختار أبو أحمد العسكري بيت الأشهب بن رميلة، وبيت يزيد بن الطثرية، وبيت ابن المعتز الثاني، وبيت ابن طباطبا العلوي، وبيت الشاعر الذي شبه فيه الثريا بقلادة سلك سُل نظامها، ضمن ما اختاره من الأقوال التي جاءت في أوصاف الثريا وتشبيهها⁽⁴⁹⁾.

وأورد الراغب الأصفهاني، بيت الأشهب بن رميلة، وبيت يزيد بن الطثرية، ضمن ما اختاره من التشبيهات التي جاءت في الثريا⁽⁵⁰⁾.

ويعد علي بن ظافر من أكثر أصحاب الاختيارات عناية بالتشبيهات التي قيلت في الثريا، حيث خصص لها فصلاً من كتابه (غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات)، جمع فيه عدداً من التشبيهات التي كان أغلبها متصلاً بتشبيه نجوم الثريا بالجواهر والحلي، منها ما جاء في بيتي ابن الرومي، وبيت ابن المعتز الأول الذي نسبه إلى تميم بن المعز⁽⁵¹⁾.

إن عناية أصحاب الاختيارات بالصور التشبيهية التي شجيت فيها مجموعة نجوم الثريا بالجواهر والحلي، وكثرة اختيارهم لها، يؤكد أن هذه الصور أصبحت جزءاً من ثقافتهم الأدبية، كما يؤكد إقبال الناس عليها، واستحسانهم لها، وإقبال الناس على شيء، واستحسانهم له، هو في العادة محكوم بثقافتهم، ومتأثر بها، ومعنى ذلك أن هذه الصور أصبحت جزءاً من ثقافة المجتمع، لا ثقافة فئة من فئاته.

وإذا كان شعراء العصر العباسي لم يقتصروا على مجموعة نجوم الثريا، في تصوير النجوم بالجواهر والحلي، فإن النقاد والبلاغيين كذلك لم يقتصروا في تناولهم أو اختيارهم للصور البلاغية التي صورت فيها النجوم بالجواهر والحلي على ما جاء منها في تصوير مجموعة نجوم الثريا، فالجميع ينتمون إلى عصر واحد، ومن ثم فإن الثقافة التي أثرت عليهم كانت شبه واحدة.

أما أبرز بيت جرى فيه تصوير النجوم بالجواهر والحلي، ووقف عليه النقاد والبلاغيون، فهو بيت أبي طالب الرقي الذي يقول فيه:⁽⁵²⁾

وكان أجرام النجوم لوامعاً دُرُّ نُثْرِنَ على بساط أزرق.

فقد مثل عبد القاهر الجرجاني بالصورة التشبيهية في البيت على التشبيه المتوقف على دقة الفكر، الذي لا يدرك إلا بالتعب، واعتبر السابق إلى هذا التشبيه وأشباهه "لم يسبق إلى مدى قريب، بل أحرز غاية لا ينالها غير الجواد، وقرط في هدف لا يصاب إلا بعد الاحتفال والاجتهاد". واستشهد عبد القاهر بالصورة التشبيهية في البيت، وكلامه عنها يوضحان مدى تأثره بالثقافة الفكرية التي شاعت في ذلك العصر، التي تدعو إلى استخدام الفكر لاستخراج كل ما هو غريب وعجيب، وعدم الاستكانة إلى الراحة والاكتفاء بما هو مبتذل أو متعارف عليه. والغرابية في الصورة لم تتحقق حسب رأيه. من غرابية الدرر والبسط الزرقاء وندرتهما في ثقافتهم الأدبية، وإنما في ندرة وجود الهيئة الحاصلة من نثر الدرر على بساط أزرق، ثم تشبيهه بنجوم السماء بها. فهو يعد هذا التشبيه من قبيل التشبيه الذي تعتبر فيه الهيئة الحاصلة من اقتران شيئين، وذلك الاقتران مما يوجد ويكون، وهو -حسب رأيه- متفاوت الحال، منه ما يندرج وجوده، ومنه ما يتسع، ومثل للأول بيت أبي طالب الرقي، واعتمد عبد القاهر على بيت الرقي في توضيحه للتشبيه المركب، والفرق بينه وبين التشبيه المتعدد، فالتشبيه المركب في نظره نوعان: منه ما يكون "إذا فضضت تركيبه، وجدت أحد طرفيه يخرج عن أن يصلح تشبيهاً"⁽⁵³⁾. وقد مثل لهذا النوع الأخير بيت الرقي، ووضحه من خلاله فقال: "فأنت وإن كنت إذا قلت: كأن النجوم دُرر، وكأن السماء بساط أزرق، وجدت التشبيه مقبولاً معتاداً مع التفريق، فإنك تعلم بُعد ما بين الحالتين، ومقدار الإحسان الذي يذهب من البين، وذلك أن المقصود من التشبيه، أن يُريك الهيئة التي تملأ النواظر عجباً وتستوقف العيون، وتستنطق القلوب بذكر الله تعالى: من طلوع النجوم متلفة مفترقه في أديم السماء، وهي زرقاء زرقتها الصافية التي تخدع العين، والنجوم تتلألأ وتبرق في أثناء تلك الزرقة، ومن لك بهذه الصورة إذا فرقت التشبيه، وأزلت عنه الجمع والتركيب؟ وهذا أظهر من أن يخفي"⁽⁵⁴⁾.

فكلام عبد القاهر هذا عن الصورة في البيت، يؤكد كلامه السابق عنها، ويزيد من توضيحه، وهو كون در الإحسان والعجب في الصورة، هو في تركيب التشبيه، ومراعاة الهيئة الحاصلة من تنائر النجوم في السماء الصافية الزرقاء، وتشبيهاها بالهيئة الحاصلة من تنائر الدرر

على البساط الأزرق، وليس في أفراد التشبيه، ومراعاة الشبه بين النجوم والدرر، وبين السماء والبساط الأزرق، وهذا التشبيه - كما قال - مقبول معتاد، أي أنه شائع في الثقافة الأدبية، ومستمد من الثقافة الطبيعية والاجتماعية، لأن الشيء لا يكون مقبولاً ومعتاداً إلا إذا كان شائعاً في ثقافة المجتمع، لكن تأثير الثقافة الفكرية في ذلك العصر، يدعو إلى شيء من التحوير والإبداع في الصورة المعتادة والمتعارف عليها، وإخراجها بمظهر جديد، ينال إعجاب الناس واستحسانهم، وفي الوقت نفسه لا يتعارض مع مكونات ثقافتهم، وهذا ما حدث في هذه الصورة التشبيهية، واعتنى عبد القاهر بتوضيحه. وآراء عبد القادر في الصورة التشبيهية في البيت، وتوضيحاته لها، كما في معظم آرائه البلاغية والنقدية، أثرت فيمن جاء بعده من النقاد والبلاغيين وأصبحت جزءاً من ثقافتهم. فالسكاكي استشهد ببيت الرقي عند حديثه عن وجه التشبيه غير الواحد، وتابع عبد القاهر في كون المقصود من التشبيه، هو تشبيه هيئة بهيئة، وليس تشبيه مفرد بمفرد، حيث قال: "فليس المراد تشبيه النجوم بالدرر ثم تشبيه السماء بالبساط الأزرق، إنما المراد تشبيه الهيئة الحاصلة من النجوم البيض المتألثة في جوانب من أديم السماء الملقية قناعها عن الزرقة الصافية، بالهيئة الحاصلة المستطرفة من درر منثورة عل بساط أزرق، دون شيء آخر مناسب للدرر في الحسن والقيمة"⁽⁵⁵⁾.

كما استشهد محمد بن علي الجرجاني بهذا للبيت في إشارته لوجه الشبه، واعتبره من قبيل المركب المحسوس، وأن طرفيه مركبان، أي تشبيه هيئة بهيئة وليس تشبيه مفرد بمفرد⁽⁵⁶⁾. ولا يختلف الخطيب القزويني عن صاحب الإشارات، في الاستشهاد بالبيت على المركب الحسي من وجه الشبه، والذي طرفاه مركبان، واعتبار وجه الشبه هو الهيئة الحاصلة "من تفرق أجرام متألثة مستديرة، صغار المقادير في المرأى على سطح جسم أزرق، صافي الزرقة"⁽⁵⁷⁾. وتابع الخطيب القزويني عبد القاهر في الاعتماد على البيت في توضيحه للتشبيه المركب، وفي اعتباره من قبيل النوع الثاني الذي يمكن فك تركيبه، فيصح معه "تشبيه كل جزء من أجزاء احد الطرفين، بما يقابله من أجزاء الطرف الآخر، غير أن الحال تتغير"⁽⁵⁸⁾.

كما تابع الخطيب القزويني عبد القاهر في المقارنة بين التشبيه في بيت الرقي، والتشبيه في عجز بيت ذي الرمة، عند تناوله للتشبيه البعيد الغريب، وتفضيله التشبيه في بيت الرقي، على التشبيه في عجز بيت ذي الرمة⁽⁵⁹⁾.

الخاتمة:

يتضح مما سبق أن تصوير الثريا - لدى شعراء العربية حتى آخر العصر العباسي - بالجواهر والحلي، قد تواتر عندهم، وأخذ ألواناً متعددة من التصوير في أشعارهم تبعاً لتكوينهم الثقافي والاجتماعي، وبالمقابل كانت هذه الصور محط عناية العديد من النقاد والبلاغيين، والسبب في ذلك يعود إلى تأثير المكون الاجتماعي وكذلك الأدبي للثقافة. فالتحلي بالجواهر والمعادن الثمينة، وارتداء الملابس الموشاة والمرصعة بها، أصبح مظهراً شائعاً من مظاهر الثقافة الاجتماعية في مجتمع العصر العباسي، وتصوير النجوم بالجواهر والحلي ازداد شيوعاً وانتشاراً بين شعراء هذا العصر، وأصبح جزءاً من ثقافتهم الأدبية، مما دفع النقاد والبلاغيين، إلى الالتفات إلى مثل هذا اللون من التصوير، وتحليل صورته، وتمييز بعضها عن بعض.

وباستعراضنا للوقائع والنماذج السابقة، لوحظ أن الصور البلاغية كانت نتاجاً لواقع ثقافي معين، وأن انتقالها من جيل إلى جيل ومن عصر إلى عصر آخر، وكذلك تناول النقاد والبلاغيين لها، كان يحمل في طياته روح تحول ثقافة كل عصر من تلك العصور.

الهوامش والإحالات:

- (1) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وأدابه، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل، بيروت، ط5، 1981م، 2/ 256.
- (2) أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، دار الثقافة، بيروت، ط5، 1981م، 39/11.
- (3) عنتر بن شداد، ديوانه، دار الكتب العلمية، بيروت، 1416 - 1988م، ص46.
- (4) أبو هلال العسكري، كتاب جمهرة الأمثال، دار الجيل الجديد، بيروت، ط2، 1408 - 1988م، 238/1.
- (5) الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، دت، ص653.
- (6) ينظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، نشر جامعة بغداد، دت، 1-126-123-512-520.

- (7) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1414، 3-1994م، مادة: حلي.
- (8) ينظر: الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، حققه ورتبه ووضع فهارسه، مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، دت، ص250.
- (9) ابن منظور، لسان العرب، مادة: وشح.
- (10) ينظر: جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 564/7.
- (11) ينظر: نفسه، 620/4.
- (12) ينظر: نفسة، 504 /7، 487.
- (13) امرؤ القيس، ديوانه، دار صادر، للطباعة والنشر، بيروت، 1406 هـ_1986م، ص39.
- (14) الحطيئة، ديوانه، ص112.
- (15) نفسه، ص114.
- (16) عنتر بن شداد، ديوانه، ص59.
- (17) قيس بن الخطيم، ديوانه، تحقيق ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، دت، 125.
- (18) جرير، ديوانه، شرحه إيليا الحاوي، الشركة العالمية للكتاب، ص169.
- (19) الشريف الرضي، ديوانه، صححه وقدم له إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1994م، 498/2.
- (20) الأحوص، شعره، جمعه وحققه عادل سليمان جمال، قدم له شوقي ضيف، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1411-1990م، ص240.
- (21) ابن الرومي، ديوانه، شرح وتحقيق عبد الأمير مهنا، منشورات دار مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1411 هـ-1981م، ص453.
- (22) ذو الرمة، ديوانه، راجعه وقدم له وأتم شرحه وتعليقاته زهير فتح الله، دار صادر بيروت، 2004م، ص453.
- (23) الراعي النميري، شعره، دراسة وتحقيق نوري حمودي القيسي وهلال ناجي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1400_1980م، ص206.
- (24) أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، دار الجيل، بيروت، دت، 334/1.
- (25) ابن المعتز، ديوانه، صنعة أبي بكر بن يحيى الصولي، تحقيق يونس أحمد السامرائي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1417-1997م، 482/2.
- (26) عبد الرحيم العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، حققه وعلق على حواشيه ووضع فهارسه، محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، 1367هـ، 19/2.
- (27) الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، قدم له وحققه إبراهيم صقر، مكتبة جودة السحار وشركائه، القاهرة، دت، 21/3.
- (28) عمر بن أبي ربيعة، ديوانه، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1407 هـ_1987م، ص277.

- (29) أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، 1/335.
- (30) الوأواء دمشقي، ديوانه، عني بشرحه وتحقيقه ووضع فهارسه سلى الدهان، دار صادر، بيروت، ط2، 1414هـ-1993م، ص263.
- (31) امرؤ القيس، ديوانه، ص39.
- (32) أبو عبدالله محمد بن سلام الجمعي، طبقات فحول الشعراء، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، دار المدينة، جدة، دت، 1/ص89.
- (33) القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، دت، ص13.
- (34) ينظر: المبرد، الكامل في اللغة والأدب، مكتبة المعارف، بيروت، دت، 2/41.
- (35) ينظر: ابن أبي عون، التشبيهات، ضمن كتب الموسوعة الشعرية المسجلة على قرص C.D، المجمع الثقافي، أبوظبي، الإصدار الثالث، 2003م، ص6.
- (36) ينظر: أبو أحمد العسكري، المصون في الأدب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1402هـ-1982م، ص25.
- (37) ينظر: ابن رشيقي القيرواني، العمدة، 1/ص294.
- (38) ينظر، عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص109.
- (39) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص146.
- (40) نفسه، ص206.
- (41) عبد القادر البغدادى، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1418هـ-1997م، 11/ص50.
- (42) أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، 1/337.
- (43) علي بن ظافر، غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات، تحقيق محمد زغلول سلام ومصطفى الصاوي، دار المعارف القاهرة دت، ص37.
- (44) ابن المعتز، ديوانه، 2/482.
- (45) أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، 1/337(6)، أبو أحمد العسكري، المصون في الأدب، ص30.
- (46) قيس بن الخطيم، ديوانه، 125.
- (47) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية للتأليف والطباعة والنشر، القاهرة، دت، 1/337.
- (48) ينظر: ابن عون، التشبيهات، ص6.8.15.
- (49) ينظر: أبو أحمد العسكري، المصون في الأدب، ص26 - 30.

- 50) ينظر: الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، حققه وضبط نصوصه عمر الطباع، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1420، 1 - 1999م، 2/ص66.
- 51) ينظر: علي بن ظافر، غرائب التشبيهات على عجائب التنبيهات، ص41، 35.
- 52) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص137.
- 53) نفسه، ص46. وينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، حققه وقدم له وفهرسه عبد الحميد هندأوي، منشورات: محمد علي الحامي، تونس، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 1420 هـ_2000م، ص444.
- 54) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص169. وينظر: علي محمد الجرجاني، الإرشادات والتنبيهات في علم البلاغة تحقيق عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، 1418-1997م، ص160، 161.
- 55) الخطيب القزويني، الإيضاح، ص262، 263.
- 56) نفسه، ص183.
- 57) نفسه، ص283.
- 58) أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، ص41.
- 59) نفسه، 1/335.
- 60) أبو أحمد العسكري، المصون في الأدب، ص41.
- 61) الوأواء الدمشقي، ديوانه، ص263.
- 62) علي بن ظافر، غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات، ص44.
- 63) نفسه، ص44.
- 64) نفسه، ص44.
- 65) ينظر: ابن أبي عون، التشبيهات، ص11.
- 66) ينظر: الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 2/565.



أثر رأس المال الفكري في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة

دراسة ميدانية في الشركات اليمنية للصناعات الغذائية

أ.د. عبداللطيف مصلح محمد عايض *

د. أحمد جابر حسين أبو هادي *

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى تحديد أثر رأس المال الفكري في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة في الشركات اليمنية للصناعات الغذائية. وقد استعمل البحث المنهج الوصفي التحليلي، وتمثل مجتمع الدراسة في الشركات اليمنية للصناعات الغذائية الكبيرة جداً، البالغ عددها (16) شركة، بواقع (5416) مفردة، وقد تم اختيار عينة عشوائية طبقية غير تناسبية بواقع (359) مفردة، وتم جمع البيانات باستعمال الاستبانة التي تم تطويرها لجمع البيانات الخاصة بالبحث، وقد توصل البحث إلى أن الشركات قيد الدراسة تولي تحقيق الميزة التنافسية المستدامة بكافة أبعادها اهتماماً كبيراً، لكن اهتمامها بتحقيق بعدي: (الجودة، والاستجابة للعميل)، كان أكبر من اهتمامها بتحقيق بعدي: (الكفاءة، والإبداع أو التجديد)، كما تبدي الشركات اهتماماً كبيراً بتوفير رأس المال الفكري بكافة أبعاده، لكن اهتمامها بتوفير بُعد رأس المال البشري كان أكبر من اهتمامها بتوفير بعدي: (رأس المال العلاقتي، رأس المال الهيكلي)، كذلك يختلف أثر رأس المال الفكري في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة في الشركات باختلاف البُعد، فقد كان أكثرها تأثيراً بُعد رأس المال

* أستاذ إدارة الأعمال – كلية العلوم الإدارية – جامعة العلوم والتكنولوجيا، صنعاء، الجمهورية اليمنية.

* دكتوراه إدارة أعمال، الجمهورية اليمنية.

العلاقاتي، يليه بُعد رأس المال البشري، ثم بُعد رأس المال الهيكلي، وقدم البحث عدداً من التوصيات، أهمها: ضرورة تعزيز مستوى تحقق الميزة التنافسية المستدامة بجميع أبعادها، لاسيما بُعد الكفاءة؛ كونه الأقل تحقّقاً، وكذلك الاستمرار في الاهتمام بتوفير رأس المال الفكري؛ لما لذلك من أثر إيجابي في تحقق الميزة التنافسية المستدامة.

The Impact of Intellectual Capital on Achieving Sustained Competitive Advantage

A Field Study of Yemeni Companies for Food Industry

Prof. Abdulatef Musleh Mohammed Ayedh

Dr. Ahmed Gabir Hussein Abu Hadi

Abstract:

This study aims at investigating the impact of intellectual capital on achieving the sustainable competitive advantage in the Yemeni companies for food industry. The descriptive analytical method was used, and the study community consisted of (5416) employees from (16) Yemeni large companies for food industry, a number of (359) participants were taken as a sample, using a non-proportional stratified random sample. The data were collected by using a questionnaire which was developed for collecting the data. The results of the study revealed that the companies of this study pay a significant attention to achieving sustainable competitive advantage in all variables as the highest degree of achievement was recorded in the variables of (quality and responsiveness to customer) whereas the variables of (efficiency and innovation or renovation) recorded the lowest degree of achievement. The companies also pay a significant consideration to the implementation of intellectual capital whereas they pay greater attention to the human capital than to the relational capital and structural capital. The results also revealed that the impact of the intellectual capital on achieving the sustainable competitive advantage varies according to the variable as the relational capital variable scored the highest degree of influence, and the followed the human capital whereas the structural capital came last. In light of the findings, the study recommended promoting the level of

achieving the sustainable competitive advantage in all variables, especially efficiency, as it scored the lowest degree of achievement of sustainable competitive advantage and increasing the implementation of intellectual capital, as this has a positive impact on achieving the sustainable competitive advantage.

المقدمة:

تعد الميزة التنافسية المستدامة هدفاً إستراتيجياً تسعى إلى بلوغه منظمات الأعمال جميعاً؛ إذ إن المشكلة الأساسية التي تواجهها تلك المنظمات هي مشكلة الاستمرارية والبقاء في الصناعة أو السوق الذي تختاره، مما يتطلب امتلاكها العوامل الداعمة لذلك، ومنها: الأهداف، والموارد، والأفراد، القادرون والمتحفزون، وكذلك الخيارات الإستراتيجية الصحيحة والضرورية لبقاء المنظمة، وفقدان أي منها قد يعجل في فشلها وزوالها، كما أن امتلاك المنظمة للميزة التنافسية يعد مؤشراً على قدرتها في مواجهة متغيرات البيئة في السوق وفحصها الدقيق لبيئة الصناعة، ومن ثم قدرتها على مواجهة المنافسين، وإمكانية البقاء والاستمرار من خلال التفوق عليهم. وفي ظل السباق المتزايد بين المنظمات على تحقيق الاستدامة للمزايا التنافسية، بات لزاماً على تلك المنظمات أن تبذل جهوداً كبيرة في البحث عن المصادر الحقيقية للميزة التنافسية المتنوعة والمتعددة، ومن أهمها، كما يرى (نذير، وبدايوي، 2010، 168)، رأس المال الفكري الذي يعد الثروة الحقيقية للمنظمة؛ لقدرته على الإسهام في استدامة الميزة التنافسية، كما أنه يوفر للمنظمة مجالاً لتحقيق التميز، ويعزز موقعها التنافسي، ومن ثم يجب على المنظمات الحرص على الاهتمام برأس المال الفكري. وفي استقصاء أجرته منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية (OCDE) عام (2009) على (118) شركة أمريكية متنوعة، تبين وجود اتفاق بدرجة كبيرة بين رؤساء هذه الشركات من حيث إدراكهم الأصول غير الملموسة، إذ يرى (82%) منهم أن استمرار المنظمة ونجاحها يعتمد بصفة رئيسية على قدراتها التنافسية فيما يتعلق برأس المال الفكري، وفي دراسة لشركة (IBM) تبين أن القيمة السوقية للشركة وصلت إلى (70) مليار دولار، في حين أن

القيمة الدفترية لا تتجاوز (17) مليار دولار، ويرى عدد من الباحثين أن الفرق بين القيمتين يرجع إلى رأس المال الفكري الخاص بالشركة (الكساسبية، 2011، 2).

وفي ظل التحولات الجذرية الجديدة التي يشهدها العالم خلال السنوات الأخيرة من حرية التجارة، وكسر الاحتكار تواجه الشركات اليمنية للصناعات الغذائية منافسة حادة، سواء فيما بينها باعتبارها منتجات محلية أم مع المنتجات الدولية في الأسواق المحلية، مما يتطلب منها السعي إلى امتلاك رأس مال فكري يعتمد على أفراد ذوي مهارات وقدرات متعددة، ونظم وإجراءات وهياكل متطورة، وعلاقات مع العملاء، وتوظيفها في نشاطاتها المختلفة، ليس لضمان البقاء والاستمرار فحسب، بل للوصول إلى تحقيق الميزة التنافسية والمحافظة عليها.

الميزة التنافسية المستدامة، المفهوم والنشأة:

إن بدايات الاهتمام بالميزة التنافسية كانت قد ظهرت من خلال الجهود التي قام بها (Ansoff,1965)، ثم تبعته جهود مجموعة من الباحثين في (Harvard Business School) التي أشارت إلى جهود (Porter) في أواخر السبعينيات وبدايات الثمانينيات، وتبعها إصدارات (Strategic Management Journal) في إطار ما تضمنته من مقالات وبحوث تحمل في طياتها نماذج وأمثلة إستراتيجية مختلفة، كما تشير الدراسات إلى أن أول من طرح فكرة مفهوم الميزة التنافسية المستدامة هو (George Day,1984) إذ قال: يمكن الحصول على نماذج مختلفة من الاستراتيجيات لغرض مساعدة المنظمة في البقاء، لكن الحقيقة التي يُستند عليها في منشأ الميزة التنافسية المستدامة هو ما قدمه بورتر (Porter,1985) في نموذجه المعروف في تحديد استراتيجيات التنافس التي تم ربطها بالبيئة، من خلال المنتجات التي تقدمها الشركة، وتتوافق مع حاجات المشتري وقدراته (البكري، وبني حمدان، 2013، 7)، وقد تم تعريف الميزة التنافسية المستدامة بأنها "المنافع والفوائد التي تحصل عليها المنظمة لأطول فترة ممكنة، ولا يمكن تقليدها أو استنساخها من قبل المنظمات الأخرى" (محسن، 2012، 45).

وقد عرفها (Somuyiwa & Adebayo, 2013, 33) بأنها "عبارة عن خاصية، أو مجموعة من الخصائص التي تنفرد بها المنظمة وتحقق لها التفوق على المنافسين، بما تقدمه من منتجات،

والاحتفاظ بها لفترة زمنية طويلة نسبياً، نتيجة لصعوبة محاكاتها من المنافسين، وتحقق لها المنفعة خلال تلك الفترة"، وأوضح (النجار، ومحسن، 2012، 57) أن الميزة التنافسية المستدامة تستهدف تكوين ميزة فريدة تتفوق بها على المنافسين، من خلال إعطائها قيمة للزبون بطريقة كفوءة يمكن المحافظة عليها باستمرار، وعرضها وتقديمها بشكل أفضل من المنافسين، كما عرف (Hill & Jones, 2012, 4) الميزة التنافسية المستدامة بأنها "قدرة المنظمة على تحقيق ربحية فوق المتوسط والحفاظ عليها لعدة سنوات".

بناء على ما سبق، ومن خلال الاطلاع على بعض الدراسات والأبحاث في مجال الميزة التنافسية المستدامة، تم التوصل إلى الآتي:

1. أن هنالك ارتباطاً فيما بين الاستدامة والمدى الزمني الذي تتحقق فيه حالة الاستدامة.
 2. أن مفهوم الاستدامة يرتبط بالأجل الطويل.
 3. أن الميزة التنافسية المستدامة تتطلب استعمال نقاط قوة، وقدرات متفردة لدى المنظمة تسهم في الدفاع عن المنظمة ضد حالات التقليد من قبل المنظمات الأخرى.
 4. أن المنظمات تسعى إلى المحافظة على استدامة ميزتها التنافسية، من خلال القيام ببعض الأفعال والتصرفات التي تسهم في تضيق وسد الطريق أمام المنظمات المنافسة، من تقليد واستعمال القدرات والموارد ونقاط القوة التي تمتلكها.
 5. أن الموارد غير القابلة للتقليد تعد وسيلة أساسية لتحقيق المزايا التنافسية واستدامتها.
- وبناءً عليه، فإن الميزة التنافسية المستدامة تعرف بأنها: مجموعة من الخصائص التي تنفرد بها المنظمة، وتحقق لها الأداء المتفوق الذي تتميز به المنظمة على غيرها من المنظمات، والمعتمد على المصادر والموارد النادرة التي يصعب تقليدها من قبل المنافسين الحاليين، أو المحتملين، والمحافظة عليها في الأجل الطويل.

وتنال الميزة التنافسية المستدامة أهميتها من الفوائد التي تحققها للمنظمة، وتستفيد منها كافة الأطراف ذات العلاقة بالمنظمة. وفيما يتعلق بالمنظمات اليمنية بشكل عام، والمصنعة للأغذية

بشكل خاص، فإن تحقيق الميزة التنافسية المستدامة تمثل لها أولوية مهمة؛ كونها تعد السبيل إلى التميز على المنافسين والبقاء والاستمرار في السوق المحلية، وزيادة الحصة السوقية لها مقارنة بالمنافسين، كما أن الاهتمام بالمزايا التنافسية التي تمتلكها المنظمة والمحافظة عليها في الأجل الطويل يضمن للمنظمة استمرار العملاء الحاليين، وإضافة عملاء جدد.

أبعاد الميزة التنافسية المستدامة:

لقد تم تحديد أبعاد الميزة التنافسية المستدامة، في هذه الدراسة، من خلال الرجوع إلى الكتب والأبحاث والدراسات ذات العلاقة كما يوضح ذلك الجدول (1).

جدول (1): أبعاد الميزة التنافسية المستدامة بحسب النماذج السابقة

م	النموذج	السنة	أبعاد النموذج
1	Porter	1979	التكلفة - التميز - التركيز.
2	Wiseman	1989	التكلفة - التميز - السعر - التحالفات.
3	Dillworth	1996	التكلفة - الجودة - المرونة - التسليم.
4	Evans	1997	التكلفة - الجودة - المرونة - التسليم - الإبداع.
5	Williamr	1998	التكلفة - التميز - المرونة.
6	Hill & Jones	1998	الجودة - الكفاءة - الإبداع أو التجديد - الاستجابة لحاجات العميل.
7	Barney	1999	القيمة - الندرة - عدم التقليد - صعوبة الاستبدال.

وقد تم اعتماد أبعاد الميزة التنافسية المستدامة لهذه الدراسة استناداً إلى الأبعاد التي حددها نموذج (Hill & Jones, 1998)، المتمثلة في: (الجودة، والكفاءة، والإبداع أو التجديد، والاستجابة لحاجات العميل)، وفيما يأتي عرض لهذه الأبعاد، ومؤشرات قياسها بما يخدم أغراض هذه الدراسة، وذلك على النحو الآتي:

1. الكفاءة (Efficiency): يتركز امتلاك المنظمة لميزة تنافسية مستدامة على كفاءتها في إنتاج مخرجات معينة باستعمال أقل المدخلات، حيث تشير الكفاءة إلى حسن استغلال موارد المنظمة المختلفة في توفير مخرجات تفوق في قيمتها قيمة المدخلات المستعملة في إنتاج تلك المخرجات، ويرى (Browan, 1996) أن الكفاءة تعني القدرة على التكيف المستمر مع البيئة

والبقاء فيها، من خلال الاستعمال الكفاء للموارد المتاحة، وتعتبر العمالة الإنتاجية المصدر الأكبر لتعزيز الكفاءة (خليفة، 2013، 69)، إن الكفاءة تعني كيفية استعمال الكفاء والمنظم للموارد، من خلال تدريب العاملين، وتطوير كفاءتهم؛ بهدف زيادة الإنتاجية للفرد، وترشيد استعمال المدخلات في إنتاج المخرجات، بما ينعكس على تخفيض التكاليف، ومن ثم تحقيق ميزة تنافسية مستدامة، ولأغراض هذه الدراسة فقد تم قياس بُعد الكفاءة من خلال المؤشرات الآتية:

- تخفيض التكلفة، من خلال زيادة حجم العمليات للاستفادة من اقتصاديات الحجم.
 - السيطرة على النفقات التشغيلية غير المباشرة وتخفيض كلفة المدخلات.
 - توفر الموارد في الوقت الملائم والاستعمال الأمثل لها، وتوفير نظام تقييم كفاءة الأفراد والعمليات.
 - تطوير كفاءة العمليات التشغيلية والإدارية، وتوفير نظام إدارة الأولويات.
 - تبني تكنولوجيا حديثة في العمليات التشغيلية.
2. الجودة (Quality): يقصد بها "مستوى التفوق لمنتج يتصف بمجموعة من الصفات المطابقة للمواصفات المخطط لها، التي تلبى حاجات ورغبات العملاء أو تتجاوزها، وبدون حدوث أي ضرر للمجتمع" (عايض، 2018، 34)، كما تعد الجودة من المزايا التنافسية المهمة التي تساعد في بقاء واستمرار المنظمات، فهي تشير إلى أداء الأشياء بصورة صحيحة لتقديم منتجات تتلاءم مع احتياجات العملاء (ليلي، وإلهام، 2018، 225)، ويرى (Dostie, 2014, 8) أن المنظمات تركز على جودة المنتجات التي تقدمها، بحيث ينعكس ذلك على رضا الزبائن، ويلبي رغباتهم، ولأغراض هذه الدراسة فقد تم قياس بُعد الجودة من خلال المؤشرات الآتية:
- مطابقة المنتجات لمواصفات ومعايير الجودة العالمية، وأن تكون خالية من العيوب.
 - تقديم منتجات ذات جودة عالية مقارنة بمنتجات المنافسين، والالتزام بالتحسين المستمر.
 - تقديم منتجات ذات موثوقية عالية، تتناسب مع القيمة التي يدفعها العملاء.
 - قيام العاملين بأداء الأعمال بصورة صحيحة من أول مرة.

3. الإبداع/التجديد (Innovation): يعتبر الإبداع أو التجديد من أهم أبعاد تحقيق الميزة التنافسية المستدامة، فهو يشير إلى عملية استحداث منتجات أو عمليات جديدة، وإلى كل تقدم يطرأ على منتجات المنظمة وهيكلها وأساليبها الإدارية وإستراتيجياتها (زعلان، 2017، 183)، ويرى (Russell & Millar, 2014, 80) أن الإبداع أو التجديد يشير إلى القدرة على تطبيق تكنولوجيا جديدة، وفتح أسواق جديدة، وتقليل الوقت اللازم لتطوير المنتجات، وإدخال منتجات جديدة، وعندما يكون الإبداع ضمن مسارات الإستراتيجية، فمن المؤكد أنه سيؤدي إلى تحقيق ميزة تنافسية مستدامة للمنظمة من الصعب على المنافسين تقليدها (نذير، وبدوي، 2010، 183)، ولأغراض هذه الدراسة فقد تم قياس بُعد الإبداع أو التجديد من خلال المؤشرات الآتية:

- تطوير المنتجات الحالية، ومعدات الإنتاج، من خلال إدخال أفكار وأساليب جديدة.
- تطوير منتجات جديدة يصعب على المنافسين تقليدها بسهولة.
- تحليل البيئة الداخلية والخارجية للمنظمة، وسرعة تطوير المنتجات.
- البحث والتطوير، وتشجيع العاملين على الإبداع والتجديد؛ لتقديم أفكار إبداعية.
- توفر متطلبات واحتياجات الإبداع والتجديد.

4. الاستجابة لحاجات العميل (Customer Responsiveness): يعتبر الحصول على العملاء والمحافظة على ولائهم من أهم متطلبات استدامة الميزة التنافسية للمنظمة، ويتطلب ذلك معرفة دقيقة بالعملاء، ومن ثم، تحديد حاجاتهم وإشباعها حاجاتهم من خلال إنتاج منتجات بمستوى جودة يفوق إنتاج المنافسين، والاهتمام بالتنوع في تشكيلة المنتجات، بما يلبي احتياجات العملاء ورغباتهم، ويرى (Feng&Papatla,2011,3) أن الاستجابة اتجاه إيجابي أو سلبي يعتمد عليه العملاء في تجاربهم مع منتجات المنظمة، وهذا يعني أن تحقيق الاستجابة للعملاء يتطلب (جميل، 2018، 273):

- أ- تحسين جودة المنتجات، أو تطوير منتجات جديدة ذات سمات وخصائص تفتقر إليها المنتجات المتواجدة في السوق.

ب- سرعة الاستجابة لاحتياجات العملاء من خلال تقليص الوقت المستغرق بالنسبة إلى السلعة حتى تسليمها، أو الخدمة حتى أدائها.

ج- تصميم منتجات تنسجم مع طلبات العملاء، وتقديم خدمات مابعد البيع. ولأغراض هذه الدراسة فقد تم قياس بُعد والاستجابة لاحتياجات العملاء، من خلال المؤشرات الآتية:

- مواكبة التغيير المتسارع في أذواق وتفضيلات العملاء، والاستجابة لاحتياجاتهم ورغباتهم المتغيرة.
- تخفيض وقت الاستجابة للعملاء، وتقديم المنتجات لهم في الوقت المحدد.
- الاهتمام بالبحوث التسويقية؛ لمعرفة احتياجات العملاء ورغباتهم.
- توفر إستراتيجيات تتصف بالمرونة والاهتمام بالعملاء، وإنتاج منتجات متنوعة تلبي احتياجاتهم.

رأس المال الفكري المفهوم والنشأة:

يعد رأس المال الفكري من الموضوعات الإدارية الحديثة، إذ لم يبرز الاهتمام به بوصفه موضوعاً مستقلاً إلا في بداية التسعينيات، ففي عام 1994 بُذلت جهود في الولايات المتحدة الأمريكية وأخرى في السويد، أسفرت عن تصور لموضوع رأس المال الفكري، كما صدر التقرير السنوي لأول مرة في عام 1995 لرأس المال الفكري من شركة سكانديا Skandia، وهي أكبر شركة لخدمات التمويل والتأمين في السويد، الذي تم تبنيه لاحقاً من قبل عدد من المنظمات، وفي عام 1996 أقيم مؤتمر لرأس المال الفكري، وكانت إحدى توصياته ضرورة تبني هذا الموضوع ليصبح بمثابة المرتكز للتقارير السنوية للمنظمات الحديثة (الكساسبة، 2011، 17)، وفي عام (2001) عُقد في كندا المؤتمر الدولي الرابع لإدارة رأس المال الفكري، وفي عامي (2000) و (2003) عُقد في نيويورك مؤتمرات حول رأس المال الفكري وإدارته (همشري، 2013، 241).

وقد عرّفت منظمة التعاون والتطوير الاقتصادي رأس المال الفكري بأنه القيمة الاقتصادية، لفئتين من الأصول غير الملموسة، لمنظمة معينة، تتمثلتين في رأس المال الهيكلي،

ورأس المال البشري (بابكر، 2018، 28)، في حين عرفه (Shakina, 2014, 272) بأنه مجموعة من الأصول المعرفية للمنظمة التي تسهم في تحسين وضعها التنافسي من خلال إضافة قيمة، في حين يرى (Durrah, 2018, 110) أن رأس المال الفكري يتمثل في الأصول غير الملموسة المملوكة للمنظمة، والمتعلقة بالمعرفة التي يتوقع استعمالها في تحقيق منافع مستمرة، وتوليد الثروة وتنميتها.

وبناء عليه، فإن رأس المال الفكري يعرف بأنه مجموعة الأصول غير الملموسة المعتمدة على الموارد البشرية المبدعة، ونظم وإجراءات العمل التي تمتلكها المنظمة، وهياكلها واستراتيجياتها، وعلاقتها مع العملاء؛ مما يكسبها القدرة على أداء وظائفها، وتسهم في تحسين قدرتها التنافسية وزيادة حصتها السوقية.

وينال رأس المال الفكري أهميته من دوره في نجاح المنظمات وتميزها على المنافسين، ويعتبر أهم الموارد الاقتصادية التي تسهم في العملية الإنتاجية؛ وذلك للأدوار التي يقوم بها مثل: تنظيم تلك العملية من جهة، والإسهام بشكل مباشر فيها من جهة أخرى، كما تشير بعض الدراسات إلى أن المعرفة العلمية والتكنولوجية أصبحت تشكل (80%) من اقتصاديات العالم، في حين تمثل الـ (20%) المتبقية حصة رأس المال والعمالة والموارد الطبيعية (الكساسبة، 2011، 29).

أبعاد رأس المال الفكري:

لقد تم تحديد أبعاد رأس المال الفكري في هذه الدراسة استناداً إلى مجموعة من النماذج السابقة، والجدول (2) يوضح ذلك.

جدول (2): أبعاد رأس المال الفكري بحسب النماذج السابقة

م	النموذج	السنة	أبعاد النموذج
1	Stewart	1997	رأس المال البشري - رأس المال الهيكلي - رأس المال العلاقتي.
2	Edvinson	1997	رأس المال البشري - رأس المال الهيكلي - رأس المال الزبائني - رأس المال المنطقي - رأس مال العملية - رأس مال الإبداع.
3	Sveiby	1998	كفاءة العاملين - الهيكل الداخلي - الهيكل الخارجي.

م	النموذج	السنة	أبعاد النموذج
4	Mayo	2000	رأس المال البشري - رأس المال العلاقتي - رأس المال التنظيمي.
5	Sullivan	2001	رأس المال البشري-الموجودات الفكرية - الملكية الفكرية.
6	Xera	2001	رأس المال الداخلي، رأس المال الخارجي، رأس المال البشري.
7	McElroy	2002	رأس المال البشري - رأس المال الهيكلي - رأس المال الاجتماعي.

وقد تم اعتماد أبعاد رأس المال الفكري لهذه الدراسة استناداً إلى الأبعاد التي حددها نموذج (Stewart,1997) المتمثلة في: (رأس المال البشري، ورأس المال الهيكلي، ورأس المال العلاقتي)، وفيما يأتي عرض لهذه الأبعاد ومؤشرات قياسها بما يخدم أغراض هذه الدراسة، على النحو الآتي:

1. رأس المال البشري: يمثل رأس المال البشري المصدر الأساسي للابتكار والتجديد في المنظمة؛ لما يتمتع به الأفراد من القدرات العقلية والمهارات والخبرات اللازمة لإيجاد الحلول العملية المناسبة لمتطلبات العملاء ورغباتهم، وتمكين منظماتهم من البقاء والمنافسة، كما يقع عليه عبء تقديم الأفكار، وإجراء البحوث، وتحويل نتائجها إلى منتجات (مهدي، 2018، 188)، ويرى (Edvinsson) أن رأس المال البشري يتضمن مجموعة الممارسات والخبرات، والمعارف والمهارات لكل العاملين في المنظمة (عبد الله، وإلياس، 2018، 158)، وينظر إليه (Durrah,2018، 111) على أنه مجموعة الخبرات والمعارف التي يمتلكها العاملون ويستعملونها لتحسين أداء المنظمة والحصول على الميزة التنافسية، وبناء على ما سبق؛ فإن رأس المال البشري هو مجموع المعارف والمهارات والخبرات التي يمتلكها العاملون في المنظمة، والتي تبقى في المنظمة، مادام العاملون موجودين فيها، ولا يمكن للمنظمة امتلاكه بل الاستفادة منه؛ لتحسين أداء المنظمة والحصول على الميزة التنافسية المستدامة، ولأغراض هذه الدراسة فقد تم قياس رأس المال البشري من خلال المؤشرات الآتية:

- المعارف والمهارات والخبرات التي يمتلكها العاملون، والتدريب المستمر للعاملين.
- توفر العاملين ذوي المهارات والمعارف المتنوعة، القادرين على حل المشكلات التي تواجههم.

- المقترحات التي يقدمها العاملون لتطوير الأداء.
 - استقطاب الشركة للعاملين ذوي الخبرات العالية.
2. رأس المال الهيكلي: يمثل رأس المال الهيكلي المعرفة التي تبقى داخل المنظمة، بعد أن يغادر العاملون المنظمة في نهاية كل يوم عمل، كما يوصف بأنه العمود الفقري للمنظمة (Manzari et al , 2012, 2265)، ويؤكد (McElory) أن رأس المال الهيكلي هو عبارة عن كل الأشياء التي تدعم رأس المال البشري، وتمتلكه المنظمة، ويبقى فيها حتى بعد أن يتركها أعضاؤها، سواء بشكل مؤقت أم بشكل نهائي (همشري، 2013، 261)، وبناءً عليه فإن رأس المال الهيكلي هو عبارة عن المعرفة التي يتم تكوينها بوساطة رأس المال البشري، والمتمثلة في إستراتيجيات وسياسات وهياكل وأنظمة وإجراءات العمل في المنظمة التي يتم تخزينها في قواعد البيانات وأنظمة المعلومات في المنظمة، ولا يمكن نقلها خارج المنظمة مع العاملين. ولأغراض هذه الدراسة فقد تم قياس رأس المال الهيكلي من خلال المؤشرات الآتية:
- توفر الهيكل التنظيمي للمنظمة، وإسهامه في تحسين الأداء.
 - توفر نظم المعلومات، وقواعد البيانات، وتحسين الأداء في المنظمة.
 - توفر السياسات والإجراءات ولوائح العمل، ووضوحها للعاملين، وتطويرها باستمرار.
 - توفر الهيكل التنظيمي الذي يوضح العلاقة بين المستويات الإدارية، ويسهل انتقال المعلومات.
3. رأس المال العلاقتي: يشير إلى العلاقات التي تربط المنظمة بزبائنها ومورديها وتحالفاتها الإستراتيجية، ويعرفه (JOHANSEN, 2001) بأنه يمثل قيمة العلاقات المتميزة والمستمرة للمنظمة بالمنظمات الأخرى والأفراد الذين تقدم لهم المنظمة منتجاتها التي تحصل عليها نتيجة كسب رضا العملاء وتعميق ولائهم لها (شكشك، 2018، 193)، في حين يرى (Bontis.1998) أن رأس المال العلاقتي يتمثل في جميع العلاقات التي تؤسسها المنظمة مع أصحاب المصالح وهم: العملاء، والشركاء، والموردون، والمنافسون، والحكومة (رزيقة، ومحمد، 2015، 43)، يتضح مما سبق أن رأس المال العلاقتي يتمثل في علاقة المنظمة مع

العملاء والموردين وجميع الأطراف ذات العلاقة من المستفيدين من منتجات المنظمة، والعمل على استمرار هذه العلاقة وتطويرها، من خلال تلبية احتياجاتهم ورغباتهم وحل مشكلاتهم، بما يحقق رضاهم ويعمل على إسعادهم، ولأغراض هذه الدراسة فقد تم قياس رأس المال العلاقتي من خلال المؤشرات الآتية:

- رضا العملاء عن منتجات المنظمة، وولائهم لها.
- الاحتفاظ بالعملاء للمنظمة، وتلبية متطلباتهم ورغباتهم.
- الاهتمام بشكاوى العملاء والموردين، وتطوير العلاقة معهم باستمرار.
- مشاركة العملاء في أنشطة المنظمة، وعقد الشراكات مع شركات أخرى.

الدراسات السابقة:

1. دراسة (الراعي، 2019)، هدفت إلى التعرف على أثر ممارسة إدارة سلسلة التوريد في تحقيق الميزة التنافسية في الشركات الصناعية الغذائية الأردنية، وتوصلت الدراسة إلى أنه لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لممارسة إدارة سلسلة التوريد في تحقيق الميزة التنافسية في الشركات الصناعية الغذائية الأردنية.

2. دراسة (Abdullah & Binti Othman, 2019)، هدفت إلى دراسة أثر رأس المال الفكري على أداء المؤسسات الصغيرة والمتوسطة الحجم للأغذية والمشروبات في ماليزيا، من خلال دراسة العلاقة بين إدارة المعرفة والأداء التنظيمي، وتوصلت الدراسة إلى وجود علاقة تأثير إيجابية بين رأس المال الفكري والأداء التنظيمي، مما أدى إلى وجود علاقة إيجابية بين إدارة المعرفة وأداء الشركات الصغيرة والمتوسطة محل الدراسة.

3. دراسة (Zhang et al, 2018)، هدفت إلى البحث في الآليات التي من خلالها يؤثر رأس المال الفكري على أداء ابتكار المنتجات، وكيف تؤثر البيئات الاقتصادية والمؤسسية على الآليات، وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج، أهمها: وجود تأثير إيجابي مباشر لرأس المال الفكري على أداء ابتكار المنتجات في الصين والهند، إلا أن التأثير في الصين أعلى منه في الهند، كما أظهرت النتائج وجود تأثير إيجابي غير مباشر لرأس المال الفكري على أداء ابتكار المنتجات،

من خلال تكامل معرفة الموارد في كلا البلدين، إلا أن التأثير في الصين أقل منه في الهند، ومن ثم تختلف الآليات التي يؤثر بها رأس المال الفكري على أداء ابتكار المنتجات في الصين والهند.

4. دراسة (ليلى، وإلهام، 2018)، هدفت إلى التعرف على مساهمة رأس المال البشري في تحقيق الميزة التنافسية في ملبنة الأوراس في باتنة بالجزائر، وتوصلت الدراسة إلى وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين رأس المال البشري بملبنة الأوراس وتحقيق الميزة التنافسية.

5. دراسة (بن ظفرة، 2018)، هدفت إلى قياس تأثير استثمار رأس المال الفكري للشركات العائلية السعودية على دعم قدرتها التنافسية، وتوصلت الدراسة إلى وجود أثر ذي دلالة إحصائية لرأس المال الفكري على الميزة التنافسية في الشركات العائلية بشكل عام، وبين رأس المال البشري ورأس مال العلاقات لكل بعد على حدة، بينما لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لرأس المال الهيكلي على الميزة التنافسية في الشركات العائلية.

6. دراسة (عبد اللوش، وكورتل، 2018)، هدفت إلى دراسة إمكانية وجود أثر ذي دلالة إحصائية لجودة المعلومات في تحقيق الميزة التنافسية في الشركة الإفريقية للزجاج، وتوصلت الدراسة إلى وجود أثر ذي دلالة إحصائية لجودة المعلومات في تحقيق الميزة التنافسية.

7. دراسة (يوسف، 2017)، هدفت إلى التعرف على أثر إدارة رأس المال الفكري في تحقيق الميزة التنافسية في المنشآت الرياضية بمحافظة المنيا بمصر، وتوصلت الدراسة إلى وجود أثر ذي دلالة إحصائية لإدارة رأس المال الفكري داخل المنشآت الرياضية في تحقيق الميزة التنافسية.

8. دراسة (لويزة، 2016)، هدفت إلى تحديد دور رأس المال الفكري في تحقيق الميزة التنافسية، والتأكد من وجود العلاقة والأثر بين رأس المال الفكري والميزة التنافسية في شركة الإسمنت في عين التوتة، بالجزائر، وتوصلت الدراسة إلى وجود علاقة ذات دلالة إحصائية

بين رأس المال الفكري بأبعاده الثلاثة وتحقيق الميزة التنافسية في الشركة محل الدراسة، وتوفر أبعاد كل من رأس المال البشري والهيكلية بدرجة كبيرة تفوق توفر بُعد رأس المال الزبوني، حيث يسهم كل منهما في تحقيق الميزة التنافسية أكثر من رأس المال الزبوني.

9. دراسة (Gutierrez et al, 2016)، هدفت إلى تحليل أثر رأس المال الفكري على القدرة التنافسية في الشركات الصغيرة والمتوسطة الحجم في المكسيك، وتوصلت الدراسة إلى أن أبعاد رأس المال الفكري تؤثر إيجاباً على القدرة التنافسية.

10. دراسة (المخلافي، 2016)، هدفت إلى معرفة أثر أبعاد البيئتين الخارجية والداخلية على الميزة التنافسية في المنظمات الصناعية اليمنية محل الدراسة، وتوصلت الدراسة إلى وجود أثر معنوي إيجابي لأبعاد البيئتين الخارجية والداخلية على الميزة التنافسية في المنظمات الصناعية اليمنية محل الدراسة.

11. دراسة (Kamukama,2013)، هدفت إلى دراسة مساهمة عناصر رأس المال الفكري في تحقيق ميزة تنافسية في صناعة التمويل الأصغر في أوغندا، وتوصلت الدراسة إلى أن رأس المال الفكري يؤثر إيجاباً في تحقيق الميزة التنافسية في صناعة التمويل الأصغر.

12. دراسة (علي، 2009)، هدفت إلى تحليل أثر تطبيقات إدارة الموارد البشرية في تحقيق ميزة تنافسية لشركات الصناعات الغذائية اليمنية، وتوصلت الدراسة إلى وجود علاقة ارتباط وتأثير ذات دلالة إحصائية بين تطبيقات إدارة الموارد البشرية وتحقيق الميزة التنافسية.

العلاقة بين الدراسة الحالية والدراسات السابقة:

اتفقت الدراسة الحالية مع بعض الدراسات السابقة في اعتمادها رأس المال الفكري باعتباره متغيراً مستقلاً مؤثراً في الميزة التنافسية، والميزة التنافسية المستدامة، مثل دراسة: (الويزة، 2016)، (بن ظفرة، 2018)، و (Kamukama,2013)، و (Gutierrez et al, 2016)، و (يوسف، 2017)، كما اتفقت الدراسة الحالية مع بعض الدراسات السابقة في البيئة اليمنية مثل دراسة: (المخلافي، 2016)، و (علي، 2009)، وتتميز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة بأنها تعد من الدراسات القليلة التي تناولت استدامة الميزة التنافسية بحسب المسح المكتبي، كما أنها

تناولت قطاعاً مهماً وحيوياً على المستوى الوطني، المتمثل في قطاع الصناعات الغذائية، الذي يمثل أحد القطاعات المهمة في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وتحقيق الأمن الغذائي في اليمن، إذ لم يحظَ هذا القطاع بالاهتمام الكافي من الدراسات في موضوع الميزة التنافسية المستدامة.

مشكلة الدراسة:

ينبغي على منظمات الأعمال التي تسعى إلى تحقيق النجاح والاستمرار والبقاء التفكير في إيجاد آليات تتمكن من خلالها من تحقيق ما هو أبعد من الميزة التنافسية وأعني بذلك السعي إلى استدامتها؛ لأن الميزة التنافسية المستدامة كما يرى (العبادي، العتيبي، 2014، 219) تعد مفتاحاً لنجاح منظمات الأعمال؛ وتمثل مؤشراً إيجابياً نحو توجه المنظمات لاحتلال موقع قوي في السوق، وتؤكد دراسة (يوسف، 2005، 3) على أن العامل الذي يمكن أن يوفر للمنظمات ميزة تنافسية مستدامة هو رأس مالها الفكري، وأن معظم القيمة السوقية للمنظمة تنبع من الأصول غير الملموسة التي يمثلها رأس المال الفكري في المنظمات؛ لأنه يعد سلاحاً تنافسياً فاعلاً في ظل اقتصاد المعرفة (Selim and Khalil, 2011, 4)، حيث توصلت دراسة (الوظيفي، والنافعي، 2016، 1) إلى أن نجاح المنظمات لا يتوقف على الإمكانيات المادية المتوفرة لديها، وما تمتلكه من رأس المال المادي الملموس، بل يتوقف على القدرات غير الملموسة من رأس المال الفكري، وتؤكد دراسة (عبد الحميد، 2013، 25) أن أهم مصدر لتحقيق الميزة التنافسية للمنظمات الحالية هو ما تمتلكه من معارف ومهارات ذهنية تحقق لها التفوق على المنافسين، ووفقاً لدراسة (محمد، 2012، 5) فإن رأس المال الفكري هو الأكثر تأثيراً في صنع مكانة المنظمات وسمعتها، كما أنه يسهم في تكوين القيمة وتحقيق الميزة التنافسية للمنظمات، ومن ثم فإن مشكلة الدراسة، الحالية تتجسد في وجود فجوة مفاهيمية وتطبيقية جديدة بالدراسة تتمثل مفاهيمياً في غياب نموذج معرفي يتناول موضوع أثر رأس المال الفكري في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة، وتتمثل تطبيقياً في تحديد في حاجة شركات الصناعات الغذائية إلى دراسة واستقصاء أثر رأس المال الفكري في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة؛ ولذلك تتمثل مشكلة الدراسة في التساؤل الرئيس الآتي:

ما أثر رأس المال الفكري في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة في الشركات اليمنية للصناعات الغذائية؟

أهداف الدراسة: تتمثل أهداف هذه الدراسة في الآتي:

- 1) معرفة مستوى تحقق الميزة التنافسية المستدامة في الشركات محل الدراسة.
- 2) معرفة مستوى توفر رأس المال الفكري في الشركات محل الدراسة.
- 3) تحديد أثر رأس المال الفكري في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة في الشركات محل الدراسة.

أهمية الدراسة: تتمثل أهمية الدراسة في الآتي:

1. أنها تناولت قطاعاً مهماً وحيوياً على المستوى الوطني، المتمثل في قطاع الصناعات الغذائية.
2. أن هذه الدراسة حللت واقع الميزة التنافسية المستدامة، ورأس المال الفكري، في الشركات محل الدراسة، وقدمت توصيات قد تسهم في معالجة القصور، ومواجهة التحديات التي تواجه الشركات محل الدراسة في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة.
3. مساعدة قيادات الشركات محل الدراسة من خلال نتائج وتوصيات الدراسة في اتخاذ قرارات وصناعة إستراتيجيات تسهم في تعزيز موقع الشركات التنافسي في ظل التنافس المتزايد بين المنظمات.

4. أنها قد تمثل إضافة إلى المكتبة العربية، ورافداً للمكتبة اليمنية في موضوع الدراسة.

مصطلحات الدراسة:

1. رأس المال الفكري: هو ما يمتلكه الأفراد من معارف ومهارات وخبرات، وما يمتلكه المنظمة من أصول غير ملموسة، فضلاً عن علاقة المنظمة بالأطراف الخارجية التي يمكن استخدامها لزيادة القيمة السوقية وتكوين الثروة لها (بابكر، 2018، 27)، ولأغراض هذه الدراسة يعرف رأس المال الفكري بأنه مجموعة الأصول غير الملموسة، والمتمثلة في رأس

المال البشري ورأس المال الهيكلي ورأس المال العلاقتي، التي تمتلكها الشركات اليمينية للصناعات الغذائية، والتي تكسيها القدرة على أداء وظائفها، وتسهم في تحسين قدرتها التنافسية وزيادة حصتها السوقية.

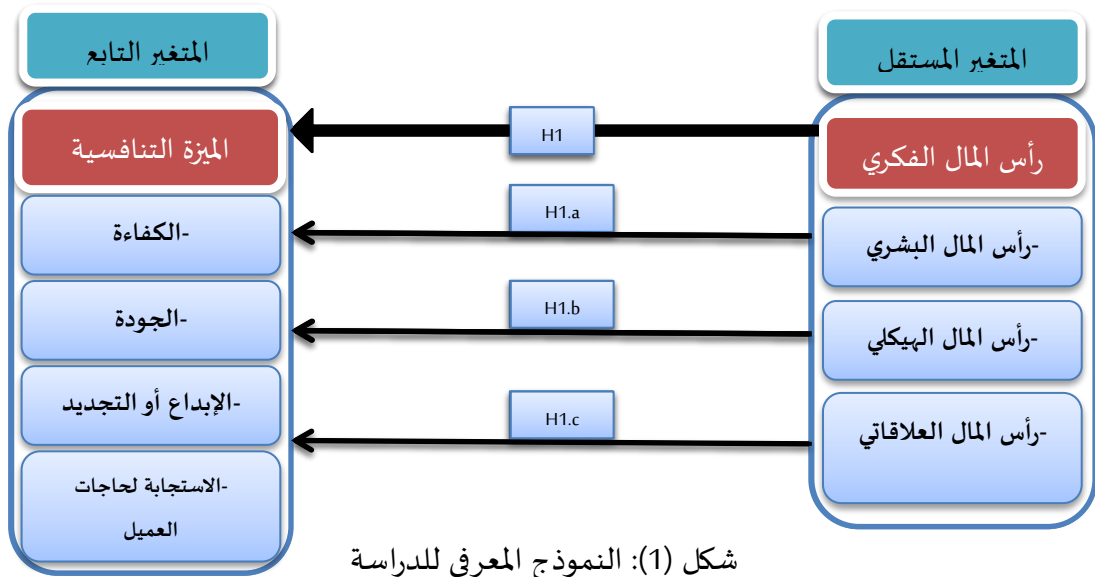
2. الميزة التنافسية المستدامة: عرفها (Macmillan) بأنها خاصية أو مجموعة خصائص تتفرد بها المنظمة، وتمكنها من الاحتفاظ بها لفترة زمنية طويلة نسبياً؛ نتيجة لصعوبة محاكاتها، وتمكنها من التفوق على المنافسين فيما تقدمه من منتجات للعملاء (إسحق، 2013، 68)، ولأغراض هذه الدراسة تعرف الميزة التنافسية المستدامة بأنها مجموعة من المزايا التي تتميز بها الشركات اليمينية للصناعات الغذائية على غيرها من المنظمات المنافسة، والمعتمدة على المصادر والموارد التي يصعب تقليدها من قبل المنافسين، والمحافظة عليها في الأجل الطويل وتتضمن: (الكفاءة، والجودة، والإبداع أو التجديد، الاستجابة لحاجات العميل).

3. الشركات اليمينية للصناعات الغذائية: هي الشركات التي تقوم بإنتاج المواد الغذائية من مأكولات ومشروبات وزيوت نباتية وغيرها، من خلال تحويل المواد الخام: (نباتية، حيوانية، سمكية... إلخ) إلى منتجات صناعية غذائية، والمصنفة تحت اسم شركات كبيرة جداً، وعدد العاملين فيها مائتا عامل فأكثر.

نموذج الدراسة:

يتمثل نموذج الدراسة في المتغير المستقل المتمثل في رأس المال الفكري، وقد تم تحديد أبعاد هذا المتغير استناداً إلى نموذج (Stewart, 1997) المتمثلة في (رأس المال البشري، ورأس المال الهيكلي، ورأس المال العلاقتي)، فضلاً عن المتغير التابع المتمثل في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة، وقد تم تحديد أبعاد هذا المتغير استناداً إلى نموذج (Hill & Jones, 1998)، المتمثلة في (الكفاءة، والجودة، والإبداع أو التجديد، والاستجابة لحاجات العميل)، كما يوضح ذلك الشكل (1).

النموذج المعرفي للدراسة



فرضيات الدراسة:

الفرضية الرئيسية: يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لرأس المال الفكري في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة في الشركات محل الدراسة. وتفرعت من هذه الفرضية ثلاث فرضيات فرعية تتمثل في الآتي:

1. يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لرأس المال البشري في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة في الشركات محل الدراسة.
2. يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لرأس المال الهيكلي في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة في الشركات محل الدراسة.
3. يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لرأس المال العلاقتي في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة في الشركات محل الدراسة.

منهج الدراسة وإجراءاتها:

منهج الدراسة: اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي؛ كونه المنهج المناسب لهذه الدراسة، حيث تم وصف أثر رأس المال الفكري وتقييمه بوصفه متغيراً مستقلاً في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة بوصفها متغيراً تابعاً في الشركات محل الدراسة. مجتمع الدراسة وعينتها: يتكون مجتمع الدراسة من جميع العاملين في الشركات اليمنية للصناعات الغذائية الكبيرة جداً في الوظائف الآتية وهم: (مدير العموم، مدير الإدارات، رؤساء الأقسام، المختصون الإداريون)، وهذه الشركات هي التي تنتمي إلى القطاع الصناعي، وعدد العمال فيها (200 عامل فأكثر)، ويبلغ عددها (16) شركة في (6) محافظات، بواقع (5416) عاملاً، (الجهاز المركزي للإحصاء، 2012، 36)، وقد تم تحديد حجم العينة بناء على جدول حجم العينات لـ (Krejcie & Morgan) الذي أورده (العريقي، 2016، 186)، بحجم (359) مفردة، تم اختيارها بطريقة العينة العشوائية التطبيقية غير التناسبية، والجدول (3) يوضح مجتمع الدراسة وعينتها بحسب المحافظات.

جدول (3): مجتمع الدراسة وعينتها بحسب المحافظات

م	المحافظة	عدد الشركات	عدد أفراد المجتمع	عينة الدراسة	النسبة
1	أمانة العاصمة	5	1527	103	29 %
2	الحديدة	1	290	19	5 %
3	حزموت	4	920	63	17 %
4	تعز	3	1904	121	34 %
5	عدن	2	510	35	10 %
6	ذمار	1	265	18	5 %
	الإجمالي	16	5416	359	100 %

المصدر: الجهاز المركزي للإحصاء ووزارة الصناعة والتجارة، 2018، صنعاء

وحرصاً على زيادة نسبة الاستعادة فقد تم توزيع (424) استبانة، استُعيد منها (391) استبانة، بنسبة (92.2%) من إجمالي الاستبانات الموزعة، استُبعد منها (14) استبانة، كون إجابتها

غير مكتملة أو غير صالحة للتحليل، وأصبح عدد الاستبانات الصالحة للتحليل (377) استبانة بنسبة (96.4%) من إجمالي الاستبانات المسترجعة، وهو ما يعادل (88.9%) من إجمالي الاستبانات الموزعة.

وحدة التحليل: تمثلت وحدة التحليل للدراسة بالمنظمة (الشركات اليمنية للصناعات

الغذائية)، وعددها (16) شركة.

أداة الدراسة: تم استخدام الاستبانة أداة لجمع البيانات التي تم تصميمها وبناءها من خلال الرجوع إلى الأدبيات العلمية المختلفة ذات العلاقة بموضوع الدراسة، وقد تم تقسيم الاستبانة إلى قسمين أساسيين، هما:

القسم الأول: عبارة عن البيانات العامة، وقد شملت المتغيرات الشخصية والديمغرافية، وعددها (5)، وتمثلت في: (العمر، النوع الاجتماعي، المؤهل العلمي، المسمى الوظيفي، سنوات الخدمة).

القسم الثاني: تضمن فقرات المتغير التابع، والمتغير المستقل بواقع (56) فقرة، وقد استعمل مقياس ليكرت الخماسي، لمنح الإجابات الدرجات الآتية: موافق بشدة (5) درجات، وموافق (4) درجات، ومحايد (3) درجات، وغير موافق (2) درجتان، وغير موافق بشدة (1) درجة واحدة.

اختبارات الصدق والثبات الإحصائي:

أولاً: الصدق الظاهري للاستبانة: للتحقق من الصدق الظاهري للاستبانة، تم عرضها بصيغتها الأولية (58) فقرة على عدد من المحكمين من أعضاء هيئة التدريس في تخصص إدارة الأعمال في عدد من الجامعات المحلية والعربية، وبعض المسؤولين في شركات الصناعات الغذائية محل الدراسة وعددهم (17) محكماً، للاستفادة من خبراتهم في اختصاصاتهم، وقد أخذت آراؤهم ومقترحاتهم بعين الاعتبار.

وللتأكد من الصدق البنائي لفقرات الاستبانة، أي عدم وجود فقرات في أداة الدراسة يمكن أن تضعف القدرة التفسيرية للنتائج، تم استعمال طريقة قياس معامل الارتباط (R) بين

كل فقرة والبُعد الذي تنتمي إليه هذه الفقرة، وعلى مستوى جميع فقرات الاستبانة، وتفترض هذه الطريقة أن الفقرة التي ستحصل على درجة ارتباط منخفضة جداً أو ذات قيمة سالبة أو قيمة مستوى دلالتها أكبر من (0.05) فسيعني ذلك أن الفقرة تضعف القدرة التفسيرية للنتائج الخاصة بالبُعد، ومن ثم نقوم باستبعادها، خاصة في ما يتعلق باختبار الفرضيات، أما إذا جاءت درجة الارتباط موجبة وقيمة مستوى الدلالة أقل من (0.05) فيعني ذلك أن الفقرة ملائمة وتدعم القدرة التفسيرية لنتائج البُعد الذي تنتمي إليه، وقد تبين أن جميع فقرات الاستبانة جاءت مرتبطة بأبعادها بدرجة ارتباط موجبة وقوية وذات دلالة إحصائية تتراوح بين (0.525) و (0.841) بشكل عام، مما يشير إلى عدم وجود فقرات قد تضعف من المصدقية البنائية للاستبانة.

ثانياً: اختبار ثبات الاستبانة ومصدقيتها: لمعرفة درجة ثبات متغيرات الاستبانة ومصدقية إجابات عينة الدراسة على فقرات الاستبانة تم إجراء اختبار كرونباخ (ألفا) (Cronbach's alpha)؛ للتأكد من نسبة ثبات الاستبانة وصدق آراء العينة فيه، كما في الجدول (4).

جدول (4): نتائج اختبار كرونباخ (ألفا) لمتغيرات الاستبانة

متغيرات الاستبانة	عدد الفقرات	درجة الثبات alpha	درجة المصدقية $\sqrt{\text{alpha}}$
رأس المال الفكري	24	0.919	0.959
تحقيق الميزة التنافسية المستدامة	32	0.928	0.964

يتضح من الجدول (4) أن متغيرات الاستبانة جاءت بدرجة ثبات تتراوح بين (0.919) و (0.928)، وبدرجة مصداقية تتراوح بين (0.959) و (0.964)، وهذا يعني أنها جاءت بنسبة ثبات مرتفعة جداً، ودرجة مصداقية مرتفعة جداً أيضاً، وهذا يعني أن العينة متجانسة في الاستجابة على الاستبانة، ويمكن الاعتماد على النتائج في تعميمها على مجتمع الدراسة، والجدول (5) يبين نتائج اختبار كرونباخ (ألفا) على مستوى جميع الأبعاد في الاستبانة.

جدول (5): نتائج اختبار كرونباخ (ألفا) لأبعاد الاستبانة

المتغيرات	الأبعاد	عدد الفقرات	درجة الثبات alpha	درجة المصدقية $\sqrt{\alpha}$
رأس المال الفكري	رأس المال البشري	8	0.814	0.902
	رأس المال الهيكلي	8	0.867	0.931
	رأس المال العلاقتي	8	0.838	0.915
تحقيق الميزة التنافسية المستدامة	الكفاءة	8	0.799	0.894
	الجودة	8	0.845	0.919
	الإبداع أو التجديد	8	0.898	0.948
	الاستجابة للعميل	8	0.842	0.917

يتضح من الجدول (5) أن قيمة درجة الثبات لجميع الأبعاد للاستبانة تراوحت بين (0.799) و(0.898)، وتراوحت درجة المصدقية لإجابات العينة بين (0.894) و(0.948). وهذا يعني أن العينة متجانسة في الاستجابة على جميع أبعاد الاستبانة، ويمكن الاعتماد على نتائجها - أيضاً- في تعميمها على مجتمع الدراسة.

الأساليب الإحصائية: لقد تم إدخال البيانات إلى الحاسب الآلي ومعالجتها بوساطة برنامج الحزمة الإحصائية في العلوم الاجتماعية (SPSS)، كما تم استعمال العديد من الأساليب الإحصائية الوصفية والاستدلالية لقياس أهداف الدراسة واختبار فرضياتها.

نتائج الدراسة ومناقشتها:

مستوى تحقق الميزة التنافسية المستدامة في الشركات اليمنية للصناعات الغذائية:

جدول (6): مستوى تحقق الميزة التنافسية المستدامة:

الرتبة	البُعد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	تقدير مدى التحقق لدى مجتمع الدراسة بدرجة ثقة 95%	مستوى التحقق
					الدرجة العليا	الدرجة الدنيا
1	الجودة	4.176	0.530	83.5%	84.6%	82.5%
2	الاستجابة للعميل	3.996	0.557	79.9%	81.0%	78.8%
3	الكفاءة	3.919	0.530	78.4%	79.5%	77.3%
4	الإبداع أو التجديد	3.870	0.711	77.4%	78.8%	76.0%
	متوسط تحقيق الميزة التنافسية المستدامة	3.990	0.465	79.8%	80.7%	78.9%

يتضح من الجدول (6) أن مستوى تحقق الميزة التنافسية المستدامة بكافة أبعادها: (الكفاءة، والجودة، والإبداع أو التجديد، والاستجابة للعميل) في الشركات محل الدراسة، كان عالياً، إذ بلغ المتوسط الحسابي (3.990)، وبانحراف معياري بلغ (0.465)، وبنسبة مئوية بلغت (79.8%)، وهذا يعني موافقة أفراد عينة الدراسة بمستوى عالٍ على تحقق الميزة التنافسية المستدامة، وهذا يدل على أن الشركات محل الدراسة تهتم بتحقيق الميزة التنافسية المستدامة، وقد يعزى ذلك إلى إدراك قيادة هذه الشركات لأهمية تحقيق الميزة التنافسية المستدامة في بقاء واستمرار الشركات، كما تفسر هذه النتيجة قدرة الشركات محل الدراسة على استدامة ميزتها التنافسية في الظروف المختلفة، وقد اتفقت نتيجة هذه الدراسة مع: دراسة (المخلافي، 2016) التي توصلت إلى أن جميع أبعاد الميزة التنافسية في المنظمات الصناعية اليمنية محل الدراسة حصلت على موافقة أفراد عينة الدراسة بدرجة مرتفعة، ودراسة (الراعي، 2019، 88) التي توصلت إلى أن مستوى تحقيق الميزة التنافسية في الشركات الصناعية الغذائية الأردنية جاء مرتفعاً، في حين اختلفت عن نتائج دراسة (عبد اللوش، وكورتل، 2018) التي توصلت إلى أن تحقق الميزة التنافسية جاء بمستوى منخفض.

كما يتضح من الجدول (6) أن مستوى تحقق الميزة التنافسية المستدامة بحسب بُعد الجودة جاء في المرتبة الأولى وبمستوى عالٍ، حيث بلغ المتوسط الحسابي (4.176) وبانحراف معياري بلغ (0.530) وبنسبة مئوية بلغت (83.5%)، وهذا يعني موافقة أفراد عينة الدراسة بمستوى عالٍ على تحقق بُعد الجودة، وقد يعزى ذلك إلى كون المنتجات التي تقدمها هذه الشركات تتعلق بغذاء الإنسان، وتعتبر الجودة من الضروريات لهذه المنتجات، لأن أي عيب في هذه المنتجات قد يؤثر على صحة الإنسان، وهذه النتيجة تتفق مع دراسة (الراعي، 2019، 88) التي توصلت إلى أن بُعد الجودة جاء في المرتبة الأولى ضمن أبعاد الميزة التنافسية، وبمستوى مرتفع، ودراسة (المخلافي، 2016، 118) التي توصلت أن جميع فقرات بُعد الجودة في المنظمات الصناعية اليمنية محل الدراسة حصلت على موافقة أفراد عينة الدراسة بدرجة مرتفعة، في حين تختلف عن نتائج دراسة (يوسف، 2017) التي توصلت إلى عدم تحقق الجودة المتفوقة في

المنشآت الرياضية بمحافظة المنيا، إذ جاءت نسبة تحقق البُعد (58%) أقل من الحد الأدنى للثقة.

وقد جاء في المرتبة الثانية من حيث مستوى التحقق بُعد الاستجابة للعميل، حيث بلغ المتوسط الحسابي (3.996) وبانحراف معياري قدره (0.557) ونسبة مئوية بلغت (79.9%)، وهذا يعني موافقة أفراد عينة الدراسة بمستوى عالٍ على تحقق بُعد الاستجابة للعميل، وقد يعزى ذلك إلى حرص الشركات محل الدراسة على تحقيق رضا العملاء، والاحتفاظ بهم، وتطوير العلاقة بهم، من خلال الاستجابة السريعة لطلباتهم، وتقديم منتجات تلبى احتياجاتهم، وتواكب التغيرات في أذواقهم ورغباتهم؛ مما يحقق التميز على المنافسين، وهذه النتيجة تتفق مع نتائج دراسة (مهدي، 2018) التي توصلت إلى أن تحقق بُعد الاستجابة للعميل جاء بمستوى مرتفع، ودراسة (لويزة، 2016) التي توصلت إلى أن تحقق بُعد الاستجابة للعميل جاءت إيجابية، حيث بلغ الوزن النسبي لهذا البُعد (75.3%)، و اختلفت عن دراسة (يوسف، 2017) التي توصلت إلى عدم تحقق الاستجابة المتفوقة للعميل في المنشآت الرياضية بمحافظة المنيا، حيث جاءت نسبة تحقق البُعد (51%) أقل من الحد الأدنى للثقة.

وجاء في المرتبة الثالثة بُعد الكفاءة، حيث بلغ المتوسط الحسابي (3.919) وبانحراف معياري قدره (0.530) ونسبة مئوية بلغت (78.4%)، وهذا يعني موافقة أفراد عينة الدراسة بمستوى عالٍ على تحقق بُعد الكفاءة، وقد يعود ذلك إلى سعي الشركات محل الدراسة إلى زيادة كفاءة المدخلات لإنتاج منتجات بتكلفة منخفضة؛ لتحقيق الميزة التنافسية على المنافسين من خلال الأسعار المنخفضة للمنتجات التي تقدمها، مع المحافظة على الجودة المناسبة، وهذه النتيجة تتفق مع نتائج دراسة (مهدي، 2018) التي توصلت إلى أن تحقق بُعد الكفاءة جاء بمستوى مرتفع، ودراسة (لويزة، 2016) التي توصلت إلى أن إجابات أفراد عينة الدراسة على تحقق بُعد الكفاءة كانت إيجابية، حيث بلغ الوزن النسبي لهذا البُعد (75.3%)، و اختلفت عن دراسة (يوسف، 2017) التي توصلت إلى عدم تحقق الكفاءة المتفوقة في المنشآت الرياضية بمحافظة المنيا، حيث جاءت نسبة تحقق البُعد (61%) أقل من الحد الأدنى للثقة.

و جاء في المرتبة الرابعة والأخيرة بُعد الإبداع أو التجديد، حيث بلغ المتوسط الحسابي (3.870) وبانحراف معياري قدره (0.711) وبنسبة مئوية بلغت (77.4%)، وهذا يعني موافقة أفراد عينة الدراسة بمستوى عالٍ على تحقق بُعد الإبداع أو التجديد، ورغم ذلك فإن الإبداع، مقارنة بالأبعاد الأخرى، جاء في المرتبة الأخيرة، وقد يعود ذلك إلى إعطاء الشركات محل الدراسة أولوية أقل للإبداع مقارنة ببقية الأبعاد؛ نظرا إلى نمطية بعض منتجات الشركات محل الدراسة وطرق العمل لديها، ويؤكد ذلك الاهتمام المتوسط لدى الشركات في استثمار الطاقات الإبداعية، وتوفير المناخ الذي يساعد العاملين ويشجعهم على الإبداع والتجديد، وهذه النتيجة تتفق مع نتائج دراسة (المخلافي، 2016) التي توصلت إلى أن جميع فقرات بُعد الإبداع في المنظمات الصناعية اليمنية محل الدراسة حصلت على موافقة أفراد عينة الدراسة بدرجة مرتفعة، ودراسة (لويزة، 2016) التي توصلت إلى أن إجابات أفراد عينة الدراسة على تحقق بُعد الإبداع كانت إيجابية، حيث بلغ الوزن النسبي لهذا البُعد (66.3%)، واختلفت عن دراسة (يوسف، 2017) التي توصلت إلى عدم تحقق الإبداع المتفوق في المنشآت الرياضية بمحافظة المنيا، حيث جاءت نسبة تحقق البُعد (55%) أقل من الحد الأدنى للثقة.

مستوى توفّر رأس المال الفكري في الشركات اليمنية للصناعات الغذائية:

جدول (7): مستوى توفّر رأس المال الفكري

الرتبة	البُعد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	تقدير مدى التوفّر لدى مجتمع الدراسة بدرجة ثقة 95%	مستوى التوفّر
				الدرجة العليا		الدرجة الدنيا
1	رأس المال البشري	3.971	0.548	79.4%	80.5%	78.3%
2	رأس المال العلاقتي	3.962	0.589	79.2%	80.4%	78.0%
3	رأس المال الهيكلي	3.911	0.611	78.2%	79.5%	77.0%
متوسط توفّر رأس المال الفكري		3.948	0.501	79.0%	80.0%	78.0%

يتضح من الجدول (7) أن مستوى توفّر رأس المال الفكري بكافة أبعاده: (رأس المال البشري، ورأس المال الهيكلي، ورأس المال العلاقتي) في الشركات محل الدراسة، كان عالياً، حيث بلغ المتوسط الحسابي (3.948) وبانحراف معياري قدره (0.501) وبنسبة مئوية بلغت (79.0%)، وهذا يعني موافقة أفراد عينة الدراسة بمستوى عالٍ على توفّر متغير رأس المال الفكري، وهذا يدل على أن الشركات محل الدراسة تهتم بتوفّر رأس المال الفكري بشكل كلي وعلى مستوى الأبعاد، وقد يعزى ذلك إلى إدراك الشركات محل الدراسة أن رأس المال الفكري هو رأس المال الحقيقي للشركات، كما أنه يسهم في تحسين الأداء، وزيادة القيمة السوقية لهذه الشركات، كما تعزى هذه النتيجة إلى إدراك الشركات محل الدراسة أن امتلاك رأس المال الفكري يمثل لها ميزة تنافسية مستدامة، وقد اتفقت نتيجة هذه الدراسة مع دراسة (الطويل، 2018، 230) التي توصلت إلى أن مستوى توفّر رأس المال الفكري في الشركات المدرجة في بورصة فلسطين، قطاع الخدمات، جاء بمستوى عالٍ، في حين اختلفت نتائج هذه الدراسة عن نتائج دراسة (يوسف، 2017) التي توصلت إلى عدم تحقق إدارة رأس المال الفكري داخل المنشآت الرياضية بمحافظة المنيا، حيث جاءت نسبة تحقق المتغير المستقل (60%) وهي أقل من الحد الأدنى للثقة.

كما يتضح من الجدول (7) أن مستوى توفّر رأس المال الفكري بحسب بُعد رأس المال البشري جاء في المرتبة الأولى وبمستوى عالٍ، حيث بلغ المتوسط الحسابي (3.971) وبانحراف معياري قدره (0.548) وبنسبة مئوية بلغت (79.4%)، وقد يعود ذلك إلى توفّر الخبرات والمهارات والمعارف لدى رأس المال البشري في الشركات محل الدراسة، وهذه النتيجة تتفق مع نتائج دراسة (بن ظفرة، 2018، 68) التي توصلت إلى أن "رأس المال البشري حصل على مستوى أهمية بدرجة كبيرة"، ودراسة (مهدي، 2018، 214) التي توصلت إلى أن "توفّر رأس المال البشري جاء بمستوى مرتفع، ودراسة (الطويل، 2018، 230) التي توصلت إلى أن "مستوى توفّر رأس المال البشري في الشركات المدرجة في بورصة فلسطين، قطاع الخدمات، جاء بمستوى عالٍ"، في حين اختلفت نتائج هذه الدراسة عن نتائج دراسة (ليلي، وإلهام، 2018) التي توصلت إلى أن توفّر رأس المال البشري بملبنة الأوراس كان متوسطاً، ودراسة (يوسف، 2017) التي توصلت إلى عدم تحقق رأس

المال البشري داخل المنشآت الرياضية بمحافظة المنيا، حيث جاءت نسبة تحقق البُعد (67%) أقل من الحد الأدنى للثقة.

وجاء في المرتبة الثانية من حيث مستوى التوفر بعد رأس المال العلاقتي، حيث بلغ المتوسط الحسابي (3.962) وبانحراف معياري قدره (0.589) ونسبة مئوية بلغت (79.2%)، وهذا يعني موافقة أفراد عينة الدراسة بمستوى عالٍ على توفر بعد رأس المال العلاقتي، وقد يعزى ذلك إلى حرص الشركات محل الدراسة على تحقيق رضا العملاء، والحفاظ على علاقات جيدة مع العملاء والموردين، وتطويرها باستمرار، وهذه النتيجة تتفق مع نتائج دراسة (الطويل، 2018، 230) التي توصلت إلى أن "مستوى توفّر رأس مال العلاقات في الشركات المدرجة في بورصة فلسطين، قطاع الخدمات، جاء بمستوى عالٍ"، في حين اختلفت عن دراسة (يوسف، 2017) التي توصلت إلى عدم تحقق رأس مال العلاقات داخل المنشآت الرياضية بمحافظة المنيا، حيث جاءت نسبة تحقق البُعد (54%) أقل من الحد الأدنى للثقة.

وحل في المرتبة الثالثة والأخيرة بعد رأس المال الهيكلي، حيث بلغ المتوسط الحسابي (3.911) وبانحراف معياري قدره (0.611) ونسبة مئوية بلغت (78.2%)، وهذا يعني موافقة أفراد عينة الدراسة بمستوى عالٍ على توفر بعد رأس المال الهيكلي، وقد يعود ذلك إلى توفر نظم البيانات وقواعدها، وإجراءات العمل والهيكل، وتفعيلها؛ بما يسهم في تحسين الأداء، ورغم ذلك فإن رأس المال الهيكلي مقارنة بالأبعاد الأخرى جاء في المرتبة الأخيرة، وقد يعود ذلك إلى عدم انسجام أفراد عينة الدراسة مع بعض القيود التي تفرضها لوائح العمل وإجراءاتها التي تلزم بها الشركات محل الدراسة العاملين لديها، وهذه النتيجة تتفق مع نتائج دراسة (بن ظفيرة، 2018، 68) التي توصلت إلى أن "رأس المال الهيكلي حصل على مستوى أهمية بدرجة كبيرة، ودراسة (الطويل، 2018، 230) التي توصلت إلى أن "مستوى توفّر رأس المال الهيكلي في الشركات المدرجة في بورصة فلسطين، قطاع الخدمات، جاء بمستوى عالٍ"، في حين اختلفت عن دراسة (يوسف، 2017) التي توصلت إلى عدم تحقق رأس المال الهيكلي داخل المنشآت الرياضية بمحافظة المنيا، حيث جاءت نسبة تحقق البُعد (59%) أقل من الحد الأدنى للثقة.

نتائج اختبار فرضيات الدراسة:

نتائج اختبار الفرضية الرئيسية: نصت الفرضية الرئيسية على أنه "يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لرأس المال الفكري في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة، في الشركات محل الدراسة"، و لاختبار هذه الفرضية تم استعمال تحليل الانحدار البسيط، كما يوضح ذلك الجدول (8).

جدول (8): أثر رأس المال الفكري في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة

الفرضية	R	R ²	F.	Sig.	Beta	T. Test	Sig.
أثر رأس المال الفكري في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة	0.780	0.608	581.382	*0.000	0.780	24.112	*0.000

يتضح من الجدول (8) وجود أثر ذي دلالة إحصائية لرأس المال الفكري في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة، فقد بلغت قيمة معامل التحديد (R^2) (0.608)، وهذا يعني أن رأس المال الفكري يفسر ما نسبته (0.608) من التغيرات الحاصلة في مستوى تحقيق الميزة التنافسية المستدامة في الشركات محل الدراسة، مما يشير إلى أن ما نسبته (60.8%) من الميزة التنافسية المستدامة المتحققة في الشركات محل الدراسة ناتج عن استعمال وممارسة هذه الشركات لرأس المال الفكري بأبعاده المختلفة، كما تعني هذه النتيجة أن (39.2%) من التغيرات التي تحدث في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة تعود إلى عوامل أخرى غير رأس المال الفكري، وهذه النتيجة تفسر أن تحقيق الميزة التنافسية المستدامة يتطلب توفر رأس مال فكري قوي وفعال؛ لما له من دور كبير في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة؛ لأنه يمثل مصدراً حقيقياً من مصادر الميزة التنافسية. كما يعتبر رأس المال الفكري من المفاهيم الإدارية الحديثة التي تسهم في زيادة القيمة السوقية للشركات، ويعزز موقعها التنافسي بين الشركات المنافسة على المدى الطويل، كما تفسر هذه النتيجة أن الشركات محل الدراسة تمتلك رأس المال الفكري بكافة أبعاده، وتعمل على الاستفادة منه بشكل جيد، كما بينت ذلك نتائج مستوى توفر رأس المال الفكري بجميع أبعاده التي كانت عالية؛ مما أثر بشكل إيجابي في تحقيق الميزة التنافسية، والعمل على استمراريتها

واستدامتها في هذه الشركات، كما تفسر هذه النتيجة أنه كلما زاد اهتمام الشركات محل الدراسة برأس المال الفكري زاد تحقيق الميزة التنافسية المستدامة.

كما بلغت قيمة معامل الانحدار (Beta) (0.780)، وهذا يعني أنه بافتراض تحييد أثر أي متغيرات أخرى لم تخضع للدراسة ستؤدي أي زيادة في مستوى توفر وممارسة رأس المال الفكري في الشركات محل الدراسة بدرجة واحدة إلى زيادة بمقدار (78%) في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة لهذه الشركات، ويؤكد معنوية هذه النتيجة قيمة F المحسوبة التي بلغت (581.382)، وهي دالة عند مستوى (0.05)، حيث جاءت أكبر من قيمة F الجدولية التي بلغت قيمتها (3.866) عند حجم العينة (377)، ودرجة الحرية (377 - 1)، وهذا يثبت وجود أثر ذي دلالة إحصائية لرأس المال الفكري في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة في الشركات محل الدراسة، وهذا يعني إثبات صحة الفرضية الرئيسية، وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة (يوسف، 2017، 430) التي توصلت إلى "أن لرأس المال الفكري أثراً في تحقيق الميزة التنافسية داخل المنشآت الرياضية بمحافظة المنيا، حيث إن المتغير المستقل يفسر ما نسبته (72%) من المتغير التابع، ودراسة (Gutierrez et al, 2016) التي توصلت إلى أن أبعاد رأس المال الفكري تؤثر إيجابياً على القدرة التنافسية للشركات الصناعية الصغيرة والمتوسطة في المكسيك، ودراسة (لويزة، 2016، 286) التي توصلت إلى "وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين مدى توفر متطلبات رأس المال الفكري وتحقيق الميزة التنافسية"، ودراسة (Kamukama, 2013) التي توصلت إلى أن رأس المال الفكري يؤثر إيجاباً في تحقيق الميزة التنافسية في صناعة التمويل الأصغر في أوغندا، وتختلف نتائج هذه الدراسة عن نتائج دراسة (عبد الله، وإلياس، 2018، 167) التي توصلت إلى وجود أثر غير معنوي لرأس المال الفكري في الميزة التنافسية، وفيما يأتي نتائج اختبار الفرضيات الفرعية المنبثقة عن الفرضية الرئيسية، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: نتائج اختبار الفرضية الفرعية الأولى:

نصت الفرضية الفرعية الأولى على أنه "يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لرأس المال البشري في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة، في الشركات محل الدراسة"، ولاختبار هذه الفرضية تم استعمال تحليل الانحدار البسيط كما يوضح ذلك الجدول (9).

جدول (9): أثر رأس المال البشري في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة

الفرضية	R	R ²	F. Test**	Sig.	Beta	T. Test	Sig.
أثر رأس المال البشري في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة	0.669	0.448	303.899	*0.000	0.669	17.433	*0.000

يتضح من الجدول (9) وجود أثر ذي دلالة إحصائية لرأس المال البشري في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة، فقد بلغت قيمة معامل التحديد (R^2) (0.448)؛ وهذا يعني أن رأس المال البشري يفسر ما نسبته (0.448) من التغيرات الحاصلة في مستوى تحقيق الميزة التنافسية المستدامة في الشركات محل الدراسة، مما يشير إلى أن ما نسبته (44.1%) من الميزة التنافسية المستدامة المتحققة في الشركات محل الدراسة ناتج عن استعمال وممارسة هذه الشركات لرأس المال البشري، كما بلغت قيمة معامل الانحدار (Beta)، (0.669)، وهذا يعني أنه بافتراض تحييد أثر بقية المتغيرات ستؤدي أي زيادة في مستوى توفر وممارسة رأس المال البشري في الشركات محل الدراسة بدرجة واحدة إلى زيادة بمقدار (66.9%) في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة لهذه الشركات، ويؤكد معنوية هذه النتيجة قيمة (F) المحسوبة التي بلغت (303.899)، وهي دالة عند مستوى (0.05)، وهي أكبر من قيمة (F) الجدولية التي تبلغ قيمتها (3.866) عند حجم العينة (377)، ودرجة الحرية (377 - 1)، وهذا يثبت وجود أثر ذي دلالة إحصائية لرأس المال البشري في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة، في الشركات محل الدراسة، ومن ثم تم إثبات الفرضية الفرعية الأولى.

وقد اتفقت نتيجة هذه الدراسة مع نتائج دراسة (ليلي، وإلهام، 2018) التي توصلت إلى وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين رأس المال البشري بملبنة الأوراس وتحقيق الميزة

التنافسية، ودراسة (يوسف، 2017) التي توصلت إلى " وجود أثر دال إحصائياً لرأس المال البشري، في تحقيق الميزة التنافسية داخل المنشآت الرياضية بمحافظة المنيا"، ودراسة (مهدي، 2018) التي توصلت إلى وجد علاقة ارتباط موجبة وقوية وذات دلالة إحصائية بين رأس المال البشري والميزة التنافسية بشركات الأدوية محل الدراسة، ودراسة (لويزة، 2016) التي توصلت إلى وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين مدى توفر متطلبات رأس المال البشري وتحقيق الميزة التنافسية، ودراسة (بن ظفرة، 2018، 68) التي توصلت إلى أنه "يوجد أثر ذو دلالة إحصائية للمتغير المستقل (رأس المال البشري) على المتغير التابع (الميزة التنافسية) للشركات العائلية".

ثانياً: نتائج اختبار الفرضية الفرعية الثانية: نصت الفرضية الفرعية الثانية على أنه "يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لرأس المال الهيكلية في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة، في الشركات محل الدراسة"، ولاختبار هذه الفرضية تم استعمال تحليل الانحدار البسيط كما يوضح ذلك الجدول (10).

جدول (10): أثر رأس المال الهيكلية في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة

Sig.	T. Test	Beta	Sig.	F.	R ²	R	الفرضية
							Test**
*0.000	15.659	0.629	*0.000	245.190	0.395	0.629	أثر رأس المال الهيكلية في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة

يتضح من الجدول (10) وجود أثر ذي دلالة إحصائية لرأس المال الهيكلية في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة، فقد بلغت قيمة معامل التحديد (R^2) (0.395)؛ وهذا يعني أن رأس المال الهيكلية يفسر ما نسبته (0.395) من التغيرات الحاصلة في مستوى تحقيق الميزة التنافسية المستدامة في الشركات محل الدراسة، مما يشير إلى أن (39.5%) من الميزة التنافسية المستدامة المتحققة في الشركات محل الدراسة ناتج عن استعمال وممارسة هذه الشركات لرأس المال الهيكلية، كما بلغت قيمة معامل الانحدار (Beta)، (0.629)، وهذا يعني أنه بافتراض تحييد أثر بقية المتغيرات ستؤدي أي زيادة في مستوى توفر وممارسة رأس المال الهيكلية في الشركات محل الدراسة بدرجة واحدة إلى زيادة بمقدار (62.9%) في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة لهذه

الشركات، ويؤكد معنوية هذه النتيجة قيمة (F) المحسوبة، والتي بلغت (245.190)، وهي دالة عند مستوى (0.05)، وهي أكبر من قيمة (F) الجدولية التي تبلغ قيمتها (3.866) عند حجم العينة (377)، ودرجة الحرية (377 - 1)، وهذا يثبت وجود أثر ذي دلالة إحصائية لرأس المال الهيكلي في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة، في الشركات محل الدراسة، ومن ثم تم إثبات الفرضية الفرعية الثانية.

وقد اتفقت نتيجة هذه الدراسة مع نتائج دراسة (يوسف، 2017) التي توصلت إلى وجود أثر دال إحصائياً لرأس المال الهيكلي في تحقيق الميزة التنافسية داخل المنشآت الرياضية بمحافظة المنيا، ودراسة (لويضة، 2016) التي توصلت إلى وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين مدى توفر متطلبات رأس المال الهيكلي وتحقيق الميزة التنافسية، فيما اختلفت نتائج هذه الدراسة مع نتائج دراسة (بن ظفرة، 2018، 68) التي توصلت إلى أنه "لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية للمتغير المستقل (رأس المال الهيكلي) على المتغير التابع (الميزة التنافسية) للشركات العائلية".
ثالثاً: نتائج اختبار الفرضية الفرعية الثالثة: نصت الفرضية الفرعية الثالثة على أنه "يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لرأس المال العلاقتي في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة، في الشركات محل الدراسة"، ولاختبار هذه الفرضية تم استعمال تحليل الانحدار البسيط كما يوضح ذلك الجدول (11).

جدول (11): أثر رأس المال العلاقتي في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة

الفرضية	R	R ²	F.	Sig.	Beta	T. Test	Sig.
أثر رأس المال العلاقتي في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة	0.712	0.508	386.600	*0.000	0.712	19.662	*0.000

يتضح من الجدول (11) وجود أثر ذي دلالة إحصائية لرأس المال العلاقتي في تحقق الميزة التنافسية المستدامة، فقد بلغت قيمة معامل التحديد (R²) (0.508)؛ وهذا يعني أن رأس المال العلاقتي يفسر ما نسبته (0.508) من التغيرات الحاصلة في مستوى تحقق الميزة التنافسية المستدامة في الشركات محل الدراسة، مما يشير إلى أن (50.8%) من الميزة التنافسية المستدامة

المتحققة في الشركات محل الدراسة ناتج عن استعمال وممارسة هذه الشركات لرأس المال العلاقتي، وقد كان هذا البُعد أعلى أبعاد رأس المال الفكري تأثيراً في تحقق الميزة التنافسية المستدامة، وتفسر هذه النتيجة أهمية أثر رأس المال العلاقتي في تحقق الميزة التنافسية المستدامة؛ كونه يركز على العملاء والاهتمام بهم و الحصول على رضاهم وكسب انتمائهم واستقطاب المزيد منهم، من خلال التعرف على احتياجاتهم العملاء ورغباتهم والعمل على تلبيةها لهم بشكل مستمر، وهذا ينعكس على زيادة الحصة السوقية للشركات، ويزيد من عملية التأثير في تحقق الميزة التنافسية المستدامة للشركات محل الدراسة على الشركات الأخرى، كما تفسر هذه النتيجة أنه كلما زاد اهتمام الشركات محل الدراسة برأس المال العلاقتي زاد تحقق الميزة التنافسية المستدامة.

وقد بلغت قيمة معامل الانحدار (Beta)، (0.712)، وهذا يعني أنه بافتراض تحييد أثر ببقية المتغيرات ستؤدي أي زيادة في مستوى تطبيق وممارسة رأس المال العلاقتي في الشركات محل الدراسة بدرجة واحدة إلى زيادة بمقدار (71.2%) في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة لهذه الشركات، ويؤكد معنوية هذه النتيجة قيمة (F) المحسوبة التي بلغت (386.600)، وهي دالة عند مستوى (0.05)، وهي أكبر من قيمة (F) الجدولية التي تبلغ قيمتها (3.866) عند حجم العينة (377)، ودرجة الحرية (377 - 1)، وهذا يثبت وجود أثر ذي دلالة إحصائية لرأس المال العلاقتي في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة، في الشركات محل الدراسة، ومن ثم تم إثبات الفرضية الفرعية الثالثة.

وقد اتفقت نتيجة هذه الدراسة مع نتائج دراسة (يوسف، 2017) التي توصلت إلى "وجود أثر دال إحصائياً لرأس مال العلاقات في تحقيق الميزة التنافسية داخل المنشآت الرياضية بمحافظة المنيا"، ودراسة (لويزة، 2016) التي توصلت إلى وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين مدى توفر متطلبات رأس المال الزبوني وتحقيق الميزة التنافسية، ودراسة (بن ظفرة، 2018، 68) التي توصلت إلى أنه "يوجد أثر ذو دلالة إحصائية للمتغير المستقل (رأس مال العلاقات) على المتغير التابع (الميزة التنافسية) للشركات العائلية". يتبين مما سبق أن جميع أبعاد رأس المال

الفكري تؤثر في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة في الشركات محل الدراسة، لكن أكثرها تأثيراً هو رأس المال العلاقتي، يليه رأس المال البشري، ويأتي رأس المال الهيكلي في المرتبة الأخيرة، وهذا يختلف عن مستوى تحقق المتغيرات؛ إذ إن رأس المال البشري كان الأكثر توفراً، يليه رأس المال العلاقتي، ثم رأس المال الهيكلي في المرتبة الأخيرة.

الاستنتاجات:

بناءً على النتائج التي توصلت إليها الدراسة تم استخلاص الاستنتاجات الآتية:

1. تهتم الشركات محل الدراسة اهتماماً كبيراً بتحقيق الميزة التنافسية المستدامة بكافة أبعادها: (الكفاءة، والجودة، والإبداع أو التجديد، والاستجابة للعميل).
2. اهتمام الشركات محل الدراسة بتحقيق بعدي: (الجودة، والاستجابة للعميل)، كان أكبر من اهتمامها بتحقيق بعدي: (الكفاءة، والإبداع أو التجديد) حيث كانا الأقل تحققاً.
3. تبدي الشركات محل الدراسة اهتماماً كبيراً بتوفر رأس المال الفكري بكافة أبعاده: (رأس المال البشري، ورأس المال الهيكلي، ورأس المال العلاقتي).
4. اهتمام الشركات محل الدراسة بتوفر بُعد (رأس المال البشري) كان أكبر من اهتمامها بتوفر بعدي: (رأس المال العلاقتي، ورأس المال الهيكلي).
5. تهتم الشركات محل الدراسة بأنشطة البحث والتطوير؛ لتطوير المنتجات، بما يتواءم مع التغيرات في أذواق العملاء، ويلبي احتياجاتهم، ويحقق مواصفات ومعايير الجودة المطلوبة.
6. تبدي الشركات محل الدراسة اهتماماً بتحقيق رضا عملائها وولائهم، من خلال تلبية احتياجاتهم وتحقيق رغباتهم، والاهتمام بشكاواهم ومعالجتها بالسرعة الممكنة.
7. وجود قصور لدى الشركات محل الدراسة في إشراك عملائها في تصميم منتجاتها وتطويرها.
8. يختلف أثر رأس المال الفكري في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة في الشركات محل الدراسة باختلاف البُعد.

9. أكثر أبعاد رأس المال الفكري تأثيراً في تحقق الميزة التنافسية المستدامة كان بُعد رأس المال العلاقتي، يليه بُعد رأس المال البشري، ثم بُعد رأس المال الهيكلي.

التوصيات:

1. ضرورة تعزيز مستوى تحقيق الميزة التنافسية المستدامة بجميع أبعادها، لاسيما بُعد الكفاءة؛ كونه الأقل تحققاً على مستوى أبعاد الميزة التنافسية المستدامة.
2. الاستمرار في الاهتمام من قبل الشركات اليمنية للصناعات الغذائية برأس المال الفكري؛ كونه أصبح اليوم رأس المال الحقيقي، ولأنه العنصر الفعال في نجاح الشركات، ويعد مصدراً أساسياً من مصادر الميزة التنافسية المستدامة في ظل التطور التكنولوجي الهائل، والتحديات والتغيرات المستمرة في بيئة الأعمال.
3. ضرورة زيادة الاهتمام برأس المال البشري؛ كونه يمثل مورداً أساسياً ومهماً لشركات صناعة الأغذية؛ لما يمتلكه من معارف ومهارات وخبرات تسهم في التميز على المنافسين، وتحقيق الميزة التنافسية المستدامة، وتوفير المناخ الملائم والمحفز للعاملين على الإبداع والتميز.
4. ضرورة زيادة الاهتمام برأس المال الهيكلي من خلال توفير نظم المعلومات وقواعد البيانات، وأنظمة وإجراءات العمل واللوائح والإستراتيجيات، ومراجعتها وتحديثها وتطويرها باستمرار؛ لما لها من دور في دعم رأس المال البشري وتسهيل مهامه.
5. ضرورة زيادة اهتمام الشركات اليمنية للصناعات الغذائية برأس المال العلاقتي من خلال تحقيق رضا عملائها، والاحتفاظ بهم، وإقامة علاقات متينة معهم، وتحسينها باستمرار، وإشراكهم في تطوير المنتجات.
6. على الشركات اليمنية للصناعات الغذائية، زيادة الاهتمام بالبحث والتطوير؛ لما لذلك من دور في تطوير المنتجات واستدامة الميزة التنافسية.

7. إنشاء وحدة إدارة علاقات العملاء للتواصل مع العملاء والاستماع إلى آرائهم ومقترحاتهم، وإمدادهم بالمعلومات عن المزايا والعروض التي تقدمها الشركات.
8. على الشركات اليمنية للصناعات الغذائية تقديم حزمة من المزايا التنافسية التي تضمن لها الحفاظ على عملائها الحاليين، وجذب عملاء جدد.

المراجع:

(أولاً): المراجع العربية:

- 1- إسحاق، أنير حسو (2013)، دور إدارة المعرفة في تعزيز فاعلية إدارة علاقات الزبائن لضمان امتلاك مزايا تنافسية، مجلة كلية الحداثة الجامعة، بحوث مستقبلية، (41).
- 2- بابر، طلال محمد الأمين (2018)، أثر القياس وإفصاح المحاسبي لرأس المال الفكري على قرارات الاستثمار في الأوراق المالية، دراسة ميدانية على سوق الخرطوم للأوراق المالية، أطروحة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان.
- 3- البكري، ثامر، وبنو حمدان، خالد (2013)، الاطار المفاهيمي للاستدامة والميزة التنافسية المستدامة، محاكاة لشركة HP في اعتمادها لاستراتيجية الاستدامة، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، (9)، 3 – 11.
- 4- بن ظفرة، فايز عوض (2018)، قياس أثر رأس المال الفكري في دعم القدرة التنافسية للشركات العائلية السعودية، مجلة اقتصاديات شمال إفريقيا، (19)، 47-74.
- 5- جميل، هادية النور محمد نور الهدى (2018)، دور القياس والإفصاح المحاسبي عن معلومات التنمية المستدامة في تحقيق الميزة التنافسية لمنظمات الأعمال السودانية، دراسة ميدانية، أطروحة دكتوراه، جامعة النيلين، السودان.
- 6- الجهاز المركزي للإحصاء (2012)، التقرير النهائي لنتائج المسح الصناعي، وزارة التخطيط والتعاون الدولي، الجمهورية اليمنية.
- 7- خليفة، حسن منصور (2013) نموذج خلايا التكلفة: منهج مقترح لتعزيز المزايا التنافسية في المنشآت النسيجية السورية، أطروحة دكتوراه، قسم الدراسات العليا، المعهد العالي للتنمية الإدارية، جامعة دمشق، سوريا.

- 8- الراعي، ليث عبد اللطيف (2019)، أثر ممارسة إدارة سلسلة التوريد في تحقيق الميزة التنافسية في الشركات الصناعية الغذائية الأردنية، رسالة ماجستير، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة آل البيت، الأردن.
- 9- رزيقة، رحمون، ومحمد، شنشونة (2015)، مساهمة أبعاد رأس المال الزبوني في تدعيم الميزة التنافسية، دراسة ميدانية مؤسسة صناعة الكوابل، بسكرة، مجلة أبحاث اقتصادية وإدارية، (18)، 39 – 58.
- 10- زعلان، عبد الفتاح جاسم (2017)، استخدام الذكاء التسويقي لتحقيق الميزة التنافسية المستدامة للمنظمة من خلال الرصد البيئي، دراسة تحليلية لأداء عينة من مديري شركة زين للاتصالات في العراق، مجلة جامعة كربلاء العلمية، 15، (3)، 170 – 199.
- 11- شكشك، أسامة حسين فرج (2018) رأس المال الفكري وأثره في تحقيق الجودة الشاملة، في المنظمات اللببية، دراسة ميدانية على الجامعة الأسمرية الإسلامية، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، 16، (17)، 186-203.
- 12- الطويل، عصام محمد (2018)، أثر القياس والإفصاح المحاسبي عن رأس المال الفكري على تحسين جودة المعلومات المحاسبية، دراسة ميدانية على بورصة فلسطين، قطاع الخدمات، مجلة جامعة الأقصى، سلسلة العلوم الإنسانية، 22، (1)، 210-245.
- 13- عايض، عبد اللطيف مصلح محمد، (2018)، إدارة الإنتاج والعمليات المتقدمة، الطبعة الأولى، مركز الأمين للنشر والتوزيع، صنعاء، اليمن.
- 14- العبادي، سناء عبد الرحيم سعيد، والعتبي، تاغي زيدان محمد ناصر، (2014) تأثير عناصر النجاح الحرجة في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة (دراسة ميدانية)، مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية، جامعة بغداد، 20، (80)، 204 – 235.
- 15- عبد الحميد، عفاف السيد بدوي (2013)، رؤية استراتيجية لرأس المال الفكري ودوره في تحقيق الميزة التنافسية (دراسة ميدانية)، المؤتمر العربي الأول: رأس المال الفكري العربي نحو رؤية استراتيجية جديدة للاستثمار والتطوير، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، ومعهد الإدارة العامة بسلطنة عمان، مسقط، سلطنة عمان، 28 – 30 ابريل 2013.
- 16- عبد الله، كسرا عنتر، واليباس، انتصار إبراهيم (2018)، دور رأس المال الفكري في دعم المزايا التنافسية، دراسة تحليلية لأداء عينة من العاملين في المصارف التجارية في إقليم كردستان، مجلة تكريت للعلوم الإدارية والاقتصادية، 2، (42)، ج2، 147 – 172.

- 17- عبد اللوش، محمد، وكورتل، فريد (2018)، أثر جودة المعلومات في تحقيق الميزة التنافسية، دراسة حالة الشركة الإفريقية للزجاج، مجلة اقتصاديات شمال إفريقيا، (18)، 225-242.
- 18- الكساسبة، صالح الشيخ محمد على (2011) تأثير رأس المال الفكري على فاعلية العمليات الداخلية في شركات الاتصالات الأردنية، أطروحة دكتوراه، كلية الأعمال، جامعة عمان العربية، الأردن.
- 19- لويزة، فرحاتي (2016)، دور رأس المال الفكري في تحقيق الميزة التنافسية للمؤسسات الاقتصادية في ظل اقتصاد المعرفة، دراسة حالة شركة الإسمنت، عين التوتة – باتنة، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد خيضر – بسكرة، الجزائر.
- 20- ليلي، بوحديد، وإلهام، يحيوي (2018)، دور رأس المال البشري في تحقيق الميزة التنافسية للمؤسسة الصناعية (دراسة حالة)، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، 1، (43)، 221 – 234.
- 21- محسن، السيد ليث شاكر (2012)، دور إدارة الجودة الشاملة في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة، بحث استطلاعي في شركات التأمين العراقية العامة، مجلة دراسات محاسبية، 7، (21)، 35 – 70.
- 22- محمد، حباينة، (2012)، دور رأس المال الهيكلي في تدعيم الميزة التنافسية للمؤسسة الجزائرية، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر.
- 23- المخلافي، مازن محمد سرحان (2016)، أثر التحليل البيئي في تحقيق الميزة التنافسية، دراسة ميدانية على المنظمات الصناعية اليمنية، رسالة ماجستير، جامعة قناة السويس، مصر.
- 24- مهدي، محمد حسن أحمد (2018)، تحليل العلاقة بين رأس المال البشري والميزة التنافسية، دراسة ميدانية بالتطبيق على شركات الأدوية العاملة ب ج. م. ع.، مجلة البحوث التجارية المعاصرة، جامعة سوهاج، 32، (1)، 185-233.
- 25- النجار، صباح مجيد، ومحسن، عبد الكريم (2012)، إدارة الإنتاج والعمليات، الطبعة الرابعة، الذاكرة للنشر والتوزيع، بغداد، العراق.
- 26- نذير، نصر الدين، وبدوي، مصطفى (2010)، رأس المال الفكري كمدخل لتعزيز الإبداع وتحقيق ميزة تنافسية مستدامة، مجلة الاقتصاد والتنمية البشرية، (1)، 167-188.
- 27- همشري، عمر أحمد (2013)، إدارة المعرفة الطريق إلى التميز والريادة، دار الصفاء للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان، الأردن.

- 28- الوطيفي، كامل شكير، والنافعي، شفاء تركي (2016) تقويم ومراجعة رأس المال الفكري في المنظمات المتعلمة، بحث استطلاعي لآراء القيادات العليا في جامعة بابل، مجلة كلية الإدارة والاقتصاد للدراسات الاقتصادية والإدارية والمالية، 8، (4)، 1 – 21.
- 29- يوسف، عبد الستار حسين (2005) دراسة وتقييم رأس المال الفكري في شركات الأعمال، دراسة مقدمة لمؤتمر (اقتصاد المعرفة والتنمية الاقتصادية) كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، عمان. جامعة الزيتونة الأردنية.
- 30- يوسف، هاني جمال (2017)، إدارة رأس المال الفكري وأثره على تحقيق الميزة التنافسية، بالمنشآت الرياضية بمحافظة المنيا، مجلة أسيوط لعلوم وفنون التربية الرياضية، جامعة أسيوط، 1، (44)، 378 – 439.

(ثانياً): المراجع الأجنبية:

1. Abdullah, N., N., Binti Othman, M., (2019), Examining the Effects of Intellectual Capital on the Performance of Malaysian Food and Beverage Small and Medium-Sized Enterprises, *International Journal of Civil Engineering and Technology (IJCIET)* 10, (2), 135–143.
2. Dostie, Benoit (2014), Innovation, Productivity, and Training. IZA Discussion Paper, 8506: 1-35.
3. Durrah, O., M., Allil, K., K. & Alkhalaf, T. (2018), The intellectual capital and the learning organization A case study of Saint Joseph Hospital, Paris, *International Journal of Public Leadership*, 14, (2), 109–118.
4. Feng, J., Papatla, P., (2011), "Advertising: Stimulant or Suppressant of Online Word of Mouth", *Journal of Interactive Marketing*, 71, (23), 1-10.
5. Gutierrez, Jose Sanchez, Trejo, Juan Mejia, Barraza, Juan Antonio Vargas, and Avila , Guillermo Vazquez, (2016), "Intellectual capital, impact factor on competitiveness: manufacturing industry SMEs in Mexico", *Measuring Business Excellence*, 20,(1), 1 – 11.
6. Hill, Charles W.L. & Jones, Gareth R., (2012), *Essentials of Strategic Management*", 3th Edition , south western, USA.

7. Kamukama, Nixon (2013), Intellectual capital: company's invisible source of competitive advantage, *An International Business Journal*, (3), 260-283
8. Manzari ,M., Kazemi, M., Nazemi ,S., & Pooya ,A. (2012), Intellectual capital: Concepts, components and indicators: *A literature review, Management Science Letters* ,2, (7), 2255-2270.
9. Russell, Suzana & Millar, Harvey, (2014), Competitive priorities of manufacturing firms in the Caribbean, IOSR, *Journal of Business and Management (IOSR-JBM)* , 16, (10), 72-82.
10. Selim, A. and Khalil,O. (2011), Knowledge management and organizational performance in the Egyptian software firms, *International Journal of Management*, 3, (4) , 37-66
11. Shakina , Elena, (2014), " Value creation through intellectual capital in developed European markets", *Journal of Economic Studies, Emerald Group Publishing Limited*, 41, (2), 272-291.
12. Somuyiwa, A. & Adebayo, I. (2013), "Firm's Competitiveness through Supply Chain Responsiveness and Supply Chain Management Practices in Nigeria". *Journal of Poverty, Investment and Development - An Open Access International Journal*, 1. 142-147.
13. Zhang, M., Qi, Y., Wang, Z., Pawar, K. S., & Zhao, X. (2018), How does intellectual capital affect product innovation performance? Evidence from China and India. *International Journal of Operations & Production Management*, 38, (3), 895–914.



الصناعة المعجمية والفئة المستهدفة

أطاف محمد الفندي*

الملخص:

يقف هذا البحث على قضية مهمة من قضايا البحث المعجمي المعاصر، وهي قضية الصناعة المعجمية في ضوء احتياجات الفئة المستهدفة، وترتبط بالجانب الوظيفي للمعجم؛ إذ لا يمكن للصناعة المعجمية إلا أن تكون موجهة إلى فئة ما، وهذه الفئات تتفاوت في مستوياتها ومدى احتياجاتها للمعجم. وأساس هذا البحث هو تحديد مفهوم الفئة المستهدفة، ومستوياتها التعليمية والبحثية والثقافية، وشروط التعريف، والمقصود بالفئة المستهدفة هنا تلك الفئة التي تتلقى المعجم اللغوي إما مكتوباً في أوراق يضمها مجلد وإما في أقراص مدمجة.

وبناءً على ذلك فإن الدراسة ستوجه إلى مفهوم الصناعة المعجمية ومفهوم الفئة المستهدفة، ويليه منهجية الصناعة المعجمية، فضوابط الصناعة المعجمية، ثم شروط التعريف، وقد فصلنا التقسيمات في المقدمة.

* طالبة دكتوراه - قسم اللغة العربية - كلية اللغات - جامعة صنعاء - الجمهورية اليمنية.

The Lexicography and the Target Group Reader's Lexicon

Altat Mohammed Al_ fandi

Abstract:

The lexicography is how to make a lexicon. It takes five steps to make a lexicon: collecting the information about the entreis' lexicon, choosing the lexical entries' lexicon, ordering these entries in the specific system, writing and recording these lexical entries' lexicon with a complete definition, and completing all the lexicon information to produce it in paper copy.

The relation between lexicography and the target group reader is how to give the reader's lexicon a complete definition to find the meaning of the word that they want to know; so that, if the lexicon is a complete definition, it will be useful for the target group readers. This research is concerned with how the lexicon is useful for the target readers.

مقدمة:

تعدّ الفئة المستهدفة في الصناعة المعجمية من أهم محاور الدراسات المعجمية؛ من أجل تحديد معايير تلك الصناعة.

والمقصود بالصناعة المعجمية عملية صناعة المعجم وفق ضوابط محددة يتبعها المعجميّ أثناء صناعته للمعجم. أما الفئة المستهدفة فهي تلك الفئة التي تتلقّى المعجم، وتُقسّم الفئة المستهدفة وفقاً لدرجاتها العلمية على فئات تتمثل في: فئة الطفل، وفئة المتعلمين (طلبة المدارس في المرحلة الإعدادية، والمرحلة الثانوية)، وفئة طلاب المرحلة الجامعية في مراحل الدراسات الأولية، وفئة الباحثين والمتخصّصين في مرحلة الدراسات العليا، وأخيراً فئة المتعلمين من غير

العرب؛ نظراً إلى خصوصية هذه الفئة من الناحية الثقافية والمعرفية والتربوية، وتتطلب هذه الفئة أن يأخذها المعجمي في الحسبان عند تعريفه لأي وحدة معجمية. وينتهج البحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يعدّ أساساً في تحليل الظاهرة اللغوية تحليلاً دقيقاً.

ويهدف البحث إلى الكشف عن ترابط قضايا الصناعة المعجمية بالفئة المستهدفة من خلال تحديد آليات تسهم في تحديد معايير صلاحية المعاجم للفئة المستهدفة. وبناءً على ذلك فقد تفرّع تقسيم هذا البحث إلى مباحث أربعة:

- المبحث الأول: مفهوم الصناعة المعجمية وإشكالية ترجمته، ومفهوم الفئة المستهدفة.
- المبحث الثاني: منهجية الصناعة المعجمية.
- المبحث الثالث: ضوابط الصناعة المعجمية، وفيه أربعة مطالب تتمثل في ضوابط وضعها بطرس البستاني، وضوابط وضعها عبد الله العلايلي، وضوابط وضعها ثورنديك (Thorndike) أثناء صناعته لمعجمه، وضوابط وضعها فيشر لمشروع المعجم العربي الكبير.
- المبحث الرابع: شروط التعريف، وملاءمة المعاجم العربية القديمة لبعض متطلبات العصر الحديث.

ثم الخاتمة التي نستعرض فيها النتائج.

المبحث الأول: مفهوم الصناعة المعجمية وإشكالية ترجمته ومفهوم الفئة المستهدفة
أ- مفهوم الصناعة المعجمية وإشكالية ترجمته

تتناول الدراسات المعجمية الحديثة أهم مصطلحين معجميين هما: الصناعة المعجمية، وعلم المعجم، ويقابلهما في الإنكليزية: (Lexicology, Lexicography) ومحاولة تحديد وظيفة كل

مصطلح (Lexicography , Lexicology) كان للباحثين الغربيين والعرب جهود في تحديد معنى هذين المصطلحين، وكان لكثير من الموسوعات مساحة أفردت للتفريق بينهما، نذكر من ذلك⁽¹⁾:

1- هارت مان (Hartmann): الذي يرى أن المصطلح (Lexicography) يتضمن الجانب النظري والجانب التطبيقي، أي أن الصناعة المعجمية هي ذاتها علم المعجم، لهذا أدرج المصطلحين تحت مصطلح واحد.

2- موسوعة اللغة وعلم اللغة: فرّقت هذه الموسوعة بين المصطلحين، وجعلت مصطلح (Lexicology) يخصّ الجانب النظري، وجعلت مصطلح (Lexicography) يخصّ الجانب التطبيقي؛ وبهذه الفروق خالفت هارت مان (Hartmann) في تحديد مفهوم المصطلحين.

3- الموسوعة العالمية لعلم اللغة: وسّعت مفهوم (Lexicography) ليشمل عملية التخطيط والتأليف للأعمال المرجعية المرتبة على المداخل مثل المعاجم: (Dictionaries) والمكانز (Thesauruses)، والمسارد (Glossaries)، والفهارس (Concordances) وإرشادات الاستعمال التي تعطي المعلومات عن مفردات لغة ما، أو مجموعة من اللغات، وهذا يعتمد على نوعية المعجم ونوعية لغته، ولم تذكر المصطلح الآخر في شيء.

4- بو سيفنسن (Bo Svensen): ميّز بين مصطلح (Lexicography) ومصطلح (Lexicology) في كتابه المترجم إلى الإنكليزية بعنوان: (Practical Lexicography) فقد زاد الأمر سرعة وأدخل في مفهوم الـ (Lexicography) إلى جانب تأليف المعاجم وإنتاجها ما يأتي:
أ- التأليف عن المعاجم وليس التأليف فيها.

ب- الحديث عن النظريات والمناهج التي تعدّ الأساس لهذا النشاط.

أما المقابل العربي لهذين المصطلحين (Lexicography , Lexicology) فقد تعددت مفاهيمه وانعكس ذلك في ترجمته، فظهرت ترجمات عدة لهذا المصطلح، كما هو موضّح في الجدول الآتي:

المصطلح	Lexicography	Lexicology
العابد (2)	المعاجية	المعجبية
إبراهيم بن مزاد (1)	-القاموسية -العائقة -المعجبية -التطبيقية -القاموسية	-معجبية -عائقة -المعجبية -النظرية -المعجبية
بعلبي (4)	صناعة المعجم	علم المفردات
المعجم المؤجد (3)	-صناعة المعجم -معجمات	-دراسة المفردات -علم من اللغة
المسدي (6)	قاموسية	معجبية
الغولي (7)	صناعة المعجم	علم المفردات
معجم مصطلحات علم اللغة الجديد (8)	صناعة المعجم	دراسة المفردات
حلي عقيل (9)	-علم المعجم -علم المعجم -التطبيقي -علم المعجم	علم المعجم النظري
الودعري (10)	-علم الصناعة - القاموسية	-علم المعجم -علم دراسة الانحياز
محمد رشاد الجزاوي (11)	-صناعة المعجم -المعجبية	علم المعجم
حلام الجهلي (12)	المعاجية	المفرداتية
محمود سليمان (13)	-علم المعجم التطبيقي -علم صناعة المعجم	علم المعجم
عبد الصور شاهين (14)	-المعاجم -علم المفردات
عبد القادر عبد الجليل (15)	-علم المعجم -فن صناعة المعجم

ويتضح من الجدول السابق:

أنه على الرغم من تعدّد ترجمة المصطلح (Lexicography) فإنّ ترجماته أقرب إلى المفهوم ووظيفته بخلاف المصطلح (Lexicology)، مما يوحي باستقرار ترجمته، واضطراب ترجمة (Lexicology) بإحالتها إلى معنى علم المعاجم (الجانب النظري) ومعنى صناعة المعاجم (الجانب التطبيقي) ممّا يوحي بعدم استقرار هذا المفهوم عند صانعيّ المعجم. مما يعني اقتراب مصطلح (Lexicology) من علم المعجم (المفردات) واقتراب مصطلح (Lexicography) من مفهوم المعجمية الذي يُعنى بالصناعة المعجمية. إذن يمكن القول: إنّ الصناعة المعجمية (Lexicography) تتمثل في جمع الرصيد المفرداتي، وترتيبه على وفق نظام ألفبائي، أو موضوعي، وتعريف المداخل وتوضيحها. وهي تقنية صنع المعجمات والتحليل اللساني لهذه التقنية التي تهتم بصناعة المعجم، والأسس التي يقوم عليها، وأنواع المعجمات، وطباعة المعجم، وغير ذلك من الأعمال التي تتصل بهذه الصناعة حتى يخرج المعجم إلى الوجود⁽¹⁶⁾.

ب- الفئة المستهدفة: هي الفئة التي تقرأ المعجم أو تستعمله، وتختلف درجات الفئة المستهدفة وفقاً للملكة المعلوماتية لدى القارئ، ويمكن ربط الصناعة المعجمية بعلاقة التكامل بوصفها علاقة تربط بين صانع المعجم والمتلقي؛ لأنّ النصّ المعجميّ هو نصّ كليّ يشكّل خطاباً لغوياً في حيّز المعجم، والفئة المستهدفة تمثّل المتلقي لهذا الخطاب.

ولا بد لهذه العلاقة من وضوح؛ من أجل صلاحية استعمال المعجم؛ لتتناسب مع الفئات المستهدفة المختلفة، وذلك بتقديم ضوابط صناعة المعجم التي تخصّ فئة الأطفال؛ لتختلف عن ضوابط صناعة المعجم لفئة الطلبة في المرحلتين الإعدادية والثانوية، ولتختلف أيضاً عن ضوابط صناعة المعجم لفئة طلبة الجامعة وفئة المتعلّمين للغة من غير الناطقين بها، وهكذا.

المبحث الثاني: منهجية الصناعة المعجمية: تنطلق هذه المنهجية من أنواع المعاجم؛ وفقاً لجمع المادة المعجمية وتقنية التعريف المعجميّ، اللتين تسهمان في تحديد مستويات التعليم لدى المتلقّي وهذه المعاجم هي⁽¹⁷⁾:

1) معاجم ما قبل التعليم المدرسي: تسمى بـ(معجمات الأطفال)، ويطلق على هذا النوع من المعجم في الإنكليزية بـ: (Pop-up Picture Dictionary أو Picture Dictionary)، ويعتمد هذا النوع من المعاجم على الصورة أكثر مما يعتمد على الكلمة، ويتعامل مع المبتدئين في اكتساب اللغة الأم، أو اكتساب اللغة الثانية.

2) معاجم المرحلة الابتدائية: وتسمى بـ(معجمات التلاميذ) و(معاجم الصغار): وهي نوع خاص من المعاجم له مواصفاته لجعله صالحاً لمتعلمي اللغة الأم، أو متعلمي اللغة الثانية، وهذه المواصفات هي:

- مناسبة المعلومة المعطاة لاحتياجات الصغير الوقتية، فالطفل في هذه المرحلة لا يتحمل كثافة المفردات وثقل تعريفاتها؛ لعدم قدرة الصغير على التعامل مع الأشكال، والتعبيرات المركبة أو المعقدة، كما أنه لا يصلح تقديم معجم تتسم تعريفاته بالصور والأشكال في هذه المرحلة من التعليم؛ لأن الطفل هنا يبدأ مرحلة الاكتساب اللغوي، ويجمع قدر ما يستطيع من مفردات للتعبير والتواصل مع الآخرين.
- استعمال معجم لغوي صغير يقدم تعريفاً سهلاً يتوافق مع قدرات الطفل الذهنية والمعلوماتية، ويجب فيه تجنب وجود المعلومات النحوية والصرفية في التعريف.
- أن تكون معاجم لديها القدرة على تنوع الاستجابات لدى المتعلم؛ ليكون قابلاً للتعامل مع ما يحصده من معلومات ترتبط مباشرة بجهدته التعلّمي⁽¹⁸⁾.

3) معجمات مرحلة ما قبل المرحلة الجامعية: تشمل المرحلتين الإعدادية والثانوية، وتسمى بـ(معجمات الطلاب)، وتُحدد أعمارهم ما بين العاشرة و الثامنة عشرة، وهي فئة يفترض فيها تزايد اكتسابها لمعاني الكلمات، وارتقاء تفكيرها الذهني؛ بما يسمح بالتعامل مع الأشكال والتعبيرات المركبة، وتمييز بأن عدد مداخلها المعجمية محدّدة وتعريفاتها سهلة؛ لأن المعجمي يتجنب ذكر أصل المعنى أو تطوّره، والاكتفاء بالمعنى الحاضر، ولا يكون ذلك إلا في ترتيب

المعاني في المدخل الواحد، وفي ترتيب جزئيات التعريف، فضلاً عن غلبة الجانب الوظيفي في تعريف الأسماء على الجانب الحسي؛ لتأثيره في ذهن الطالب.

وقد تمخّض عن ظهور المعاجم التي تُوجه إلى فئة المتعلمين في مرحلة ما قبل التعليم الجامعي وجود طرائق لجمع المادة المعجمية الأساسية لتلك المعاجم التي تتمثل في:

أ- طريقة تعتمد في حصر مفرداتها على الكتب المدرسية وحدها، وقد عيب على هذه الطريقة أن الكتب المدرسية لا يحدد مستواها بدقة، ناهيك عن أنها لم تُبنَ على أساس علمي أو تعليمي أو نفسي.

ب- طريقة ضم مادة أخرى إلى الكتب المدرسية، لتدخل في حصيلة التلميذ عند انتقاله من سن إلى آخر.

(4) معجمات المرحلة الجامعية: تضم فئة معاجم الكليات، وفئة معاجم الكبار، وهما متساويتان ويمكن دمجهما؛ لأن ما يطلق عليه اسم معاجم الكليات (Collegiate Dictionary) قد أصبح نموذجاً سائداً لمعاجم الكبار المتوسطة الحجم، أو ذات الجزء الواحد.

(5) معجمات الكبار: تتشارك معجمات الكبار مع معجمات المرحلة الجامعية؛ إذ لا فرق بين المرحلتين. وتتميّز هذه المعاجم بأن المتلقّي قد وصل إلى مرحلة نسبية من النضج الفكري، فبمقدوره فهم النصوص المختلفة، واستيعاب كثافة المادة المعجمية وغزارة تعريفها في المعجم؛ لأنه قد أصبح، في هذه المرحلة، مهياً لاستقبال النصّ المعجمي.

وبناءً على ذلك فإن المتلقّي قد أصبح قادراً على فهم المعاجم العربية القديمة بأنواعها المختلفة.

المبحث الثالث: ضوابط الصناعة المعجمية: وهي ضوابط وضعتها الدراسات المعجمية الحديثة أثناء صناعة المعجم؛ لتكون صالحة لجميع الفئات المستهدفة، وتتمثل في اقتراحات موجهة لصنّاع المعاجم العربية الحديثة والمعاصرة:

المطلب الأول: ضوابط وضعها بطرس البستاني، وقدّم فيها مجموعة اقتراحات وجّهها إلى مؤلفي المعجمات العربية الحديثة والمعاصرة، وتتمثّل في حذف الأمور الآتية⁽¹⁹⁾:

(1) المهمل: ويُقصد بالمهمل الكلمات العربية القديمة التي كانت متداولة في الجاهلية، وقد دعا بطرس البستاني إلى تركها في المعاجم المعاصرة؛ لعدم صلاحيتها في عصرنا الحالي؛ كونها لا تتماشى مع متطلبات العصر؛ إذ اقترح بقاء هذه الكلمات المهملة مخزوناً لغوياً في أمّات المعجمات العربية القديمة.

(2) الترادف: دعا إلى ترك الأسماء المترادفة المهجورة أو الثقيلة على اللسان التي لا جدوى من الاحتفاظ بها، وادخارها في متون اللغة إلى حين الحاجة إليها.

(3) المشترك: يدعو بطرس البستاني إلى ضرورة الحدّ من استعمال الألفاظ المشتركة، خاصة إذا كانت القرينة خفية المراد؛ لأنّ المشترك اللفظي يؤدي إلى اللبس عندما تكثّر مدلولاته، كما هو الحال في مفردات خال وعين وضرب وخفف... إلخ.

(4) الأضداد: وقد رأى البستاني ضرورة التقليل من استعمال الأضداد؛ لأنها تتسبّب في إضاعة الوقت في البحث عنها؛ إذ لا تعدّ من الأمور المهمة الوجود في المعجم العصري، على اعتبار أن اللغات وُجِدَت للتفاهم من بأيسر سبيل وليس للتعقيد وإرهاق الأذهان.

(5) الفروق اللغوية: أشار إلى ترك الفروق اللغوية التي تعني المعاني الدقيقة وتقع في المترادفات؛ لأنّ الباحث يأخذ وقتاً طويلاً للبحث عن المعنى الدقيق للكلمة، فضلاً عن ميل الناس في العصر الحديث إلى تعلّم إحدى اللغات الحيّة في أسرع وقت ممكن؛ بسبب ازدحام الحاجات و سرعة إيقاع الحياة في هذا العصر.

وتتفق الباحثة مع ما ذهب إليه البستاني، فالعصر الحديث قد تبدّلت حاجاته، وصارت هذه الضوابط محلّ دراسة وبحث في صناعة المعاجم حتى يمكن تلبية متطلبات العصر الحديث بالمصطلحات المتنوعة، التي نتج عنها ظهور الدراسات المصطلحية التي تهتم بدراسة المصطلح

فيسمى علم المصطلح (Terminology)، والاصطلاحية التي تقدّم تقنيات صناعة المصطلح (Terminography).

المطلب الثاني: ضوابط وضعها عبدالله العلايلي:

رأى عبدالله العلايلي أننا في حاجة إلى تنويع العمل في المعجم العربي على أنحاء هي⁽²⁰⁾:

(1) المعجم المادي: يبحث هذا المعجم عن سنّة المعجمات القديمة، المتمثلة في أنها تقوم على ترتيب معيّن، ثم يُنظر إلى الأوزان الصرفيّة للكلمة بغية الوصول إلى مادتها، فهو لا يتقيد بالنظر إلى الأصول، بل ينزل الزوائد عليها منزلة الاعتبار أيضاً. وينبغي إثبات الزوائد للأوزان القياسيّة من أول الأمر بمحلّها المادي، كوزن فاعل ومفعول، ثم النظر إلى التفرقة بين الحقيقة والمجاز.

(2) المعجم العلمي: يخدم هذا المعجم أهل الاختصاص، وتوضع ألفاظه مبنية على شرح تخريجي يتولاه أهل الاختصاص؛ ليأتي على صورة وافية، فيوضع في أجزاء للجغرافيا مثلاً، و الجيولوجيا والهندسة والقانون والاجتماع والتاريخ... إلخ.

(3) المعجم الاصطلاحي: ويقدم المعجم الاصطلاحي المصطلحات في درس لغوي علمي؛ إذ يبحث عن شرح الاصطلاح في اشتقاقه، ويكون على نسق الكليات لأبي البقاء، والتعريفات للجرجاني.

(4) المعجم التاريخي أو النشوئي: هذا النوع من المعاجم يبحث في نشوء المادة وتطوراتها الاستعمالية، وتراوحها بين الحقيقة والمجاز مقيدة بالعصور. ويقف على دراسة المفردات من حيث هي عربية عريقة، أو من مصدر غير عربي. ووظيفة المعجم التاريخي أو النشوئي هو وضع حدود واضحة للتطور، ورسوم بيّنة للارتقاء، ويمتاز بأنه منتشر كذلك على المفردات في الاستعمال والدخيل وما يتبعه من أبحاث يرتفع معها مستوى النظر اللغوي في العربية.

5) المعجم المَعْلَمِي: ويضم جميع ما ذكر أعلاه باختصار؛ أقرب إلى المعجمات المختصرة، وتسعى إلى صنع معاجم مختصرة وجيزة؛ منها دائرة المعارف الصغرى، ومعجم أكسفورد، ومعجم وبستر، ومعجم لاروس وكلها تعليمية يفيد الطالب منها، وتسهل الوصول إلى معنى الكلمة .

وعلق حسين نصّار على ما وضعه العلايلي بقوله: "وتعليقنا على العلايلي هو وصفنا لتصورنا للمعجم الذي نحتاج إليه، غير أننا نشير إلى أنه موقّق في كثير من الخطوات التي دعا إليها، وإلى أن الأجل به أن يدعو إلى حذف الصيغ القياسية؛ فهو قد أقام معجمه التاريخي على ظنون وافتراضات لا حقائق؛ وأنه نظرفيه إلى الأطوار القديمة للغة، لا الأطوار الحديثة التي توجد لدينا منها أدلة وشواهد كثيرة، تجعلنا نقيّم أقوالنا على أساس علمي ثابت"⁽²¹⁾، ثم يوافق حسين نصّار العلايلي في حاجتنا "إلى عدة أنواع من المعجمات، وقد قام المجمع اللغوي بوضع (المرادف) العربي لكثير من مصطلحات الفنون والعلوم، ونشرها تباعاً في مجلته، وقد نجح هذا العمل؛ نظراً إلى ضبط المنهج من حيث وضع ترتيب الألفاظ بحسب العلم أو الفن الذي اتصل به، ثم ترتيب ألفاظ كل فن تحته على الألف باء باعتبار حروفها كلها، بدون نظر إلى أصالة حرف أو زيادته"⁽²²⁾ .

ومن الملاحظ ممّا سبق أن العلايلي يسير في اتجاه أنواع الصناعة المعجمية حيث قسّمها إلى معاجم مختصة مصطلحيّة، ومعاجم لغويّة، ومعاجم تعليميّة، ومعاجم تاريخيّة وتأثيليّة. في حين أن بطرس البستاني قد ركّز على ضوابط التعريف، ولم يتطرّق إلى أنواع الصناعة المعجمية .

المطلب الثالث: ضوابط وضعها ثورنديك (Thorndike) أثناء صناعته لمعجمه⁽²³⁾:

1- ذكر جميع الألفاظ بما فيها الأصيلّة والدخيلة في الترتيب الألف بائي وفقاً لحروفها، فلا يكون لها إلاّ موضع واحد يبحث عنها القارئ فيه. وقد وجدت معاجم أخرى أفردت للدخيل بضميمة خاصة في آخرها .

2- تقديم المعاني العامّة الشائعة؛ للحاجة إلى معرفتها، وتؤخر المعاني الأقل شيوعاً.

وهذا يوافق ثورنديك البستاني في النظر إلى ضوابط التعريف، لكنه يختلف عن العلايلي في وضعه شرط تعريف المادة المعجمية المتمثلة في⁽²⁴⁾:

(أ) تجنب العبارات المعقدة باستعمال الألفاظ السهلة، وتأليفها بطريقة مألوفة حتى تؤدي دلالة معروفة.

(ب) استعمال الأساليب والعبارات المصوّرة، أي التي تعطي المعنى صورة بارزة واضحة.
(ت) ترتيب الأفكار في التفسير الواحد (شرح المادة المعجمية) بحسب أهميتها، مثل تعريف المَصْرِف (البنك) بأنه مؤسسة للادخار والتسليف وتبادل الأموال وإرسالها إلى الخارج؛ لأن أكثر الناس يستعملون لفظة الـ(البنك) في الادخار أولاً، ويأتي ذلك التسليف فالتبادل المالي، وأقلهم يرسلون نقوداً إلى خارج أقطارهم عن طريقه.

(ث) الدقة والتحديد في التفسيرات بذكر جميع المعلومات اللازمة؛ ليفهم القارئ معنى اللفظ.

(ج) استثمار الشواهد؛ نظراً لوجود كثير من أدوات العطف التي تحتاج إلى شواهد لتوضيحها.

ثم راعى ثورنديك كيفية ضبط المدخل المعجمي رسماً وإملاءً في المعجم بوضع الضوابط الآتية⁽²⁵⁾:

- إذا كان للمادة المعجمية معنيان أو أكثر يختلفان تماماً فإنها تقسم إلى شطرين أو أكثر، يكرر ذكرها بحسب هذه المعاني مع ترقيم كل منها، ليتضح منذ البداية أن لها معاني أخرى. ويقصد بهذه المعاني ما سمّاه ابن فارس الأصول .

- كتابة عنوان المادة بحروف مشبعة.

- رسم الأسماء المشتقة بحروف مشبعة وراء الكلمات التي بمعناها، فإذا كانت قد استعملت في معانٍ جديدة أوردت مواد رئيسة في ترتيبها الخاص.

- وضع الأساليب المؤلفة تحت أبرز كلمة منها.

- وضع كلمتين في أعلى الصفحة: توضع الكلمة الأولى في الجهة اليمني، وتوضع الأخرى في الجهة اليسرى، وهما تمثلان مفتاحاً لمحتوى الصفحة كاملة وتحددان موقع ترتيب المداخل المعجمية في المعجم، وتسهمان في تحديد الباب والفصل للمدخل المعجمي بغض النظر عن نوعية المعجم أهو أحادي للغة أم ثنائي.

والضوابط التي وضعها ثورنديك (Thorndike) هي ضوابط عامة في الصناعة المعجمية، ولم يخصّ معجماً بعينه، حيث وضع أساساً في مقدمة معجمه الذي صنعه، وصارت نقطة التقاء مع ضوابط الصناعة المعجمية العربية والغربية في العصر الحديث، وهذه الضوابط تصلح لأن تطبق في الصناعة المعجمية العربية الحديثة.

المطلب الرابع: ضوابط وضعها فيشر لمشروع المعجم العربي الكبير

وضع فيشر مشروعاً للمعجم العربي الكبير، على أساس أن يشتمل المعجم على كل كلمة وجدت في اللغة بلا استثناء، وأن تعرض على حسب وجهات النظر السبع المتمثلة في: التاريخية، والاشتقاقية، والتصريفية، والتعبيرية، والنحوية، والبيانية، والأسلوبية، وهي على النحو الآتي⁽²⁶⁾:

1- لا بدّ من الاهتمام بالكلمة تاريخياً بوصف اللغة دائمة التطور، وبناءً على ذلك فإن الكلمة، تخضع لتطور تاريخي خاص؛ ويجب إيضاح هذا التطور بمقتضى ما لدينا من وسائل.

2- البحث عن أصل الكلمة ونسبها من الاشتقاق الذي يعمل على توليد الكلمات، ويرتبط ذلك بعلم ضبط الهجاء، كما قد يرتبط بها علم العروض. أمّا المعرّيات فتدرد إلى أصولها بقدر الإمكان. ولا بد لمؤلف المعجم من أن يكون متمكناً من اللغات السامية الأخرى، واللغات الفارسية، والتركية، واليونانية، واللاتينية وغيرها، ليتم ضبط الكلمة بشكلها الصحيح وتأصيلها.

3- لا بد من تحديد تغيير الصيغ للفظة في الكلام، أي تصريف الأفعال وتصريف الأسماء وغيرهما، دون ورود شواهد على صيغ الألفاظ المتداولة وكاملة التصريف، إذ يُكتفى بوضع الشواهد في الحالات التي يحتمل فيها الشك. ولا يجب تعزيز كل الصيغ النادرة التي تختلف عن الصيغ المعروفة ببعض الشواهد فقط، بل لكل الشواهد الموجودة؛ ليتسنى تقدير صحة هذه الصيغ تقديراً تاماً. وهنا لا بدّ من الإشارة إلى وجود نقطتين هما: النقطة الأولى: وجود صيغتين أو أكثر في تصريف الفعل أو الاسم وفي تمييز جنس الكلمة من ناحية التذكير والتأنيث. وليس من النادر أن تختلف باختلافها معاني الكلمة. والنقطة الثانية: عدم وجود بعض الصيغ التي كان يمكن استعمالها وفق القياس .

4- يجب مراعاة ترتيب المعاني المتعددة في الناحية التعبيرية وفقاً لعلاقتها التاريخية والعقلية على النحو الآتي:

أ- أن يعدّ المعنى الأول لكلمة لها معاني مختلفة ذلك الذي يؤخذ من اشتقاق الكلمة.
ب- يجب في ترتيب المعاني تقديم المعنى العام على المعنى الخاصّ، والمعنى الحسيّ على المعنى العقلي، والمعنى الحقيقي على المعنى المجازي، وفق سير تطور الفكر البشري، كما يجب مراعاة علم المجاز ومراعاة استعمال الكلمة بوصفها اصطلاحاً، ومراعاة علم الترادف بوصفه عوناً تعبيرياً مهماً؛ لأنه يقارن بين الكلمات المتقاربة في المعنى من حصر المعاني وفحوى هذه المعاني، ولكن لا يصحّ التجاوز عن وصف الفارق بين الكلمات المتقاربة في المعنى الذي يرجع كثيراً إلى أسباب تاريخية أو جغرافية صرفية. ويجب مراعاة وضع نقائص للكلمات إذا ما وجدت، ويعرّف على قدر الإمكان كل نبات، وحيوان، وجماد، تعريفاً كاملاً، وتذكر فصيلته، ويوصف باسمه العلمي.

1- مراعاة وضع الكلمات -من الناحية النحوية- التي يمكن أن تربط كلمة بأخرى، وترتّب لها مواضع معينة في سياق الكلام مثل: فقط، وإنما، أيضاً، وغيرها. وكذا وجوب مراعاة المضمير

أو المحذوف، وهذا الأمر متعلق بالمسائل الآتية: جواز استعمال الكلمة استعمالاً مطلقاً، معرفة نوعية الفعل من حيث التعدية واللزوم، ومعرفة أول ظهور للتركيب وآخر ظهور له.

2- مراعاة الناحية البيانية (علاقات الكلمة) التي نحسب أنها مصاحبة لها دائماً، أي التراكيب والتعابير التي قضت روح اللغة القومية بوضعها غالباً في موضع خاص دون أن يطرأ عليها أي تغيير، كخضوعها لعامل من عوامل البلاغة، أو حسن الذوق، ومن هذه العلاقات:

- صيغة الإنباع والمزاوجة.

- صيغة المشاكلة كما في قوله تعالى: "وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ"⁽²⁷⁾.

- صيغة المبالغة في المعنى كما في العبارة: موت مائت وشعر شاعر.

- صيغة ازدواج عبارتين متضادتين للتعبير عن معنى واحد مبالغ فيه، كقوله تعالى: "لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ"⁽²⁸⁾، ومن هذه العلاقات أيضاً تركيب متداول لعبارتين تعمل

إحداهما في الأخرى، مثل: بذل جهده، وغيرها.

- تحدد الناحية الأسلوبية (المحيط اللغوي) الذي تستعمل فيه الكلمة أو التعبير أو التركيب:

أولاً: استعمالاً عاماً؛ وقد يكون هذا المحيط شاملاً لجامعاً للغة القرآن ولغة الحديث وأسلوب الشعر والنثر والأسلوب التاريخي وأسلوب الفنون وغيرها.

ثانياً: استعمالاً خاصاً؛ كالأسلوب الشخصي المحض، فقد يميل المؤلف إلى استعمال كلمة أو تركيب لا يرد إلا إماماً، أو لا يرد بتاتاً عند غيره، فالمؤلف يختلف أسلوبه في كتاباته في أثناء شبابه عن أسلوبه فيما بعد. ولا يحتاج إلى شيء من هذا الوصف.

ويبدو هنا أن فيشر جعل ضوابطه محصورة في كيفية سرد المعلومات الخاصة بالمدخل المعجمي المتمثل في التعريف، فهو يفصل الحديث عن ذلك، فقد كانت هذه الضوابط تركز على آليات التعريف للمداخل المعجمية، بوصف التعريف هو المسؤول الأول عن كيفية وضع معلومات المدخل المعجمي.

كما وضع فيشر أيضاً ضوابط لمعجمات اللهجات هي:

1) يحب أن تتبع المعاجم العربية نظاماً صوتياً خاصاً، مثل الذي يتبع في جميع المعجمات الغربية والإنكليزية؛ لأن حروف الهجاء العربية لا تستطيع أن تمثل نطق هذه اللهجات أو اللغة العامية تمثيلاً واضحاً. فنظام اللغة العربية الصوتي يختلف تماماً عن نظام اللغات الغربية الصوتي، ولم يوضّح فيشر ما طبيعة النظام الصوتي الخاص لمعاجم اللغة العربية.

2) ضرورة أن تعتمد معجمات اللهجات في العربية على لغة الحديث (الكلام المتداول) أكثر من لغة التدوين؛ لأن لغة التدوين تتبع الفصحى في أغلب الأحيان. ومن الطبيعي وجود معجمات للهجات ذات نوع وسيط مختص، فمعجمات اللهجات تشبه إلى حدّ كبير معجمات الأصول (Etmology) والمعجمات التاريخية.

وقد خرجت الدراسة من تلك الضوابط المقترحة المذكورة آنفاً بمقترحات وتوصيات عامّة جامعة لصناعة المعاجم العربية الحديثة والمعاصرة؛ لتكون صالحة للفئة المستهدفة وفقاً للمستويات التعليمية المختلفة، على النحو الآتي⁽²⁹⁾:

1- يجب أن تقوم كل خطوة في المعجم على دراسة دقيقة؛ لتحديد الفئة المستهدفة من تأليف المعجم.

2- استعمال مفردات ذات معانٍ مستعملة؛ لتجنّب حشو المعاجم اللغوية بالمفردات التي لا جدوى منها، ولا تخدم الفئة المستهدفة، وأن تحلّ مشكلة الزيادة بحرف أو أكثر التي جعلت بعض الكلمات موضوعة في موضعين أو أكثر.

3- أن ترتب مفردات المعجم بحسب الهدف من المعجم، أي الشائع فالأقل شيوعاً، أو ترتيباً تاريخياً أو ما إلى ذلك؛ وأن تفسر بعبارات واضحة مصورة لا تحتوي على ألفاظ يحتاج المرء إلى الكشف عنها لمعرفة معناها، وأن يقلل التفسير بالمرادفات ما أمكن، فإذا فسرنا به اخترنا المرادف الأكثر شيوعاً ووضوحاً.

4- يجب التفريق بين المعاني المختلفة للمادة الواحدة، والصيغ المختلفة للأفعال والأسماء والأفعال المتعدية واللازمة، ويجعل لكل منها قسماً معيّناً في المادة؛ وتميّز أبواب الأفعال وتصرفات الأسماء والصفات، وتذكيرها وتأنيثها، والحروف بالرموز التي توضع بعدها مباشرة، هو الحال في أي معجم غربي.

وبناءً على ذلك فقد أُجمع على وجوب تصميم المعجمات في ضوء حاجات مجموعة خاصّة من القراء، فمثلاً معجم إنكليزي-عربي للقراء الأمريكيين لمساعدتهم في تكلم العربية، أو قاموس تايلندي- إنكليزي للقراء البريطانيين أو الأمريكيين لمساعدتهم على قراءة اللغة التايلندية⁽³⁰⁾.

على أنّ الاهتمام بالفئة المستهدفة من الصناعة المعجمية يقوم على أساس أنها تمثّل القارئ في مختلف مستوياته المعلوماتية ومختلف الغايات التدريسية (المعاجم التعليمية للغات الأجنبية). وقد أكد ذلك ريد (Read) في مقال أعدّه مؤخراً للنشر في العدد العاشر من سلسلة (اتجاهات معاصرة في علم اللغة (Current Trends in Linguistic) التي يشرف على تحريرها سيبيوك (Sebeok): على أنه يجب على المعجمي "الجيد أن يوجّه عمله لأهداف خاصة، في ضوء مجموعة القراء الذين يفكر في خدمتهم"⁽³¹⁾.

ونتج عن هذا الرأي وضع أنواع للمعجمات طبقاً للتصنيف. والمقصود بالتصنيف تلك المعجمات الغربية المتنوعة كالمسرد، والفهرست الأبجدي، والمعجم، وكتاب المفردات، والكشاف، والمعجم الجغرافي، والقاموس المرتب حسب المعاني، والمعجم الموسوعي، والأطلس اللغوي⁽³²⁾. وهذه الأنواع⁽³³⁾:

1. معجمات للناطقين بلغة المتن (لغة الأصل أو لغة المدخل) مقابل معجمات للناطقين بلغة الشرح (لغة الترجمات).
2. معجمات للغة المكتوبة (اللغة الفصحى) مقابل معجمات للغة المنطوقة (اللغة العامية).
3. معجمات للتعبير باللغة الأجنبية مقابل معجمات لفهمها.
4. معجمات لاستعمال الناس مقابل معجمات للترجمة الآلية.

5. معجمات تاريخية مقابل معجمات وصفية.
6. معجمات لغوية مقابل معجمات موسوعية.
7. معجمات عامة مقابل معجمات متخصصة.

وخلاصة القول فيما ذكر سابقاً، أن تلك الآراء التي وضعت لتقديم معاجم صالحة للفئة المستهدفة هي ذاتها الآراء التي عرضها القدماء، لا سيما فيما يتعلق بالجوانب الدلالية للألفاظ، وكثيراً ما تحدث القدماء عن صحّة الصناعة المعجمية خوفاً من الوقوع في مزالق صناعة المعجم من خلل في ترتيب المداخل المعجمية وخلل في تقنيات التعريف.

المبحث الرابع: شروط التعريف، وملاءمة المعاجم العربية القديمة لبعض متطلبات العصر الحديث

أ- شروط التعريف: يعد التعريف بؤرة اهتمام المعجميّ أثناء صناعته للمعجم، وقد وضع العلماء والفلاسفة والمناطقة منذ أفلاطون وأرسطو إلى علماء الدلالة وعلماء المعاجم في العصر الحديث شروطاً لصياغة التعريف الخاص بالمدخل المعجمي من خلال الممارسة والتجربة الفعلية وهذه الشروط هي⁽³⁴⁾:

1- الاختصار والإيجاز اللذان يعملان على توفير الحيز المكاني في المعجم؛ عملاً بالحكمة القائلة (كن موجزاً) أي: ينبغي ألاّ تبدد الكلمات ولا تستعمل في الشرح ما يمكن الاستغناء عنه؛ لأنه يتطلب القدرة على التحليل، والفهم، والقدرة على شرح المعاني بإحكام مع براعة الإيجاز.

2- السهولة والوضوح، فلا يفسر اللفظ بلفظ غامض، ولا يعرف بما لا يُعرف به، مثل: تعليق أحمد مختار عمر على تفسير أحد المفسرين للآية الكريمة "سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ"⁽³⁵⁾ فجعل كلمة السفهاء تعني الذين خفت أحلامهم، ففسر اللفظ الغامض

بلفظ غامض، وهو: (خفت أحلامهم)، وهذا اللفظ غامض. وكذلك لا يصحّ أن يقال في تعريف القَدَم إنه وحدة لقياس الطول، فهو تفسير غامض.

3- تجنب التعريف الدوري، كقول المعاجم القديمة، مثل معجم الفارابي "ديوان الأدب": "حسب الرجل صارحسيباً"⁽³⁶⁾، إذ لا يجوز دخول الكلمة المعرفة ولا مشتقات منها في التعريف إلا إذا كان المدخل المعجمي مركباً وقصد بشرحه المعنى الجديد الذي اكتسبه كأن يقال في شرح المدخل المعجمي المركب: طالب التربية إنه الطالب الذي يعدّ تربوياً ليعمل مدرساً، ويمكن تمثيل التعريف الدوري بهذا الشكل:

- تعريف A بذكر B و B بذكر A.

- تعريف A باستخدام A.

4- تجنب الإحالة إلى مجهول، أو إلى شيء لم يعرف في مكانه، كقول الفيروزآبادي في مادة ضرس: الضرس السن⁽³⁷⁾ ثم قوله في مادة سنن: السنّ الضرس.

5- مراعاة النوع الكلامي للكلمة المعرفة، فتعريف الاسم يجب أن يبدأ بالاسم والوصف، وقد عيب على الفارابي قوله: "الأكلف: لون بين السواد والحمرة"⁽³⁸⁾، والحقيقة أن الكلفة "الكُلفَةُ، بالضم: لَوْنُ الأَكْلَفِ"⁽³⁹⁾، و"الكُلفُ: لَوْنٌ بَيْنَ السَّوَادِ والحُمْرَةِ... والأَكْلَفُ: الَّذِي كَلِفَتْ حُمْرَتُهُ فَلَمْ تَصِفْ"⁽⁴⁰⁾، والأكلف "ما كان لونه بين السواد والحمرة"⁽⁴¹⁾. والأكلف "يَكُونُ فِي حَدِيثِهِ سَوَادٌ حَفِي"⁽⁴²⁾. ومنه قولنا: القنينة: أنية للشرب، والصواب: إناء للشرب لأن القنينة مفرد لا جمع لها⁽⁴³⁾.

6- ينبغي في تقديم التعريف تفسير الأسماء المادية بأن يُشار إلى الشكل الخارجي والوظيفي والخصائص المميزة، وهي كلها تعدّ خصائص أساسية، ففي تعريف المرآة مثلاً ينبغي أن تعرف بما يجمع هذه الخصائص المذكورة سابقاً، فيقال: سطح أملس مصقول كالزجاج،

يعرض صورة الشيء عن طريق الانعكاس؛ ومن هذا التعريف لوحظ الخصائص والمميزات، وهي الشكل الخارجي والوظيفة والخصائص المميزة للشيء (المرأة). وتعريف آخر للمرأة في المعجم الوسيط الذي ينقصه ذكر الشكل الخارجي أو المادة المكونة للمرأة: "ما يرى الناظر فيها نفسه"⁽⁴⁴⁾، وهذا التعريف اختص فقط بذكر الوظيفة، وأهمل بقية الخصائص المطلوب ذكرها، مما أخلّ بوظيفة التعريف الأساسية، ومن التعريفات التي وردت في المعجم العربي الأساسي الذي ضمّ مكونات التعريف للأسماء المادية تعريف المرأة: ((سطح مستوٍ أو منحنيّ يعكس الضوء عكساً تنشأ عنه صورة)) وهذا التعريف يعكس صورة واضحة للمدخل المعجمي، وهناك تعريف آخر للمرأة تنقصه بعض هذه المكونات السابقة الذكر وهو في القاموس المحيط: "المِرْأَةُ، كَمِسْحَاةٍ: ما تَرَاءَيْتَ فِيهِ"⁽⁴⁵⁾.

7- أن يكون التعريف شاملاً لمحتويات المعرف (المدخل المعجمي) كلها، فمثلاً عند تعريف الباب لا بد من حصر المعلومات شاملة لهذا الباب فقط، كما ورد تعريفه في المعجم العربي الأساسي والمحيط من (خشب أو غيره)؛ ليوحي بذلك أن هناك أنواعاً غيره ليست خشبية، وأقل قبولاً في التعريف ما ورد في المعجم المدرسي (من خشب ونحوه)؛ ليوحي أن الباب محصوراً بالباب الخشبي⁽⁴⁶⁾.

8- أن يكون مجموع الكلمات المستعملة في الشرح محدود العدد، ومقتصر على الكلمات التي يفترض مسبقاً أن يكون مستعمل المعجم على علم بها؛ لكي لا ترد كلمات لا فائدة منها في أثناء التعريف؛ ممّا ينعكس سلباً على حجم المعجم وعدم صلاحيته للفئة المستهدفة.

وينبغي للمعجميّ النظر إلى هذه الشروط باهتمام؛ لانقضاء الوقوع في مزلق الغموض التعريفي للمداخل المعجمية؛ لأن المعجميّ يعالج ظاهرة مفتوحة لا تستقرّ على حال، إذ توجد صعوبة في حصر كلمات أي لغة حيّة التي تعدّ مطلباً مهماً - إن لم يكن مستحيلاً - ليظلّ المعجميّ حبيس التساؤل عن مدى صلاحية معجمه للفئة المستهدفة⁽⁴⁷⁾.

ب-ملاءمة المعاجم العربية القديمة لبعض متطلبات العصر الحديث

كان العامل الملحّ في التأليف المعجميّ (الصناعة المعجميّة) عند العرب القدماء هو الحفاظ على اللغة العربية من الضياع، فتتلاشى في تيارات اللحن، ويصيبها الفساد بوصفها لغة القرآن الكريم الذي يضمّ مبادئ الإسلام وتعاليمه؛ إذ خشي المسلمون على القرآن الكريم أن تنهيم معانيه ويستغلّق على قرآئه؛ مما جعلهم يسارعون في جمع اللغة وتدوينها في مدوّنات سُميت فيما بعد بالمعاجم اللغوية⁽⁴⁸⁾. وكان تدوين اللغة وشرحها يتعلّق -أحياناً- بغريب اللغة التي وقعت في القرآن الكريم أو في الحديث النبوي الشريف أو في لهجات القبائل -وعلى وجه الخصوص النادرة منها- كما ألفت كتب في شرح مصطلحات الفقهاء وتأصيلها⁽⁴⁹⁾، وظهرت معاجم غريب القرآن الكريم، ومعاجم غريب الحديث، ومعاجم الألفاظ الغريبة ومن تلك المعاجم:

- 1- طَلَبَةُ الطَّلَبَةِ في الاصطلاحات الفقهية، نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد النسفي.
 - 2- غريب الحديث، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي.
 - 3- الفائق في غريب الحديث، جار الله محمود بن عمر الزمخشري.
 - 4- كنز الحفاظ كتاب تهذيب الألفاظ، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكيت، تهذيب: أبي زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي.
 - 5- المجموع المغيث في غربي القرآن والحديث، أبو موسى محمد بن أبي بكر الأصفهاني.
 - 6- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني.
- ومعاجم أخرى موسوعية، منها: معجم شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان الحميري، ومعجم لسان العرب، لابن منظور، ومعجم تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، ومعجم تهذيب اللغة، للأزهري. وقد تميّزت هذه المعاجم بغزارة مادتها المعجمية وكثافة التعريفات وتوسّعها؛ فشملت أخبار الشخصيات المشهورة وأسماءهم، وشملت أسماء الأماكن، وشملت فنون الأدب وقضايا اللغة، وفنون العلوم المختلفة كالعلوم الطبيّة والفلكيّة والعلمية.

وتستقي المعاجم العربية الحديثة أسسها ومنهجها من المعاجم العربية القديمة؛ لأنها لا تستطيع أن تستغني عنها في ابتكار ترتيب جديد للمداخل المعجمية، يخالف المعاجم العربية القديمة، ولا تستطيع أن تستغني عنها في الحصول على المعلومات التي قد تكون اصطلاحية أو لغوية أو ثقافية أو غير ذلك في مختلف العلوم.

إن المعاجم العربية القديمة تعدّ صالحة للفئة المستهدفة ونخصّ بالذكر فئة طلبة الجامعة وما بعدها، فبمقدورها تلبية متطلبات العصر ولو بشيء يسير منه؛ لما اختزلته هذه المعاجم من معلومات متنوّعة تكون منهلًا لكل باحث.

وقد كان العرب -في أثناء صناعتهم للمعاجم- يهتمون بضوابط الصناعة المعجمية آنذاك، وإن لم يكونوا يصرّحون بها كما هو الحال في عصرنا الحالي، حيث يعكف المعجميون على نسج ضوابط صنع المعجم التي تجعل من المعجم صالحاً للفئة المستهدفة.

ونستخلص ممّا سبق الآتي :

- أن الفئة المستهدفة من الصناعة المعجمية تعدّ جوهر الدراسات المعجمية، التي تسعى إلى صنع معاجم لغوية متخصصة تخدم هذه الفئة دون عوائق.
- اختلفت ضوابط صناعة المعجم عند عبد الله العلايلي، الذي كانت ضوابطه تتمحور في أنواع الصناعة المعجمية؛ لتخدم الفئة المستهدفة دون التطرّق إلى ضوابط صنع التعريف، في حين اتفق بطرس البستاني وثورندك وفيشر على وضع الضوابط في إطار ضبط صناعة التعريف.
- ولا تصلح هذه الصناعة المعجمية إلّا وفقاً لتلك المعايير المذكورة آنفاً؛ مراعاة لهيئات المستوى التعليمي المختلفة لدى الفئة المستهدفة، فمن غير المعقول أن معجم لسان العرب، مثلاً أو غيره من المعاجم العربية القديمة يخدم فئة الطلاب في المرحلة الابتدائية والإعدادية، في حين أنها قد تكون صالحة في المرحلة الثانوية، ولكن بنسبة قليلة جداً، ولكنها تخدم طلاب المرحلة الجامعية وما بعدها.

- توظيف المعاجم العربية القديمة في صناعة المعاجم العربية المعاصرة والحديثة؛ لتكون صالحة للفئة المستهدفة، بما تقدّمه المعاجم العربية القديمة من منهجيات وأسس في الصناعة المعجمية التي لا غنى عنها.

الهوامش والإحالات:

- (1) ينظر: أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب، القاهرة- مصر، ط2، 2009م، ص20، 21.
- (2) ينظر: أحمد العايد، هل من معجم عربي وظيفي؟ ضمن كتاب: في المعجمية العربية المعاصرة، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1407هـ-1987م، ط1، ص590.
- (3) ينظر: إبراهيم بن مراد، مقدمة لنظرية المعجم، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط1، 1997م، ص8، وإبراهيم بن مراد، العبارات المصطلحية الإطنابية، في ترجمة "المقالات الخمس" العربية، مجلة المعجمية، عدد 24، 2008م، ص17، وإبراهيم بن مراد، المعجم بين النظرية والتطبيق، ضمن سلسلة المحاضرات يحررها: رمزي بعلبكي، الجامعة الأمريكية في بيروت، 2009م، ص10، 11.
- (4) ينظر: أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، ص21.
- (5) ينظر: المرجع نفسه، ص21.
- (6) عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب- تونس، د.ط، 1984م، ص137-149.
- (7) ينظر: أحمد مختار عمر، صناعة المعجم العربي الحديث، ص21.
- (8) ينظر: نخبة من اللغويين العرب، معجم مصطلحات علم اللغة الحديث، مكتبة لبنان، بيروت- لبنان، 1983م، ص50.
- (9) ينظر: حلمي خليل، علم المعاجم عند ابن فارس بين النظرية والتطبيق، مجلة المعجمية، عدد 12، 13، تونس 1997م، ص47-52.
- (10) ينظر: أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، ص21.
- (11) من قضايا المعجم العربي قديماً وحديثاً، محمد رشاد الحمزاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط1، 1986م، ص170.
- (12) حلام الجليلي، تقنيات التعريف في المعاجم العربية المعاصرة، منشورات اتحاد الكتاب، 1999م، ص12.
- (13) محمود سليمان ياقوت، معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث، دار المعرفة الجامعية،

- مصر، د.ط، 2002م، ص333.
- (14) عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة، ط6، 1413هـ- 1993م، ص14.
- (15) عبد القادر عبد الجليل، المدارس المعجمية، دراسة في البنية التركيبية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط2، 1435هـ- 2014م، ص60.
- (16) ينظر: حلي خليل، مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط1، 1997م، ص:72، وينظر: علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم، مطابع جامعة الملك سعود، ط2، 1411هـ- 1991م، ص:3.
- (17) ينظر: أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، ص43-46.
- (18) ينظر: محمد عبد القادر عبد الغفار، المدخل لعلم نفس التعلّم، دار النهضة العربية، القاهرة- مصر، ط1، 1990، ص148، 149.
- (19) ينظر: حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، دار مصر للطباعة، القاهرة - مصر، د.ط، د.ت، ج2، ص760-762.
- (20) ينظر: عبد الله العلايلي، مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد، المطبعة العصرية، الفجالة - مصر، د.ط، د.ت، ص111-114.
- (21) حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، ج2، ص763، 764.
- (22) ينظر: المرجع نفسه، ج2، ص764.
- (23) ينظر: المرجع نفسه، ج2، ص772.
- (24) ينظر: المرجع نفسه، ج2، ص773.
- (25) ينظر: المرجع نفسه، ج2، ص774.
- (26) ينظر: المرجع نفسه، ج2، ص778-781.
- (27) سورة آل عمران: 54.
- (28) سورة الروم: 4.
- (29) ينظر: حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، ج2، ص781.
- (30) ينظر: المرجع نفسه، ج2، ص781.
- (31) ينظر: علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم، مطابع جامعة الملك سعود، ط2، 1411هـ - 1991م، ص30.
- (32) ينظر: المرجع نفسه، ص31.

- (33) ينظر: المرجع نفسه، ص31.
- (34) ينظر: أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث: 123-126، وينظر: محمد رضا المظفر، المنطق، دار التعارف للمطبوعات، د.ت، 1427هـ- 2006م، ص103- 105.
- (35) سورة البقرة : 142.
- (36) أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي، ديوان الأدب، تحقيق: أحمد مختار عمر، وإبراهيم أنيس، مجمع اللغة العربية المراقبة العامة للمعجمات وإحياء التراث، د.ط، د.ت، ج2، ص271.
- (37) إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط4، 1990م، ج3، ص941.
- (38) الفارابي، ديوان الأدب، ج1، ص270.
- (39) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط8، 1426هـ- 2005م، ص850 .
- (40) محمد مرتضى الحسنى الزبيدي، مصطفى حجازي، تاج العروس من جواهر القاموس، د.ط، 1413هـ- 1993م، ج24، ص330، وينظر: الصحاح وتاج اللغة وصحاح العربية، ج4، ص1423
- (41) أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة- مصر، ط6، 1988م، ص298.
- (42) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت- لبنان، د.ط، د.ت، ج9، ص307.
- (43) أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص298.
- (44) مجمع اللغة العربية الإدارة العامة للمعجمات العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 1425هـ- 2004م، ص:320.
- (45) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص1285.
- (46) أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، ص125.
- (47) مجمع اللغة العربية الإدارة العامة للمعجمات العربية، المعجم الوسيط، ص75 وينظر: محمد مرتضى الحسنى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج1، ص125.
- (48) أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص161.

(49) عبد الغفار حامد هلال، مناهج البحث في اللغة والمعاجم، مطبعة الجبلاوي، شبرا- مصر، ط1،
1411هـ- 1991م، ص:111، وينظر: المعجم العربي الأساسي، لاورس، للناطقين بها وملتعلّمها، تأليف
وإعداد: جمعة من كبار اللغويين العرب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، جهاز التعاون
الدولي لتنمية الثقافة العربية الإسلامية، دط، دت، ص5، 6.



علاقة الدولة القاسمية في اليمن بأشراف الحجاز

(1050-1100هـ/1650-1700م)

(محمل الحج اليمني أنموذجاً)

د. محمد فيصل عبدالعزيز الأشول*

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى معرفة طبيعة العلاقة بين الدولة القاسمية وأشراف الحجاز، في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر ميلادي؛ اعتماداً على بعض المخطوطات والوثائق والكتب والرسائل العلمية، وقد بينت الدراسة أنّ تلك العلاقة كانت متأرجحة بين التودّد والصدّاقة تارة، و التوتروحيّاكة المؤامرات تارةً أخرى، كما أوضحت أن تداول ولاية مكة المكرمة غلبت عليها المنافسة الأسيوية المحمومة بين الأقران (أي صراع بين طبقة ومثيلتها)، طوال مدة حكم الأشراف للحجاز- وفي كثير من الأحيان تُحكّم مكة بالشراكة بين طبقتين أو أسرتين. وما شهدته هذه الفترة من تأرجح علاقة أشراف الحجاز بين ولائهم للدولة العثمانية والدولة القاسمية، وقد استعمل الباحث المنهج التاريخي التحليلي الوصفي؛ في محاولة لإلقاء الضوء على طبيعة تلك العلاقة، ثم ذُيل البحث بخاتمة اشتملت على أهم النتائج.

* أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد - قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة ذمار - الجمهورية اليمنية.

Al-Qasmiyh Dynasty Relations with Hejazi *Ashraaf* in Yemen:

(1000-1100AH) (1600-1700AH)

Yemeni Pilgrimage Convoy as an Example

Dr. Mohammed Faisal Al-Ashwal

Abstract:

The research aims to know the kind of the relation between *Al-Qasmiyh* dynasty and Al-Hejaz magistrates in the seventeenth century AD, the second half of the eleventh century AH by using some manuscripts, documents, books and scientific researches. The study shows that the relation was sometimes based on the friendship and sometimes on launching plots. The study also clarifies that the circulating of Macca authority was strongly controlled by family competitions between members, and the conflicts between a caste and its counterpart, for all the duration of magistrates authority of Al-hejaz. It explains that instability of Al-hejaz magistrates loyalty between Ottoman and *Al-Qasmiyh* Dynasties. The historical descriptive analytical approach was used to describe that. And, the conclusion include: books of Translations, books of Biography, books of General History.

المقدّمة:

ارتبطت اليمن بالحجاز على امتداد القرون التي حكم فيها الأمراء الأشراف، قبل نشوء الدولة القاسمية، بعلاقاتٍ سياسية وصلاتٍ حضارية مُتعدّدة الأوجه في السلم والحرب، وشكّلت أساساً سياسياً لعلاقة الطرفين⁽¹⁾، ويُشكل هذا البحث دراسة تاريخية لطبيعة العلاقة بين الدولة القاسمية في اليمن وأشراف الحجاز خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري/ النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي، وهي من الفترات المهمّة في تاريخ شبه الجزيرة العربية، إذ كانت اليمن أوّل ولاية عربية تستقل عن الحكم العثماني سنة (1045هـ/1635م)، وأصبحت تتمتع بنفوذ استقلالي في ظل الدولة القاسمية التي أولت اهتماماً كبيراً بتوطيد علاقتها

مع أشرف الحجاز، وبأساليب متنوعة، متمثلة في المواقف العملية السياسية، أو في الخطاب الديني لتأكيد شرعية وجودها على أرض الواقع باعتبارها قوة صاعدة ومناهضة للوجود العثماني في شبه الجزيرة العربية؛ لذلك جاء اختيار موضوع هذا البحث انطلاقاً من أهمية استكشاف واقع الدور السياسي والديني الذي قام به أئمة الدولة القاسمية من خلال فهم علاقتهم بأشرف الحجاز.

حدود البحث:

أ. الحدود الزمانية: تناول البحث مدّة محدّدة من تاريخ اليمن الحديث، تمثلت في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري/ النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي (1050-1100هـ/1650-1700م).

ب - الحدود المكانية: الأماكن الواقعة تحت سلطة الدولة القاسمية والأشرف (اليمن والحجاز).

أهمية البحث: تكمن أهمية هذا البحث في الآتي:

- 1- مرحلة هامة من مراحل علاقة اليمن بالحجاز، حيث تورد معلومات مهمّة عن محمل الحج اليمني خلال مُدّة محددة من عصر استقلال اليمن عن الحكم العثماني الأول، الذي شهد أحداثاً في تغيير علاقة الدولة القاسمية بالقوى الخارجية خاصةً أشرف الحجاز.
- 2- تناول الصراع السياسي بين أشرف الحجاز وأثره في تغيير طبيعة العلاقة بين اليمن والحجاز.
- 3- التطرق إلى الدور البارز لأئمة الدولة القاسمية في أحداث الحجاز في خضم التنافس القاسمي العثماني على الحرمين الشريفين.

أهداف البحث:

- 1- تهدف الدراسة إلى استجلاء مرحلة تاريخية مهمة من مراحل علاقة اليمن بالحجاز.
- 2- معرفة الظروف السياسية والاجتماعية التي أثّرت على محمل الحج اليمني خلال مدّة البحث.

منهج البحث: استعمل الباحث المنهج التاريخي التحليلي الوصفي، معتمداً على مجموعة من المخطوطات والوثائق والمصادر المتاحة للوصف والتحليل، في محاولة لإلقاء الضوء على طبيعة العلاقة بين أئمة الدولة القاسمية وأشرف الحجاز.

خطة البحث ومنهج التقسيم: تم تقسيم البحث إلى مقدّمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة على النحو الآتي:

المبحث الأول: الصّلات الأسرية والمذهبية بين أئمة اليمن وأشرف الحجاز.

المبحث الثاني: الصراع بين أشرف مكة على منصب الشرافة وأثر ذلك على حجاج اليمن.

المبحث الثالث: أشرف الحجاز وولاؤهم المتأرجح بين الدولة القاسمية والدولة العثمانية.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج.

المبحث الأول: الصّلات الأسرية والمذهبية بين أئمة اليمن وأشرف الحجاز

ارتبطت اليمن والحجاز بعلاقات ودّية في أوقات كثيرة، بحكم الصّلات الأسريّة والمذهبيّة⁽²⁾، التي تربط أشرف الحجاز بأئمة اليمن؛ لأنّهم يدّعون الانتماء إلى عائلة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، نظراً إلى ارتباط نسبهم إلى الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- وأمهما فاطمة بنت محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام⁽³⁾، مما كان له انعكاساته الإيجابية على العلاقة بين البلدين، ويكفي أن نستشهد على هذه العلاقة بما كان يحظى به حجاج اليمن وأمراء الدولة القاسمية من مكانة خاصة لدى أشرف مكة مقارنة بالحجاج الآخرين، بحسب ما ذكره العياشي⁽⁴⁾ المغربي في موسم حج (1072هـ/1661م)، قائلاً: "أما أهل اليمن فأمرأؤهم من

الإمامية أقاربه في النسب، بل والمذهب، وبينهم مواصلات كثيرة ومحاماة⁽⁵⁾. وأعطى الجرُموزي (ت: 1076هـ|1666م)، وصفاً لهذه الرعاية، إذ يؤكد أنه عندما حج الأمير محمد بن المتوكل إسماعيل (ت: 1097هـ/1685م)⁽⁶⁾، بالغ الشريف زيد بن محسن⁽⁷⁾، في حفاوة استقباله والتقرب منه، ولكثرة حرصه على أمن وسلامة الأمير محمد بن المتوكل، وجماعته من الحجاج، أرسل من يرافقه من أقربائه وبعض خواصه أثناء زيارته إلى المدينة المنورة؛ لذا اتهمه العثمانيون بميله إلى أهل اليمن، وأصبح محل شك في ولائه للباب العالي⁽⁸⁾. وقد دفع هذا التعامل الظاهري أبا طالب إلى القول: "إن الشريف زيد بن محسن، كان يميل إلى جانب الإمام، ويرعى أهل اليمن الرعاية التامة، وإنما كان يوالي العثمانيين من أجل الصر⁽⁹⁾، وهو من أشد الناس بغضاً لهم مع الحذر"⁽¹⁰⁾. وأورد يحيى بن الحسين (ت: بعد 1100هـ|1689م)، موقفاً للشريف سعد بن زيد (ت: 1116هـ|1750م)⁽¹¹⁾ شريف مكة، يُظهر فيه ولاءه لإمام اليمن، وحرصه على سلامة حجاج اليمن في موسم حج سنة (1078هـ/1667م)، حين وصلوا إلى قرب مكة، فأرسل رسولاً إلى أميرهم يخبره باضطراب الأمور في مكة المكرمة، لوجود شخصيات قيادية عليا عثمانية شاركت في ذلك الموسم، مظهرًا تخوّفه على حجاج اليمن، ويطلب من أميرهم أن يدخل مكة بصفته حاجاً وليس أميراً، قائلاً: "فالوصول منكم في زي الإمارة قد تتحرك معه النفس الأتارة، والموافقة على دخولكم في غمار الناس، واستنادنا إلى جانب السلطنة يقتضي أن لا يلاحظ جانبكم، ولا نشيد في الظاهر صاحبكم، والعمل بيننا وبينكم على الباطن معمور؛ فإن المذهب واحد"⁽¹²⁾؛ لذلك استحسن أمير الحج⁽¹³⁾ اليمني دخول مكة المكرمة على هيئة حاج وليس بصفة أمير⁽¹⁴⁾. وحين تواجدت القوات العثمانية بكثرة في موسم حج سنة (1082هـ/1671م)، أبدى الشريف سعد، حرصه على سلامة حجاج اليمن، فأرسل إلى أمير القافلة الحاج فرحان بن عبد الله⁽¹⁵⁾، يطلب منه العودة من السعدية⁽¹⁶⁾، وعدم دخول مكة المكرمة، تحسباً لأي موقف معادٍ قد تقوم به العساكر العثمانية تجاه قافلة اليمن وأميرها⁽¹⁷⁾.

ولمّا آل حكم مكة إلى الشريف مسعود بن سعيد (ت: 1165هـ|1751م)⁽¹⁸⁾، أقدم المنافسون له من عشيرة آل حسن⁽¹⁹⁾، على تهديد الحجاج القادمين من اليمن، فانزعج الشريف لهذه الأعمال،

وقرر محاربتهم حتى أجبرهم على الخضوع، والتعهد بعدم التعرّض للحجيج، والحفاظ على سلامة أمن طريق اليمن⁽²⁰⁾.

ورغم العلاقة الجيدة التي احتفظ بها أشرف مكة تجاه الدولة القاسمية، كما ذكرت ذلك بعض المصادر، إلا أن قافلة الحج كشفت عن مستور تلك العلاقة، التي كانت مع العثمانيين أقوى بكثير من علاقاتهم بالدولة القاسمية في اليمن، بالرغم من القرابة في النسب، إذ يجد المتتبع لمواقف بعض أشرف مكة تجاه حجاج اليمن أموراً توحى بفتور انتمائهم إلى أئمة الدولة القاسمية. ومن ذلك مثلاً: حين أرسل الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم (ت: 1054هـ/1644م)⁽²¹⁾، قافلة حج سنة (1051هـ/1641م)، تحت قيادة محمد بن صلاح⁽²²⁾، الذي وصل إلى منطقة حلي بن يعقوب⁽²³⁾، وأراد الدخول مع الحجاج بدون سلاح، إلا أنه تفاجأ بقرار الشريف زيد بن محسن، يأمر فيه قائده في القنفذة⁽²⁴⁾، بأن يلتقي حجاج اليمن، ويمنع الأمير محمد بن صلاح من دخول مكة المكرمة، باعتباره قائداً عسكرياً للسلطة القاسمية، ودخوله إلى مكة، يثير غضب السلطات العثمانية⁽²⁵⁾. وينفي أيضاً يحيى بن الحسين، في مكان آخر المكانة الخاصة لأهل اليمن وأمرائهم عند الشريف زيد بن محسن، بقوله: "إن هذا الشريف كان لا يرضى بدخول قافلة حجاج اليمن في حال وجود أمير لها، إلا أن الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم (ت: 1087هـ/1676م)⁽²⁶⁾ أرضاه بما يدفع إليه من الهدايا والمبالغ المالية صحبة الحاج اليمني، فسكت عن هذا وتغاضى، وأجاز الداخل مع كراهيته في الباطن"⁽²⁷⁾.

ويدل -أيضاً- على ضعف هذه المكانة رفض الشريف سعد بن زيد، إعلان الخطبة للإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن (ت: 1130هـ/1718م)⁽²⁸⁾، حين طلب منه ذلك مبعوث الإمام في موسم حج سنة (1108هـ/1696م)، ولم يكتف برفض الطلب، بل وصف إمام اليمن بالحاكم الضعيف أمام قوة السلطان العثماني، وما يقوم به من تجهيزات عسكرية إلى الحرمين الشريفين في مواسم الحج⁽²⁹⁾، ويدلّ موقفه هذا على مدى تمسّكه بطاعة الدولة العثمانية، في الوقت الذي بات مستعداً بسحب علاقته بأئمة السلطة القاسمية، بالرغم من الدعم الذي قدّمه الإمام محمد بن أحمد بن الحسن، للشريف سعد وابنه سعيد، أثناء هروبهما إلى اليمن سنة (1105هـ/

1693م)، عندما عزله الأتراك بالقوة عن إمارة مكة⁽³⁰⁾، ناهيك عن المساعدات العسكرية التي قدّمها هذا الإمام إلى الشريف سعد، خلال حربه مع الأتراك، وخصومه من الأشراف في موسم الحج سنة (1106هـ/1694م)⁽³¹⁾.

أشارت بعض المصادر⁽³²⁾ إلى أشراف مكة الذين لجأوا إلى اليمن، جرّاء احتدام الخلافات بينهم على منصب الإمارة، بهدف الحصول على الدعم المالي والعسكري، فيإلى جانب الشريفين سعد بن زيد، وأحمد بن غالب (ت:1111هـ/1700م)⁽³³⁾، وصل إلى اليمن عدد من الأشراف، ومن هؤلاء مثلاً: محسن بن الحسين، والحسن بن باز (ت:1071هـ/1660م)⁽³⁴⁾، وأحمد بن باز بن حسن (ت:1078هـ/1667)⁽³⁵⁾، وسعيد بن سعد بن زيد⁽³⁶⁾، ومحمد بن يحيى بن زيد بن محسن (ت:1090هـ/1679م)⁽³⁷⁾، ومبارك بن أحمد بن زيد⁽³⁸⁾، فضلاً عن عبدالله بن سعيد بن سعد⁽³⁹⁾.

المبحث الثاني: الصراع بين أشراف مكة على منصب الشرافة وأثر ذلك على حجاج اليمن:

إنّ مسألة الصراع بين أشراف مكة على الحكم الذي تحكّم في طبيعة النظام السياسي للأشراف طيلة القرون السابقة، ترتّب عليه تعميق الخلافات بينهم، وأدّى إلى غياب الاستقرار في بلاد الحجاز، في ظل انقلاب بعض أشرافهم على نظام الشراكة في الحكم والانفراد بالسلطة⁽⁴⁰⁾، مثلما حدث أيام الشريف سعد بن زيد، الذي تولى الحكم بعد وفاة والده سنة (1077هـ/1666م)، بالاشتراك مع الشريف حمود بن عبد الله (ت:1085هـ/1674)⁽⁴¹⁾، إلا أن الشريف سعد، انفرد بالولاية بموجب قرار عثماني، فأدّى ذلك إلى خروج الشريف حمود، معلناً تمرّده في بعض مدن الحجاز الواقعة على طرق الحج، ولشدة خطرها رصد أحد المصادر جزءاً من أثارها السلبية، التي بدت واضحة في خسائر تجارة الحجاج بأسواق مكة، وكساد بضائعهم وتلفها⁽⁴²⁾. وأصبحت مهمة نقل المسافرين من اليمن إلى الحجاز صعبة وشاقة، لعدم توقّر الجانب الأمني في الحجاز، خاصة عندما امتدّت أحداثها إلى طريقي تهامة والسراة⁽⁴³⁾، جرّاء الفتن التي أثارها أتباع الشريف حمود، في بعض المحطّات الواقعة بين اليمن ومكة، ومنها على سبيل المثال: تلك الاضطرابات التي افتعلتها القبائل في منطقة بيشة⁽⁴⁴⁾، التي كانت إحدى محطات طريق

السراة، واضطر حجاج اليمن نتيجة هذه الأوضاع إلى تغيير مسار طريقهم شرقاً⁽⁴⁵⁾، مما دفع والي بيشة سعيد بن شنبر⁽⁴⁶⁾ إلى أن يرسل طلباً إلى المتوكل إسماعيل بن القاسم، يستمدّ منه المساعدات المادية والعسكرية، لكي يتسوّى له إخضاع أهل بيشة، الذين خلعوا طاعته، وكان بإمكان إمام اليمن أن يستغلّ هذه الظروف ويفرض تواجد العسكري في تلك المناطق، ويؤمّنّها من خلال تقديم المساعدات، إلّا أن ضعف قدرته المالية والعسكرية جعلته يرفض طلب الشريف سعيد بن شنبر⁽⁴⁷⁾.

ويبدو أن الشريف حمود بن عبد الله كان يدرك العلاقة الوديّة التي تربط رموز السلطة القاسمية بمنافسه الشريف سعد بن زيد، وكانت في نظره استمراراً لتلك العلاقة المتينة التي وجدت أيام الشريف زيد بن محسن. ولضمان عدم وصول مساعدات عسكرية من اليمن إلى الشريف سعد، أخذ الشريف حمود يسعى جاهداً إلى زعزعة حبل الأمن، وتشجيع القبائل الواقعة على طرق مراحل الحجاز، على أن تطلب أموالاً زائدة عن المعتاد من حجاج اليمن، وتحريضهم على نهب وسلب محمل الحج اليمني، فتضرر الحجاج الذين يمرّون بطريق السراة، وطريق تهامة والساحل، ويتّضح ذلك من خلال إحدى الروايات التي أوردها أحد الكتاب⁽⁴⁸⁾ القائلة "إن حجاج اليمن تعرّضوا لمضايقات كثيرة بعد خروجهم من منطقة صبيا⁽⁴⁹⁾، حتى قرب مكة المكرمة"، وفي مدينة جدة⁽⁵⁰⁾ -أيضاً- تعرّض أتباع هذا الشريف لتجار من زبيد⁽⁵¹⁾، وقاموا بنهب أمتعتهم وتجاريتهم⁽⁵²⁾، في الوقت الذي تشكّلت فيه عصابة تمزّد، قطعت الطريق بين مكة وجدة، واستولت سنة (1078هـ/1667م)، على قافلة وهي في طريقها إلى مكة المكرمة، وكانت تضم حجاجاً وتجاراً من اليمن والهند ومصر، ومعهم حوالي ثلاثمائة جمل، نهبوا منها حوالي ستين بعبيراً⁽⁵³⁾؛ لذا فقد أثارت هذه الأحداث الخوف في نفوس اليمنيين، وأدّت إلى قلّة تواجدهم في موسم حج سنة (1079هـ/1668م)، حيث رجع معظمهم من الطرقات خوفاً على حياتهم وتجاريتهم⁽⁵⁴⁾. ورغم انتهاء النزاع بين الجانبين وتراجع زعيم المعارضين حمود بن عبد الله، بإعلان تأييده لاحقاً للشريف الحاكم⁽⁵⁵⁾، بعد الصلح الذي تم بين الطرفين سنة (1081هـ/1671م)، إلّا أنّ المعارضة استمرت ضد الشريف سعد بن زيد، حتى أطاح به آل بركات⁽⁵⁶⁾، في أواخر شهر ذي

الحجة سنة (1083هـ/1672م)⁽⁵⁷⁾ ، وتقلد إمارة مكة المكرمة الشريف بركات بن محمد (ت:1094هـ/1683م)⁽⁵⁸⁾ الذي بذل جهوداً كبيرة في إحلال الأمن والسلام وتأمين الطرق، لكن قيامه بنفي من تبقى من عشيرة الشريف سعد بن زيد، إلى خارج مكة والحجاز، واستحوازه على الأموال المخصصة للأشراف، وعدم دفع مخصصات كل عشيرة، دفعت الأشراف بقيادة الشريف أحمد بن غالب، إلى إعلان حركة المعارضة ضده⁽⁵⁹⁾.

وبتتبع ذلك الصراع بين أشراف الحجاز، يظهر جلياً أن الرغبة في زعزعة أمن واستقرار الحجاز صارت وسيلة دأب عليها الجميع للوصول إلى السلطة، حتى وإن أدى ذلك إلى إقلاق سكينه الحجاج وسكان الحجاز، وعلى هذا الأساس زرعت الفتن والمشاكل، وعقدت التحالفات مع القبائل، في سبيل الإخلال بحبل الأمن، وعرقلة الجهود التي قد يبذلها شريف مكة في إيجاد مناخ يسوده الاستقرار، وقد أشغلت هذه الصراعات الأشراف عن توفير الجانب الأمني لضيوف الرحمن في الحرمين الشريفين، فاستغلها عبيدهم، وربما بتشجيع منهم، في نهب وسلب زوار بيت الله الحرام، ويدل على ذلك رسالة الشكوى التي بعث بها الشريف سعيد بن بركات⁽⁶⁰⁾ إلى الوالي العثماني في مصر، يشكو فيها من بعض أهله من الأشراف، ويطلب منه تعزيزات عسكرية؛ لمواجهة تزايد أعمال النهب والقتل، والرديلة التي يرتكبها بعض عبيد الأشراف ومؤيديهم، التي زادت حدتها في نهاية موسم حج سنة (1094هـ/1683م)، حين عمّت الفوضى مكة المكرمة، وسيطرت عليها بشكل لم يستطع شريف مكة مواجهتها أو حلها⁽⁶¹⁾.

المبحث الثالث: أشراف الحجاز وولاؤهم المتأرجح بين الدولة القاسمية والدولة العثمانية

لقد حاول أشراف مكة من خلال "الشرافة" -باعتبارها منصباً دينياً متوارثاً- إقامة نظام وراثي خاص بهم يخضع لنظام المشاركة الثنائية في الحكم⁽⁶²⁾ ، وقد جرّ هذا النظام في الشراكة كثيراً من المشاكل على الحجاز؛ الأمر الذي أفضى إلى لجوء السلطة العثمانية وولايتها في الشام ومصر وجدة⁽⁶³⁾ إلى الدولة القاسمية في اليمن، فوجد الجانبان (القاسمي والعثماني) الفرصة متاحة لإقامة نفوذ لكل منهما في الحجاز، والسيطرة الاسمية على الحرمين الشريفين؛ لما يشكّله

ذلك من إضفاء للشرعية على حاكمية كل طرف؛ باعتباره يعرّى مقدّسات المسلمين، ونتيجة لذلك اتّسمت علاقة الأئمة الخارجية بالطابع السياسي مع أشرف مكة، عندما حاولوا مدّ نفوذهم إلى الحرمين الشريفين؛ بُغية حيازة شرف المكانة بين العالم الإسلامي، في الوقت الذي كانت سياسة السلطة المركزية في إسطنبول، لا تسمح لأيّ قوّة أخرى أن تنازعها شرف تلك المكانة، مستغلّةً النزاع بين أمراء الأشراف على إمارة مكة والمدينة المنورة، وانحياز الجانب اليمني إلى أحد المنافسين، مما جعل علاقة اليمن بأشرف مكة متأرجحة بين التودّد والصدّاقة، والتوتر وحيَاكة المؤامرات، وأصبح البلدان في أوقات معينة مصدرًا لتغذية حركات العصيان وملجأً للخارجين عن السلطة بين البلدين⁽⁶⁴⁾.

وقد ارتبط محمل الحج اليمني أصلاً بقوة وفتور العلاقة بين الطرفين، التي كانت تتنامى في فترة من الزمن، في حال الصراع الداخلي على منصب الشرافة في مكة، وكان أحد الأمراء في حاجة لدعم من إمام اليمن، أمام المنافسين والمعارضين له في الحجاز، ولعلّ الرسائل والعطايا التي كانت تمنحها السلطة القاسمية للأشرف من آل (بركات) وآل (زيد) توضح هذه العلاقة⁽⁶⁵⁾، إذ كانت تضعف في حالة استحوذ طرف يكون أكثر ولاءً للسلطان العثماني على الإمارة، ويتلقّى دعماً من إسطنبول، ومن هؤلاء مثلاً: الشريف بركات بن محمد، الذي تولّى ولاية مكة سنة (1083هـ/ 1672م)، بفضل مساعدة السلطة العثمانية؛ لذلك أرسل إلى الإمام المتوكل إسماعيل، يطلب منه قدوم حجاج اليمن إلى مكة بدون أمير⁽⁶⁶⁾. وفي حالة وجود تقصير أو نقص في مقدار المبالغ المالية التي كانت تأتي أمراء مكة من اليمن مقارنةً بكثرة العطايا التي تُمنح لهم سنوياً من الدولة العثمانية. كان شريف مكة يكتنّ في قلبه نوعاً من الكراهية تجاه الدولة القاسمية، وعدم الرضى عن محمل الحج اليمني، ويزداد الأمر سوءاً إذا حدث صراع بين الأشراف على إمارة مكة، وتلقّى أحد الأطراف دعماً من السلطة القاسمية ضد منافسيه، فيتترك هذا التدخّل آثاره على علاقة اليمن بالحجاز، ومن أبرز الشواهد: وصول تقارير إلى الدولة القاسمية -من الأشراف- تتضمن ما يدور بينهم من خلافات وطلب العون والمساعدة من اليمن⁽⁶⁷⁾، وأثبتت بعض الأئمة مقدرةً على مساعدة الأشراف التي لم تقتصر على تقديم النصيح والمشورة والمعونات المالية، بل وصلت إلى

درجة المساعدات العسكرية⁽⁶⁸⁾، وتدخل أئمة الدولة القاسمية في حالات كثيرة مستغلين الأوضاع غير المستقرّة في الحجاز، فأثّرت علاقة البلدين على حجاج اليمن منذ عهد المؤيد بالله محمد بن القاسم، الذي قام بتأييد الشريف محسن بن الحسين (ت: 1039هـ| 1629م) ومساعدته⁽⁶⁹⁾، وتمكّنت قوات المؤيد بالله من دخول بيشة، ونتج عن الصراع فرار الشريف المذكور إلى اليمن؛ هروباً من تحالف الأشراف ضده⁽⁷⁰⁾، ووقوف السلطان العثماني إلى صفّ منافسه الشريف أحمد بن عبد المطلب (ت: 1039هـ| 1629م)⁽⁷¹⁾، الذي نجح في كسب إسطنبول إثر دعاية إعلامية اتهم فيها الشريف محسن بالخيانة، وموالاته لإمام اليمن، وتقديم المساعدة للدولة القاسمية في حرهم ضد العثمانيين⁽⁷²⁾. وبالرغم من حرص بعض الأشراف على أخذ المشورة والنصيحة من القاسميين، فإنهم كانوا في الوقت نفسه يستعينون بأمرء الدولة العثمانية في الشام ومصر، لتزكيّتهم لدى السلطان العثماني، في محاولاتهم المستمرّة لنيل شرافة الحجاز؛ لأن عملية تعيينهم أو عزلهم عن إمارة مكة المكرمة، كانت تتأثّر هي الأخرى بمقدار الدعم الذي يلقونه من قبل أولئك الولاة المنتفذين⁽⁷³⁾، وكان الذي يحصل منهم على منصب شريف مكة في ظل الدعم العثماني، يقوم بمنع دخول الشخصيات البارزة المرافقة لمحمل الحج اليمني؛ لكي يكسب عطف السلطات العثمانية الداعمة لولايته، ويجنّب نفسه تهمة الموالاتة للدولة القاسمية⁽⁷⁴⁾؛ ونتيجة لذلك صار محمل الحج اليمني في مواسم عديدة يصل إلى مكة بدون أمير⁽⁷⁵⁾.

كانت السياسة غير المتّزنة للدولة القاسمية في اليمن تجاه الصراع بين أشراف مكة، قد جعلت الأشراف أكثر حذراً في تعاملهم معها؛ لإدراكهم أن تأييد الدولة القاسمية لأحد المنافسين لن يغيّر في الخارطة السياسية شيئاً، في حال رمى العثمانيون بثقلهم لصالح الطرف الآخر، وببدهم القدرة المالية والقوة العسكرية⁽⁷⁶⁾، ورغم ذلك ظلّ الأئمة يعملون على تقوية علاقاتهم مع أمراء مكة، من خلال إرسال الأموال كل عام؛ مقابل دخول محمل الحج اليمني بكل مكوناته⁽⁷⁷⁾. هذه العلاقة دفعت الشريف زيد بن محسن، إلى استغلالها في الحصول على مساعدات إضافية من الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم، خلال صراعه مع ابن عمه الشريف عبد العزيز بن إدريس (ت: 1063هـ| 1653م)⁽⁷⁸⁾، إلا أن الإمام وحرصاً منه من عواقب تدخّله على سلامة حجاج

اليمن، رأى ذلك شأنًا داخلياً، ودعا الأطراف المتنازعة إلى الصلح، وحل الخلافات بينهم بالطرق السلمية⁽⁷⁹⁾. وأراد المتوكل إسماعيل بن القاسم، في أواخر عهده تقديم الدعم العسكري للشريف سعد بن زيد، حين علم بوجود تعاون بين العثمانيين وحلفائهم من الأشراف للإطاحة بهذا الشريف، غير أن مستشاري المتوكل إسماعيل، نصحوه بعدم التفكير في هذا الأمر لقوة الدولة العثمانية، وضعف القدرة المالية والقوة العسكرية لليمن⁽⁸⁰⁾، وكان المتوكل إسماعيل بن القاسم، قد قدّم دعماً عسكرياً للشريف سعد، سنة (1080هـ/1669م)، بحسب ما ذكره جارشلي: "إن الشريف سعد، جلب قوة عسكرية من إمام اليمن واحتل جدة"⁽⁸¹⁾. ويبدو أن الإمام أراد تعزيزها بقوات أخرى، إلا أن مستشاريه كان لهم رأي آخر حال دون تحقيق رغبة شريف مكة.

كما أن الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن، أراد تقديم المساعدات المادية والعسكرية للشريف أحمد بن غالب، الذي لجأ إلى اليمن هروباً من منافسيه في مكة⁽⁸²⁾، حين أمره الإمام بالتقدّم إلى أبي عريش⁽⁸³⁾، والانتظار هناك حتى يستكمل تجهيز القوة العسكرية، ونظراً إلى انشغال الإمام بالتجهيزات العسكرية، منع الحج سنة (1102هـ/1690م)، من البر والبحر⁽⁸⁴⁾، وجاء هذا المنع لاحتياطات أمنية؛ لضمان سلامة حجاج اليمن من أي رد فعل لأشراف مكة على تدخله العسكري المباشر، وموقفه الداعم لمنافسهم أحمد بن غالب، ورغم هذه الإجراءات التي اتخذها الإمام، إلا أن ظروفاً داخلية جعلته يتراجع عن إرسال القوات المتجمّعة في أبي عريش إلى مكة؛ لانشغاله بإخضاع القبائل المتمردة على سلطته⁽⁸⁵⁾، في الوقت الذي باتت مسألة التدخل والسيطرة السياسية على الحرمين الشريفين حلاً ليراود الإمام محمد بن أحمد بن الحسن، الذي كان أكثر جرأة من سابقه، وذلك حين أرسل قوة عسكرية ساعدت الشريف سعد بن زيد، على دخول مكة، واسترجاع حكمه للمرة الثالثة سنة (1106هـ/1694م)⁽⁸⁶⁾، فضلاً عن إرساله قوة عسكرية أخرى، مع أخيه أمير الحج اليمني طالب بن المهدي أحمد بن الحسن (ت: 1112هـ/1700م)⁽⁸⁷⁾ الذي وقف في موسم حج (1106هـ/1694م)، إلى جانب الشريف سعد، في حربه ضدّ العثمانيين وحلفائهم من المنافسين له، مما أحدث اضطراباً في ذلك الموسم، وهروب كثير من الحجاج دون استكمال مناسكهم⁽⁸⁸⁾.

وبالرغم من التعاون والمساعدات المقدّمة من أئمة الدولة القاسمية لأشراف مكة إلا أن الأخيرين كانوا دائمي التنكّر لها أثناء فترة تحسن علاقتهم بالباب العالي وولاته في جدّة والشام ومصر، وباتوا مستعدّين في فترات متعدّدة لسحب عُرى الصداقة التي تربطهم باليمن إذا ما شعروا بتهديد القاسميين لمصالحهم السياسية والتجارية، أو بقلّة المبالغ التي تأتيمهم من اليمن يقابله تزايد موارد الأشراف المالية نتيجة تدقّق العطايا من السلطان العثماني، وتلقّيمهم لكثير من الهدايا والتبرعات من الهند مباشرة، بعد أن كانت تُرسل بوساطة الدولة القاسمية إلى أشراف مكة⁽⁸⁹⁾.

لقد كانت المطامع السياسية لحكام الدولة القاسمية وراء تقديم مساعداتهم، وبث دعواتهم؛ كسباً لأمرء ووجهاء أشراف الحجاز الذين تراوح ولاؤهم بين الدولة العثمانية واليمن، تبعاً لحجم الأعطيات التي تصل إليهم من الدولتين، وحاجة كل طرف من أطراف النزاع إلى دعم سياسي خارجي للوقوف معه ضدّ المنافسين له، ووجد أئمة الدولة القاسمية في ذلك فُرصةً للتدخّل في شؤونهم الداخلية في مكة، من خلال مساندتهم لأحد الأشراف، الذي قد يلجأ إليهم، ويطلب المساعدة منهم، سواء من آل زيد، أم من آل بركات، وفي الوقت الذي كان فيه الأشراف يطلبون الدعم والمساعدة، كان أئمة الدولة القاسمية لهم طموح سياسي في تهماتي اليمن والحجاز على حدٍ سواء، ومن ذلك الخطبة لهم على منابر الحرمين الشريفين⁽⁹⁰⁾، والضغط على التواجد العثماني في الحجاز، ونبذ الوصاية العثمانية⁽⁹¹⁾؛ فالإمام المؤيّد محمد بن القاسم، كان يهدف من وراء تقديم العون والمساعدة لشريف مكة المكرمة، أن تتم له الخطبة على منابر الحرمين الشريفين⁽⁹²⁾.

كما أراد المتوكل إسماعيل بن القاسم، أن يكون له نوع من النفوذ الاسمي على الحجاز، بحسب ما ذكره الجرموزي في سيرته، عندما أرسل الفقيه الحسين بن يحيى النحوي⁽⁹³⁾ إلى ينبُع⁽⁹⁴⁾، وما جاورها من مناطق الحجاز للتعليم والإرشاد، ولقي ترحيباً من أهلها، وأقيمت الخطبة للمتوكل إسماعيل، لكن الشريف زيد بن محسن، رأى أن تصرفاً كهذا يُعدّ تدخّلاً في شؤونه الداخلية، ويكون محل اتهام بالتواطؤ مع إمام اليمن إذا علمت السلطات العثمانية بمثل هذا

الأمر، وكان ردّ المتوكل إسماعيل، أنه أمر بعودة الفقيه النحوي بعد ثلاث سنوات من دعوته في بلاد ينبع، حرصاً منه على ديمومة العلاقة بين البلدين⁽⁹⁵⁾، وخوفاً على حياة الفقيه النحوي إثر تعرّضه لمحاولة اغتيال من قبل أتباع شريف مكة⁽⁹⁶⁾.

وسار على هذا الطموح الإمام المهدي أحمد بن الحسن، الذي وجّه رسالته إلى شريف مكة بركات بن محمد، يطلب منه الطاعة، فكان في رده فيه نوع من المراوغة، على أساس أنه بحسب قول يحيى بن الحسين: "يعدّ نفسه واحداً من أشرف اليمن، لا يجهل الحق ولا يترك ما فيه الصلاح للمسلمين، إلا أنه يخشى السلطان العثماني"⁽⁹⁷⁾، ويضيف الكبسي "أن المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم، وصل إلى رحبان"⁽⁹⁸⁾، وأخذ في تجهيز الجيش للدخول إلى الحجاز، وكتب إلى أشرف مكة، وإلى البلاد النجدية، يشعّرههم بقدومه إلى الحرمين الشريفين، وما وراءهما من بلاد السلطان، وكان جواب الشريف أنه واحد من أهل اليمن، لكن أخباراً وصلت إليه أن السلطان العثماني، بدأ يترصد لكل تحركات الأئمة، وإذا عرف بنوايا الإمام، لن يسكت على ذلك، وهذا السبب -في رأي الكبسي- هو الذي دفع الإمام إلى العدول عن تنفيذ رأيه، وتحركاته العسكرية المباشرة"⁽⁹⁹⁾. وأورد يحيى بن الحسين سبباً أكثر قبولاً في تراجع الإمام أحمد بن الحسن، عن عزمه في الدخول إلى الحجاز، ويتمثل في قبوله بنصيحة محمد بن المتوكل إسماعيل، الذي كان رأيه فيها أن الوقت غير مناسب، حيث تتمتع فيه الدولة العثمانية بقوة اقتصادية وعسكرية كبيرة، مقارنةً بضعف قدرات اليمن العسكرية والمالية، مع وجود حركات التمرد في بعض المناطق اليمنية، وصراعات بين مراكز القوى على الحكم في الدولة القاسمية في الوقت الذي جاءت فيه أنباء أن الشريف بركات بن محمد بدأ يتحرك عسكرياً في شمال بلاد نجد اليمن⁽¹⁰⁰⁾. وكان الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن، يرغب في الخطبة له على منابر الحجاز، بما فيها منابر الحرمين الشريفين، وأطمعه في ذلك كل من: الشريف أحمد بن غالب⁽¹⁰¹⁾، والشريف سعد بن زيد، وهذا الأخير أبدى ميلاً إلى المذهب الزيدي، ورغبةً في الانضواء تحت راية الإمام⁽¹⁰²⁾، لكنّه لم يف بوعده الذي قطعته على نفسه رغم مساعدة الإمام له ضدّ العثمانيين، ولهذا ظلّت العلاقة مع الأشراف في تذبذب مستمر: لتضارب المصالح بين الجانبين⁽¹⁰³⁾.

الخاتمة: توصلت الدراسة إلى عددٍ من النتائج، أهمها:

1- أن الدولة القاسمية حرصت على إقامة علاقات ودية مع أشرف مكة المكرمة، والمدينة المنورة؛ بهدف تأمين محمل الحج، وإن كانت تهدف -في أحيان كثيرة- إلى مدّ نفوذ الأئمة إلى الحجاز؛ بُغية حيازة شرف المكانة، في الوقت الذي ارتبطت قوة العلاقة وضعفها بمقدار المبالغ المالية السنوية التي كانت ترسلها الدولة القاسمية مع محمل الحج، مقارنةً بتلك المبالغ التي يرسلها السلطان العثماني إلى ولاية مكة في مواسم الحج، مما جعل علاقة أئمة الدولة القاسمية بأشرف الحجاز متأرجحة بين التودد والصدقة والتوتر وحياسة المؤامرات.

2- كان الأشرف يدركون أهداف أئمة الدولة القاسمية في الوصول إلى الحجاز، فجعلوا من رغبة الأئمة في النفوذ الاسمي على الحجاز، والخطبة لهم على منابر الحرمين الشريفين، ورقة رابحة بأيديهم يعرضونها على رموز الدولة القاسمية، مادام أنها تحفزهم في تقديم المساعدات المالية والعسكرية لأحد الأشرف؛ للوقوف معه في صراعاته أمام خصومه من أقرانه وأعدائهم العثمانيين، فانعكس ذلك سلباً وإيجاباً على طبيعة العلاقة بين الجانبين، وظهر أثره الواضح على حجاج اليمن في المناطق المقدسة، وفي الطرق المؤدية إلى مكة المكرمة، والمدينة المنورة، في الوقت الذي كان أئمة الدولة القاسمية، يرون في استغلال القرابة العلوية مع الأشرف، والتطلع إلى فرض النفوذ عليهم، وتعمد إظهار القوة بين حين وآخر، مجرد ضغط سياسي، لإثبات مكانة دولتهم في شبه الجزيرة العربية، ولتحد من طموحات الباب العالي إذا فكر في العودة إلى اليمن.

3- غلب على النظام السياسي لحكم الأشرف مبدأ الشراكة في الحكم، وأنعكس ذلك بدوره على مختلف جوانب الحياة في الحجاز وأذكي نار الصراع بين الأشرف أنفسهم.

الهوامش والإحالات:

- (1) للمزيد عن تلك الخلفية يُنظر: هدى مفتاح عبد الحميد: العلاقات بين اليمن وبلاد الحجاز في عهد الدولة الرسولية (626-858هـ)، أطروحة دكتوراه، جامعة القاهرة، 1996م، ص39-43.
- (2) ورد أن أشرف الحجاز كانوا يتبعون المذهب الزيدي حتى مطلع القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، ثم اعتنقوا مذهب الإمام أبي حنيفة منذ النصف الأول من القرن التاسع الهجري، عبد الله الصالح العثيمين: تاريخ المملكة العربية السعودية، ج1، الرياض، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، 1419هـ/1999م، ص24.
- (3) يُنظر: ميشيل توشيرير: المخلاف السليماني في اليمن، ترجمة: علي محمد زيد، مجلة دراسات يمانية، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني، العدد32، رمضان — ذو القعدة 1408هـ/ إبريل — يونيو 1988م، ص79: عبد الله الحامد: الحياة الاجتماعية في جزيرة العرب، مجلة العرب، دار اليمامة، الرياض، ج3 و4، س14، شوال 1397هـ/ أيلول 1979م، ص196.
- (4) العياشي: هوعبد الله بن محمد العياشي، رحالة مغربي قام برحلة إلى الحج سنة (1072هـ/1661م)، قدم وصفاً شاملاً عن مدن الحجاز التي وصل إليها من خلال مشاهداته. يُنظر حمد الجاسر: في رحاب الحرمين من خلال كتب الرحلات إلى الحج، مجلة العرب، دار اليمامة، الرياض، ج1 و2، س12، رجب . شعبان 1397هـ/ حزيران . آب 1977م، ص102.
- (5) حمد الجاسر: مقتطفات من رحلة العياشي، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، الرياض، ط1، 1404هـ/1984م، ص91.
- (6) محمد بن المتوكل على الله إسماعيل: ولد سنة (1044هـ/1634م)، وأخذ علومه على جماعة من علماء عصره، وتولى الإمامة سنة (1092هـ/1681م)، ولم يكن له منها إلا رسمها أي (السكة والخطبة)، وكانت وفاته سنة (1097هـ/1685م)، ودفن بحصن ضوران. لمعرفة المزيد عن حياته وأعماله ينظر: عامر بن محمد بن عبد الله ابن الرشيد (ت: 1135هـ/1723م)، بغية المرید وأنس الفريد إلى معرفة أنساب ذرية السيد علي بن محمد بن علي بن الرشيد، تحقيق: عباس بن أحمد الخطيب المتوكل، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء، دار الإمام زيد بن علي للطباعة والنشر، بيروت، مؤسسة دلتا للطباعة والنشر، ط1، 1432هـ/2011م، ص387، 395؛ محمد بن علي الشوكاني (ت: 1250هـ/1834م): البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، (ج2)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2007م، ج2، ص56.

- 57؛ محمد بن محمد زباره: اتحاف المهتدين بذكر الأئمة المجددين، مطبعة المقام الشريف، 1343هـ/1924م، صنعاء، ص84.
- (7) زيد بن محسن: هو ابن الشريف محسن بن حسين بن أبونمي الثاني، تولى إمارة مكة سنة (1041هـ/1641م) واستمر والياً عليها حتى توفي فيها سنة (1077هـ/1666م). للمزيد عنه ينظر: محمد أمين بن فضل الله المحبي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، (ج2)، دار صادر، بيروت، دت، ص176. 186؛ أحمد بن زيني دحلان: خلاصة الكلام في بيان أمراء البيت الحرام، المطبعة الخيرية، مصر، 1305هـ، ص72. 79؛ إسماعيل حقي جارشلي: أشراف مكة المكرمة وأمراءها في العهد العثماني، ترجمة: خليل علي مراد، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط1، 1424هـ/2003م، ص148. 150. كان الشريف زيد بن محسن قد اعتقد بمذهب الزيدية كونه نشأ باليمن، وبعد عودته إلى مكة المكرمة تقلد منصب إمارة مكة، ثم اعتقد بمذهب الإمام أبي حنيفة، وتقرب من علماء أهل السنة. لمزيد من المعلومات عنه. انظر: دحلان: خلاصة الكلام، ص94. 97.
- (8) المطهر بن محمد بن أحمد بن عبد الله الجرهمزي (ت: 1076هـ/1666م): تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار، سيرة الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم 1019-1087هـ، (ج2)، دراسة وتحقيق: عبد الحكيم بن عبد المجيد الهجري، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، الأردن، دار الإمام زيد بن علي الثقافية للنشر والتوزيع، صنعاء، ط1، 1423هـ/2002م، ص811.
- (9) الصر: مجموعة من الأموال والهدايا كانت ترسلها الدولة العثمانية سنوياً إلى شيوخ البدو، لضمان عدم تعرضهم لقافلة الحج أثناء مسيرها عبر مناطقهم الواقعة على طريق الحج. ينظر: علي حسن مساعدة: قافلة الحج الشامي عبر الأردن، رسالة ماجستير، جامعة أم البيت، كلية الآداب والعلوم، الأردن، 1999م، ص39.
- (10) محسن بن الحسن بن القاسم أبو طالب (ت: 1170هـ/1757م)،: طيب أهل الكساء، والنفحات المسكية، ضمن الكتاب المسمى تاريخ اليمن عصر الاستقلال عن الحكم العثماني الأول، تحقيق: محمد عبد الله الحبشي، مطابع المفضل للأوفست، صنعاء، ط1، 1411هـ/1990م، ص19. 20.
- (11) الشريف سعد بن زيد: هو ابن زيد بن محسن، عاش خلال الفترة (1052-1116هـ/1642-1705م)، تولى شرافة الحجاز أربع مرات ولفترات مختلفة، بلغ مجموعها خمس عشر سنة وأربعة أشهر وثمانية عشر يوماً، توفي إثر إصابته بجروح في معركة خاضها ضد الشريف عبد الكريم بن محمد سنة

(1116هـ/1705م). ينظر: جارشلي: أشرف مكة، ص150-175؛ الشريف مساعد بن منصور: جدول أمراء مكة وحكامها منذ فتحها إلى الوقت الحاضر، مكة، بدون ذكر دار الطبع والنشر، 1388هـ/1968م، ص36-37.

(12) يحيى بن الحسين بن القاسم: بهجة الزمن في تاريخ اليمن، (ج 2)، تحقيق: أمة الغفور عبد الرحمن علي الأمير، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء، ط1، 1429هـ/2008م، ص689.

(13) ورد أن أمير الحج كان من مهماته وواجباته: الإشراف على الحجاج، والاطمئنان على أوضاعهم، والحفاظ على أمنهم، منذ سفرهم حتى عودتهم إلى ديارهم، فضلاً عن مسؤولية إرشاد الحجيج إلى شعائر الحج، ويتقدمهم بأداء هذه الشعائر في أماكن العبادة. ينظر: أبو الحسين علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت 450هـ/1058م): الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، ص137-138.

(14) يُنظر: عبد الله بن علي الوزير (ت: 1147هـ/1734م): تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي 1045. 1090هـ/1635. 1680م، المسقى طبق الحلوى وصحاف المنّ والسلوى، تحقيق: محمد عبد الرحيم جازم، مركز البحوث اليمني، صنعاء، ط1، 1405هـ/1985م، ص234.

(15) الحاج فرحان بن عبد الله: كان هذا الأغا عبداً خدم مولاه الإمام المتوكل إسماعيل منذ سن الصغر إلى المشيب، وأصبح أحد القادة العسكريين، ثم عين أميراً لحجاج اليمن إلى بيت الله الحرام، وتقلد هذا المنصب أعواماً كثيرة بلغت حوالي (15 مرة)، واشتهر ذكره في مكة، وعرفته الأشراف وأمراء الدولة العثمانية، وعاش إلى عهد الإمام محمد بن أحمد. يُنظر: عامر بن محمد بن عبد الله بن عامر بن الرشيد: بغية المرید وأنس الفريد فيمن ولده من ذرية علي بن محمد بن علي الرشيد، (مخطوط) محفوظة بدار المخطوطات، المكتبة الغربية، صنعاء، رقم 2441، ق181ب.

(16) السعدية: هي محطة للحجاج في أسفل جنوب وادي يللم على بعد (مائة كيلومتر) جنوب مكة المكرمة. وتعد ميقات أهل اليمن ومن في حكمهم من الحجاج الذين يقصدون الحرمين الشريفين عن طريق درب الحج التهامي والساحلي. عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، دار مكة، مكة المكرمة، ج4، ط1، 1402هـ/1982م، ص201.

(17) دحلان: خلاصة الكلام، ص89.

(18) الشريف مسعود بن سعيد: تولى إمارة مكة المكرمة خلال الفترة (1114. 1165هـ/1732. 1751م)، ولأنه كان معاصراً لأمر نجد محمد بن سعود، فكان أول أمراء مكة تنازع مع الوهابيين مشدداً على منع

- دخولهم مكة، وتوفي سنة (1165هـ/1751م). للمزيد من المعلومات عنه ينظر: خير الدين بن محمد بن محمود بن محمد الزركلي: الأعلام، قاموس تراجم أشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط12، 19971، (ج7)، ص218؛ حسين خلف الشيخ خزعل: حياة محمد بن عبد الوهاب، ج1، مطابع دار الكتب، بيروت، ط1، 1968م، ص319.
- (19) آل حسن: ينتسب الأشراف آل حسن إلى الشريف الحسن بن عجلان بن رميثة، سكنوا الشاقتين الواقعة على طريق اليمن، مكة. دحلان: خلاصة الكلام، ص192.
- (20) يُنظر: جيرالد دي غوري: حكام مكة، ترجمة: محمد شهاب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1420هـ/2000م، ص195.
- (21) الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم: ولد سنة (990هـ/1582م)، تكبى بالمؤيد بعد دعوته، وأصبح إماماً بعد وفاة أبيه سنة (1029هـ / 1619م)، وهو ثاني إمام في الأسرة القاسمية، في عهده تم استلام مدينة زيد من يد العثمانيين، وطردهم منها بعد سيطرة دامت زهاء قرن من الزمن، واستمر حكمه 24 عاماً حتى توفي سنة (1054هـ/1644م). لمزيد من المعلومات عنه ينظر: الشوكاني: البدر الطالع، 121|2-122؛ أمة الملك إسماعيل قاسم الثور: بناء الدولة القاسمية في اليمن في عهد المؤيد محمد بن القاسم (990- 1054هـ/1582-1644م)، مع تحقيق مخطوطة الجوهرة المنيرة في جمل من عيون السيرة (جزءان)، للمؤرخ المطهر بن محمد الجرهمي، رسالة دكتوراه، جامعة صنعاء، كلية الآداب، قسم التاريخ، 1425هـ/2004م، ص9 وما يليها: أميرة علي المداح: العثمانيون والإمام القاسم في اليمن، تهامة. جدة، ط1، 1982م، ص41؛ عبد السلام عباس الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عمان. الأردن، ط1، 1999م، ص983.981.
- (22) محمد بن صلاح: كان السيد محمد بن صلاح أحد ولاة الدولة القاسمية على جيزان وأبي عريش، وقائداً عسكرياً، كان يرافق حجاج اليمن إلى منطقة حلي بن يعقوب ذهاباً وإياباً أثناء مواسم الحج. أمة الغفور عبد الرحمن علي الأمير: التطورات السياسية في اليمن أواخر القرن السابع عشر (1081-1099هـ/1670-1688م)، (ج1)، مع تحقيق: مخطوطة بهجة الزمن في تاريخ اليمن للمؤرخ يحيى بن الحسين (ج2، ج3)، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة صنعاء، 1425هـ/2004م، ص81.
- (23) حلي بن يعقوب: يطلق اسم حلي على بلدة ووادٍ يصب في البحر الأحمر، وكانت تتبع مخلاف عثّر، ويطلق عليها الآن حلي قديم، وهي من أعمال القنفذة، وموقعها جنوب القنفذة على بعد 70 كم، وشمال الشقيق على مسافة (100 كم)، حيث كانت تمثل الحد الفاصل بين تهامة اليمن والحجاز،

وتخضع لإدارة اليمن. ينظر: أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن أحمد بن خرداذبة (ت300هـ/912م): المسالك والممالك، وزارة الثقافة، دمشق، 1999م، ص200؛ جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب المعروف بابن المجاور (ت690هـ/1291م): صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تأريخ المستبصر، اعتنى بتصحيحه أسكر لوففرين، منشورات المدينة، بيروت، ط2، 1407هـ/1986م، ص53؛ محمد بن أحمد العقيلي: تاريخ المخلاف السليماني (ج1)، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ط2، 1402هـ/1982م، ص272-276؛ حسين بن علي الويسي: اليمن الكبرى، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط2، 1412هـ/1991م، ص135؛ محمد بن علي الأكوغ: اليمن الخضراء مهد الحضارة، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط1، 1429هـ/2008م، ص162؛ أحمد عمر الزيلعي: المواقع الإسلامية المندثرة في وادي حلي (ق3-9هـ/9-15م)، حويليات كلية الآداب، جامعة الكويت، 1406هـ/1986م، ص11-32.

(24) القنفذة: كانت بلدة صغيرة ومرقاً على ساحل البحر الأحمر، وحالياً هي مدينة عامرة وميناء تجاري يقع إلى الجنوب الغربي من مكة المكرمة بمسافة (344 كم)، وتبعد عن جدة جنوباً حوالي (321 كم). ينظر: شرف بن عبدا لمحسن الزيلعي: الرحلة اليمانية، مطبعة السعادة، مصر، 1330هـ/1912م، ص20، 21؛ حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (ج2)، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ط1، 1397هـ/1977م، ص1024؛ عاتق بن غيث البلادي: بين مكة واليمن (رحلات ومشاهدات)، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط1، 1404هـ/1984م، ص112، 138؛ والأكوغ: اليمن الخضراء، ص161، 162.

(25) ابن القاسم: بهجة الزمن في تاريخ اليمن، 412 | 1، 413.

(26) المتوكل على الله إسماعيل بن الإمام القاسم بن محمد: عاش خلال الفترة (1019-1087هـ/1610-1676م)، وصل إلى الحكم سنة (1054هـ/1644م)، شمل حكمه معظم أجزاء اليمن، وكان بداية للاستقرار السياسي في اليمن، وهو ثالث إمام من آل القاسم توفي سنة (1087هـ/1676م) بعد حكم دام 33 عاماً. لمزيد من المعلومات عن حياته ودوره السياسي ينظر: الشوكاني: البدر الطالع، 1 | 98 — 100؛ الجرهموزي: تحفة الأسماع والأبصار، 1 | 114؛ زيارة: اتحاف المهتمدين، ص83؛ سلوى سعد سليمان الغالبي: الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم ودوره في توحيد اليمن (1004 — 1087هـ/1644 — 1676م)، بدون مكان الطبع والنشر، ط1، 1991م، ص52 — 67. B Serjeant and Ronald Lewcock: Sana'a An Arabian Islamic city. London 1983, P. 80. A

- (27) ابن القاسم: بهجة الزمن في تاريخ اليمن، 1|261.
- (28) الإمام محمد بن أحمد بن الحسن: هو ابن الإمام أحمد بن الحسن بن القاسم، دعا لنفسه بالإمامة سنة (1097هـ / 1685م)، وتولاها إثر حروب داخلية، وهو أول من اقتبس النظام التركي وأدخله على نظام الإمامة، وتوفي سنة (1130هـ / 1718م)، وقبره بالمواهب قرب مدينة ذمار. ينظر: ابن عامر الرشيد: بغية المريد، ص255. 278؛ محمد بن إسماعيل الكبسي: جواهر الدر المكنون وعجائب السر المخزون، تحقيق: زيد بن علي الوزير، منشورات العصر الحديث، بيروت، 1408هـ/1988م، ص469؛ Serjeant: San.a. op. cit. p.82- 83.
- (29) يُنظر: لطف الله بن أحمد جحاف (ت: 1243هـ|1827م): تاريخ جحاف، محفوظة بدار المخطوطات، المكتبة الغربية، صنعاء، رقم 2495، ق8أ.
- (30) دحلان: خلاصة، ص131. 132.
- (31) يُنظر: محسن بن الحسين بن القاسم أبوطالب: السحر المبين وفتور ألحاظ العين فيما سنح من أخبار اليمن وأهله الميامين بالتنصيص والتعيين (1092. 1130هـ/1681. 1717م)، (ج1)، تحقيق: إيمان علي مقبل مانع، رسالة ماجستير، جامعة صنعاء، كلية الآداب، قسم التاريخ، 1425هـ/2004م، ص298.
- (32) دحلان: خلاصة الكلام، ص68؛ أحمد السباعي: تاريخ مكة، دراسات في السياسة والعلم والاجتماع، (ج1)، مطابع دارالكتاب العربي، مصر، إصدارات مكتبة الثقافة، مكة، د. ط، 1372، ص247.
- (33) الشريف أحمد بن غالب: تولى إمارة مكة سنة (1099هـ/1687م)، لكنه عُزل وخرج إلى اليمن سنة (1102هـ/1690م)، ثم عاد إلى مكة سنة (1105هـ/1693م)، ومكث بها مدّة، وتوجه بعدها إلى القاهرة سنة (1111هـ/1700م) ومنها إلى إسطنبول وتوفي هناك سنة (1111هـ/1700م). ينظر: جارشلي: أشرف مكة، ص160- 162؛ والزركلي: الأعلام، 1|192.
- (34) الحسن بن باز: هو الشريف الحسن بن باز بن حسن بن أبي نهي الثاني، لجأ إلى اليمن، وتوفي في بيت الفقيه بتهامة سنة (1071هـ/1660م). محمد بن محمد زبارة: خلاصة المتون في أبناء ونبلاء اليمن الميمون، من سنة 1074.1001هـ، (ج4)، مركز التراث والبحوث اليمني، ط1، 1424هـ/2003م، صنعاء، ص315.
- (35) الشريف أحمد بن باز بن حسن: قدم إلى اليمن ولكنه مات عند وصوله صنعاء سنة (1078هـ/1667م). الوزير: طبق الحلوى، ص242.
- (36) دحلان: خلاصة الكلام، ص131.

- (37) محمد يحيى بن زيد بن محسن: هو أحد أبناء الشريف زيد بن محسن بن حسين، منعه الشريف بركات بن محمد من دخول مكة المكرمة، فتوجه إلى اليمن، واستقر في بيت الفقيه إلى حين وفاته سنة (1090هـ/1679م). ينظر: ابن القاسم: بهجة الزمن، 2|862؛ دحلان: خلاصة الكلام، ص95.
- (38) غوري: حكام مكة، ص187.
- (39) جارشلي: أشرف مكة، ص168.
- (40) ينظر: دحلان: خلاصة الكلام، ص64، 72، 73، 84، 114، 146؛ غوري: حكام مكة، ص187؛ وفؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب، المطبعة السلفية، 1352هـ/1933م، القاهرة، ص310.313.
- (41) الشريف حمود بن عبد الله: قاد حركة معارضة ضد الشريف سعد بن زيد، فتدخل علماء مكة لحل الخلاف الذي انتهى بالصلح وتنصيب سعد مقاليد إمارة مكة، وأقام حمود بالطائف حتى وفاته سنة (1085هـ/1674م). أبوطالب: طيب أهل الكساء، ص137؛ السباعي: تاريخ مكة، ص260.262.
- (42) أحمد بن عبد الله حنش: النور المشرق في فتح المشرق وما به الحق، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، شركة التنوير للطباعة والنشر، منشورات المدينة، بيروت، ط1، 1407هـ/1986م، ص99.
- (43) السراة: يطلق اسم السراة على سلسلة الجبال الممتدة من الطائف إلى اليمن، وتتصل شمالاً بجبال الكرك في الأردن. ينظر: الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (ت نحو 334هـ/945م): صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوخ الحوالي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط1، 1410هـ/1990م، ص85-86؛ هاشم بن سعيد النعيمي: تاريخ عسير في الماضي والحاضر، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، الرياض، فهرست مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، 1419هـ/1999م، ص16.
- (44) بيشة: مدينة فيها إمارة، وهي -أيضاً- من قرى خميس ابن مشيط في منطقة أبها، وتسمى بيشة ابن مشيط من قرى شهران في إمارة عسير. الجاسر: المعجم الجغرافي، 1|186؛ عمر بن غرامة العمروي: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (بلاد رجال الحجر)، (ج3)، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، المطابع الأهلية للأوفست، ط1، 1398/97هـ، ص171.
- (45) ابن القاسم: بهجة الزمن، 2|674.
- (46) سعيد بن شنبر: آل شبير (الشنابرة) ينتسبون إلى الشريف شبير بن الحسن بن محمد أبو نومي الثاني. ينظر: دحلان: خلاصة الكلام، ص61.
- (47) ينظر: الوزير: طبق الحلوى، ص225، 226، 228.

(48) حنش: النور المشرق، ص112.

(49) صبيا: كانت صبيا من بلاد حكم قديمة النشأة ذكرها الهمداني بأنها تقع على ضفة وادي ضمد بالمخلاف السليماني، أما صبيا الحالية فأول من اختطها فهو الأمير دريب بن مهارش الخواجي سنة (958هـ/1551م)، وتقع صبيا شمال أبي عريش على بعد 35 كم، وأصبحت مركزاً لإمارة الأشراف السليمانيين، وشهدت هذه المدينة الكثير من الأحداث التاريخية منذ عهد الأشراف الذرويين إلى عهد الإدريسي الذي اتخذها عاصمة له، وقد رصدت كمحطة للحجاج على طريق الحج التهامي. ينظر: الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص98؛ والجرموزي: تحفة الأسماع والأبصار، 2|929؛ والعقيلي: المخلاف السليماني، 1|300 - 315؛ وحمد الجاسر: في شمال غرب الجزيرة - نصوص ومشاهدات، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ط1، 1390هـ/1970م، ص186؛ ومحمد عبد الرحمن الثنيان: رحلة السلطان الملك المجاهد الرسولي من تعز إلى مكة المكرمة، مجلة الدارة، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، العدد (1)، السنة (25)، 1420هـ، ص127؛ وعبد الواسع بن يحيى الواسعي: تاريخ اليمن المسعى فرجة الهموم والحزن في حوادث تاريخ اليمن، مكتبة اليمن الكبرى، للطباعة والنشر والتوزيع، صنعاء، ط2، 1991م، ص123؛ والويسى: اليمن الكبرى، ص135؛ والأكوع: اليمن الخضراء، ص161.

(50) جدة: كانت من المحطات الساحلية والبحرية لطرق الحج، وميناء رئيسي في الحجاز، وهي تقع غرب مكة على بعد (73 كم)، وقيل (75 كم)، وعلى نظام القوافل القديم تبعد عنها مرحلتين وبمسافة يومين. وصفها ابن الجاور بأنها كانت في القرن (7هـ/13م): "مدينة صغيرة على ساحل البحر، وهي فرضة مكة، وينعدم فيها السكن لأزدحام الناس أيام موسم الحج". ينظر: ابن الجاور: تاريخ المستبصر، ص51؛ والبلادي: معجم معالم الحجاز، 3|131-132؛ وعبدالله محمد الحبشي: الرحالة اليمنيون، رحلاتهم شرقاً وغرباً، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط1، 1409هـ/1989م، ص200؛ وعبد القدوس الأنصاري: موسوعة تاريخ مدينة جدة، (م1)، دار مصر للطباعة، القاهرة، ط3، 1402هـ/1982م، ص11 وما يليها، وأمنة أبو حجر: موسوعة المدن العربية، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1، 2002م، ص154 . 155.

(51) زبيد: تقع في الشمال الغربي من تعز على مسافة (140 كم)، وإلى الجنوب من الحديدية على بعد (100 كم). ينظر: الويسى: اليمن الكبرى، ص105-106؛ عبد الرحمن الحضرمي: تهامة في التاريخ، مجلة الإكليل، صنعاء، س1، ع2، 1400هـ/1980م، ص44؛ وإبراهيم بن أحمد المقحفي: معجم

- البلدان والقبائل اليمنية (ج1)، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، صنعاء، دار الكلمة للطباعة والنشر والتوزيع، 1422هـ/2002م، ص732.734.
- (52) ينظر: حنش: النور المشرق، ص112.
- (53) ينظر: الوزير: طبق الحلوى، ص227.
- (54) أبو طالب: طيب أهل الكساء، ص108.
- (55) ينظر: جارشلي: أشرف مكة المكرمة، ص 150.
- (56) آل بركات: تنتسب عشيرة آل بركات إلى الشريف بركات الثالث بن محمد أبو نعي الثاني بن بركات بن محمد بن بركات بن عجلان بن رميثة بن محمد بن أبو نعي الأكبر.
- (57) ينظر: دحلان: خلاصة الكلام، ص165: السباعي: تاريخ مكة، ص263.
- (58) بركات بن محمد: هو بركات الثاني بن محمد بن بركات بن الحسن بن عجلان، تقلد إمارة مكة بعد وفاة أبيه سنة (1083هـ/1672م)، واستمر حتى وفاته سنة (1094هـ/1683م). ينظر: الشوكاني: البدر الطالع، 2/58.57؛ وجارشلي: أشرف مكة، ص132.135.
- (59) ينظر: غوري: حكام مكة، ص 177، 178.
- (60) الشريف سعيد بن بركات بن محمد: تولى إمارة مكة بعد وفاة أبيه الشريف بركات سنة (1094هـ/1683م)، ولشدة الفوضى في عهده ترك ولاية مكة بعد حكم دام سنة وسبعة أشهر، ورحل إلى مصر سنة (1095هـ/1684م)، استقر فيها إلى أن توفي. دحلان: خلاص الكلام، ص99.100، 101، 107؛ جارشلي: أشرف مكة، ص160.
- (61) ينظر: غوري: حكام مكة، ص180.
- (62) أوجد نظام المشاركة في الحكم الذي اتبعه أشرف الحجاز مشاكل كثيرة، كانت لها آثار سلبية على أوضاعهم السياسية، بما في ذلك الصراع الداخلي على إمارة مكة، الذي وصل إلى حد الصدام العسكري بين الأطراف المتنافسة، ومهد الطريق للتدخل العثماني وأئمة اليمن في شؤونهم الداخلية. ينظر: المحبي: خلاصة الأثر، 1/390-393؛ ودحلان: خلاصة الكلام، ص51، 64، 100، 159؛ وجارشلي: أشرف مكة، ص133، 138، 141، 146، 151؛ وحمد الجاسر: فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر، مجلة العرب، دار اليمامة، الرياض، ج1، 2، ص9، رجب - شعبان، 1394هـ/ آب - أيلول، 1974م، ص121-122؛ والسباعي: تاريخ مكة، ص254، 277، 309.

- 63) ينظر: حمزة: قلب جزيرة العرب، ص311؛ وغوري: حكام مكة، ص155، 168، 175، 180؛ وفائق بكر الصواف: العلاقات بين الدولة العثمانية وإقليم الحجاز ما بين (1293- 1334هـ/ 1876- 1916م)، مطابع سجل العرب، مكة المكرمة، د.ط ، 1398هـ / 1978م، ص45- 51.
- 64) ينظر: الرشيد: بغية المرید، ص421؛ ودحلان: خلاصة الكلام، ص68، 95، 131، 179؛ وجارشلي: أشرف مكة، ص143، 151، 164، 167؛ وغوري: حكام مكة، ص151، 181، 187؛ ومحمد علي محمد الشهاري، اليمن في ظل حكم الإمام محمد بن أحمد بن القاسم المعروف بصاحب المواهب، رسالة ماجستير، جامعة صنعاء، كلية الآداب، قسم التاريخ، 1427هـ/2006م، ص361. 362.
- 65) محسن بن الحسن بن القاسم أبو طالب: السحر المبین وفتور أحوال العين فيما سنح من أخبار اليمن وأهله الميامين بالتنصيص والتعيين، (مخطوط)، (ج1)، محفوظة بدارالمخطوطات، المكتبة الغربية، صنعاء، رقم 2553، ق35 أ. علي بن عبد الرحمن الهكلي: العقد المفصل بالبنوادر والغرائب الحادثة في دولة الشريف أحمد بن غالب، (مخطوط) محفوظ بدارالمخطوطات، المكتبة الغربية، رقم 1288، ق28ب.
- 66) الغالي: الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، ص120، 121.
- 67) ينظر مثلاً: الجرهموزي: تحفة الأسماع والأبصار، 1|319، الوزير: طبخ الحلوى، ص228.
- 68) ينظر: أبو طالب: السحر المبین (مخطوط)، 1| ق33 أ، الهكلي: العقد المفصل (مخطوط)، ق2ب.
- 69) الشريف محسن بن الحسين: تولى إمارة مكة المكرمة سنة (1034هـ/1624م)، واستمر والياً إلى سنة (1037هـ/1627م)، خاض خلالها حروباً ضد أبناء عمومته، كانت نتيجتها هروب الشريف محسن إلى اليمن ومعه ابنه زيد بن محسن، ومكث في صنعاء إلى وفاته سنة (1039هـ/1629م). ينظر: دحلان: خلاصة الكلام، ص65- 70؛ والزركلي: الأعلام، 5|286، وجارشلي: أشرف مكة، ص142، 143.
- 70) ابن عامر الرشيد: بغية المرید، ص186.
- 71) الشريف أحمد بن عبد المطلب: تقلد الحكم في مكة سنة (1037هـ/1627م)، لكن أحد أمراء الدولة العثمانية وهو (قنصوه باشا) الذي كان مرسلأ إلى اليمن، وقيل قدومه إليها مرعلى الحجاز وقتل هذا الشريف سنة (1039هـ/1629م)، وولى بدلاً عنه الشريف مسعود بن إدريس، وكانت مدة ولايته سنة واحدة وأربعة أشهر وثمانية عشر يوماً. ينظر: المحبي: خلاصة الأثر، 1|239؛ دحلان: خلاصة الكلام، ص68، 71، الثور: بناء الدولة القاسمية، هامش، ص641.

- (72) أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي: اللآيء المضيئة الملتقطه من اللواحق النديه في أخبار أئمة الزيدية، (ج3)، (مخطوط) محفوظ بدارالمخطوطات، المكتبة الغربية، صنعاء، رقم 107، ق567.
- (73) عبد الحميد البطريق: أشرف الحجاز في الوثائق المصرية، الفترة المصرية العثمانية (1228-1256هـ/1813-1840م)، في كتاب مصادر تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الأول، (ج1)، جامعة الرياض، الرياض، 1399هـ/1979م، ص24، غوري: حكام مكة، ص175، 176، 198.
- (74) ابن القاسم: بهجة الزمن، 2|689.
- (75) نفسه، ج1، ص412-413، وينظر كل من: محمد بن إسماعيل الكبسي: اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمينية، تحقيق: أبو إحسان خالد أبا زيد الأذري، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ط1، 1426هـ/2005م، ص359؛ والغالبى: الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، ص121.
- (76) الجرموزي: تحفة الأسماع والأبصار، 1|316.
- (77) الوزير: طبق الحلوى، ص294، زيارة: خلاصة المتون ص273.
- (78) الشريف عبد العزيز بن إدريس: كان شريكاً للشريف نامي بن عبد المطلب في إمارة مكة المكرمة، سنة (1041هـ/1631م)، ثم كان من المعارضين للشريف زيد بن محسن، لكن الشريف زيد تغلب عليه، رغم مساندة قوات والي جدة له سنة (1060هـ/1650م)، فلجأ إلى مصر، وتوفي بها سنة (1063هـ/1653م). ينظر: دحلان: جارشلي: أشرف مكة، ص148.
- (79) الجرموزي: تحفة الأسماع والأبصار، 1|58.
- (80) ينظر كل من: ابن القاسم: بهجة الزمن، 2|801. 802؛ والوزير: طبق الحلوى، ص290.
- (81) جارشلي: أشرف مكة، ص151.
- (82) وُصف الشريف أحمد بن غالب بأنه كان شخصية انتهازية، يعمل لمصلحته الشخصية، قام أثناء مدة ولايته بأعمال نهب واستيلاء على مخصصات الحرمين والأشراف؛ لذلك قرر الأشراف طرده من مكة. وتعيين الشريف محسن بن حسين بن زيد أميراً على مكة. يُنظر جارشلي: أشرف مكة، ص160. 162.
- (83) أبو عريش: بلدة عامرة في المخلاف السليماني تبعد حوالي 35 كم شمال شرق جيزان، وعلى بعد 70 ميلاً شمال اللحية، أول من اختطها رجل من بني الحكمي في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وتولى حكم المدينة عدد من الأسر بمن فيهم الأشراف الغوانم، ثم آل القطبي، ثم أصبحت حاضرة إمارة آل خيرات، منذ بداية إمارتهم في المخلاف السليماني سنة (1141هـ/1728م). ينظر: العقيلي: المخلاف السليماني، 1|388 وما يليها، والحسن بن أحمد عاكش الضمدي: الديباج

- الخسرواني في أخبار أعيان المخلاف السليماني المسمى "الذهب المسبوك فيمن ظهر في المخلاف السليماني من الملوك"، تحقيق: إسماعيل بن محمد البشري، دار الملك عبد العزيز، الرياض، د. ط ، 1424هـ ، ص 58-67؛ والأكوع: اليمن الخضراء، ص158.
- (84) المهكلي: العقد المفصل (مخطوط)، ق2 ب. ق3أ.
- (85) الشرفي: اللآلئ المضيئة، (مخطوط)، 3| ق674.
- (86) جارشلي: أشرف مكة، ص155.
- (87) طالب بن أحمد بن الحسن: وُصِفَ بالشجاعة والقيادة، وذكُر أنه وقف إلى جانب الأشراف بني حسن في إحدى المعارك التي دارت بينهم وبين الأتراك في مكة بموسم الحج سنة (1106هـ/1694م)، وكانت وفاته في حصن الخضراء من أعمال رداع سنة (1112هـ/1700م). ابن عامر الرشيد: بغية المرید، ص286، 287.
- (88) أبو طالب: السحر المبين (مخطوط)، ق33أ.
- (89) الجرُموزي: تحفة الأسماع والأبصار، 3| 923؛، David George Hogarth: Hejaz before world war1، NewYork, 1978, P. 96 – 97.
- (90) الشهاري: اليمن في ظل حكم الإمام محمد بن أحمد، ص321.
- (91) الثور: بناء الدولة القاسمية، ص126.
- (92) الثور: نفسه، ص130.
- (93) الحسين بن يحيى النحوي: لا يوجد له تعريف في المصادر المتاحة حسب علم الباحث.
- (94) ينبع: تنقسم ينبع إلى قسمين: ينبع البحر التي تقع غربي المدينة على بعد (21كم)؛ أما القسم الثاني فهو ينبع النخل، وهي قرية قريبة من ينبع البحر، ويعد ينبع البحر ثاني ميناء بعد ميناء جدة. حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (الجزء الثاني)، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ط1، 1397هـ/1977م، ص1368؛ علي بن حسين السليماني: الموانئ التجارية في الحجاز (بلاد ينبع)، مجلة العرب، دار اليمامة، الرياض، ج3، ص7، رمضان 1392هـ/ تشرين الأول 1972م، ص188.
- (95) الجرُموزي: تحفة الأسماع والأبصار، 1| 58، 59.
- (96) الحبشي: الأدب اليمني، ص17.
- (97) ابن القاسم: بهجة الزمن، 3| 1020.

98 رحبان: تقع في بلاد سحار جنوب مدينة صعدة على بعد ميل واحد. الحجري، محمد بن أحمد: مجموع بلدان اليمن وقبائلها (المجلد الأول)، تحقيق: إسماعيل بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط4، 1430هـ/2009م، ص359.

99 محمد بن إسماعيل الكبس، اللطائف السنية، ص383.

100 يحيى بن الحسين ابن القاسم، بهجة الزمن، 3|1023.

101 الهكلي: العقد المفصل (مخطوط)، ق2 ب. ق3 أ.

102 أبو طالب: السحر المبين (مخطوط)، 1| ق33 أ، ق53 أ.

103 جحاف: تاريخ (مخطوط)، ق8أ.



حركة التأليف التاريخي في اليمن في القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي (1000-1100هـ) (1600-1700م)

د. علي عبدالله محمد عزوان *

الملخص:

يعد مجال التاريخ من أهم المجالات التي اهتم بها المؤلفون، وقد تم اختيار موضوع حركة التأليف التاريخي في اليمن في القرن السابع عشر الميلادي، من أجل دراسته دراسة تحليلية نقدية، بهدف التعرف على طبيعتها، وخصائصها، وجوانبها، ومجالاتها. وتناول طبيعة المؤلفات وخصائصها، وعوامل ازدهار حركة التأليف التاريخي في الفترة المذكورة، فضلاً عن سمات حركة التأليف، من حيث أنواع المؤلفات وأشكالها، وطرق وأساليب تأليفها، ومجالات حركة التأليف التاريخي، وهي ثلاثة مجالات هي: كتب التراجم، كتب السير، كتب التاريخ العام. ناهيك عن جوانب حركة التأليف التاريخي، وهي: الجانب الاجتماعي والاقتصادي، والجانب الديني، والجانب السياسي، والجانب الثقافي والفكري، والجانب العلمي.

* أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد - قسم التاريخ - كلية التربية - جامعة حجة - الجمهورية اليمنية.

The Historical Authorship Movement in Yemen in the Eleventh Century A.H /the Seventeenth Century A.D (1000-1100 A.H / 1600 – 1700 A.D)

Dr. Ali Abdullah Mohammed Azwan

Abstract:

The field of history is one of the most important areas in which the authors are most important. The subject of the historical authorship movement in Yemen was chosen in the seventeenth century to study the literary movement in the period, which is a critical and analytical study, in order to identify its nature, characteristics, aspects and fields and the factors of the flourishing of the movement of authorship in the above mentioned period, as well as the characteristics of the movement of authorship, in terms of types of compositions, forms, methods and methods of authorship. The study also covers the fields of historical movement which include:

books of translations, books of Biography·books of General History

Not to mention aspects of historical authorship: social, economic, religious, political, cultural, intellectual and scientific.

المقدمة:

لقد تم اختيار عنوان البحث "حركة التأليف التاريخي في اليمن في القرن السابع عشر الميلادي" (1600-1700م)/(1000-1100هـ)، كما تم اختيار الموضوع، بالنظر إلى أهميته، وإلى الازدهار الذي شهدته حركة التأليف التاريخي في تلك الفترة، وقد حاولنا التعرف على طبيعة حركة التأليف التاريخي، والسمات التي اتسمت بها، وكذلك التعرف على مجالاتها، والجوانب التي تضمنتها.

وقد تم تقسيم البحث إلى ثلاثة محاور، يحتوي كل محور منها على عدد من العناوين

الرئيسية، على النحو الآتي:

جاء المحور الأول بعنوان "طبيعة حركة التأليف التاريخي وخصائصها"، ويتناول التعريف بحركة التأليف وسماتها، كما يتناول عوامل الازدهار، ثم يتحدث عن أساليب التأليف، وعن أنواع المؤلفات. أما المحور الثاني: فقد جاء بعنوان "مجالات حركة التأليف"، ويتناول تقسيم المؤلفات إلى ثلاثة أقسام، هي: كتب التراجم، كتب السير، كتب التاريخ العام، بينما جاء المحور الثالث: ليتناول "جوانب حركة التأليف واتجاهاتها" التي تضمنتها المؤلفات، وتتمثل فيما يأتي: "الجوانب السياسية، الجوانب الاقتصادية، الجوانب الاجتماعية، الجوانب الدينية، الجوانب الأدبية والفكرية، الجوانب العلمية، ناهيك عن موضوعات خاصة بظواهر طبيعية وفلكية، وكذلك موضوعات خاصة بالعالمين الإسلامي والعربي".

أما الخاتمة فقد تناولنا فيها النتائج التي تم التوصل إليها.

أولاً: طبيعة حركة التأليف التاريخي وخصائصها

- مفهوم حركة التأليف التاريخي وسماتها العامة

يقصد بحركة التأليف التاريخي، التأليف في مجال التاريخ، أو الكتابة التاريخية، ويتم تناولها باعتبارها حركة لها مظاهرها وسماتها ومحدداتها الخاصة بها. ونود أن نشير هنا إلى مفهوم التاريخ لدى مؤرخي تلك الفترة، الذي لم يكن يختلف عن المفهوم العام للتاريخ، وهو أحداث الماضي، في حين أن الكتابة التاريخية تعني تسجيل الأحداث الماضية. وتعد كتابة التاريخ من أهم المجالات التي أهتم بها اليمينيون على مر التاريخ، مع الاختلاف في مدى ذلك الاهتمام، وفي أساليب الكتابة التاريخية وسماتها المتنوعة.

وعموماً لقد اتسمت حركة التأليف التاريخي بعدد من السمات، يمكن أن نوجزها فيما

يأتي:

- نشطت حركة التأليف التاريخي، في الفترة الخاصة بالبحث، نشاطاً ملحوظاً، فقد ظهر

كثير من المؤلفات التاريخية في شتى مجالات وجوانب التاريخ.

- استمرت حركة التأليف قائمة طوال تلك الفترة، وتصدى لعملية التأليف كثير من المؤلفين، الذين بلغ عددهم حوالي ستة وخمسين مؤرخاً، بلغت مؤلفاتهم التاريخية حوالي ستة وتسعين مؤلفاً.
- وقد اتسمت المؤلفات التاريخية بالاختلاف والتباين، سواء من حيث أحجامها، أم من حيث نطاقاتها.
- تنوعت المؤلفات التاريخية من حيث حجمها؛ فبعضها كبير الحجم، وبعضها متوسط الحجم، والبعض الآخر صغير الحجم. وكذلك تنوعت المؤلفات التاريخية، حسب امتدادها وشموليتها، زمنياً وجغرافياً.
- تباينت طرق وأساليب التأليف، فمعظم المؤلفات اتبعت أسلوب الحوليات، في حين أن بعض المؤلفات، اتبعت أسلوب الموضوع.
- انقسمت مجالات الحركة إلى ثلاثة مجالات هي: مجال التراجم، مجال السير، مجال التاريخ العام.
- تعددت جوانب الحركة، فتناولت الجوانب: السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والدينية، والأدبية والفكرية، والعلمية، كما سنرى لاحقاً.
- عوامل ازدهار الحركة:
- شهدت حركة التأليف التاريخي ازدهاراً كبيراً، في القرن السابع عشر الميلادي، حيث ظهرت مجموعة كبيرة من المؤرخين، الذين صنّفوا مؤلفات تاريخية كثيرة، في شتى المجالات والجوانب التاريخية.
- وقد حاول بعض المؤرخين المعاصرين⁽¹⁾، تفسير أسباب ازدهار حركة التأليف التاريخي في اليمن، ذلك الازدهار الذي ظهر منذ القرن السادس عشر الميلادي، واستمر وزاد نشاطاً، في القرن السابع عشر. فقد أرجع سيد مصطفى سالم، ازدهار حركة التأليف التاريخي في العهد العثماني الأول، (القرن السادس عشر الميلادي، وبداية القرن السابع عشر)، إلى عاملين أساسيين هما:

العامل الأول خاص باليمنيين عامة. والعامل الثاني خاص بالظروف التاريخية لتلك الفترة. فهذا العامل ناتج عن أن اليمنيين يمتلكون إرثاً حضارياً، وطاقات وقدرة على الإبداع، وبطبيعتهم يميلون إلى العلم والمعرفة، وقد تأثروا بالتيارات الفكرية والمذهبية التي سادت في العالم الإسلامي، منذ العصور الوسطى الإسلامية، وقد ترتب على هذا أن ظهرت لليمنيين مؤلفات عديدة، في فروع المعرفة المختلفة السائدة حينذاك خاصة الفقه في والحديث والتفسير، والتاريخ والفلك والحساب⁽²⁾.

أما العامل الثاني الذي ذكره سيد سالم، فهو العامل السياسي، إذ ظهر عامل جديد، هو دخول العثمانيين إلى اليمن واصطدامهم باليمنيين؛ وقد انعكست تلك الصدمات، التي كانت تحدث بين العثمانيين واليمنيين، على حركه التأليف التاريخي، التي تأثرت بتلك الأحداث، وظهر صدام فكري، وظهرت مؤلفات تاريخية، بعضها ينحاز إلى العثمانيين، والبعض الآخر، ينحاز إلى المقاومة اليمنية⁽³⁾.

ونحن نتفق مع سيد سالم، في أن هذين العاملين؛ كانا حافزا للازدهار منذ العهد العثماني، لكننا نضيف عوامل أخرى، تتعلق بالنشاط الفكري الذي ازدهر في القرن السابع عشر، ومن ذلك، الاستقرار السياسي النسبي، الذي ساد في اليمن، في بداية عهد الاستقلال الأول، عقب انسحاب العثمانيين منه عام (1026هـ/ 1636م) كما أن حدث الاستقلال كان عاملاً مشجعاً، ودافعاً معنوياً، لازدياد النشاط الفكري، وكذلك ما تحقق عقب الاستقلال من توحيد البلاد، وفضلاً عن هذه العوامل، فهناك عامل مهم يتمثل في الفكر الزيدي، الذي بطبيعته، يفتح باب الاجتهاد، ويرفض التقليد؛ فقد كان ذلك عاملاً أساسياً، في الازدهار، كما أن الأئمة الذين حكموا، حينذاك، خاصة الإمام المؤيد، ومن بعده الإمام المتوكل إسماعيل كانوا على قدر كبير من العلم، وأولوا العلم والعلماء قدراً كبيراً من الاهتمام، وقد شكل ذلك عاملاً مهماً انعكس على الازدهار الفكري حينذاك، وازدادت حركة التأليف التاريخي قوة؛ فظهرت مجموعة كبيرة من المؤرخين، الذين صنفوا عدداً من المؤلفات التاريخية، في شتى المجالات والجوانب.

تطور حركة التأليف التاريخي:

لقد مرت حركة التأليف التاريخي بتطورات خلال القرن السابع عشر، ويمكن التمييز بين ثلاث مراحل مرت بها الحركة، نوجزها في الآتي:

- المرحلة الأولى: وتمتد من بداية القرن حتى انسحاب العثمانيين من اليمن عام (1045هـ-1636م)، وتتسم هذه المرحلة بتأثر حركة التأليف التاريخي بالوجود العثماني، وقد كانت الصدمات التي كانت تحدث بين اليمنيين والعثمانيين، عاملاً في ازدياد نشاط حركة التأليف التاريخي، وظهر جيل من المؤرخين، اختلف موقفهم السياسي بين مؤيد ومعارض للوجود العثماني، وظهرت مؤلفات تاريخية بعضها مرتبط بالإدارة العثمانية، والبعض الآخر مرتبط بالإمامة الزيدية المتزعمة للثورات اليمنية.

واتسمت الكتابة التاريخية في هذه المرحلة -من حيث أساليبها وطرقها، وأشكالها وأنواعها، وكذا مجالاتها واتجاهاتها وجوانبها- بالتنوع والتعدد والاختلاف والتباين.

- المرحلة الثانية: وتمتد من بداية الاستقلال حتى نهاية عهد المتوكل إسماعيل (1087هـ-1676م)، وفي هذه المرحلة ازدادت حركة التأليف التاريخي قوة، متأثرة بالاستقلال، وما حدث من استقرار خلال تلك الفترة، وظهر جيل ثانٍ من المؤرخين، الذين صنفوا كثير من المؤلفات التاريخية. ولم تختلف سمات الكتابة التاريخية، من حيث طرقها وأساليبها ومجالاتها وجوانبها، كثيراً عن المرحلة الأولى.

- المرحلة الثالثة: وتمتد من منتصف العقد الثامن حتى نهاية القرن، السابع عشر الميلادي. وفي هذه المرحلة استمرت حركة التأليف، وظهر جيل ثالث من المؤرخين، ناهيك عما تبقى من الجيل السابق، وصنف كثير من المؤلفات التاريخية، التي تنوعت من حيث أساليبها، وكذلك من حيث جوانبها ومجالاتها، كما سئرى ذلك في العناوين الخاصة بهذه المحددات.

- طرق وأساليب التأليف

مارس عملية التأليف مجموعة من المؤرخين، وصل عددهم إلى خمسة وخمسين مؤرخاً، اختلفت انتماءاتهم المناطقية؛ وقد كان لبعض المؤرخين أكثر من مؤلف، وبعضهم كان له مؤلف واحد فقط، وقد كانت تتم عملية التأليف بطريقة فردية، وبجهود ذاتية، وبصورة غير منظمة، أما الأسلوب الذي تم اتباعه في التأليف، فقد اتبع معظم المؤلفين أسلوب الحوليات، وترتيب الأحداث حسب السنوات، وهذا الأسلوب هو الأسلوب التقليدي الذي كان سائداً حينذاك، غير أن بعض المؤلفين اتبع نظام الموضوع، حيث رتب الأحداث حسب الموضوع، وعلى سبيل المثال كتاب "النور المشرق في فتح المشرق وما به الحق" للمؤلف أحمد بن عبدالله حنش، الذي تناول أحداث التوسع والسيطرة على المناطق الجنوبية والشرقية، فتم ترتيب الأحداث فيه حسب الموضوعات والمناطق التي كان يتم السيطرة عليها⁽⁴⁾، وكذا كتاب "السلوك الذهبية وفي خلاصة السيرة المتوكلية اليعقوبية" للمؤلف محمد بن إبراهيم المفضل، الذي تناول فيه سيرة الإمام المتوكل شرف الدين (ت 965هـ / 1557م)، فقد تم ترتيب الأحداث فيه حسب الموضوع⁽⁵⁾.

أما بالنسبة إلى كتب التراجم، فقد تم ترتيب الأعلام المترجم لهم فيها، حسب تاريخ الوفاة، ماعداً عدد قليل منها تم الترتيب فيها حسب الحروف الأبجدية، ومنها على سبيل المثال، كتاب "مطلع البدور ومجمع البحور" للمؤرخ أحمد بن صالح بن أبي الرجال، الذي احتوى على 1300 علم، تم ترتيبها حسب حروف المعجم⁽⁶⁾.

- مظاهر حركة التأليف ونطاقاتها

ظهرت المؤلفات التاريخية في صورة كتب ومجلدات، اختلفت أحجامها، فبعض المؤلفات كبيرة الحجم تقع في أجزاء متعددة، ومن الأمثلة على ذلك كتاب "اللآلئ المضيئة" للمؤلف أحمد بن محمد الشرفي، وهو كتاب واسع يقع في ثلاثة أجزاء، وكذلك كتاب "بهجة الزمن في تاريخ اليمن" للمؤلف يحيى بن الحسين، يقع في ثلاثة أجزاء. وهناك كتب متوسطة الحجم، تقع في جزء واحد، ويكون حجمها متوسطاً، ومعظم المؤلفات من هذا النوع. وهناك مجموعة من الكتب ذات حجم صغير، تكون مختصرة⁽⁷⁾.

أما بالنسبة إلى نطاقات حركة التأليف، فقد غطت الحركة أغلب فترات التاريخ اليمني، حتى القرن السابع عشر الميلادي، وكذلك شملت معظم مناطق اليمن، ويمكن تصنيف المؤلفات من حيث امتدادها وشموليتها، إلى مؤلفات شملت فترة تاريخية طويلة (قرن أو أكثر)، ومؤلفات شملت فترة تاريخية متوسطة (فترة أقل من قرن)، ومؤلفات شملت فترة تاريخية قصيرة (عقد أو حادثة معينة)، هذا من حيث امتدادها الزمني. أما من حيث امتدادها الجغرافي؛ فهناك مجموعة من المؤلفات تناولت اليمن بكامله، ومعظم المؤلفات من هذا النوع. ومجموعة من المؤلفات تناولت منطقة معينة، كتلك المؤلفات التي تناولت تاريخ حضرموت، وكذا المؤلفات التي تناولت تاريخ ظفار، وبعض المؤلفات تناولت أسراً أو فئات اجتماعية معينة، كالمؤلفات التي تناولت تاريخ الأئمة الزيدية، والمؤلفات التي تناولت أسرة آل الأهدل، وآل العيدروس، وغيرهما⁽⁸⁾.

أما مجالات حركة التأليف التاريخي وجوانبها فسوف نتناولها في الآتي:

ثانياً: مجالات حركة التأليف التاريخي

انقسمت مجالات حركة التأليف إلى ثلاثة مجالات، هي: مجال التراجم، مجال السير، مجال التاريخ العام، ويمكن عرض تلك المجالات، والمؤلفات الخاصة بكل مجال كما يأتي:

1) مجال التراجم

1- محمد عبدالله بن سليمان الخطيب (ت1025هـ/1615م) برد النعيم في نسب الأنصار خطباء تريم تراجم لخطباء جامع مدينة تريم، توجد نسخة منه بمكتبة آل يحيى، بتريم⁽⁹⁾.

2- أبو بكر بن أبي القاسم الأهدل (ت1035هـ/1625م) "الأحساب العلية في الأنساب الأهدلية". وهو كتاب في نسب آل الأهدل.

3- المؤلف نفسه: "النور الباسم في مناقب بني الأهدل". وهو كتاب تراجم لأعيان بني الأهدل.

4- المؤلف نفسه: "نفة المنديل بذكري بني الأهدل". نسخة منه، في مكتبة عبد الباري طاهر، في زبيد.

5- المؤلف نفسه: "نوافح الأسرار في رياض بهجة الأسرار".

6- المؤلف نفسه: "نظام عقد الجواهر النقية في بيان أنساب العصابة الأهدلية"⁽¹⁰⁾.

- 7- عبد القادر بن شيخ بن عبدالله العيدروس (ت1038هـ/1628م)، "وفيات الأكابر في القرن العاشر". كتاب تراجم اختصره من كتابه المسعى، "النور السافر في أخبار القرن العاشر"⁽¹¹⁾.
- 8- محمد بن الطاهر بن بحر (ت1038هـ/1628م) "تحفة الدهر في أنساب الأشراف بني بحر"، يتضمن تراجماً لأعيان بني بحر، وبيان نسبهم، توجد نسخة منه في المكتبة الغربية، بالجامع الكبير في صنعاء، برقم 144.
- 9- المؤلف نفسه: "بغية الطالب بمعرفة أولاد علي بن أبي طالب"⁽¹²⁾.
- 10- علي بن زين العابدين بن عبدالله العيدروس (ت1041هـ/1631م) "مشجر في الأنساب"⁽¹³⁾.
- 11- أحمد بن أبي الفتح الحكمي (ت1044هـ/1634م) "نسمات الأسرار في ذكر أولياء الله الأخيار". وهو كتاب تراجم، ذكر فيه مشائخه من العلماء الذين أخذ عنهم علمه.
- 12- المؤلف نفسه: "فتح الرضا في نشر العلم والاهتداء". ترجم فيه لعدد من مشائخ العلم، وتضمن إجازة لتلميذه، حفيد بن حجر⁽¹⁴⁾.
- 13- محمد بن عبدالله بن علي المؤيدي (ت1044هـ/1634م) "النفحة العنبرية في أبناء خير البرية"، وهو شرح أرجوزة شعرية تاريخية، في تراجم أئمة اليمن، من الهادي يحيى بن الحسين (ت298هـ/888م) إلى زمن القاسم بن محمد (ت1029هـ/1620م) توجد نسخة منه بمكتبة الأوقاف بصنعاء برقم 535⁽¹⁵⁾.
- 14- المؤلف نفسه: "روضة الألباب وتحفة الأحباب وبغية الأحساب في معرفة الأنساب". وقد عرف بمشجر أبي علامة، وهو في أنساب أهل البيت في اليمن، وقد طبع في طهران (د، ت؟)، كما طبع ضمن كتاب "سفينة الأدب والتاريخ" عام (1422هـ/2001م)⁽¹⁶⁾.
- 15- مطهر بن عبدالله الضمدي (ت1050هـ/1640م) "الوافي بوفيات الأعيان المكمل لغربال الزمان" ويسمى أيضاً "العقيق اليماني في وفيات وحوادث المخلاف السليماني" أرخ فيه حوادث إقليم جازان، وصبياء، وأبي عريش، وما حولها من تهامة اليمن⁽¹⁷⁾.
- 16- أبو بكر أحمد بن أبي بكر الشلي (ت1053/1643م) "تاريخ وفيات الأعيان من أهل الزمان". وهو كتاب تراجم للأعيان موضحاً الوفيات منهم، حسب السنين⁽¹⁸⁾.

- 17- ناصر بن عبد الحفيظ بن عبدالله المهلا (ت1060هـ/1650م) "طبقات الزيدية"، ترجم فيه لعلماء الزيدية، وما زال مفقوداً⁽¹⁹⁾.
- 18- أحمد بن يحيى حابس الصعدي (ت1064هـ/1654م) "المقصد الحسن والمسلك الواضح السنن". كتاب في تاريخ الزيدية، وبيان مذهبيهم، وذكر رجالهم ومصنفاتهم وسير أئمتهم، وأرائهم الفقهية⁽²⁰⁾.
- 19- عبد الحفيظ عبدالله المهلا (ت1077هـ/1667م) "علم الإفادة في تاريخ الأئمة السادة" ترجم فيه لأئمة اليمن، سطره بتراجم الأنبياء وبعض الصحابة، توجد نسخة بالمكتبة الغربية بصنعاء، برقم 140 أو 116⁽²¹⁾.
- 20- المؤلف نفسه: "تتمة كتاب الأوائل، للعسكري".
- 21- المؤلف نفسه: "الفضائل في أشرف القبائل". توجد نسخة منه بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء، برقم 2103⁽²²⁾.
- 22- محمد بن سعيد باقشير (ت1077هـ/1667م) "الفتوحات المكية في تراجم السادة الأئمة القشيرية". تراجم لبني قشير، توجد نسخة منه بمكتبة الأحقاف⁽²³⁾.
- 23- محمد بن عبد الرحمن باجمال (ت1079هـ/1669م) "الدر الفاخر في تراجم أعيان القرن العاشر" يتضمن تراجم لعلماء وأعيان القرن العاشر، توجد نسخة منه في مكتبة عبدالله الحبشي⁽²⁴⁾.
- 24- إبراهيم بن محمد المؤيدي (ت1083هـ/1673م)، "الروض الباسم في أنساب آل القاسم الرسي". وهو كتاب تراجم لآل القاسم وبيان نسبيهم⁽²⁵⁾.
- 25- محمد بن إبراهيم المفضل (ت1085هـ/1675م) "السلسلة الذهبية في ضبط السلالة المفضلية"⁽²⁶⁾.
- 26- عبدالقادر بن الناصر الكوكباني (ت1087هـ/1677م) "الصمد الغالي في النسب العالي" كتاب تراجم لأعيان بني عبد الرب شرف الدين، صاغه في شكل أرجوزة شعرية⁽²⁷⁾.

- 27- أحمد بن صالح بن أبي الرجال (ت1092هـ/ 1681م) "مطلع البدور ومجمع البحور"، هو كتاب واسع يقع في أربعة مجلدات، يحتوي على أكثر من (1300) من علماء الزيدية، مرتبة حسب حروف المعجم، يعد من أهم كتب التراجم، طبع بتحقيق عبدالرقيب حجر (1425هـ/2004م)⁽²⁸⁾.
- 28 المؤلف نفسه: "تيسير الأعلام بتراجم تراجمة التفسير الأعلام"، توجد نسخة منه بمكتبة الجامع بصنعاء، برقم 217.
- 29- المؤلف نفسه: "إنباء الأبناء بطريقة سلفهم الحسنين". وهو كتاب تراجم لأعيان أسرته، ج/ برقم 423.
- 30 المؤلف نفسه: "تعليق على مشجر صلاح بن الجلال"، توجد نسخة منه في الأميروزيانا برقم 598⁽²⁹⁾.
- 31- محمد بن أبي بكر الشلي (ت1093هـ/ 1683م) "المشعر الروي في مناقب السادة بني علوي". كتاب يتضمن تراجم لـ (278) شيخا من علماء السادة بحضرموت، طبع عام (1319هـ/ 1900م).
- 32- المؤلف نفسه: السنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر، كتاب تراجم أكمل فيه ما فات من تراجم في كتاب النور السافر للعيدروس، وقد طبع (دت؟).
- 33- المؤلف نفسه: "عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر". كتاب تراجم، وقد طبع (د،ت).
- 34- المؤلف نفسه: "تاريخ ولاية مكة". ويسمى المنهل المورود في أخبار ملوك مكة القتادين أهل النجدة، والجود؛ توجد نسخة بمكتبة آل يحيى بتريم⁽³⁰⁾.
- 35- يحيى بن الحسين بن القاسم (ت1099هـ/ 1689م) "المستطاب في طبقات علماء الزيدية الأقطاب". ويسمى أيضا، طبقات الزيدية الصغرى؛ وهو كتاب واسع، احتوى على أكثر من خمسة آلاف علم، توجد نسخة منه، بمكتبة الجامع الكبير، برقم 91.

36- المؤلف نفسه: "التعريف بجملة أهل العلم والتصنيف". توجد نسخة منه بمكتبة الجامع الكبير، (374).

37- المؤلف نفسه: "الزهر في أعيان العصر" ⁽³¹⁾.

38- يحيى بن علي محمد الحبسي (ت1104هـ/1694م)، "تتمة كتاب الإفادة في تاريخ الأئمة السادة". كتاب تراجم للأئمة الزيدية، ذيل به كتاب الإفادة للهاروني (ت424هـ) ويبدأ بتراجم أئمة اليمن، من عصر الإمام القاسم العياني، إلى المتوكل إسماعيل (ت1087هـ) توجد نسخة منه بمكتبة توبنجن برقم (9664) ⁽³²⁾

39- أحمد بن عامر السعدي الشافعي (ت؟ق11)، "شرح السطري أسماء أهل بدر" ⁽³³⁾.

فرغ من تأليفه عام (1087هـ / 1677م)، توجد نسخة منه بدار الكتب المصرية، برقم 5-221.

40- أحمد بن محمد باجمال الأصبحي (ت؟ق11)، "مطالع الأنوار في بروج الجمال لبيان الشجرة والمناقب لآل أبي جمال". وهو كتاب ترجم فيه لأعيان بني باجمال.

41- المؤلف نفسه: "رسالة في الأنساب". وقد جمع هذه الأنساب من كتاب: "التعريف بالأنساب"، للأشعري.

42- المؤلف نفسه: "نهاية التحقيق في الخبر المصون بالتصديق"، تضمن تراجم العلماء من آل طه، وذكر فيه فتاواهم وآراءهم الفقهية ⁽³⁴⁾.

43- أحمد بن يحيى الأغضب (ت؟ق11) "الدر المنثور في أنساب السادة والشيعية بحوث". وهو كتاب تراجم للسادة من بيت الحوثي، الذين بحوث ⁽³⁵⁾.

44- عبيد بن عبد الملك بانافع (ت؟ق11) "رسالة في أنساب الحضارم". وهي كتاب في أنساب أهل حضرموت، ويحتوي على توضيح أصل بعض المصطلحات الشائعة عند عامة أهل البلاد ⁽³⁶⁾.

45- علي بن محمد الشهاري (ت؟ق11)، "شافية المدموغين في الرد على أصحاب الدوامغ". ترجم فيه لمجموعة من العلماء، وبيان فتاواهم الفقهية، توجد نسخة منه بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء برقم 140 ⁽³⁷⁾.

(2) مجال السير

- 1- محمد بن عبد الله شرف الدين (ت1016هـ/1606م)، "نظم كفاية الطالب في مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب" ⁽³⁸⁾.
- 2- محمد بن عبد الرحمن باجمال (ت1019هـ/1609م)، "مواهب البدر الرؤوف في مناقب الشيخ عبدالله معروف". سيرة للشيخ عبد الله معروف باجمال (ت969هـ/1559م)، توجد نسخة بمكتبة عبد الله الحبشي.
- 3- المؤلف نفسه: "بلوغ الظفر والمغانم في مناقب الشيخ أبي بكر بن سالم". كتاب في سيرة الشيخ أبي بكر بن سالم (ت992هـ/1582م) وتوجد نسخة منه في مكتبة الحبشي ⁽³⁹⁾.
- 4- حسن بن أحمد باشعيب (ت1030هـ/1620م)، "فيض الجود في سيرة فخر الوجود، في مناقب الشيخ أبي بكر بن سالم". وتوجد نسخة منه، في مكتبة السيد عبدالله الهدار، بعينات ⁽⁴⁰⁾.
- 5- محمد العيدروس عبدالله العيدروس (ت1031هـ/1621م)، "مناقب لعمه شيخ بن عبدالله العيدروس".
- 6- المؤلف نفسه: "مختصر كتاب غرر الهاء الضوي في مناقب ابن علوي" ⁽⁴¹⁾.
- 7- علي بن الحسين بن محمد المسوري (ت1034هـ/1624م)، "العتاد المنجي في مناقب الكندي". وتوجد نسخة من الكتاب في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء، برقم 39 ⁽⁴²⁾.
- 8- أحمد بن عبدالله السوداني (ت1044هـ/1634م)، "الجواهر والدرر في ترجمة الشيخ أبي بكر" ⁽⁴³⁾.
- 9- يوسف عابد المغربي (ت1044هـ/1634م)، "رحلة الشيخ يوسف بن عابد". مكتبة الحسيني بتريم ⁽⁴⁴⁾.
- 10- الحسن بن أحمد الحيمي (ت1071هـ/1661م)، "سيرة الحبشة". وهو كتاب وصف فيه رحلته التي قام بها إلى الحبشة، (ت1057هـ/1647م) وقد طبع في برلين عام 1312هـ/1894م ⁽⁴⁵⁾.

11- مطهر بن محمد بن أحمد الجرموزي (ت1077هـ/1667م) "النبذة المشيرة في السيرة القاسمية". وهو كتاب في سيرة الإمام القاسم بن محمد (ت 1029هـ/1620م)، وقد طبع بتحقيق عبدالحكيم الهجري (2004م).

12- المؤلف نفسه: "الجوهرة المنيرة في جمل من عيون السيرة المؤيدية". كتاب في سيرة الإمام المؤيد محمد بن القاسم (ت 1054هـ/1644م)، وقد طبع بتحقيق أمة الملك الثور (1429هـ/2008م).

13- المؤلف نفسه: "تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار". وهو كتاب في سيرة المتوكل إسماعيل (ت1087هـ/1676م) طبع بتحقيق عبدالحكيم الهجري (1423هـ/2002م)⁽⁴⁶⁾.

14 إبراهيم محمد المؤيدي (ت1083هـ/1673م) "قصص الحق المبين في البغي على أمير المؤمنين"⁽⁴⁷⁾.

15- محمد بن إبراهيم المفضل (ت1085هـ/1675م) "السلوك الذهبية في خلاصة السيرة المتوكلية اليعقوبية". وهو كتاب في سيرة الإمام المتوكل يحيى شرف الدين (ت 965هـ/1556م) وقد طبع⁽⁴⁸⁾.

16- علي محمد سلامة (ت1090هـ/1680م) "الدر المنثور في سيرة الإمام المنصور القاسم بن محمد"⁽⁴⁹⁾.

17- عبيد الله محمد باشراحيل (ت1105هـ/1695م) "المواهب والعطايا والإمداد في مناقب عبد الله الحداد"⁽⁵⁰⁾.

18- محمد بن إبراهيم السحولي (ت1109هـ/1699م) "أسلاك الدرر". وهي منظومة شعرية تاريخية في نسب محمد بن الحسن بن القاسم (ت1079هـ/1669م)، وتوجد نسخة بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء، برقم 33.

19- المؤلف نفسه: "النسمة السحرية والنسبة الشجرية". منظومة في نسب محمد السحولي، نفسه، وذكر شيوخه، وتوجد نسخة منه في مكتبة الجامع بصنعاء برقم 82⁽⁵¹⁾.

- 20- عبد الله بن أحمد بازرة (ت؟ق11) "مناقب عبدالله بن علي صاحب الوهط"⁽⁵²⁾.
- 21- عبد الوهاب عبد الباقي الجابي (ت؟ق11) "غوث البلاد والعباد في سيرة سيد بن عمر بن محمد باعباد الخامري". وتوجد نسخة من الكتاب، في مكتبة أحمد بن عبد القادر الأهدل، بزييد⁽⁵³⁾.
- 22- محمد بن صلاح الحسني (ت؟ق11) "الدر المنثور في سيرة الملك العادل المشهور". ويسمى الجواهر المضيئة في سيرة الدولة العزيرة، محمد بن الحسن بن القاسم (ت 1079هـ/1669م)⁽⁵⁴⁾.
- 3) مجال التاريخ العام
- 1- محمد بن عمر بافقيه (ت1011هـ/1601م). تاريخ القرن العاشر، وهو كتاب في حوادث القرن العاشر، وقد طبع بتحقيق عبد الله الحبشي (د، م، د، ت؟)⁽⁵⁵⁾.
- 2- محمد بن عبدالله العيدروس (ت1031هـ/1621م) "فضائل اليمن"⁽⁵⁶⁾.
- 3- داود بن الهادي بن أحمد الهادي (ت1035هـ/1625م) "ذيل البسامة"⁽⁵⁷⁾.
- 4- عبد القادر بن شيخ العيدروس (ت1038هـ/1628م) "النور السافر في أخبار القرن العاشر". وهو كتاب تضمن تاريخ اليمن، في القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي، مع تراجم من مات فيه من علماء وقضاة وملوك من أهل اليمن، وغيرهم، وقد طبع في بغداد؛ عام 1320هـ/1934م⁽⁵⁸⁾.
- 5- عبد الله بن عمر بدر الكثيري (ت1045هـ/1635م) "الدلالة والأخبار في خصائص ظفار"⁽⁵⁹⁾.
- 6- عيسى بن لطف الله بن المطهر شرف الدين (ت1048هـ/1638م)، "روح الروح في ما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح". وهو كتاب واسع أرخ فيه لليمن منذ سنة (965-1048هـ)، ثم أكمل حوادثه بعض أولاده، وقد طبع بتحقيق إبراهيم المقحفي سنة (1424هـ/2003م (د، م، د؟)⁽⁶⁰⁾.
- 7- المؤلف نفسه: "الأنفاس اليمنية في الدولة المحمدية". أرخ فيه لليمن خلال حكم الوزير محمد باشا (1025-1031هـ) (1615-1621م)⁽⁶¹⁾.

- 8- أبوبكر بن أبي بكر الشلي (ت1053هـ/1643م)، تاريخ، جعله في التاريخ العام حسب السنين⁽⁶²⁾.
- 9- أحمد بن محمد الشرفي (ت1055هـ/1645م) "اللأئ المضيئة الملتقطة من اللواحق الندية في أخبار أئمة الزيدية". وهو كتاب يقع في ثلاثة مجلدات، اختصر فيه شرح البسامة للزحيف، وزاد عليه الحوادث المتأخرة، حتى انتهى إلى عام (1053هـ/1643م)، توجد نسخة منه بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء، برقم 107. وقد قامت سلوى المؤيد بتحقيق جزء منه، بإشراف مؤسسة الإمام زيد.
- 10- المؤلف نفسه: "ذيل البسامة". وهي قصيدة في تاريخ الإمام القاسم بن محمد وابنه المؤيد⁽⁶³⁾.
- 11- جعفر بن زين العابدين العيدروس (ت1064هـ/1654م) "جزء في التاريخ"⁽⁶⁴⁾.
- 12- مهنا بن عوض بن علي بامزروع (ت1069هـ/1659م) "حديقة الواردين في ذكر الهدايا والمراسلات ووفادات السلاطين"⁽⁶⁵⁾.
- 13- المهدي بن الهادي النوعة (ت1072هـ/1662م) "الاقبال في التاريخ". كتاب واسع يقع في مجلدين⁽⁶⁶⁾.
- 14- مطهر بن محمد الجرموزي (ت1077هـ/1667م)، "عقد الجواهر المبية في معرفة المملكة اليمنية والدولة الفاطمية الحسنية". وهو كتاب في تاريخ اليمن، وصل فيه حتى سنة (1007هـ/1598م)، توجد نسخة منه بمكتبة، حمد الجاسر برقم 161⁽⁶⁷⁾.
- 15- أحمد بن عبدالله حنش (ت1079هـ/1669م) "النور المشرق في فتح المشرق وما به الحق". وهو كتاب أرخ فيه لأحداث التوسع والسيطرة على المناطق الجنوبية والشرقية، التي حدثت في عهد الإمام المتوكل إسماعيل (ت1087هـ/1676م)، وقد طبع بتحقيق عبد الله الحبشي (د.ت؟)⁽⁶⁸⁾.
- 16- علي بن عيسى لطف الله شرف الدين (ت1084هـ/1674م)، "ذيل روح الروح". في مجلدين وصل فيه حتى حوادث عام (1079هـ/1669م)، وتوجد نسخ متعددة منه في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء⁽⁶⁹⁾.
- 17- ذهل بن علي الحشيري (ت1090هـ/1680م)، "تاريخ اليمن"⁽⁷⁰⁾.

- 18- أحمد بن عبد الله بن حسن باعنتر (ت1091هـ/1681م) "ذيل تاريخ المدينة المنورة للمرجاني"⁽⁷¹⁾.
- 19- يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد (ت1099هـ/1689م) "أنباء أبناء الزمن في تاريخ اليمن". تاريخ نظمه حسب الحوليات، ويعد من أهم الكتب التي اشتملت على موضوعات سياسية واجتماعية وثقافية، وقد وصل فيه حتى سنة (1046هـ/1636م) توجد نسخة منه بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء، برقم 137.
- 20- المؤلف نفسه: غاية الأمان في أخبار القطر اليماني، طبع في القاهرة عام (1386هـ/1965م).
- 21- المؤلف نفسه: "بهجة الزمن في تاريخ اليمن. وهو كتاب يقع في ثلاثة أجزاء"، ابتداءً منذ سنة (1046هـ/1636م-1099هـ/1688م) وقد طبع بتحقيق: أمة الغفور الأمير (1429هـ/2008م).
- 22- المؤلف نفسه: "العبر في أخبار من مضى وغبر في تاريخ أقبال حمير". وتوجد نسخة من الكتاب في مكتبة الأصفهية في الهند، برقم 683⁽⁷²⁾.
- 23- ابن مطروح الصنعاني (ت؟ ق11) "مصباح الظلام في أخبار حضرموت وصنعاء اليمن". توجد نسخة من الكتاب في مكتبة حريضة، بحضرموت⁽⁷³⁾.
- 24- عبد الصمد بن إسماعيل الموزعي (ت؟ ق11) "الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت عدالة آل عثمان" كتاب في تاريخ اليمن، في العهد العثماني الأول، منذ 940-1031هـ وقد طبع محققاً (د ت، م؟)⁽⁷⁴⁾.
- 25- عبد الله بن صلاح بن داود بن داغر (ت؟ ق11) "الفتوحات المرادية في الجهات اليمانية"، وهو كتاب في تاريخ اليمن في عهد الوالي العثماني حسن باشا، رتبته على خمس مقدمات وثلاثة عشر باباً، حكم الوالي حسن باشا من سنة 889-1013هـ، وقد طبع (د، م، د، ت؟).
- 26- المؤلف نفسه: "عقد اللآلئ بتحقيق ما سنع في أيام ولاية جعفر باشا من تصاريح الأحوال". أرخ فيه لليمن في عهد الوالي العثماني جعفر باشا (1016-1025هـ) وقد طبع (د، م، د، ت؟)⁽⁷⁵⁾.
- 27- المؤلف نفسه: "نبذة عن تاريخ اليمن". كتاب أرخ فيه لليمن منذ عام 907-962هـ، توجد نسخة منه بمعهد المخطوطات العربية بمصر، رقم 960⁽⁷⁶⁾.

28- عبد الله بن علي المسوري (ت:ق11) "الزهرة المضيئة في الأخبار القاسمية المختصرة من السيرة المطهرية"⁽⁷⁷⁾.

29- مجهول (ت:ق11) "شرف الحسن وفوائد أخبار اليمن". كتاب في أخبار الحسن بن الإمام القاسم⁽⁷⁸⁾.

ثالثاً: جوانب واتجاهات حركة التأليف التاريخي

تعددت جوانب حركة التأليف التاريخي، وتضمنت المؤلفات التاريخية الجوانب السياسية، والجوانب الاقتصادية، والجوانب الاجتماعية، والجوانب الدينية، والجوانب الأدبية والفكرية، والجوانب العلمية؛ ناهيك عن موضوعات خاصة بظواهر طبيعية وفلكية، وكذلك موضوعات خاصة بالعالمين الإسلامي والعربي .

وقد اتسم تناول تلك الجوانب بالاختلاف والتباين؛ فبعض الجوانب تناولتها المؤلفات بصورة رئيسة، كالجانب السياسي على سبيل المثال، في حين أن بعض الجوانب تناولها المؤلفات بصورة ثانوية ضمن جوانب أخرى، وبصورة متناثرة وغير متكاملة؛ وسوف نتناول تلك الجوانب على النحو الآتي:

1- الجانب السياسي

يعد الجانب السياسي أبرز الجوانب التي تناولتها المؤلفات التاريخية، وقد تعددت المؤلفات التاريخية التي تناولت هذا الجانب، وأغلبها يدخل ضمن كتب التاريخ العام . وقد اتسم تناول هذا الجانب بالتوسع، كما أن تناوله كان يتم بصورة رئيسية، في مؤلفات خاصة به، مع مراعاة الاختلاف والتباين في حجم تلك المؤلفات، والفترة التي شملتها . لقد عكست تلك الموضوعات الخاصة بالجانب السياسي، الأوضاع السياسية في اليمن في الفترات التي تناولتها تلك المؤلفات؛ فقد تضمنت موضوعات تعبر عن طبيعة الحكم، والتطورات السياسية آنذاك.

تضمنت المؤلفات التاريخية، موضوعات تتعلق بالحكم؛ فقد تناول بعض المؤلفات سيراً للحكام، وذكر سياساتهم، وأعمالهم، وجهودهم في فرض سيطرة الدولة، ومن المؤلفات التي تناولت عهد الحكام، كتاب "الفتوحات المرادية في الجهات اليمانية" للمؤرخ عبدالله بن داعر، وهو كتاب تناول تاريخ اليمن في عهد الوالي العثماني حسن باشا، وكذلك "كتاب عقد اللآلئ بتحقيق ما سنح في أيام ولاية جعفر باشا من تصارييف الأحوال" للمؤلف نفسه، الذي تناول عهد الوالي العثماني جعفر باشا (1016-1025هـ) (1606-1615م) ⁽⁷⁹⁾.

أما أبرز الأمثلة للمؤلفات التاريخية التي تناولت عهد أئمة حكموا في اليمن، بعد انسحاب العثمانيين منه، سنة (1046هـ / 1636م؛ فهي كُتبت مطهر الجرُموزي، ككتاب "الجوهرة المنيرة في جمل من عيون السيرة المؤيدية" الذي تناول عهد الإمام المؤيد محمد بن الإمام القاسم، المتوفى سنة (1054هـ / 1644م) ⁽⁸⁰⁾ وكذلك كتاب "تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار" الذي تناول سيرة الإمام المتوكل إسماعيل بن الإمام القاسم، المتوفى سنة (1087هـ / 1676م) ⁽⁸¹⁾.

تناولت المؤلفات التاريخية، فضلاً عن الحكام، من ولادة وأئمة، قوى سياسية فاعلة، لعبت أدواراً سياسية مهمة؛ ومن ذلك كتاب "الدر المنثور في سيرة الملك العادل المشهور" للمؤلف محمد بن صلاح الحسني، الذي تناول سيرة الأمير محمد بن الحسن بن الإمام القاسم، المتوفى سنة (1079هـ / 1699م) الذي لعب دوراً مهماً في عهد عمه الإمام المتوكل إسماعيل. وهناك كتاب آخر تناول الشخصية نفسها (محمد بن الحسن) أسماه "أسلاك الدرر" للمؤلف محمد السحولي ⁽⁸²⁾.

لقد تناولت المؤلفات التاريخية، التطورات السياسية، والأحداث؛ من حروب، وكذا منافسات وصراعات سياسية؛ ويمكن تقسيم التطورات السياسية التي تضمنتها المؤلفات، إلى ثلاث مراحل يكمن عرضها على النحو الآتي:

- تطورات سياسية في فترة امتدت من قبل التاريخ الحديث حتى بدايته.
- تطورات سياسة في فترة بداية العصر الحديث حتى، نهاية العهد العثماني الأول (1046هـ / 1636م).

- تطورات سياسية من بداية مرحلة الاستقلال الأول (1046هـ/1636م) حتى نهاية القرن السابع عشر.

من أبرز المؤلفات التي تناولت مرحلة ما قبل العصر الحديث، وامتدت حتى بدايته، وشملت فترة القرن السادس عشر، كتاب "أبناء أبناء الزمن في تاريخ اليمن" للمؤلف يحيى بن الحسين، الذي تناول تاريخ اليمن من وقت متقدم، حتى سنة (1046 هـ/1636 م) كذلك كتاب "اللآلئ المضيئة" للمؤلف أحمد بن محمد الشرفي، الذي تناول فيه تاريخ اليمن منذ ما قبل العصر الحديث، وامتد حتى عام (1046هـ/1636م)⁽⁸³⁾.

أما المؤلفات التي تناولت التطورات السياسية في العهد العثماني الأول (948-1046هـ/1538-1636م) بمفرده، أو فترات محددة منه؛ فأبرزها كتب المؤرخ ابن داعر السابق ذكرها (الفتوحات المرادية في الجهات اليمنية، و"كتاب عقد اللآلئ). ومن المؤلفات الأخرى أيضاً، كتاب "الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت عدالة آل عثمان"، للمؤلف عبد الصمد الموزعي، الذي تناول التطورات في الفترة (940-1031هـ) (1530-1621م)، وكذلك كتاب "روح الروح" للمؤلف عيسى بن لطف الله، الذي تناول الأحداث من (900-1029هـ) إلى (1490-1619م) وكذلك كتاب "الأنفاس اليمنية في الدولة المحمدية" للمؤلف نفسه، الذي تناول الأحداث خلال فترة حكم الوزير محمد باشا (1025-1031هـ) (1615-1621م)⁽⁸⁴⁾.

وأما المؤلفات التي تناولت التطورات السياسية، في بداية عهد الاستقلال الأول، فأبرزها كتب الجرموزي السابق ذكرها (الجوهرة المنيرة، وكتاب "تحفة الأسماع والأبصار) ومن المؤلفات الأخرى، أيضاً، كتاب "النور المشرق في فتح المشرق" للمؤلف أحمد حنش، الذي تناول أحداث التوسع والسيطرة على المناطق الجنوبية والشرقية، في عهد الإمام المتوكل إسماعيل⁽⁸⁵⁾.

هناك مؤلفات شملت التطورات السياسية في عهد حكم ابني الإمام القاسم (المؤيد، والمتوكل) وامتدت لتشمل فترة حكم حفيديه المهدي أحمد بن الحسن (1087هـ/1676م-1092هـ/1681م) المؤيد محمد بن المتوكل إسماعيل (1092هـ/1681م-1097هـ/1686م) ثم بداية حكم إمام من الجيل الثالث، وهو المهدي محمد بن أحمد، حتى نهاية القرن السابع عشر، وأبرز

تلك المؤلفات كتاب "بهجة الزمن" للمؤلف يحيى بن الحسين، الذي تناول الفترة من (1046-1098هـ/ (1688-163 م)⁽⁸⁶⁾.

كان ذلك مجمل الموضوعات السياسية التي تضمنتها المؤلفات التاريخية، ويمكن القول إن تلك الموضوعات أعطت صورة عن الأوضاع السياسية في اليمن حينذاك.

2- الجانب الاقتصادي

تضمنت المؤلفات التاريخية موضوعات عن الجانب الاقتصادي، إلا أنها كانت ترد ضمن الحديث عن موضوعات أخرى بصورة متناثرة، ولم يتم تناولها بصورة رئيسة ومتكاملة. وعلى الرغم من ذلك، فقد تعددت الموضوعات الاقتصادية، التي تناولتها المؤلفات التاريخية، وشملت معظم الجوانب الاقتصادية، فتناولت موضوعات عن الزراعة والأحداث المرتبطة بها، وكذلك تضمنت موضوعات عن التجارة، والأمور المرتبطة بها، وموضوعات عن العملة وأحوالها، كما سترى.

لقد تعددت المؤلفات التي تناولت الجوانب الاقتصادية، ففي مجال الزراعة تضمنت المؤلفات كثيراً من الموضوعات الخاصة بالزراعة والأمور المرتبطة بها، فعلى سبيل المثال، تضمن كتاب "بهجة الزمن" للمؤرخ يحيى بن الحسين موضوعات عن أوضاع الزراعة وكان يذكر الأحداث التي كانت تؤثر في الزراعة، كندرة الأمطار، وكذا انتشار الجراد، التي كان يتكرر ظهورها بين الحين والآخر وكان يترتب عليها كثير من الأضرار الاقتصادية، إذ كانت تأكل كثيراً من المحاصيل الزراعية، ومن ثم تندر المحاصيل، وترتفع أسعارها⁽⁸⁷⁾. وفي الوقت نفسه، كان يحيى بن الحسين، يتحدث عن السنوات التي كان يكثر فيها الأمطار، وكان يتحدث عن زيادة المحاصيل الزراعية، وعن رخص الأسعار⁽⁸⁸⁾.

ومن المؤلفات التي تضمنت مثل هذه الموضوعات الخاصة بالزراعة كتاب "روح الروح" للمؤلف عيسى بن لطف الله، حيث ذكر كثيراً من الموضوعات المتعلقة بالزراعة والأحداث المرتبطة بها⁽⁸⁹⁾.

ومن المؤلفات التي تناولت الموضوعات الزراعية، كتاب الجوهرة المنيرة، للمؤرخ الجرموزي، الذي ذكر الكثير من تلك الأحداث الزراعية، التي كانت تحدث في عهد المؤيد (ت1054هـ/1644م)⁽⁹⁰⁾. وكذلك كتاب (تحفة الأسماع) للجرموزي نفسه؛ الذي رسم لنا الوضع الزراعي في عهد المتوكل إسماعيل (ت1087هـ/1676م)، إذ ذكر كثيراً من أحداث الزراعة والعوامل التي كانت تؤثر عليها آنذاك⁽⁹¹⁾.

تضمنت المؤلفات التاريخية موضوعات عن التجارة؛ فقد ورد في كتاب "بهجة الزمن" للمؤرخ يحيى بن الحسين، ذكر معلومات عن الحركة التجارية، وما كان يحدث لها؛ من قدوم بعض التجار إلى اليمن، ببضائع مختلفة، ويعودون إلى بلادهم أيضاً، ببضائع ثمينة. كما ذكر بعض الأحداث التي كانت تؤثر على التجارة؛ ومن ذلك، تعرض القوافل التجارية لأعمال السلب، كما تضمن موضوعات عن الأسواق، وما كان يحدث فيها من تلاعب في الأسعار، واحتكار لبعض البضائع⁽⁹²⁾.

ومن المؤلفات التاريخية التي ذكرت مثل هذه الأحداث كتاب "روح الروح" للمؤلف عيسى بن لطف الله، الذي تضمن كثيراً من الموضوعات عن التجارة، والأحداث المتعلقة بها⁽⁹³⁾. ومن المؤلفات التاريخية التي تناولت موضوعات عن التجارة، كتاب، الجوهرة المنيرة، للمؤرخ الجرموزي، الذي تعرض لكثير من الأوضاع التجارية، في عهد الإمام المؤيد (ت1054هـ/1644م)⁽⁹⁴⁾ وكذلك كتاب (تحفة الأسماع) للجرموزي، الذي أورد عدداً من الأحداث التجارية، في عهد الإمام المتوكل إسماعيل (ت1087هـ/1676م) ومن ذلك قانون تنظيم التجارة، وتنظيم الأسواق الذي عرف (بقانون صنعاء)⁽⁹⁵⁾.

كما تضمنت المؤلفات، موضوعات عن العملة وأحوالها، فكانت تذكر العملات المتداولة، وأسماءها ودور الضرب، وكثرتها، وكيف كان يؤدي ذلك إلى نقص سعر العملة وتدهورها. والأمثلة على ذلك الموضوعات الخاصة بالعملة، كثيرة، أبرزها كتاب "بهجة الزمن" للمؤلف يحيى بن الحسين الذي تضمن كثيراً من الموضوعات الخاصة بالعملة وأحوالها في القرن السابع عشر⁽⁹⁶⁾. وكذلك كتاب "الجوهرة المنيرة"، للمؤرخ الجرموزي، الذي أورد كثيراً من الأحداث عن العملة

وأحوالها في عهد الإمام المؤيد (ت1054هـ/1644م)⁽⁹⁷⁾. وأيضاً كتاب "تحفة الأسماع والأبصار" للجرموزي نفسه، الذي تضمن ذكر أحوال العملة في عهد المتوكل إسماعيل (ت1087هـ/1676م)⁽⁹⁸⁾.

هذه أمثلة على الموضوعات الاقتصادية التي تضمنتها المؤلفات التاريخية ويمكن القول إن المؤلفات قد رسمت لنا صورة تكون واضحة إلى حد ما، عن الأوضاع الاقتصادية، حينذاك.

3- الجانب الاجتماعي

تضمنت المؤلفات التاريخية كثيراً من الموضوعات الخاصة بالجانب الاجتماعي، وقد شملت تلك الموضوعات أغلب مجالات الجانب الاجتماعي، إذ تضمنت المؤلفات موضوعات تشير إلى طبيعة المجتمع وسماته، فهناك مؤلفات تضمنت موضوعات عن القبائل، والأنساب كما تضمنت، موضوعات عن الأحوال المعيشة، وذكرت كثيراً من الأحداث الاجتماعية؛ مثل أحداث انتشار المجاعات، وأحداث انتشار الأمراض، وأحداث الوفيات؛ وتعد كتب التراجم أكثر المؤلفات التي تعرضت لهذا الجانب.

لقد تضمنت المؤلفات التاريخية، ذكر قبائل وشخصيات اجتماعية، كالمشائخ والأعيان ومن تلك المؤلفات كتاب "الجواهر والدرر في ترجمة الشيخ أبي بكر" للمؤلف أحمد بن عبدالله السوداني، وكذلك كتاب "العتاد المنجي في مناقب الكندي"، للمؤلف علي بن حسين المسوري، وكتاب "المواهب والعطايا والإمداد في مناقب الشيخ عبد الله الحداد"، للمؤلف عبد الله بإسرا حيل. فضلاً عن كتب السير هذه، هناك أمثلة من كتب التراجم، تضمنت شخصيات اجتماعية، ومن ذلك كتاب "الدر الفاخر في تراجم أعيان القرن العاشر" للمؤلف محمد عبد الرحمن باجمال، وكذلك كتاب "المشعر الروي في مناقب السادة بني علوي" للمؤلف محمد الشلي، وكذلك كتاب "الروض الباسم في أنساب آل القاسم الرسمي" للمؤلف إبراهيم بن محمد المؤيدي⁽⁹⁹⁾.

وتضمن بعض التاريخية موضوعات عن أنساب بعض القبائل والأسر، وعمل مشجر لها، ومن تلك المؤلفات كتاب "الأحساب العلية في الأنساب الأهدلية" للمؤلف أبي بكر الأهدل، وكتاب

"مطالع الأنوار في بروج الجمال ببيان الشجرة والمناقب لآل بني جمال" للمؤلف أحمد بن محمد باجمال وكتاب "الصمد الغالي والنسب العالي" للمؤلف عبد القادر الكوكباني، الذي تضمن نسب آل عبد القادر⁽¹⁰⁰⁾.

كما تضمنت ذكر أحداث الوفيات، ومن ذلك كتاب "تاريخ وفيات الأعيان من أهل الزمان" للمؤلف أبي بكر الشلي، وكتاب "وفيات الأكابر في القرن العاشر"، للمؤلف عبد القادر العيدروس. لقد تضمنت المؤلفات التاريخية موضوعات عن الأحوال المعيشة، والأحداث المتعلقة بها، مثل أحداث انتشار المجاعات والقحط وأحداث انتشار الأمراض، ومن ذلك كتاب "روح الروح" للمؤلف عيسى بن لطف الله، الذي ذكر كثيراً من حالات المجاعات والأمراض التي كانت تحدث حين ذاك فعلى سبيل المثال، المجاعة التي حدثت سنة (963هـ/1553م) والمجاعة التي حدثت في سنة (983هـ/1573م) وكذلك المجاعة والأمراض التي انتشرت في عام (1024هـ/1614م)⁽¹⁰¹⁾.

وكذلك كتاب "بهجة الزمن" للمؤلف يحيى بن الحسين، الذي ذكر كثيراً من حالات حدوث المجاعات، وانتشار بعض الأمراض، في بعض السنوات؛ كالمجاعة التي حدثت في عام (1088هـ/1678م)⁽¹⁰²⁾. وفي الوقت نفسه، كان يتحدث عن سنوات الرخاء، وكثرة الأمطار، عندما كانت تحدث⁽¹⁰³⁾.

وتضمن كتاب "بهجة الزمن" للمؤلف يحيى بن الحسين، ذكر معلومات عن انتشار بعض الخرافات والأساطير⁽¹⁰⁴⁾. وذكر يحيى بن الحسين، في كتابه أنف الذكر، معلومات عن العادات والتقاليد، التي كانت تمارس في المجتمع، مثل استعمال التبغ (التتن)، وأيضاً عادات شرب القهوة والبن اليمني. كما كان يتحدث، أحياناً، عن الصفات التي تتصف بها القبائل اليمنية، مثل الشجاعة والكرم، وغيرها⁽¹⁰⁵⁾. وتضمن الكتاب نفسه معلومات عن بعض المدن ومظاهر الحياة فيها، وأبرزها مدينة صنعاء، حيث ذكر معلومات عن المدينة، من حيث أسواقها ومساجدها وحراراتها، وأسماء كثير من الغيول فيها⁽¹⁰⁶⁾.

ومن المؤلفات التاريخية التي تعرضت لتلك الأوضاع الاجتماعية كتاب، تحفة الأسماع، للجرموزي، فقد ذكر كثيراً من الأحداث الاجتماعية، ومن ذلك، ذكره لكثير من القبائل التي برزت

حينذاك⁽¹⁰⁷⁾، وكذلك ذكر ظاهرة السحر والشعوذة⁽¹⁰⁸⁾، كما تعرض لأحداث انتشار الأوبئة والأمراض، فقد ذكر مثلا، انتشار مرض الجذام في نواحي صعدة عام (1063هـ/ 1652م)⁽¹⁰⁹⁾.
هذه نبذة عن الموضوعات الاجتماعية التي تضمنتها المؤلفات، ويمكن القول إنها قد عكست في مجملها معالم الوضع الاجتماعي حينذاك.

- البناء والعمارة

من الموضوعات التي تضمنتها المؤلفات التاريخية، موضوعات عن البناء والعمران، فقد كانت المؤلفات في العادة تذكر المدن التي كان يؤسسها الأئمة والولاة، وكذلك كانت تذكر بناء المساجد وإصلاحها وتوسيعاتها، والمدارس العلمية، والمرافق الحكومية. وكان معظم المؤلفات التاريخية، يتعرض للبناء والعمران، فعلى سبيل المثال، نجد الجرموزي يتحدث كثيرا عن البناء والعمران، ففي كتابه، تحفة الأسماع، تعرض للبناء والعمران، في عهد المتوكل إسماعيل، فتحدث عن بناء مدينة ضوران، وكذلك المباني العمرانية التي كان يشيدها الأمراء في المدن الأخرى⁽¹¹⁰⁾. وعموما لا يتسع المجال هنا لذكر كل ما ذكر عن البناء والعمران، فيعد هذا الجانب من أبرز الجوانب التي كانت المؤلفات التاريخية تتعرض له.

4- الجانب الديني

تضمنت المؤلفات التاريخية موضوعات عن الجانب الديني، وقد وردت تلك الموضوعات، في بعض المؤلفات بشكل متوسع نسبياً، في حين وردت في أكثر المؤلفات، بقدر محدود وبصورة متناثرة، وعلى الرغم من ذلك فقد شملت تلك الموضوعات أغلب الجوانب الدينية. فقد تضمنت المؤلفات موضوعات تعبر عن مكانة الدين في المجتمع، ومستوى الوعي الديني، وتضمنت كذلك ذكر كثير من الشخصيات الدينية، من علماء وفقهاء ومفتين وخطباء، وكذلك ذكرت كثيرا من المؤسسات الدينية، كالمساجد والمدارس الدينية، كما تضمنت ذكر بعض المذاهب الإسلامية، وتعرضت لكثير من المسائل الدينية وآراء الفقهاء فيها.

اتسم المجتمع اليمني بأنه مجتمع متدين، ويحتل الدين مكانة كبيرة فيه، وقد وردت في المؤلفات معلومات تؤكد ذلك؛ فعلى سبيل المثال، نجد أن بعض المؤلفين أنفسهم، كانوا يفسرون بعض الأحداث، التي كانت تحدث في المجتمع حينذاك من وجهة نظر دينية، وكانوا يردون تلك الأحداث إلى القدرة الإلهية، وأبرز مثال على ذلك، المؤرخ يحيى بن الحسين الذي أورد في كتابه "بهجة الزمن" كثيراً من المناقشات وتعليقات بعض الأحداث، تعليلاً وتفسيراً من منطلق ديني⁽¹¹¹⁾. كما ذكر في كتابه المذكور آنفاً، معلومات تعبر عن مستوى الوعي الديني، فنجد مثلاً يذكر كرامات لبعض الأولياء⁽¹¹²⁾؛ وقد تكررت هذه السمة عند كثير من المؤلفين، إذ إن معظم الذين كتبوا سيراً للأئمة، قد نسبوا إليهم كثيراً من الكرامات؛ والأمثلة على ذلك كثيرة، نذكر منهم محمد بن الفضل، الذي ذكر في كتابه "السلوك الذهبية" كثيراً من الكرامات للإمام يحيى شرف الدين⁽¹¹³⁾.

وكذلك الجرموزي، في كتابه الجوهرة المنيرة، الخاص بسيرة الإمام المؤيد، وكذلك في كتابه، تحفة الأسماع الخاص بسيرة الإمام المتوكل إسماعيل، أحاط الإمامين المذكورين بكثير من مظاهر التقديس⁽¹¹⁴⁾. وتجدر الإشارة إلى أنه لا يتسع المجال لحصر المؤلفين الذين ذكروا كرامات للأئمة والصالحين؛ فهذه كانت سمة شائعة عند معظم كتاب سير الأئمة.

لقد تضمنت المؤلفات التاريخية ذكر العديد من الشخصيات الدينية (فقهاء ومفتين، وخطباء، ومفسرين) والأمثلة على ذلك كثيرة؛ منها كتاب "مطلع البدور ومجمع البحور"، وكذلك كتاب "تيسير الإعلام بتراجم تراجمة التفسير الأعلام"، للمؤلف أحمد بن صالح بن أبي الرجال، وكذلك كتاب "برد النعيم في نسب الأنصار خطباء تريم"، للمؤلف محمد بن عبد الملك بن عبد الله الخطيب، وكذلك كتاب "نسمات الأسرار بذكر أولياء الله الأخيار"، للمؤلف أحمد الحكمي، وكتاب، المستطاب، ليحيى بن الحسين⁽¹¹⁵⁾.

تضمن بعض المؤلفات ذكر المؤسسات الدينية، كالمساجد والمدارس الدينية، وكانت العادة تذكر بناءها وحلقات الذكر فيها، ومن ذلك كتاب "السلوك الذهبية" للمؤلف محمد بن الفضل، الذي ذكر المدرسة والجامع اللذين بناهما الإمام المتوكل يحيى شرف الدين، في صنعاء⁽¹¹⁶⁾.

وكذلك كتاب "روح الروح" للمؤلف عيسى بن لطف الله، الذي ذكر عدداً من المساجد والمدارس الدينية، أبرزها جامع البكيرية، الذي بناه الوالي حسن باشا في صنعاء⁽¹¹⁷⁾. كما تضمن بعض المؤلفات ذكر بعض المذاهب الإسلامية، وأماكن وجودها في العالم الإسلامي، وكذا بعض الفرق الدينية، ومن ذلك كتاب "المقصد الحسن والمسلك الواضح السنن" لأحمد بن حابس الصعدي، الذي تضمن تاريخ الزيدية، وبيان مذهبهم وفقههم، وأئمتهم وآرائهم الفقهية، ومصنفاتهم. وتضمنت المؤلفات أيضاً كثيراً من المسائل الدينية وآراء الفقهاء فيها، وبعض المؤلفات تضمنت مجموعة كبيرة من الفتاوى الدينية، وعمل تراجم لأصحاب تلك الفتاوى، ومن تلك المؤلفات كتاب "شافية المدموغين في الرد على أصحاب الدوامغ" للمؤلف علي بن محمد الشهاري، الذي تضمن كثيراً من الفتاوى الدينية وذكر أصحابها؛ وكذلك كتاب "التحقيق في الخبر المصون بالتصديق" للمؤلف أحمد بن محمد باجمال؛ والذي تضمن فتاوى آل طه⁽¹¹⁸⁾.

ومن المؤلفات التي تعرضت للموضوعات الدينية، كتاب تحفة الأسماع، للجرموزي، الذي ذكر معلومات عن المذاهب، والفرق الدينية، فقد ذكر، مثلاً، الطائفة الإسماعلية، وتصدي الإمام المتوكل لها⁽¹¹⁹⁾. هذه الموضوعات الدينية التي تضمنتها المؤلفات، أعطت صورة عامة عن الوضع الديني آنذاك.

5- الجانب الأدبي والفكري

تضمنت المؤلفات التاريخية، موضوعات خاصة بالجانب الأدبي والفكري، وذكرت شخصيات أدبية وفكرية (أدباء، شعراء، مؤلفين) وكذلك بعض القصص التاريخية والأدبية، كما ذكرت كثيراً من القصائد الشعرية، وتضمنت ذكر كثير من المؤلفات الفكرية المتنوعة.

لقد تضمنت المؤلفات التاريخية ذكر عدد كبير من الشخصيات الأدبية والفكرية، وذكر نماذج من أعمالهم الأدبية والفكرية؛ والأمثلة على ذلك كثيرة، وسنذكر بعض الأمثلة، منها كتاب "مطلع البدور ومجمع البحور" للمؤلف أحمد بن أبي الرجال، الذي احتوى على حوالي (1300) ترجمة معظمها شخصيات أدبية، وكذلك كتاب "السناء الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر" وكذا كتاب "عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر" للمؤلف محمد بن أبي

بكر الشلي⁽¹²⁰⁾. وتضمن بعض المؤلفات قصصاً تاريخية، مثل قصص الرحلات، ومن ذلك كتاب "رحلة الحبشة" للمؤلف الحسن بن أحمد الحيمي، الذي كتب قصة رحلته التي قام بها إلى الحبشة في عام (1057هـ/1627م) باعتباره مندوباً للإمام المتوكل إسماعيل، وقد كتب الحيمي تفاصيل تلك الرحلة وسجل ما شاهد فيها. وهناك كتاب آخر تضمن أحداث رحلة، وهو كتاب "رحلة الشيخ يوسف بن عابد" للمؤلف يوسف بن عابد المغربي⁽¹²¹⁾.

تضمنت المؤلفات التاريخية كثيراً من القصائد الشعرية، والأمثلة على ذلك كثيرة، ومن ذلك كتاب "السلوك الذهبية" للمؤلف محمد بن إبراهيم المفضل⁽¹²²⁾، بل إن بعض المؤلفات كُتبت على شكل أراجيز شعرية، ومن ذلك كتاب "الصمد الغالي في النسب العالي"، للمؤلف عبد القادر الكوكباني⁽¹²³⁾. ولعل أبرز ما تضمنته المؤلفات التاريخية، من أعمال أدبية وفكرية، يمثل عدداً كبيراً من المؤلفات الفكرية المتنوعة، وقد كان ذكر تلك المؤلفات يرتبط بترجمة صاحبها أو مؤلفها، لذلك كانت كتب التراجم والسير أهم الكتب التي تضمنت ذكر المؤلفات ومن تلك الكتب: "كتاب مطلع البدور ومجمع البحور" السالف الذكر، وكتاب "التعريف بجملة من أهل العلم والتصنيف" للمؤرخ يحيى بن الحسين⁽¹²⁴⁾، وغيرهما.

ومن المؤلفات التي تعرضت للجانب الأدبي والفكري، كتاب تحفة الأسماع، للجرموزي، حيث تضمن ذكر موضوعات عن أحوال الأدب والشعر وازدهارهما، وكذلك ذكر كثير من الأدباء والشعراء، والمفكرين، الذين كانت لهم أدوار بارزة في تقدم الحياة الأدبية والفكرية، حينذاك⁽¹²⁵⁾. هذه نبذة عن الموضوعات الأدبية والفكرية، التي تضمنتها المؤلفات التاريخية، التي يمكن القول إنها عبرت، إلى حد ما، عن الأوضاع الأدبية والفكرية، التي اتسمت بالازدهار حينذاك.

6- الجانب العلمي

تضمنت المؤلفات التاريخية موضوعات عن الجانب العلمي، وعلى الرغم من أن المعلومات الخاصة بهذا الجانب، كغيره من الجوانب، كانت ترد ضمن المؤلفات بصورة متناثرة، إلا أن تلك المعلومات اتسمت بالكثرة وشملت معظم جوانب الحياة العلمية؛ فقد تضمنت المؤلفات ذكر كثير

من العلماء، على مختلف مشاربهم العلمية؛ وتعد كتب التراجم أكثر المؤلفات ذكراً للعلماء، ومن تلك المؤلفات، كتاب "مطلع البدور ومجمع البحور" للمؤلف أحمد بن أبي الرجال، وكتاب "المستطاب في طبقات علماء الزيدية الأقطاب"، للمؤلف يحيى بن الحسين، وكتاب "التعريف بجملة من أهل العلم والتصنيف" للمؤلف نفسه⁽¹²⁶⁾.

كما تضمنت المؤلفات التاريخية ذكر مؤلفات علمية، في مختلف العلوم، التي كانت سائدة حينذاك، ومن أهمها: الحديث، والفقه، والتفسير، وأصول الدين، والتاريخ، والطبقات والتراجم، والأمثلة كثيرة على تلك المؤلفات، أبرزها كتاب: "مطلع البدور، وكتاب المستطاب، وكتاب التعريف بجملة من أهل العلم والتصنيف" وغيرها.

كما أنها قد تطرقت إلى موضوعات عن التعليم، والمدارس العلمية، وكذا القائمين بالتعليم (مشائخ العلم، أو المعلمين) ومن تلك المؤلفات كتاب "السلوك الذهبية" للمؤلف محمد بن المفضل، الذي ذكر المدرسة العلمية التي بناها الإمام المتوكل يحيى شرف الدين، في صنعاء⁽¹²⁷⁾، وكذلك كتاب "روح الروح" للمؤلف عيسى بن لطف الله، الذي ذكر عدداً من المدارس العلمية التي أسسها الولاة العثمانيون في اليمن التي من أهمها مدرسة البكيرية، التي بناها الوالي حسن باشا في صنعاء⁽¹²⁸⁾.

ومن المؤلفات التي ذكرت مشائخ العلم، القائمين بالتعليم كتاب "فتح الرضاء في نشر العلم والاهتداء" وكذلك كتاب "النسمة السحرية" للمؤلف محمد السحولي⁽¹²⁹⁾.

وكتاب تحفة الأسماع والأبصار، للجرموزي، الذي تحدث عن ازدهار الحياة العلمية في عهد المتوكل إسماعيل، وذكر كثيراً من المدارس العلمية، التي تم إنشاؤها، وكذلك التي تم إصلاحها آنذاك، كما ذكر كثيراً من مشائخ العلم، الذين برزوا في تلك الفترة⁽¹³⁰⁾.

هذه مجمل الموضوعات الخاصة بالجانب العلمي، التي تضمنتها المؤلفات التاريخية، ويمكن

القول إنها أعطت صورة عامة عن الوضع العلمي حينذاك.

7- موضوعات خاصة بظواهر طبيعية وفلكية

احتوت المؤلفات التاريخية على موضوعات خاصة بظواهر طبيعية وفلكية، إذ كان تدوين الظواهر الطبيعية والفلكية سمة من سمات التاريخ حينذاك مثل: الأمطار، والزلازل، والبراكين، والخسوف، والكسوف.

ومن المؤلفات التاريخية التي اهتمت بذكر تلك الظواهر، كتاب "بهجة الزمن" للمؤلف يحيى بن الحسين، الذي ذكر كثيراً من أحداث تلك الظواهر، ومن ذلك أنه اهتم بذكر الأمطار وتبع سقوطها، وكان يصفها من حيث، غزارتها أو ندرتها، وسنوات الجفاف، ثم كان يذكر الآثار التي كانت تترتب على ذلك، سواء أكانت إيجابية أم سلبية، مثل حدوث دمار وخراب، وتهدم لبعض المنازل، نتيجة لغزارة الأمطار، أو حدوث حالات جفاف وقحط، وارتفاع أسعار المحاصيل الزراعية نتيجة لندرة الأمطار⁽¹³¹⁾. وقد تضمن الكتاب نفسه "بهجة الزمن" ذكر حالات حدوث البراكين والزلازل، ومن ذلك ذكر حدوث بركان في المخا، وكذا الزلازل التي وقعت في ضوران، والزلازل التي وقعت في ريمة، ووصاب، وحراز⁽¹³²⁾. وقد تضمن كتاب "بهجة الزمن" معلومات عن ظواهر فلكية، فقد تتبع تقريباً أحداث الخسوف والكسوف وكذلك ذكر معلومات عن سير النجوم واقترائها ببعضها، والأمثلة على ذلك كثيرة⁽¹³³⁾.

ومن المؤلفات التاريخية التي تضمنت ذكر ظواهر طبيعية وفلكية كتاب "روح الروح" للمؤلف عيسى بن لطف الله، الذي ذكر كثيراً من حالات حدوث تلك الظواهر، فقد ذكر كثيراً من أحداث سقوط الأمطار وكان في العادة يذكر كميتها (غزيرة أو قليلة)، ويذكر الأضرار والفوائد التي كانت تترتب عليها⁽¹³⁴⁾. وذكر كثيراً من حالات وقوع الزلازل، مثل الزلزال الذي حدث في زبيد عام (916هـ/1506م) وذكر كثيراً من أحداث الكسوف والخسوف، فعلى سبيل المثال، ذكر حدوث خسوف للقمر عام (910هـ/1500م) وكسوف للشمس عام (976هـ/1566م)⁽¹³⁵⁾.

ومن المؤلفات التي تضمنت ذكر ظواهر طبيعية وفلكية كتاب تحفة الأسماع للجرموزي، فقد ذكر مواسم سقوط الأمطار، وكان يصفها من حيث كميتها، وغزارتها، كما ذكر ما كان يحدث

من اشتداد هبوب الرياح، وكذلك حدوث الصواعق، والزلازل، وغيرها من الظواهر التي كانت تحدث في تلك الفترة⁽¹³⁶⁾.

لقد تكرر ذكر مثل هذه الظواهر الطبيعية، حتى يمكن القول إن المؤلفين كانوا يتبعونها حيثما وقعت.

8- موضوعات خاصة بالعالمين الإسلامي والعربي

ناقشت المؤلفات التاريخية موضوعات عن العالمين الإسلامي والعربي، متطرفة إلى بعض الأوضاع السياسية والاقتصادية والدينية والعلمية، وكانت الدولة العثمانية والحجاز، أهم البلدان الإسلامية التي كانت المؤلفات تتضمن أخباراً عنهما. وقد اهتم المؤرخون بأخبار الدولة العثمانية أكثر من غيرها، لأنها كانت تمثل مركز القوة في العالم الإسلامي آنذاك، وبها مقر الخلافة الإسلامية، أما الحجاز فقد كان الاهتمام بها بسبب وضعها، ووجود الأماكن المقدسة بها، وقرنها من اليمن.

من المؤلفات التي تناولت موضوعات عن الحجاز، كتاب "تاريخ ولاية مكة" للمؤلف محمد الشلي، وكذلك كتاب "ذيل تاريخ المدينة المنورة" للمؤلف أحمد باعنتر، وكذلك كتاب "شرح الصدر في أسماء أهل بدر" للمؤلف أحمد الشافعي⁽¹³⁷⁾. هذه مؤلفات تناولت تاريخ مكة والمدينة بشكل رئيسي، في كتب متكاملة. غير أن هناك مؤلفات أخرى تناولت موضوعات عنهما، ضمن مؤلفات تناولت تاريخ اليمن، ومن تلك المؤلفات كتاب "بهجة الزمن" للمؤلف يحيى بن الحسين، الذي تتبع أوضاع الحجاز، خاصة أخبار الحج، وكيف كان في كل عام، كما اهتم بذكر الأوضاع السياسية في الحجاز، وما كان يحدث من خلافات وحروب بين أشرافها، والولاة العثمانيين، كما كان يذكر بعض الأوضاع الاقتصادية في مكة، مثل: سنوات الجفاف والقحط⁽¹³⁸⁾.

أما بالنسبة إلى الدولة العثمانية، فقد ذكر بعضها من أوضاعها السياسية، وحسب ما كان يصل إليه من أخبار، فقد اهتم بذكر الحروب التي كانت تحدث بين الدولة العثمانية والفرنج (على حد تعبير المؤرخ)، واهتم بذكر الانتصارات التي كانت تحققها الدولة العثمانية، وكان في

بعض الأحيان يتكلم عن السلاطين العثمانيين، وكذا وزراء السلطنة، في مصر، ودمشق،
والعراق⁽¹³⁹⁾.

وفضلاً عن ذكر أخبار عن الدولة العثمانية والحجاز، فقد وردت معلومات عن بعض
الأقطار الإسلامية الأخرى، أبرزها عُمان، حيث كان يذكر الحروب التي كانت تحدث بينهم وبين
البرتغاليين (حسب ما كان يصل إليه) كما ذكر معلومات عن العلاقات اليمنية العمانية، كما ذكر
أخباراً عن بلاد الشام والعراق ومصر، وبلاد فارس، والمغرب، والهند، وبخارى، وقندهار،
وسمرقند، والصين، وغيرها⁽¹⁴⁰⁾.

من المؤلفات التاريخية التي تضمنت موضوعات عن العالمين الإسلامي والعربي كتاب "روح
الروح" للمؤلف عيسى بن لطف الله، فقد تضمن معلومات عن الدولة العثمانية، مثل ذكر
أحداث تولي السلاطين، وذكر وفياتهم، فعلى سبيل المثال، حادثة وفاة السلطان سليمان بن سليم
سنة 974هـ/1564م، وكذلك ذكر حادثة وفاة السلطان سليم بن سليمان، وحادثة تولي السلطان
مراد الحكم، بعد وفاة السلطان سليم، سنة (982هـ/1572م)⁽¹⁴¹⁾. كذلك ذكر أخبار عن حروب
كانت تحدث بين الدولة العثمانية والمتمردين عليها، في أطراف آسيا الصغرى سنة (1004هـ/
1596م)⁽¹⁴²⁾.

أما بالنسبة إلى الحجاز فقد ذكر أخباراً عن الحج، وموسم الحج، وكيف كان عام
(906هـ/1497م)، وكذا ذكر ما كان يحدث من منافسات بين أشرف مكة أنفسهم، وما كان
يحدث من خلافات مع الدولة المملوكية، في أواخر عهدها، ثم ما كان يحدث من خلافات بينهم
وبين الدولة العثمانية⁽¹⁴³⁾. وقد تضمن الكتاب "روح الروح" أخباراً عن الأندلس واستيلاء
"الفرنجية" عليها (912هـ/1502م)⁽¹⁴⁴⁾. ومن المؤلفات التي ذكرت أحداثاً عن العالم الإسلامي،
كتاب "السلوك الذهبية" للمؤلف محمد بن المفضل، الذي ذكر أحداثاً عن الدولة المملوكية،
وخاصة سقوطها وسيطرة العثمانيين على مصر⁽¹⁴⁵⁾.

الخاتمة:

من خلال دراستنا لموضوع "حركة التأليف التاريخي في اليمن في القرن الحادي عشر

الهجري/ السابع عشر الميلادي" تم التوصل إلى عدد من النتائج، يكمن أن نوجزها في الآتي:

- ازدهرت حركة التأليف التاريخي في اليمن خلال الحقبة المدروسة، تبعاً لعدد من العوامل.
- ظهر عدد كبير من المؤرخين، في الفترة الخاصة بالبحث، فوصل عددهم إلى نحو (56) مؤرخاً وبلغت مؤلفاتهم التاريخية نحو (96) مؤلفاً.
- تباينت المؤلفات التاريخية، سواء من حيث طرقها وأساليبها، أم من حيث أشكالها وأحجامها.
- معظم المؤلفات اتبع أسلوب الحوليات (حسب السنين) في تناولها للأحداث، في حين أن عدداً قليلاً منها، اتبع أسلوب الموضوع.
- ظهرت المؤلفات في هيئة كتب مختلفة الحجم، فبعضها كبير الحجم، يقع في عدة أجزاء، وبعضها متوسط الحجم، والبعض الآخر صغير الحجم.
- تنوعت المؤلفات التاريخية من حيث امتدادها وشموليتها، فبعض المؤلفات تناول فترة طويلة، وبعضها تناول فترة متوسطة، وبعضها تناول فترة قصيرة؛ كما أن معظم المؤلفات تناول اليمن بكامله، في حين أن بعضها اقتصر على مناطق معينة.
- انقسمت مجالات حركة التأليف، إلى ثلاثة أقسام هي: كتب التراجم، كتب السير، كتب التاريخ العام.
- تضمنت المؤلفات عدداً من الجوانب كالجوانب السياسية، والجوانب الاقتصادية، والجوانب الاجتماعية، والجوانب الدينية، والجوانب الأدبية والفكرية، والجوانب العلمية، فضلاً عن موضوعات خاصة بظواهر طبيعية وفلكية، وكذلك موضوعات خاصة بالعلمين الإسلامي والعربي.

الهوامش والإحالات:

- 1) أمثال سيد مصطفى سالم، وحسين بن عبدالله العمري.
- 2) سيد مصطفى سالم، المؤرخون اليمنيون في العهد العثماني الأول. القاهرة، د. د. ط. 1971م، ص7.
- 3) نفسه، ص11.
- 4) أحمد عبدالله حنش، النور المشرق في فتح المشرق وما به الحق، تحقيق عبدالله الحبشي، دون بيانات.
- 5) محمد بن إبراهيم المفضل، السلوك الذهبية خلاصة السيرة المتوكلية، دون بيانات.
- 6) حسين بن عبدالله العمري، المؤرخون اليمنيون في العصر الحديث، دار الفكر، دمشق، د. ط. 1988م، ص48.
- 7) ينظروصف الكتب في العنوان الخاص بمجالات الحركة وأقسام المؤلفات.
- 8) ينظروصف الكتب في العنوان الخاص بمجالات الحركة وأقسام المؤلفات.
- 9) عبدالله محمد الحبشي، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن، المجمع الثقافي، أبوظبي، ط4، 2004م، ص520.
- 10) نفسه، ص511
- 11) حسين عبدالله العمري، المؤرخون اليمنيون في العصر الحديث، ص7.
- 12) عبدالله الحبشي، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن، ص515.
- 13) نفسه، ص511.
- 14) نفسه، ص512.
- 15) عبدالسلام عباس الوجيه، أعلام المؤلفين الزيدية، مؤسسة الإمام زيد، صنعاء، ط1، 1999م، ص25.
- 16) عبدالله الحبشي، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن، ص512؛ حسين العمري، المؤرخون اليمنيون في العصر الحديث، ص27.
- 17) حسين العمري، المؤرخون اليمنيون في العصر الحديث، ص37، عبدالسلام الوجيه.. أعلام المؤلفين الزيدية، ص1031.
- 18) عبدالله الحبشي، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن، ص513.
- 19) حسين العمري، المؤرخون اليمنيون في العصر الحديث، ص47، محمد بن محمد زيارة، ملحق البدر الطالع، ص223.
- 20) عبدالله العمري، المؤرخون اليمنيون في العصر الحديث، ص47، محمد بن علي الشوكاني، البدر لطلاع بمحاسن من بعد القرن السابع. تحقيق حسين العمري، دار الفكر، دمشق، د. ط. 1988م، ص144.

- (21) عبدالله الحبشي، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن، ص514، عبدالسلام الوجيه، أعلام المؤلفين الزيدية، ص536، محمد بن محمد زيارة. نشر العرف لنبلأ اليمن بعد الألف، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث، 2010م، ط2، ج2، ص33.
- (22) عبدالله الحبشي، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن، ص514.
- (23) نفسه، ص515.
- (24) نفسه، ص510.
- (25) عبدالسلام الوجيه، أعلام المؤلفين الزيدية، ص61.
- (26) عبدالله الحبشي، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن، ص516.
- (27) عبدالسلام الوجيه، أعلام المؤلفين، ص556.
- (28) نفسه، ص118، عبدالله العمري، المؤرخون اليمنيون، ص45، كتاب مطلع البذور.
- (29) عبدالسلام الوجيه، أعلام المؤلفين، ص118..
- (30) عبدالله الحبشي، مصادر الفكر، ص517.
- (31) نفسه، ص518.
- (32) نفسه، ص520، عبدالله العمري، المؤرخون اليمنيون، ص56.
- (33) عبدالله الحبشي، مصادر الفكر، ص520.
- (34) نفسه، ص519.
- (35) نفسه، ص520.
- (36) نفسه، ص520.
- (37) نفسه، ص520.
- (38) نفسه، ص510.
- (39) نفسه، ص510.
- (40) نفسه، ص510.
- (41) نفسه، ص510.
- (42) نفسه، ص511.
- (43) نفسه، ص512.
- (44) نفسه، ص511.
- (45) نفسه، ص518؛ حسين العمري، المؤرخون اليمنيون، ص51.
- (46) الوجيه، أعلام المؤلفين، ص1035، حسين العمري، المؤرخون اليمنيون، ص43.
- (47) عبدالله الحبشي، مصادر الفكر، ص516.
- (48) محمد المفضل، السلوك الذهبية..

- (49) عبدالسلام الوجيه، أعلام المؤلفين، ص 719.
- (50) عبدالله الحبشي، مصادر الفكر، ص 521.
- (51) نفسه، ص 521.
- (52) نفسه، ص 519.
- (53) نفسه، ص 519.
- (54) نفسه، ص 520.
- (55) نفسه، ص 510، حسين العمري، المؤرخون اليمنيون، ص 38.
- (56) عبدالسلام الوجيه، أعلام المؤلفين، ص 137.
- (57) عبدالله الحبشي، مصادر الفكر، ص 511.
- (58) حسين العمري، المؤرخون اليمنيون، ص 26؛ عبدالقادر بن شيخ العيدروس، النور السافر في أخبار القرن العاشر، دون ناشر، بغداد، 1934م.
- (59) عبدالله الحبشي، مصادر الفكر، ص 514.
- (60) عبدالسلام الوجيه، أعلام المؤلفين، ص 739، عيسى بن لطف الله شرف الدين، روح الروح.
- (61) عبدالسلام الوجيه، أعلام المؤلفين، ص 739.
- (62) عبدالله الحبشي، مصادر الفكر، ص 521.
- (63) عبدالسلام الوجيه، أعلام المؤلفين، ص 171، حسين العمري، المؤرخون اليمنيون، ص 44.
- (64) عبدالله الحبشي، مصادر الفكر، ص 513.
- (65) نفسه، ص 514.
- (66) نفسه، ص 514.
- (67) عبدالسلام الوجيه، أعلام المؤلفين، ص 1035.
- (68) عبدالله الحبشي، المرجع نفسه، ص 514، حسين العمري، المرجع نفسه، ص 50.
- (69) عبدالسلام الوجيه، المرجع نفسه، ص 704.
- (70) عبدالله الحبشي، المرجع نفسه، ص 520.
- (71) نفسه، ص 516.
- (72) نفسه، ص 34.
- (73) عبدالسلام الوجيه، المرجع نفسه، ص 1030.
- (74) سيد مصطفى سالم، المؤرخون اليمنيون، ص 55.
- (75) نفسه، ص 39.
- (76) عبدالله الحبشي، المرجع نفسه، ص 517.
- (77) نفسه، ص 519.

- (78) نفسه، ص 510.
- (79) سيد مصطفى سالم، المرجع نفسه، ص39
- (80) مطهر بن محمد الجرموزي، الجوهرة المنيرة في جمل من عيون السيرة المؤيدية، تحقيق: أمة الملك الثور، مؤسسة الإمام زيد، صنعاء، ط1، 1429هـ / 2008م.
- (81) المؤلف نفسه، تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار، تحقيق: عبدالحكيم الهجري، مؤسسة الإمام زيد، صنعاء، مركز النهاري للطباعة، صنعاء، ط1، 1423هـ / 2002م.
- (82) عبدالله الحبشي، مصادر الفكر، ص521.
- (83) نفسه، ص517.
- (84) نفسه، ص 512-520.
- (85) نفسه، ص 513
- (86) نفسه، 518.
- (87) يحيى بن الحسين بن القاسم، بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تحقيق: أمة الغفور الأمير، مؤسسة الإمام زيد، صنعاء، 2008م، ط1، ج 2، ص 300، 350، وغيرها.
- (88) نفسه، ص 320، 370، وغيرها.
- (89) عيسى بن لطف الله، روح الروح، ص 151، 195، 220.
- (90) مطهر الجرموزي، الجوهرة المنيرة، ص 300، 340، وغيرها.
- (91) نفس المؤلف، تحفة الأسماع والأبصار، ص490، وغيرها
- (92) يحيى بن الحسين، المصدر نفسه، ص397، 399.
- (93) عيسى بن لطف، المصدر نفسه، ص 260.283.
- (94) مطهر الجرموزي، الجوهرة المنيرة، ص320، 340، وغيرها
- (95) مطهر الجرموزي، تحفة الأسماع والأبصار، ص 520.
- (96) يحيى بن الحسين، المصدر نفسه، ص 396.
- (97) مطهر الجرموزي، الجوهرة المنيرة، ص 330، 350، وغيرها
- (98) مطهر الجرموزي، تحفة الأسماع والأبصار، ص 302-305.
- (99) عبدالله الحبشي، المرجع نفسه، ص 510-520.
- (100) نفسه، ص 515-518.
- (101) عيسى بن لطف الله، المصدر نفسه، ص 151، 196، 283.
- (102) يحيى بن الحسين، المصدر نفسه، ص 327، 401، 427.
- (103) نفسه، صفحات، ص 340، 370، وغيرها.
- (104) نفسه، ص 327، 401، 427.

- 105) نفسه، ص 390، 400، وغيرها.
- 106) نفسه، ص 331.
- 107) مطهر الجرموزي، تحفة الأسماع والأبصار، ص 399.
- 108) نفسه، ص 500.
- 109) نفسه، ص 485.
- 110) نفسه، ص 483.
- 111) يحيى بن الحسين، بهجة الزمن، ص 401، 420.
- 112) نفسه، ص 307.
- 113) محمد بن إبراهيم المفضل، السلوك الذهبية، ص 14-18.
- 114) مطهر الجرموزي، الجوهرة المنيرة، وتحفة الأسماع والأبصار.
- 115) عبد الله الحبشي، المرجع نفسه، ص 512-520.
- 116) محمد بن إبراهيم المفضل، المصدر نفسه، ص 60.
- 117) عيسى بن لطف الله، روح الروح، ص 224.
- 118) عبد الله الحبشي، المرجع نفسه، ص 516-519.
- 119) مطهر الجرموزي، تحفة الأسماع والأبصار، ص 310.
- 120) عبد الله الحبشي، المرجع نفسه، ص 516-517.
- 121) نفسه، ص 511.
- 122) محمد بن إبراهيم المفضل، المصدر نفسه، ص 100، 120، وغيرها.
- 123) عبد الله الحبشي، المرجع نفسه، 517.
- 124) نفسه، ص 517-518.
- 125) مطهر الجرموزي، تحفة الأسماع والأبصار، ص 502.
- 126) عبد الله الحبشي، المرجع نفسه، ص 516-520.
- 127) محمد بن إبراهيم المفضل، المصدر نفسه، ص 60.
- 128) عيسى بن لطف الله، المصدر نفسه، ص 224.
- 129) عبد الله الحبشي، المرجع نفسه، ص 512-518.
- 130) مطهر الجرموزي، تحفة الأسماع والأبصار، ص 484.
- 131) يحيى بن الحسين، المصدر نفسه، ص 343.
- 132) نفسه، ص 428، 558.
- 133) نفسه، ص 500، 530، وغيرها.
- 134) عيسى بن لطف الله، المصدر نفسه، ص 151، 155، 196، 220.

- (135) المصدر نفسه، ص 23، 168.
- (136) مطهر الجرموزي، تحفة الأسماع والأبصار، ص 475.
- (137) عبد الله الحبشي، المرجع نفسه، ص 516، 517، 520.
- (138) يحيى بن الحسين، المصدر نفسه، ص 517، 558.
- (139) نفسه، ص 398، 418.
- (140) نفسه، ص 410، 440، وغيرها.
- (141) عيسى بن لطف الله، روح الروح، ص 158، 195.
- (142) نفسه، ص 223.
- (143) نفسه، ص 17- 18.
- (144) نفسه، ص 17، 144.
- (145) محمد بن إبراهيم المفضل، السلوك الذهبية، ص 17.



الذكاء العاطفي وعلاقته بجودة الحياة لدى المرشدين النفسيين في لواء قصبة إربد

د. سحر عبدالله محمد السعدي*

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن الفروق في مستوى الذكاء العاطفي لدى المرشدين النفسيين في لواء قصبة إربد، والفروق في جودة الحياة لديهم، تبعاً لجنس المرشد، والكشف عن العلاقة الارتباطية بين مستوى الذكاء العاطفي وجودة الحياة لديهم، وتكونت عينة الدراسة من (225) مرشداً ومرشدة في لواء قصبة إربد، واستعمل البحث المنهج الوصفي الارتباطي، وقامت الباحثة باستعمال مقياس الذكاء العاطفي الذي أعده الأسطل (2010)، ومقياس جودة الحياة الذي أعده عبد الحفيظي (2016)، وأشارت نتائج الدراسة إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في الذكاء العاطفي بشكل عام لدى المرشدين النفسيين في لواء قصبة إربد يعزى إلى جنس المرشد (الإناث)، وأيضاً عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في جودة الحياة بشكل عام لدى المرشدين النفسيين في لواء قصبة إربد تبعاً لمتغير الجنس، وأيضاً وجود علاقة ارتباطية موجبة ودالة إحصائياً عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين المتوسطات الحسابية للذكاء العاطفي وجودة الحياة ككل، حيث بلغ معامل ارتباط بيرسون (0.48)، وأيضاً وجود علاقة ارتباطية موجبة ودالة إحصائياً عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين المتوسطات الحسابية للذكاء العاطفي ككل، وكل

* أستاذ التوجيه والإرشاد النفسي والتربوي المساعد- قسم التربية وعلم النفس- الكلية الجامعية بالقفزة - جامعة أم القرى- المملكة العربية السعودية.

بعد من أبعاده على مقياس جودة الحياة، حيث بلغ أعلى معامل ارتباط بيرسون (0.47) بين تنظيم الانفعالات وجودة الصحة العامة، وبلغ أدنى علاقة ارتباط بين تنظيم الانفعالات وجودة شغل الوقت وإدارته (0.39)، وأوصت الدراسة بتدريب المرشدين النفسيين على مهارات التعامل وزيادة القدرة على تحمل الضغوط النفسية والاجتماعية، سواء في البيئة المدرسية أم في البيئة الأسرية.

Emotional Intelligence and Its Relation With The Quality of Life of Mental Counselors in The District of Irbid

Dr. Sahar Abdullah Mohammad AL-Saadi

Abstract:

The study aims to detect the differences in the level of emotional intelligence of the mental counselors in the district of Irbid, according to the "sex of the guide", Differences in Quality of Life among mental counselors in the district of Irbid According to the "sex of the guide", and disclosure of correlation between the level of emotional intelligence and quality of life of mental health counselors in the province of Irbid.

The researcher used the emotional intelligence scale prepared by Al-Astal (2010) and the quality of life standard prepared by Abdul Hafizi (2016), The results of the study indicated that there were statistically significant differences in emotional intelligence in general among the mental counselors in Irbid district due to the sex of the guide (females), and also the absence of statistically significant differences in the quality of life in general in the psychological counselors in the district of Irbid in the variable "sex."

And also a positive correlation and statistical function at the level of significance (0.05) between the arithmetic mean of emotional intelligence as a whole and the quality of life as a whole. Pearson correlation coefficient (0.48) also showed positive correlation and statistical function at 0.05 between the arithmetic averages of emotional intelligence as a whole, and each dimension on the quality of life scale.

The correlation between emotion regulation and the quality of public health was the highest correlation coefficient. The lowest correlation between emotion regulation and the quality of time occupancy and management was the correlation coefficient (0.39). The study recommended training psychologists in coping skills and increasing the ability to Stress the psychological and social pressures both in the school environment and in the family environment.

مقدمة

حظي الذكاء العاطفي باهتمام كثير من الباحثين في نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحالي، وأهمهم هاورد جاردنر Howard Gardaner سنة 1983م، وسالوفي وماير Salovey & Mayer سنة 1990م، وجولمان Golman سنة 1995م، الذين كانت لهم جهودا كبيرة في مجال الجانب العاطفي للإنسان؛ نظرا إلى زيادة الوجدان في حياة الإنسان، ولو نظرنا إلى كتاباتهم لوجدنا أنهم اجمعوا على أن الاختبارات التقليدية للذكاء لا تعطي صورة متكاملة عن سلوك الفرد، ولا تمكننا هذه الاختبارات من التنبؤ بنجاح الفرد في المستقبل وفي الحياة بصفة عامة، ولقد ظهر كثير من الاستفسارات التي دعت إلى أهمية الربط بين الجانب المعرفي والجانب العاطفي، وهي أنك قد تجد شخصا نسبة ذكائه العقلي مرتفعة ولكنه غير ناجح في حياته، وشخصا آخر نسبة ذكائه متوسطة ولكنه ناجح في حياته وقد نجد أيضا مجموعة أشخاص متساوين في نسبة الذكاء العقلي ولكن معدلات أدائهم غير متساوية، وكل هذا دفع علماء النفس إلى البحث عن عنصر أو مجال جديد لم تتم دراسته، ألا وهو الذكاء العاطفي (Faraj, 2005: 11). وقد ترجع زيادة الاهتمام بمفهوم الذكاء العاطفي إلى سببين، كما هو الحال عند كل أوستين وساكلوفسكي: (Austin, saklofske & Egan, 2005)

الأول: فكرة اختلاف الأفراد في المهارات الانفعالية للقياس، التي تعد من الأفكار المهمة التي قد تغطي جانبا مهما من جوانب الفروق الفردية الذي لم تتم تغطيته من خلال مقاييس الذكاء التقليدية والمقاييس الشخصية.

والثاني: أهمية النتائج المتوقعة من الناحية النظرية لارتباط الذكاء العاطفي بعدد من المتغيرات ذات الأهمية، مثل المهارات الاجتماعية، والعلاقات الشخصية، وبعض المهارات داخل الشخص مثل تنظيم المزاج الذي يؤثر في التكيف؛ مما قد يؤثر في حياته وفي مستوى الضغوطات التي يتعرض لها.

ويعرف جولمان (Golman, 2001: 11) الذكاء العاطفي بأنه القدرة على التعرف على شعورنا الشخصي وشعور الآخرين؛ لتحفيز أنفسنا ولإدارة عواطفنا بشكل سليم في علاقتنا مع الآخرين، وحدد مكونات الذكاء العاطفي بخمسة عوامل هي: الوعي بالذات ويتمثل في القدرة على التعرف، وتفهم الشعور الشخصي، ومعرفة الأشياء التي تحفزنا، وأثرها على الآخرين، وتمثل في صفات كالثقة بالنفس، والموضوعية في تقييم الآخرين.

كما تعد جودة الحياة من أهم مجالات الحياة بالنسبة إلى الفرد، ومؤشراً دالاً على نجاحه في هذه الحياة، وانعكاس هذا النجاح على أوجه حياته الشخصية، وما يمر به الفرد من مشكلات وضغوط تواجهه في الحياة العملية أو الشخصية، وتتطلب منه أن يتمتع باستقرار انفعالي، وتوجيه مسار سلوكه، وبناء ثقافته وعاداته في ضوء منظومة من القيم التي يؤمن بها المجتمع (Al-Kadah & Assaf, 2013: 21).

وترى الباحثة أن الذكاء العاطفي هو المسؤول عن إدارة وتنظيم العواطف وتوجيهها والتحكم في انفعالات الفرد، مما يعزز لديه النمو العقلي، والعاطفي، وبذلك فإن الفرد الذكي عاطفياً واجتماعياً يعيش بشكل أفضل من غيره في التعرف على عواطفه وعواطف الآخرين بصورة ناجحة وسليمة.

ومن جانب آخر ترى الباحثة أن المشكلات والضغوط اليومية لا يسلم منها فرد ولا مجتمع ولا شعب من الشعوب، وإن كان ذلك بدرجات متفاوتة، ومن ثم فإن المرشدين النفسيين هم إحدى فئات المجتمع التي قد تتعرض لعدد من الضغوط النفسية والمشكلات في الحياة اليومية، ومنها المشكلات الأسرية والنفسية والمالية والعملية والشخصية، مما يتطلب من الفرد أن يكون قادراً على مواجهة هذه المشكلات بكل عقلانية، للتكيف مع هذه الحياة.

مشكلة الدراسة:

اهتم عدد من الباحثين بدراسة مفهوم الذكاء العاطفي في مختلف المجالات وأكدوا على أن له نجاحات كبيرة في مجالات الحياة المتعددة، ومنهم جولمان الذي أكد على أن الذكاء العاطفي يسهم بنسبة 80% في النجاح في الحياة، ودوره في مساعدة الأفراد على التفاعل الاجتماعي، وتنمية التعاطف مع الآخر، وخلق بيئة آمنة تضع المجتمع في جو مريح ومحفز للإنتاج والتقدم؛ لذا ترى الباحثة أن اكتساب المرشدين النفسيين لمهارات الذكاء العاطفي تساعدهم على مواجهة الضغوط أثناء التعامل مع الطلبة في عملهم، كما أنهم يواجهون الضغوط جراء التعامل مع مختلف فئات المجتمع، مما يتطلب منهم أن يمتلكوا مهارات عالية لمواجهة هذه الضغوط ولمنعها في التأثير على حياتهم الشخصية، وأن تكون لديهم المقدرة على مواجهة هذه الضغوط التي تمارس عليهم من الآخرين في عملهم؛ لذا ارتأت الباحثة إجراء هذه الدراسة لمعرفة ما إذا كان لمهارات الذكاء العاطفي دور في التأثير على جودة الحياة بالنسبة إلى المرشدين النفسيين أولاً.

أهمية الدراسة: تبرز أهمية الدراسة في الآتي:

- الكشف عن الذكاء العاطفي ودوره في جودة الحياة للمرشدين النفسيين في لواء قسبة إربد.
- لفت انتباه القادة التربويين ومديري التربية والتعليم ومديري المراكز الخاصة إلى ضرورة الاهتمام بالذكاء العاطفي للمرشدين النفسيين، وتقديم التأهيل اللازم والبرامج التدريبية المتخصصة؛ لهم ليكونوا قادرين على توسيع مداركهم، وقدراتهم التأملية، وإنتاج الأفكار الإبداعية التي تساعدهم على التكيف مع الضغوط التي تواجههم ومنعها من التأثير على حياتهم الشخصية في ضوء ما تتوصل إليه من نتائج.
- ما تضيفه إلى الأدب السابق، والدراسات المتعلقة بالذكاء العاطفي من إضافات معرفية، وإبراز العلاقة بين الذكاء العاطفي وجودة الحياة، فضلاً عن البحث عما يمكن أن يتوصل إليه الباحث من معلومات ومفاهيم متعلقة بكل متغيرات الدراسة، وإبرازها بصورة يمكن للباحثين الاستفادة منها في هذا المجال.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى التعرف على:

- 1- الفروق في مستوى الذكاء العاطفي لدى المرشدين النفسيين في لواء قصبة إربد تبعاً لمتغير الدراسة الجنس (ذكور، إناث).
 - 2- الفروق في جودة الحياة لدى المرشدين النفسيين في لواء قصبة إربد تبعاً لمتغير الجنس (ذكور، إناث).
 - 3- طبيعة العلاقة الارتباطية بين مستوى الذكاء العاطفي وجودة الحياة لدى المرشدين النفسيين في لواء قصبة إربد.
- أسئلة الدراسة:

السؤال الأول: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في مستوى الذكاء العاطفي لدى المرشدين النفسيين في لواء قصبة إربد تبعاً لمتغير الجنس (ذكور، إناث)؟

السؤال الثاني: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في جودة الحياة لدى المرشدين النفسيين في لواء قصبة إربد تبعاً لمتغير الجنس (ذكور، إناث)؟

السؤال الثالث: هل توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين مستوى الذكاء العاطفي وجودة الحياة لدى المرشدين النفسيين في لواء قصبة إربد؟

حدود الدراسة:

- الحدود البشرية: اقتصرَت الدراسة على المرشدين النفسيين في لواء قصبة إربد.
- الحدود الزمانية: تم تطبيق الدراسة في الفصل الثاني من العام الدراسي 2019/2018.
- الحدود المكانية: تم تطبيق الدراسة في المدارس التابعة للواء قصبة إربد.

مصطلحات الدراسة:

الذكاء العاطفي: هو القدرة على إدراك العواطف والتعبير عنها، وتفهمها واستيعابها واستعمالها، وإدارة العواطف الكامنة في ذات الفرد، والتحكم فيها، وضبطها، وفهم انفعالات

الأخرين، والوعي بها (George, 2000). ويعرف إجرائياً بأنه الدرجة الكلية التي يحصل عليها المرشد النفسي من خلال استجابته على مقياس الذكاء العاطفي المستعمل في هذه الدراسة.

جودة الحياة: هي رضا الفرد بقدره في الحياة والشعور بالراحة والسعادة، وامتلاك الفرص لتحقيق أهداف ذات معنى (Naissa, 2012). وتعرف إجرائياً بأنها تمتع المرشد النفسي بوضع اقتصادي وصحي ملائمين، وحياة أسرية واجتماعية مستقرة، بما يحقق له درجة جيدة من الرضا عن الحياة.

المرشد النفسي: هو المرشد المسجل رسمياً في سجلات المستعملين في مديرية التربية والتعليم في لواء قصبه إربد، ويعمل ضمن إطار قسم التوجيه والإرشاد، ويقوم بتقديم الخدمات الإرشادية للطلاب.

الدراسات السابقة

يتضمن هذا الجزء عرضاً للدراسات السابقة العربية منها والأجنبية المتعلقة بموضوع الذكاء العاطفي وجودة الحياة مرتبة من الأقدم إلى الأحدث. ومن تلك الدراسات دراسة سجوبيرج (Sjoberg, 2001) التي تناولت الذكاء العاطفي بوصفه عاملاً مهماً للنجاح والتكيف مع الحياة، لدى مجموعة من العاملين البالغ عددهم (130) عاملاً تراوحت أعمارهم بين 22 و77 سنة، وأظهرت النتائج أن الذكاء العاطفي يرتبط إيجاباً بالتكيف والمهارات الاجتماعية. وأن الأفراد مرتفعي الذكاء العاطفي يعطون اهتماماً أقل بالنجاح الاقتصادي، كما يرتبط الذكاء العاطفي إيجاباً بالإبداع والمثابرة في مواجهة الفشل وتقدير الذات.

أما دراسة ليندلي (Lindley, 2001)، فقد هدفت إلى دراسة العلاقة بين الذكاء العاطفي وبعض المتغيرات الشخصية (الانبساطية، والتكيف)، وتكونت عينة الدراسة من (316) طالب من طلاب الجامعة والتعليم العام، وقد أظهرت النتائج وجود علاقة موجبة دالة بين الذكاء العاطفي وبعض المتغيرات الشخصية (الانبساطية، وكفاءة الذات، وتقدير الذات، والتفاؤل، ووجهة الضبط الداخلية، والتكيف)، ووجود علاقة سالبة دالة مع سمة العصابية، كما أظهرت النتائج عدم وجود فروق دالة بين الطلاب والطالبات في الذكاء العاطفي.

وأجرى أوستن وساكلوفسكي وإيجان (Austin, Saklofske & Egan, 2005)، دراسة هدفت إلى تقصي العلاقة بين الذكاء العاطفي والرضا في الحياة العامة والدعم الاجتماعي، وتكونت عينة الدراسة من (704) من الإناث (500 من كندا، و204 من أسكتلندا)، وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج، كان من ضمنها أن الذكاء العاطفي ارتبط بشكل سلبي مع تناول الكحول، وبشكل إيجابي مع الرضا في الحياة، وكذلك مع حجم العلاقات الاجتماعية ونوعيتها.

أجرى جانون ورانزاجن (Gannon & Ranzijn, 2005)، دراسة هدفت إلى التعرف على الكشف عن إمكانية التنبؤ بالرضا عن الحياة من خلال الذكاء العاطفي بجانب التنبؤ بالرضا عن الحياة من خلال القدرة العقلية العامة، وسمات الشخصية لدى عينة مكونة من (700) من أفراد المجتمع الأمريكي، وتوصلت نتائج الدراسة إلى ارتباط الرضا عن الحياة بكل أبعاد الذكاء العاطفي بعلاقات متوسطة موجبة دالة إحصائياً، وأقوى العلاقات كانت في حالة ضبط الانفعالات وتنظيمها، وكذلك ارتبط الرضا عن الحياة ببعض سمات الشخصية، ولم يرتبط بالذكاء العقلي.

وقامت كل من Khalil & Shennawi (2005) بدراسة هدفت إلى معرفة مدى إسهام أبعاد الذكاء العاطفي في التنبؤ بأساليب المجابهة المستعملة من قبل طلاب الجامعة، والتعرف على أبعاد الذكاء العاطفي المرتبطة بأساليب المجابهة التكيفية، والأخرى المرتبطة بأساليب المجابهة غير التكيفية، وتكونت عينة الدراسة من (327) طالباً وطالبة يدرسون في كلية الآداب بجامعة المنوفية، وأظهرت النتائج وجود علاقة ارتباطية موجبة بين أبعاد الذكاء العاطفي وأساليب المجابهة التكيفية، ووجود علاقة ارتباطية سالبة مع أساليب المجابهة غير التكيفية، كما أسفرت عن عدم وجود فروق بين الذكور والإناث على مكونات الذكاء العاطفي.

وأجرى اليبابي (Alibabaie, 2015) دراسة هدفت إلى التعرف على جودة الحياة العاطفية والذكاء والرضا عن الحياة لدى الطلاب، تكونت عينة الدراسة من (204) طلاب وطالبات، واستعملت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وأشارت نتائج الدراسة إلى وجود علاقة ارتباطية إيجابية بين نوعية الحياة والرضا عن الحياة، وإلى وجود فروق دالة إحصائياً بين الذكور والإناث في مستويات الذكاء العاطفي.

وأجرى حامد (Hamid, 2015) دراسة هدفت إلى التحقق من العلاقة بين الذكاء العاطفي وضغوط العمل ونوعية الحياة بين معلمي المدارس الثانوية في محافظة خوزستان، وتكونت عينة الدراسة من (122) معلماً من معلمي المدارس الثانوية في محافظة خوزستان، واستعملت الدراسة المنهج الوصفي المسحي، وأشارت نتائج الدراسة إلى وجود علاقة إيجابية بين الذكاء العاطفي والإجهد الوظيفي وكذلك الذكاء العاطفي مع نوعية حياة المعلمين، وأن هناك علاقة سلبية بين الذكاء العاطفي والإجهد الوظيفي ونوعية حياة المعلمين.

وأجرى هسانج (Hsiang, 2016) دراسة هدفت إلى التعرف على الصحة العقلية للمعلمين، وأهمية الذكاء العاطفي في الإرهاق وجودة الحياة، وتكونت عينة الدراسة من (220) معلماً ومعلمة، واستعملت الدراسة المنهج الوصفي الارتباطي لدراسة العلاقة بين الذكاء العاطفي ونوعية الحياة، وأشارت نتائج الدراسة إلى أن هناك ارتباطات سلبية بين الذكاء العاطفي والإرهاق، وبين نوعية الحياة والإرهاق، وأنه يوجد للصحة النفسية علاقة عكسية مع أعراض الإرهاق.

كما أجرى ماسوم وآخرون (Masoom, 2017) دراسة هدفت إلى التعرف على تأثير برنامج تعليم الذكاء العاطفي على نوعية الحياة لدى ممرضات مرضى غسيل الكلى، وتكونت عينة الدراسة من (47) من ممرضات مرضى غسيل الكلى، واستعملت الدراسة المنهج التجريبي، بتقسيم عينة الدراسة إلى مجموعتين: مجموعة تجريبية (24)، ومجموعة ضابطة (23)، وأشارت نتائج الدراسة إلى أن الإستراتيجية التعليمية للذكاء العاطفي من قبل الممرضات يتطلب دمجها في شهادات التمريض والحاجة إلى قيادة الممرضات لتطبيق الذكاء العاطفي بهدف توفير رعاية شاملة للمريض.

وأجرى جانيسن وآخرون (Ganesan, 2018) دراسة هدفت إلى التعرف على تأثير الذكاء العاطفي على نوعية حياة معلمي المدارس الثانوية، وتكونت عينة الدراسة من (90) معلماً من مدارس حيدرآباد، واستعملت الدراسة المنهج الوصفي الارتباطي، وأشارت نتائج الدراسة أن هناك اختلافاً في نوعية مستويات الحياة لدى المعلمين، وقد ثبت أن الذكاء العاطفي المنخفض لدى المعلمين مرتبط بنوعية الحياة، وأنه يوجد علاقة ارتباطية إيجابية بين الذكاء العاطفي ونوعية الحياة.

التعقيب على الدراسات السابقة:

بالنظر إلى الدراسات السابقة فقد دُرِسَ الذكاء العاطفي مع الرضا عن الحياة في دراسة (Sjoberg, 2005)، ودراسة (Gannon & Ranzijn, 2005)، ودراسة (Austin, Saklofske & Egan, 2005)، ودراسة (Lindlely, 2001)، ودراسة (Khalil & Shennawi, 2005)، ودراسة (Craig.Rseal, 2009). كما أن هناك دراسات أظهرت عدم وجود فروق بين الذكور والإناث فيما يخص الذكاء العاطفي مثل دراسة (Lindlely, 2001)، ودراسة (Khalil & Shennawi, 2005).

كما أن معظم الدراسات السابقة أكدت على وجود تأثير للذكاء العاطفي في متغيرات شخصية منها: ضبط الذات، والتوافق الاجتماعي، والتوافق الانفعالي، والرضا عن الحياة، والتوافق المهني، وتقدير الذات، أما بخصوص الدراسة الحالية فإنه -على حد علم الباحثة- لا توجد دراسة عربية تناولت علاقة الذكاء العاطفي بجودة الحياة لدى المرشدين النفسيين، تبعا لمتغير النوع الاجتماعي.

الطريقة والإجراءات:

منهج الدراسة: استعملت الباحثة المنهج الوصفي الارتباطي، لملاءمته لطبيعة الدراسة وأهدافها.

مجتمع الدراسة: تكون مجتمع الدراسة من المرشدين النفسيين في مديرية التربية والتعليم في لواء قصبة إربد للعام الدراسي (2018/2019)، البالغ عددهم (250) مرشداً ومرشدة حسب سجلات قسم التخطيط في المديرية.

عينة الدراسة: تكونت عينة الدراسة من (230) مرشداً ومرشدة في مديرية التربية والتعليم في لواء قصبة إربد للعام الدراسي (2018/2019)، يشكلون ما نسبته (90%) من مجتمع الدراسة، وتم اختيارهم بأسلوب الحصر الشامل، حيث تم استثناء (5) استبانات غير صالحة للتحليل الإحصائي، والجدول (1) يبين توزيع أفراد عينة الدراسة بالنسبة إلى مجتمع الدراسة.

الجدول (1): توزيع أفراد العينة تبعاً لمتغيرات (الجنس) (ن=225)

المتغيرات	الفئة	التكرار	النسبة المئوية
الجنس	مرشد	105	46.7%
	مرشدة	120	53.3%
	المجموع	225	100%

أداتا الدراسة:

أولاً: مقياس الذكاء العاطفي: أستخدم في هذه الدراسة مقياس الذكاء العاطفي الذي قامت بتطويره Al-Astal (2010)، والمكون من (55) فقرة على شكل مواقف افتراضية، من المحتمل أن يتعرض لها الأفراد خلال حياتهم اليومية، ولكل فقرة خمسة بدائل، يتم اختيار الاستجابة من بينها، وتقدر درجة الفرد على المقياس حسب درجة البديل المختار، ويقاس درجة الذكاء العاطفي كدرجة كلية وخمس درجات فرعية، وقد قام الأسطل (2010) بالتأكد من صدق المقياس، مستعملاً صدق المحتوى، والصدق العاملي، والصدق التمييزي، وصدق التكوين الفرضي، وصدق الاتساق الداخلي للمقياس وأبعاده الخمسة، وهي: إدارة الانفعالات، والتعاطف، وتنظيم الانفعالات، والمعرفة الانفعالية، والتواصل الاجتماعي، حيث كانت جميع قيم الصدق مرتفعة. كما قام Al-Astal (2010) بالتأكد من ثبات المقياس وأبعاده مستعملاً إعادة التطبيق، وكانت درجات الثبات على أبعاد المقياس على النحو الآتي: إدارة الانفعالات (0.72)، التعاطف (0.65)، تنظيم الانفعالات (0.86)، المعرفة الانفعالية (0.82)، التواصل الاجتماعي (0.69)، والدرجة الكلية للمقياس (0.91).

صدق الأداة: للتحقق من صدق بناء المقياس في هذه الدراسة تم تطبيقه على عينة استطلاعية بلغ عددها (20) مرشداً ومرشدة في لواء قصبة إربد، وتم استبعادهم من عينة الدراسة، وتم حساب صدق البناء باستعمال معامل الارتباط بيرسون لإيجاد معامل ارتباط الفقرة بالمجال والأداة ككل والجدول رقم (2) يوضح ذلك.

جدول (2) قيم معامل الارتباط بين الفقرة والمجال الذي تنتمي إليه وبين الفقرة والعلامة الكلية (الذكاء العاطفي)

الارتباط مع الأداة ككل	الارتباط مع المجال	الفقرة	المجال	الارتباط مع الأداة ككل	الارتباط مع المجال	الفقرة	المجال
0.77	0.74	23	المعرفة الانفعالية	0.81	0.80	1	إدارة الانفعالات
0.79	0.75	24		0.85	0.76	2	
0.75	0.78	25		0.86	0.80	3	
0.73	0.77	26		0.86	0.79	4	
0.76	0.76	27		0.86	0.80	5	
0.79	0.76	28		0.86	0.79	6	
0.85	0.73	29		0.86	0.71	7	
0.77	0.74	30	التواصل الاجتماعي	0.84	0.79	8	التعاطف
0.79	0.75	31		0.78	0.83	9	
0.75	0.78	32		0.79	0.75	10	
0.73	0.77	33		0.85	0.84	11	
0.76	0.76	34		0.79	0.86	12	
0.79	0.76	35		0.76	0.88	13	
0.85	0.73	36		0.76	0.84	14	
0.77	0.72	37		0.78	0.76	15	
				0.78	0.77	16	تنظيم الانفعالات
				0.79	0.73	17	
				0.85	0.75	18	
				0.79	0.76	19	
				0.76	0.76	20	
				0.76	0.79	21	
				0.76	0.74	22	

*دالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($0.05 \geq \alpha$).

يظهر من الجدول (2) أن جميع قيم معاملات الارتباط تراوحت بين (0.71 و0.88)، وهذه القيم تعتبر دالة إحصائية، مما يشير إلى أن المقياس يتمتع بصدق بناء مرتفع يسمح باستعماله في هذه الدراسة.

ثبات الأداة: أما ثبات المقياس فقد تم استخراجها بطريقة ألفا كرونباخ للاتساق الداخلي والجدول (3) يبين ذلك.

الجدول رقم (3) قيم معاملات الاتساق الداخلي باستخدام طريقة ألفا كرونباخ.

مجالاا الدراسة	ألفا كرونباخ
إدارة الانفعالات	0.80
التعاطف	0.81
تنظيم الانفعالات	0.82
المعرفة الانفعالية	0.83
التواصل الاجتماعي	0.84
الأداة ككل	0.83

يظهر من الجدول (3) أن قيم معاملات الاتساق الداخلي ألفا كرونباخ لمجالاا الدراسة تراوحت بين (0.80 و0.84)، وبلغت قيمة الاتساق الداخلي للأداة ككل (0.83)، حيث إن جميع القيم تعتبر مقبولة لأغراض التطبيق.

ثانياً: مقياس جودة الحياة

أستعمل في هذه الدراسة مقياس جودة الحياة الذي قام بإعداده منسي وكاظم، والمكون من (60) فقرة على شكل مواقف افتراضية، من المحتمل أن يتعرض لها الأفراد خلال حياتهم اليومية، ولكل فقرة خمسة بدائل، يتم اختيار الاستجابة من بينها، وتقدر درجة الفرد على المقياس حسب درجة البديل المختار، ويقيس درجة جودة الحياة باعتبارها درجة كلية وخمس

درجات فرعية، وقد قام Abdul Hafizi (2016) بالتأكد من صدق المقياس مستعملاً صدق المحتوى، وصدق البناء، والصدق التلازمي للمقياس وأبعاده الستة، وهي:

كما قام Abdul Hafizi (2016) بالتأكد من ثبات المقياس وأبعاده مستعملاً صدق الاتساق الداخلي، من خلال حساب معامل الارتباط بيرسون بين درجات كل بند والدرجة الكلية للبعد الذي ينتمي إليه البند، حيث أظهرت النتائج تمتع جميع قيم معاملات الارتباط بالدلالة الإحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) فأقل.

وتم تقدير ثبات المقياس وأبعاده الفرعية عن طريق معاملات الاتساق الداخلي، وأسفرت النتائج عن تمييز المقياس بثبات مرتفع، حيث بلغت قيمة معامل الثبات بطريقة ألفا كرونباخ (0.86)، كما أظهرت الأبعاد الفرعية الستة ثباتاً مرتفعاً، حيث تراوحت قيم معاملات الثبات بالطريقة السابقة بين (0.55-0.74) بمتوسط حسابي قدره (0.64).

وللتحقق من مقياس الدراسة الحالية تم تطبيقه على عينة استطلاعية عددها (20) مرشداً ومرشدة في لواء قصبة إربيد، وتم استبعادهم من عينة الدراسة، وتم حساب صدق البناء باستعمال معامل الارتباط بيرسون؛ لإيجاد معامل ارتباط الفقرة بالمجال والأداة ككل، والجدول رقم (4) يوضح ذلك.

جدول (4) قيم معامل الارتباط بين الفقرة والمجال الذي تنتمي إليه وبين الفقرة والعلامة الكلية لمقياس جودة الحياة

أبعاد مقياس جودة الحياة	الفقرة	الارتباط مع المجال	الارتباط مع الأداة ككل	أبعاد مقياس جودة الحياة	الفقرة	الارتباط مع المجال	الارتباط مع الأداة ككل
جودة الصحة العامة	1	0.80	0.81	جودة العواطف	31	0.74	0.77
	2	0.76	0.85		32	0.78	0.89
	3	0.80	0.86		33	0.77	0.78
	4	0.79	0.86		34	0.80	0.79
	5	0.80	0.86		35	0.75	0.79
	6	0.79	0.86		36	0.78	0.75
	7	0.71	0.86		37	0.77	0.73
	8	0.79	0.84		38	0.76	0.76

0.79	0.76	39		0.80	0.75	9	
0.85	0.73	40		0.81	0.78	10	
0.77	0.74	41	جودة	0.78	0.83	11	جودة الحياة
0.75	0.77	42	الصحة	0.81	0.79	12	الأسرية
0.80	0.78	43	النفسية	0.81	0.74	13	والاجتماعية
0.79	0.75	44		0.83	0.77	14	
0.75	0.78	45		0.79	0.81	15	
0.73	0.77	46		0.79	0.75	16	
0.76	0.76	47		0.85	0.84	17	
0.79	0.76	48		0.79	0.86	18	
0.85	0.73	49		0.76	0.88	19	
0.77	0.72	50		0.76	0.84	20	
0.75	0.78	51	جودة	0.78	0.76	21	جودة التعليم
0.73	0.77	52	شغل	0.81	0.80	22	والدراسة
0.76	0.76	53	الوقت	0.78	0.81	23	
0.79	0.76	54	وإدارته	0.78	0.77	24	
				0.79	0.73	25	
				0.85	0.75	26	
				0.79	0.76	27	
				0.76	0.76	28	
				0.76	0.79	29	
				0.76	0.74	30	
				0.85	0.73	55	
				0.81	0.80	56	
				0.78	0.81	57	
				0.78	0.77	58	
				0.79	0.73	59	
				0.85	0.75	60	

*دالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($0.05 \geq \alpha$).

يظهر من الجدول (4) أن جميع قيم معاملات الارتباط تراوحت بين (0.71 و 0.89)، وهذه القيم تعتبر دالة إحصائية، مما يشير إلى أن مقياس جودة الحياة يتمتع بصدق بناء مرتفع يتيح استعماله في هذه الدراسة.

أما ثبات المقياس فقد تم التحقق منه بطريقة ألفا كرونباخ للاتساق الداخلي، والجدول (5) يبين ذلك.

الجدول رقم (5) قيم معاملات الاتساق الداخلي باستعمال طريقة ألفا كرونباخ لمقياس جودة الحياة

أبعاد مقياس جودة الحياة	ألفا كرونباخ
جودة الصحة العامة	0.80
جودة الحياة الأسرية والاجتماعية	0.83
جودة التعليم والدراسة	0.81
جودة العواطف	0.80
جودة الصحة النفسية	0.80
جودة شغل الوقت وإدارته	0.82
الأداة ككل	0.81

يظهر من الجدول (5) أن قيم معاملات الاتساق الداخلي ألفا كرونباخ لمجالات الدراسة تراوحت بين (0.80 و 0.83)، وبلغت قيمة الاتساق الداخلي للأداة ككل (0.81)، إذ إن القيم جميعاً تعتبر مقبولة لأغراض التطبيق.

تصحيح أداتي الدراسة: قامت الباحثة باعتماد سلم ليكرت للتدرج الخماسي (موافق بدرجة كبيرة جداً، موافق بدرجة كبيرة، موافق بدرجة متوسطة، موافق بدرجة منخفضة، موافق بدرجة منخفضة جداً)، موزعة على النحو الآتي:

موافق بدرجة كبيرة جداً (5) درجات، موافق بدرجة كبيرة (4) درجات، موافق بدرجة متوسطة (3) درجات، موافق بدرجة منخفضة (2) درجتان، موافق بدرجة منخفضة جداً (1) درجة واحدة.

حيث قام الباحث بتقسيم المتوسطات الحسابية إلى ثلاثة مستويات: درجة مرتفعة، ودرجة متوسطة، ودرجة منخفضة، وفقا للمعادلة الآتية:

طول الفئة = (أكبر درجة - أقل درجة) / عدد الفئات المطلوبة.

طول الفئة = $3 / (1-5)$.

طول الفئة = 1.33.

وبناء على ذلك تم اعتماد الحكم على المتوسطات الحسابية على النحو الآتي:

• 2.33-1 درجة منخفضة.

• 3.67-2.34 درجة متوسطة.

• 5-3.68 درجة مرتفعة.

المتغيرات المستقلة:

• الجنس، وله فئتان: (ذكر، أنثى).

المتغيرات التابعة:

• استجابة أفراد عينة الدراسة على مقياس الذكاء العاطفي.

• استجابة أفراد عينة الدراسة على مقياس جودة الحياة.

إجراءات الدراسة الإدارية:

▪ الاطلاع على الأدب النظري المتعلق بموضوع الدراسة، وكذلك الاطلاع على الدراسات

السابقة التي بحثت في موضوع الذكاء العاطفي، والتركيز على الدراسات المتعلقة بجودة الحياة.

▪ تحديد مجتمع الدراسة وعينتها.

▪ تم استعمال أدوات الدراسة بعد التأكد من صدقهما وثباتهما.

- تم التنسيق مع مديري المدارس في مديرية التربية والتعليم في لواء قصبة إربد من قبل الباحثة، حيث تمت مقابلتهم، وتوضيح أهمية إجراء الدراسة وغاياتها، وأن الإجابات ستعامل بسرية تامة؛ لتحفيزهم على الإجابة بمصداقية وموضوعية.
 - تم توزيع أدوات الدراسة بصورتها النهائية وجمعها، بتاريخ 2019/4/25 على أفراد عينة الدراسة.
 - تحليل البيانات التي تم الحصول عليها باستعمال الوسائل الإحصائية المناسبة.
- المعالجة الإحصائية:

- وللإجابة عن سؤالي الدراسة الأول والثاني استخدمت الباحثة اختبار (Independent-Sample T Test). لمعرفة الفروق بين أفراد العينة حسب الجنس (ذكور وإناث).
- تم استعمال معامل ارتباط بيرسون للإجابة عن سؤال الدراسة الثالث.
- وتم استعمال النسب المئوية والتكرارات لتوصيف أفراد عينة الدراسة ومعادلة ألفا كرونباخ لحساب معامل الثبات لأداة الدراسة.

عرض نتائج الدراسة ومناقشتها:

- أولاً: عرض النتائج المتعلقة بالسؤال الأول ومناقشتها: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في مستوى الذكاء العاطفي لدى المرشدين النفسيين في لواء قصبة إربد تبعاً للجنس (ذكور، إناث)؟
- وللإجابة عن هذا السؤال تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات المرشدين النفسيين في لواء قصبة إربد تبعاً لجنس المرشد على مقياس مستوى الذكاء العاطفي، وتم استعمال اختبار (T-test Independent sample) للكشف عن الفروق في مستوى الذكاء العاطفي لدى المرشدين النفسيين في لواء قصبة إربد تبعاً لمتغير الجنس (ذكور، إناث) والجدول (6) يوضح ذلك.

الجدول (6) نتائج اختبار (T-test Independent sample) لدلالة الفروق بين المتوسطات الحسابية لمستوى الذكاء العاطفي تبعاً لمتغير الجنس (ذكور/ إناث)

الرقم	أبعاد المقياس	عينة الدراسة "ذكور"		عينة الدراسة "إناث"		الوزن النسبي	ت	درجات الحرية	مستوى الدلالة
		المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري				
1	إدارة الانفعالات	3.75	1.01	3.87	0.99	76.2	22.02	223	0.210
2	التعاطف	3.71	0.87	3.81	0.97	75.2	18.64	223	0.301
3	تنظيم الانفعالات	3.84	1.12	3.88	0.87	77.2	21.70	223	0.214
4	المعرفة الانفعالية	3.67	0.78	3.75	0.84	74.2	19.60	223	0.140
5	التواصل الاجتماعي	3.87	0.85	3.88	0.87	77.5	18.43	223	0.471
	الذكاء العاطفي ككل	3.768	0.084	3.838	0.057	76.06	22.17	223	0.014

يلاحظ من الجدول (6) وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$)

في الذكاء العاطفي بشكل عام لدى المرشدين النفسيين في لواء قصبة إربد تبعاً لمتغير جنس المرشد (ذكور، إناث) بوزن نسبي قدره (76.76) لصالح الإناث، وقد يعزى ذلك إلى أن الإناث لديهن القدرة على التعامل الإيجابي مع أنفسهن في مجال الإرشاد النفسي، إذ يعد ذلك مؤشراً جيداً على النجاح في العمل، وقد اتفقت نتيجة الدراسة مع دراسة Abu Amsa (2013) ودراسة Al-jibhan (2010) ودراسة Ghaith, and Alhahah (2014)، ودراسة (Sjoberg, 2001) ودراسة Khalil and Shennawi (2005) ودراسة (Craig.Rseal, 2009)، وهذا يدل على أهمية الذكاء العاطفي وضرورة تواجده لدى المرشدين على اختلاف جنسهم، وأن جميع أبعاد الذكاء العاطفي (إدارة الانفعالات، التعاطف، تنظيم الانفعالات، المعرفة الانفعالية، التواصل الاجتماعي) جاءت

بمستويات مرتفعة، وقد يعزى ذلك إلى طبيعة الجو الانفعالي الذي يسود لواء قصبة إربد وخاصة لدى المرشدين النفسيين في المدارس.

السؤال الثاني: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في

جودة الحياة لدى المرشدين النفسيين في لواء قصبة إربد تبعاً لمتغير جنس المرشد (ذكور، إناث)؟ وللإجابة عن هذا السؤال تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات المرشدين النفسيين في لواء قصبة إربد تبعاً لمتغير جنس المرشد (ذكور- إناث) على مقياس مستوى جودة الحياة، وتم استعمال اختبار (T-test Independent sample) للكشف عن الفروق في مستوى جودة الحياة لدى المرشدين النفسيين في لواء قصبة إربد تبعاً لمتغير الجنس (ذكور، إناث) والجدول (7) يوضح ذلك.

الجدول (7) نتائج اختبار (T-test Independent sample) لدلالة الفروق بين المتوسطات الحسابية لجودة الحياة تبعاً لمتغير الجنس (ذكور، إناث)

الرقم	أبعاد المقياس	عينة الدراسة "ذكور"		عينة الدراسة "إناث"		ت	الوزن النسبي	درجات الحرية	مستوى الدلالة
		المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري				
1	جودة الصحة العامة	3.65	1.12	3.64	0.99	23.02	72.9	223	0.510
2	جودة الحياة الأسرية والاجتماعية	3.87	1.01	3.82	0.97	17.64	76.9	223	0.508
3	جودة التعليم والدراسة	3.88	0.87	3.81	0.87	20.70	76.9	223	0.487
4	جودة العواطف	3.81	0.78	3.82	0.84	17.64	76.3	223	0.503
5	جودة الصحة النفسية	3.84	1.03	3.85	0.87	18.43	76.9	223	0.588
6	جودة شغل الوقت وإدارته	3.99	0.85	3.98	0.88	24.17	79.7	223	0.647
	جودة الحياة ككل	3.84	0.111	3.82	0.108	21.01	76.6	223	0.554

يلاحظ من الجدول (7) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في جودة الحياة بشكل عام لدى المرشدين النفسيين في لواء قصبة إربد، تبعاً لمتغير الدراسة (جنس المرشد)، إذ كان جميع قيم "ت" غير دالة إحصائياً، وقد يعزى ذلك إلى أنه لا يوجد اختلاف في جودة الحياة بين الجنسين؛ لأن الرجل والمرأة يكمل بعضهم بعضاً، فهم يعيشون ظروف الحياة نفسها، وقد يعزى ذلك أيضاً إلى أن البيئة المحيطة بشكلها الكامل لا يوجد فيها اختلاف كبير وجوهري بين الجنسين بشكل عام، وبين المرشدين بشكل خاص، من حيث جودة الحياة، وقد اتفقت نتيجة الدراسة مع دراسة سجبيرج (Sjoberg, 2001) ودراسة جانون ورازانج (Gannon & Ranzijn, 2005)

السؤال الثالث: هل توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين مستوى الذكاء العاطفي وجودة الحياة لدى المرشدين النفسيين في لواء قصبة إربد؟

وللإجابة عن هذا السؤال تم حساب معامل ارتباط بيرسون بين المتوسطات الحسابية لدرجة الذكاء العاطفي وجودة الحياة ككل، وكل بعد للذكاء العاطفي على مقياس جودة الحياة، والجدول (8) يوضح ذلك.

الجدول (8) معامل ارتباط بيرسون بين المتوسطات الحسابية للذكاء العاطفي وجودة الحياة ككل، وكل بعد من أبعاد الذكاء العاطفي على مقياس جودة الحياة

العلاقة الارتباطية	جودة الصحة العامة	جودة الحياة الأسرية والاجتماعية	جودة التعليم والدراسة	جودة العواطف	جودة الصحة النفسية	جودة شغل الوقت وإدارته	جودة الحياة ككل
إدارة الانفعالات	0.41	0.46	0.41	0.42	0.45	0.40	0.45
التعاطف	0.43	0.46	0.45	0.40	0.45	0.42	0.44
تنظيم الانفعالات	0.47	0.44	0.44	0.42	0.44	0.38	0.45
المعرفة الانفعالية	0.45	0.45	0.42	0.41	0.46	0.43	0.46
التواصل الاجتماعي	0.42	0.44	0.38	0.41	0.44	0.42	0.44
الذكاء العاطفي ككل	0.48	0.46	0.42	0.45	0.45	0.44	0.48

يلاحظ من الجدول (8) ما يأتي:

- وجود علاقة ارتباطية موجبة ودالة إحصائياً عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين المتوسطات الحسابية للذكاء العاطفي وجودة الحياة، حيث بلغ معامل ارتباط بيرسون (0.48).
 - وجود علاقة ارتباطية موجبة ودالة إحصائياً عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين المتوسطات الحسابية للذكاء العاطفي ككل، وكل بعد من أبعاده على مقياس جودة الحياة، حيث بلغ أعلى معامل ارتباط بيرسون (0.47) بين تنظيم الانفعالات وجودة الصحة العامة، وبلغ أدنى علاقة ارتباط بين تنظيم الانفعالات وجودة شغل الوقت وإدارته (0.39).
- وقد يعزى ذلك إلى أن المرشد النفسي لا يعيش في فراغ، وإنما يعيش في مجتمع يتأثر به كما يؤثر فيه وأن له طريقة في التفكير وأساليب السلوك والتعامل على نحو فعال مع البيئة، وأن العوامل الشخصية والانفعالية والاجتماعية تعد جوانب ضرورية في التنبؤ بقدرة الفرد على النجاح في الحياة.

التوصيات:

في ضوء النتائج التي أسفرت عنها الدراسة توصي الباحثة بما يأتي:

- 1- العمل على تعزيز الاهتمام بأبعاد الذكاء العاطفي لدى المرشدين النفسيين، من خلال التدريب الميداني المكثف.
- 2- العمل على تعزيز الاهتمام بأبعاد جودة الحياة لدى المرشدين النفسيين، من خلال توضيح أهميتها وانعكاسها على أداء المرشدين النفسيين في العمل.
- 3- تدريب المرشدين النفسيين على مهارات التعامل وزيادة القدرة على تحمل الضغوط النفسية والاجتماعية سواء في البيئة المدرسية أم في البيئة الأسرية.
- 4- العمل على توفير مختصين في تطبيقات الذكاء العاطفي ومحاولة تعزيزها لدى المرشدين.
- 5- تطوير وتصميم برامج لرفع مستوى جودة الحياة لدى المرشدين النفسيين.

قائمة المصادر والمراجع

- زنگانه، پريزادى، طاهر، ساكى & معصوم. (2017). توسعه محله محور بخش مركزى شهر بروجرد. نشریه تحقیقات كاربردى علوم جغرافيايى. 17(45), 165-183.
- أبو عمشة، إبراهيم (2013). الذكاء العاطفي والذكاء الوجداني وعلاقتهم بالشعور بالسعادة لدى طلبة الجامعة في محافظة غزة، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، غزة، فلسطين.
- الأسطل، مصطفى (2010). الذكاء العاطفي وعلاقته بمهارات مواجهة الضغوط لدى طلبة كليات التربية بجامعة غزة، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة: فلسطين.
- الجيهان، دينا (2010). الذكاء العاطفي وعلاقته بمستوى الأداء، رسالة ماجستير، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- خليل، إلهام والشناوي، أمنية (2005). الإسهام النسبي لمكونات قائمة بار- أون لنسبة الذكاء الوجداني في التنبؤ بأساليب المجابهة لدى طلبة الجامعة، مجلة دراسات نفسية، القاهرة، 5(1)، 161-990.
- عبد الحفيظي، يحيى (2016). تقنين مقياس جودة الحياة لمحمود منسي وعلي كاظم على الطلبة الجامعيين: دراسة ميدانية، جامعة الجلفة، رسالة ماجستير، ورقلة، الجزائر.
- غيث، سعاد والحلج، لى (2014). الذكاء العاطفي لدى طلاب الجامعة الهاشمية في ضوء متغيرات التخصص العلمي والنوع الاجتماعي والتحصيل الأكاديمي، رسالة ماجستير، الجامعة الهاشمية، الأردن.
- فراج، محمد (2005). الذكاء الوجداني وعلاقته بمشاعر الغضب والعدوان لدى طلاب الجامعة، مجلة دراسات عربية في علم النفس، المجلد الرابع، العدد الأول، ص 93-159.
- القداح، محمد والعساف، جمال (2013). الرضا الوظيفي وعلاقته بالذكاء الانفعالي لدى معلمي الصفوف الأولى في محافظة العاصمة، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية، 21(3)، 307-333.
- منسي، محمود وكاظم، علي (2006). مقياس جودة الحياة لطلبة الجامعة، وقائع ندوة علم النفس وجودة الحياة، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عُمان، 63-78.
- نعيسة، رغداء (2012). جودة الحياة لدى طلبة جامعتي دمشق وتشرين، مجلة جامعة دمشق، المجلد 28، العدد 1، 142-151.

- Abdul Hafizi, Yahya (2016). Standardization of the Quality of Life Standard for Mahmoud Mounsi and Ali Kazim on University Students: Field Study, University of Djelfa, Master Thesis (Unpublished), Ouargla, Algeria.
- Abu Amsha, Ibrahim (2013). Emotional Intelligence and Emotional Intelligence and their Relation to Happiness among University Students in Gaza Governorate, Master Thesis (Published), Al-Azhar University, Gaza: Palestine.
- Al-Astal, Mustafa (2010). Emotional Intelligence and its Relation to the Skills of Facing Stress among Students of Faculties of Education, University of Gaza, MA Thesis (unpublished), Islamic University, Gaza: Palestine.
- Alibabaie, N. (2015). A Study on the Relationship between Quality of Life, Emotional Intelligence and Life Satisfaction among Students. *Health Education and Health Promotion (HEHP)*, 3(1).
- Al-Jibhan, Dina (2010). Emotional Intelligence and Its Relation to Performance, Unpublished Master Thesis, Riyadh, Saudi Arabia.
- Al-Kadah, Mohammed and Assaf, Jamal (2013). Job Satisfaction and its Relation to Emotional Intelligence among First Class Teachers in the Capital Governorate, Journal of the Islamic University for Educational and Psychological Studies, (3) 21, 307-333.
- Austin, E., saklofske, D., &Egan, V. (2005). Personality, well-being and health correlated of train emotional. *Intelligence Personality & Individual Differences*, 38(3), 547-559.
- Faraj, Mohamed (2005). Emotional intelligence and its relation to feelings of anger and aggression among university students, Journal of Arab Studies in Psychology, Volume IV, first issue, pp. 159-159.
- Ganesan, S., & Sukanya, L. (2018). A Study on The Impact of Emotional Intelligence on Quality of Work Life Among Women Employees of Ites Companies with Special Reference to

Tidel Park in Coimbatore District. *ZENITH International Journal of Multidisciplinary Research*, 8(3), 96-107.

- Gannon, N. & Ranzijn, R. (2005). Does emotional intelligence predict unique variance in life satisfaction beyond IQ and personality? *Personality and Individual Differences*, 38, 1353-1364.
- George, j. M. (2000) Emotion and leadership: The role of emotional intelligence, *Human relation*, 53(8), 1027-1055.
- Ghaith, Suad and Alhahah, Lama (2014). Emotional Intelligence among Hashemite University Students in the Light of the Variables of Scientific Specialization, Gender and Academic Achievement, Unpublished Master Thesis, Hashemite University, Jordan.
- Goleman, D. (1995). *Emotional intelligence*. New York: Batman Books.
- Golman, D (2001). What makes a leader? *Harvard Businessreview November- December*.
- Hamid, A., Hajmohammadi, S., Mehri, L., & Naddaf, S. (2015). The investigation between Emotional intelligence and job stress and quality of life among high school teachers in Khozestan province. *European Online Journal of Natural and Social Sciences: Proceedings*, 4(1 (s)), pp-1371.
- Hsiang, R. (2016). Teachers' Mental Health: The Relevance of Emotional Intelligence in Burnout and Quality of Life.
- Khalil, Elham and Shennawi, Umniah (2005). The relative contribution of Bar-On's components to the IQ ratio in predicting coping methods among university students, *Journal of Psychological Studies*, Cairo, 5 (1), 990-161.
- Lindlely, L. D. (2001) Pesonality, other dispositional variables, and human adaptability. *Unpublished Ph. D. Thesis*, university of Iowa state available: www.lip.unmi.com/dissertaions.

- Mansi, Mahmoud and Kazem, Ali (2006). Quality of Life Standard for University Students, Proceedings of the Symposium on Psychology and Quality of Life, Sultan Qaboos University, Sultanate of Oman, 63-78.
- Mayer, j. & Salovey, P. (1990). Emotional intelligence. *Imagination, cognition, Personality*, 9, 185-211, new York, Us: Cambridge University Press.
- Naissa, Raghda (2012). Quality of Life for Students of the Universities of Damascus and Tishreen, *Damascus University Journal*, Volume 28, No. 1, 142-151.
- Pur, S. N., Rassouli, M., Pur, A. M., Kavousi, A., أمير كاوسی & ... , شراره نجفی پور، مریم رسولی (2012). Auditing of preventive nursing care regarding neonatal hypothermia at Shahid Beheshti Medical Sciences University selected hospitals in 2011.
- Sjoberg, L. (2001). Emotional intelligence and life adjustment a validation study working paper series in business administration no.8, *center for economic psychology Stockholm*, school of Economics, Sweden.



ظاهرة التمرد في ديوان «كي لا يميل الكوكب» لجاسم الصَّحِيح

د. حمد البليهد*

الملخص:

يتناول هذا البحث ظاهرة التمرد في ديوان «كي لا يميل الكوكب» للشاعر السعودي جاسم الصَّحِيح، الذي صدرت طبعته الأول سنة 2018م. ويُركِّز البحث على ظاهرة التمرد الواعي التي شكَّلتُ علاماتٍ واضحةً في شعر الصَّحِيح، ومنحته ثراءً وعمقاً، وميَّزته في ساحة الشعر العربي بسماتٍ خاصة تتجلى في مستويين، هما: التصريح والإضمار في المجازات اللغوية، والتمرد على الأنساق الثقافية.

The Rebellion Phenomenon in The Diwan "So that the Planet Does not Lean"

by Jassim Al-Saheeh

Dr. Hamed Al-Belayhed

Abstract:

This study deals with the rebellion phenomenon in the Diwan "So that the Planet Does not Lean" by Jassim Al-Saheeh which its first edition was published in 2018. The study focuses on the phenomenon of conscious rebellion, which has clearly marked the

* أستاذ الأدب الحديث المشارك- قسم اللغة العربية وأدائها- كلية الآداب- جامعة الملك سعود- المملكة العربية السعودية.

Al-Saheeh poetry. It gave him richness and depth, and distinguished him in the arena of Arab poetry with special features manifested in two levels: authorization and conspiracy in language metaphors; rebellion against cultural system.

مقدّمة:

الشُّعراء متمرّدون بطبعهم، تلك هي صفتهم المُنعكسة في رؤاهم الفنية والفلسفية المُخالفة لغيرهم، وتمردهم الشعري لا يتّخذ شكلاً واحداً؛ فقد يتمرد الشاعر سياسياً، أو اجتماعياً، أو نفسياً، أو فنياً، كما قد يتمرد الشاعر على ذاته مُنشقاً عن رغائبها، ولعل التمرد الفني هو أكثر الأنواع شيوعاً؛ لكونه قديماً قديمًا قديم القصيدة العربية، ونتاج رغبة الشعراء في الخروج على عمود الشعر العربي؛ مدفوعين بنداء ذواتهم إلى التحرر من النطق بلسان أبناء القبيلة والتعبير عن همومهم، والتنفيس عن رغباتهم المكبوتة، ومخاوفهم من المستقبل المجهول. فمنذ العصر الجاهلي تمرّد عمرو بن كلثوم على تقليد الوقوف على الأطلال مبتدئاً معلّقة بمقدّمة خمرية، قائلاً⁽¹⁾:

ألا هُيَّ بصَحْنِكِ فاصْبَحِينَا ولا تُبْقِي خُمُورَ الأَنْدَرِينَا

واستنكر عمرو بن قميئة بكاءه على رسم طللي، فقال⁽²⁾:

وكانَ الجَهْلُ لو أبْكَاكَ رِسمٌ ولسْتُ أُحِبُّ أن أُدْعَى شَقِيئاً

وهكذا يُعدُّ التمرد الفني عاملاً رئيساً في تجدد الشعر وتطوره منذ العصر الجاهلي حتى عصرنا هذا.

وعالمُ الشُّعْر اليومَ يتماهى بين الواقع والخيال، يحاكي الواقع ولا يقبله، يحلّق في سماء الخيال ولا يضيع في ضبابية اللاوجود، وجوده مرتين بالتمرد على جميع العوالم المُغلقة، لا يطلع على أسراره سوى مَنْ يسكنه مِنَ الشعراء، ولا وجودَ له إلا في سراديبِ نفوسِهِم القَلِقة، ومساربِ فكْرهم المتمرّد.

وقلق الذات الشاعرة قد يكون مَرَضِيًّا تتفوق فيه الذات حول نفسها، لا يشغلها إلا ما يؤرقها، وعلى الرغم من ذلك فقد يكون سرًّا من أسرار الإبداع، كما هي الحال عند ابن الرومي، وقد يكون قلقًا على كيان الإنسانية ومستقبلها، مدعومًا بمنطق الفكر، وجماليات الفن، فيتجلّى في صور متعددة لتمرد الذات الشاعرة على كل ما تراه منافيًا لرؤيتها في إصلاح الإنسان ونشر قيم الحق والخير والجمال، وهو ما نجده في ديوان «كي لا يميل الكوكب» لشاعر كان التبشير به منذ أكثر من عشرين عامًا تبشيرًا بانطلاق: «صاروخ شعري نقّاث سيعبر كلّ الحدود العربية»⁽³⁾، وهو شاعر الأحساء السعودي جاسم بن محمد الصّحّيح، الذي أودع في شعره رؤىً لحقيقة الإنسان والكون، وقد انمازت رؤاه بالجرأة والعمق، واستمدت قوتها من إيمانه بأن روح الشاعر لا تعرف السكون، ولا تركز إلى الظل، ولا تعترف بحدود.

وليس الباعث على تمرد الصّحّيح تفشّي الظلم في مجتمع واحد، أو نصرة طائفة بعينها، وإنما هو تمرد من أجل حلول السلام في هذا الكون الفسح، تمرد الرفض ظلم الإنسان لنفسه منذ الخطيئة الأولى التي أخرجت آدم من الجنة، وأول إراقة للدماء على سطح الأرض، والشعور وسيلة الصّحّيح في دعوته، وركنه الذي يحتمي به عندما تتراكم فوق ذهنه مشكلات هذا الكون، يتخذ من مجازات الشعر وكنائياته بيتًا يأوي إليه عندما ينتابه قلق بلوغه عامه الخمسين، وقصور تبليغ رسالته بنشر قيم الإنسانية والسلام في كافة أرجاء الأرض، تنزعج روحه الشاعرة من ضوضاء هذا العالم المادي الصّاخب، فينسحب إلى عالم الشعر الروحاني، يفجر طاقات الألفاظ ويلبسها معاني جديدة تخالف موروثها الذهني. تنأى دلالات شعره عن التقريرية والمباشرة، وتتخذ أبعادًا من الرمز والإيحاء، يتقبّل الواقع؛ أملًا في تغييره، ويكره التغاضي عن قبيح الحقائق أو تزويرها بدعوى التجميل، يؤمن بأن الشعراء أصحاب رسالات كالأنبياء، يقع على عاتقهم الإصلاح والتغيير ووحدة البشر على اختلاف الديانات والأجناس والألوان.

واتجاه الصّحّيح نحو التجديد، لا يعني طرح عباءة الماضي الأصيل، بل هو مزيج من انصهاره في أصالة الماضي، وإظهار لذاته المعاصرة، وهذا ما صرّح به عندما سُئل: ما علاقتك بالتراث؟

فقال: «التراث بالنسبة إليّ يمثل فضاء معرفياً مهماً جداً يجب -دائماً- استقراؤه واستقصاؤه والعودة إليه، لكننا لسنا مجبرين على أن نعتمد طرائق تعبيره الشعرية. إننا بمقدار ما يجب أن ننصهر في الماضي عبر معرفته، يجب أن نُكوّن ذاتنا في لحظة الكتابة وممارسة الحياة. الماضي طاولة نتكى عليها حينما نريد أن نكتب المستقبل بقلم الحاضر وأوراقه. شخصياً، أسعى دائماً إلى الانحراف عن الأسلاف، وليس إلى إكمالهم؛ بمعنى أنني أؤمن بالمغامرة فيما لم يغامروا هم في مجاهيله خلال بحثهم عن الجمال»⁽⁴⁾.

والمنطلق الأساس في تمرد الصّحّيح يكمن في مقولته: «يجب أن نكوّن ذاتنا في لحظة الكتابة وممارسة الحياة»؛ فكّلما تخطّى الشاعر مرحلة من حياته أدرك مقدار التغيرات في الذوات الجديدة التي تظهر له في كل مرحلة؛ فهو يقول في قصيدته «صعدتُ الطابقَ الخمسين»⁽⁵⁾:

طوابق ما بها إلا ذواتي مبعثرةً، وأسماي شتاتُ
فما من طابقٍ إلا لي اسمٌ بهِ وحقيقةٌ عنّي وذاتُ

وكل لحظة كتابة يعيشها الشاعر هي انسلاخ روحه من جسده، ورحيلها عن عالم الواقع المادي إلى عالم الخيال الروحي، فتتجلى الذات في عدد من الصور، تمثل كلُّ صورة منها ذاتاً جديدة هي وليدة لحظة كتابة جديدة، يودع الشاعر فيها نكهةً مُستحدثةً لمعنى الحياة، وشكلاً جديداً من أشكال التمرد الذي قد يعلنه صراحة غير مبالٍ بالعواقب، وقد يودع صيحاته في رداء رمزي خلاق لا يهتدي إليه المتلقي إلا بعد عناء يهبه متعة الاكتشاف.

وفي تتبع ظاهرة التمرد في ديوان «كي لا يميل الكوكب» سيعتمد البحث محورين أساسيين: أولهما تجليات الذات المتمردة، ويعالج التمرد في أربع صور من ذوات التمرد لدى الصّحّيح، والمحور الثاني يتناول بنية المفارقة؛ بوصفها أكثر العناصر هيمنةً على بنية الديوان، ووسيلة فنية من وسائل تمرد الذات.

أولاً: تجليات الذات المتمردة

الذات المُعترفة:

يقول جاسم الصّحّيح⁽⁶⁾:

ما حُورُكَ العَيْنُ يا رَبِّي- وإن بهضت
أثمأنهُنَّ- بأغلى من حبيباتي
ما نحنُ إِلَّا مَرَايا اللهُ أَنشأها
وعادَ يكسُرُ مِرْأَةً بِمِرْأَةٍ
أجنَّةٌ في ضميرِ الغيبِ واحدةٌ
تكلِّفُ الخلقَ آلافَ (القياماتِ)؟!!

ولا ينبغي أن يؤثر السياق الانفعالي أو العاطفي عند تلقي نصّ ما في السياق الإدراكي له⁽⁷⁾، والأبيات الثلاثة السابقة ليست متتالية، وتتضمن بعض الشفرات النصّية الدالة على أنها نتيجة لما أثقل ذاكرة الذات الشاعرة من ظلم الإنسان لنفسه منذ الخطيئات الأولى في تاريخ البشرية بأسرها.

فإن فضّلت الذات حبيباتها على الحور العين فإنّ ضمير التكلم في قولها (ربّي) اعترافٌ منها بأنّ الله -عزّ وجل- ربّها وخالقها، وفي لفظة (أثمأنهن) العائدة على الحور العين مبعث آخر للتأمل؛ فلو نطقت الذات بـ(مهورهن) ما تأثر الوزن الشعري، ونطقها بـ(أثمأنهن) إشارة إلى أن مقياس تقييم الذات لنفسها هو قدرتها على دفع الثمن والتملك. وفي فعل المفاضلة (أغلى) إشارة إلى أن أثمان الحبيبات أكثر غلاءً من أثمان الحور العين بمنظور الذات، ومن ثمّ فإن هؤلاء الحبيبات ما هن إلا شهوات دنيوية تُباع وتُشترى، يقول الصّحّيح⁽⁸⁾:

مقدارُ ما احتطبتني فأسُ حبيباتي
توهجتُ شُعلةُ الإنسانِ في ذاتي
تستهلكُ الأرضُ قلبي في محبّتها
ما عادَ يشغلُني حبُّ السّمواتِ

بقدر ما خابت فأس الشاعر باحتطأ بروحه؛ توهجت شعلة إنسان الطين فيه، فاستهلك شهوات الأرض قلب جسد طيني منغمس في ملذات الجسد ومتعته منذ خطيئة آدم، التي أخذت

صفة ديمومة الحدوث على سطح الأرض، فلا تختار الذات عزلتها إلا تعلقًا بأعناق النساء الجميلات اللاتي وجدتهن أعلى من الحور العين، وإن بهضت أثمانهن⁽⁹⁾:

تصيبني كل حين لعنة امرأةٍ وما تعرّيتُ من أولى إصاباتي
حاشا البنفسج أن يختار عزلتَهُ في الأرضِ إلا بأعناقِ الجميلاتِ

جُبلت النفس على حبّ الشهوات والملذّات، ممّا يدفعها في ظلّ الصراع الإنساني إلى قتل غيرها، فمازالت أولى حادثة قتل في تاريخ البشرية دائمة التكرار، فتوقظ في نفس الشاعر حادثة مقتل الحسين بن علي يوم كربلاء⁽¹⁰⁾:

وكَلَّمَا عَادَ فِي أَحْجَارِ زَلَّتِهِ (قابيلُ) أَيْقِظَ جُرْحَ (الكربلاءِ)
لي خِبرَةُ الضَّوِّ أَسْتَهْدِي بِنَجْمَتِهَا إنْ لَمْ تُضَيَّ شُرْفَةُ (الخمسين) نَجْمَاتِي

قتل قابيل أخاه هابيل ومازالت تتكرر المأساة بقتل الذات نفسها كلّما خابت ضربات فأسها، وهكذا تعيش الذات قلقًا ينعكس في انقسامها بين تقمصها لذات الخطيئة الأولى، وذات بلغت الخمسين من عمرها ومازالت باحثة عن سبيل الهداية والسلام على سطح الأرض، وكلّما أرهاقها البحث تلمّست النجاة بعزلتها خلف القوافي؛ محتميةً بها من الآمها، أو آلام البشرية كلها، متخذةً من مجازات الشعر سلاحًا يحرسها، يقول الشاعر⁽¹¹⁾:

في الشّعْرِ يَمْنَحُنِي المَجَازُ سَلاحَهُ ما سِرْتُ يَوْمًا في القَصِيدَةِ أعزلاً
في الشّعْرِ يَحْرُسُنِي المَجَازُ.. يَشْبُّ لي في القَافِيَاتِ بَخَورُهُ والحَرَمَلَا
ويقول⁽¹²⁾:

أَعِيشْ خَلْفَ القَوافِي حَيْثُ تَحْرُسُنِي أنْغَامُهَا مِنْ تَبَارِيحِي وَأَهَاتِي
وما انتظرتُ غُرَابًا كي يَعْلَمَنِي ما الحزنُ؟ كيف أُواري فِيهِ سَوءَ اتِي؟
ما زال عِنْدِي مِنَ الغَرَبانِ جالِيَةً أَطْلَقُهَا في فِضاءٍ مِنْ كِنايَاتِي

فارق شاسع بين الذات المجبولة على حب الشهوات المتلمسة عزلتها بأعناق الجميلات، وأخرى تتلمّس نجاتها بعزلتها؛ متسلّحة خلفَ قافية من الشّعرتحميها من وطأة الحزن المطبق عليها من جرّاء أخطاء البشر، وعلى هذه الوتيرة تتمرد الذات الشاعرة على الذات المُخطئة في صراع دائم، أو لعبة عبثية وانشقاق متوتّر يصيب أجزاء متعدّدة من الديوان⁽¹³⁾:

أحدٌ ولا أحدٌ أنا.. فالإلى متى أمحو وأثبتتُ هذه الأحيّة؟!
أنا نسخةٌ مِنّي أفْتِشُ في المدى كي أهتدي للنسخةِ الأصليّةِ
وأنا أكرّرُ في المَرايا صُورتي كيما أقاومُ وُحدتي الذنبيّةِ

فالذات المُعترفة يائسة من الهداية وتحقق السلام، ولو تلبّسها زهد الأنبياء، ويبلغ بها اليأس إلى التساؤل الحائر أنّ تكون جنة واحدة غائبة عن أعين البشر تكلفهم انتهاك حرمة دمائهم، عبر سلسلة متّصلة؛ بغرض اختبارهم، وإنما هو سرٌّ يمسح مواجع البشر، وهم يستمتعون بلعق حلوى المسرحيات، ولا يدركون أنهم يشاهدون مأساتهم المتكررة في صورة مرايا متعدّدة، سلّط الله عليها فجورها وتبجحها ليفني بعضها بعضاً⁽¹⁴⁾:

أجنّةٌ في ضمير الغيبِ واحدةٌ تكلفُ الخلقَ آلافَ (القياماتِ)؟!
(سرٌّ) يمسحُ في الدُّنيا مواجعنا ونحنُ نلعقُ حلوى المسرحياتِ
لن نغتدي أنبياءً لو تقمّمنا صوفُ الأذى وكفّرنا بالمسراتِ
ما نحنُ إلّا مَرايا الله أنشأها وعادَ يكسرُ مِراةً بِمِراةٍ

وتدرك الذات المُتمردّة أنّ اعترافاتها لن يكفيها زيت مشكاة واحدة لتفاقم عصيانها، وكثيرة خطيئاتها التي لا حصر لها⁽¹⁵⁾:

إنّي لأسمعُ بالمشكاةِ غرغرةً يا آخرَ الزيتِ لا تغدُرْ بِمشكاتي!
يا آخرَ الزيتِ خَلَّ الرُّوحُ موقدَةً لمْ تكتملْ بَعْدُ أوراُدَ اعترافاتي!

دَوْن الشاعر أسفل عنوان قصيدته إحدى مأثورات جلال الدين الرومي: «كل نفس ذائقة الموت، وما كل نفس ذائقة الحياة»؛ لأنه يؤمن بأن الذات التي لم تمتلك الشجاعة كي تعترف، أو تتمرد على أخطائها، هي نفسٌ ميّتةٌ لم تذقْ طعم الحياة.

الذات المتطلعة:

يكره جاسم الصّحّيح أن يكون سجين العالم الواقعي، فهو لا يطيق أسواره التي تحجب روحه الشاعرة عن الاطلاع على أسرار الوجود، إنه يتمرد على رتابة الحدوث، يكره النظرة القاصرة التي تصنع من صاحبها أسيراً المحدودية المعرفة.

وذاته المتمردة على سجنها في عالم محدود المعرفة، المتطلعة إلى عالم اللاحدود، تتجلى في أولى كلمات ديوانه من قصيدة بعنوان «جهنماتي الصغيرة»، وتمثل تمرّداً على أعراف الشعر السائدة، وقواعده الجامدة، أو ما تعارف النقاد القدامى على تسميته «عمود الشعر». وفي هذه القصيدة يأمر سكان عالم الواقع المُفعم بالضجيج قائلاً: «اخفضوا صوت العالم قليلاً.. أريد أن أسمع موسيقى الأشياء وهي تتدفق من أعماق الملكوت، إيقاع خطوات الأرض وهي تسير إلى الهاوية، تهامس الجذور وهي تتغازل في باطن التراب»⁽¹⁶⁾.

إنّ الذات المتطلعة إلى ما وراء العالم تصنع مفارقة غريبة عبر استعمال غير المؤلف من الألفاظ والصور: (موسيقى الأشياء)، (إيقاع خطوات الأرض وهي تسير إلى الهاوية)، (الجذور وهي تتغازل في باطن التراب).

يفتح الشاعر ديوانه بأمر موجّه إلى الأحياء كي يخفضوا صوت العالم الواقعي؛ ليسمع موسيقى الأشياء المتدفقة من عالم الغيب العجائبي؛ حيث امتلاك القدرة كلّ شيء؛ ليسمع إيقاع خطوات الأرض إلى هاوية الموت، وتهامس الجذور وهي تتغازل في باطن التراب. وهكذا يزواج الشاعر بين موسيقى عالم الخيال والأرواح، وإيقاع خطو جنائزي لكوكب الأرض نحو الموت، وبين الفناء وميلاد جديد للحياة عبر همسات غزل مفعمة بالرغبة، صاعدة من العدم القابع في باطن التراب،

وهذه المتناقضات لا وجود لها سوى في عالم روحاني لا يشعر به كل الأحياء. وجلبة أصوات البشر تنمُّ عن جهلهم بالموت الذي يترصدهم، إنها تسجنهم في عالمهم الواقعي، فلا يفتنون إلى غيره من عوالم هذا الكون الفسيح، التي لا وجود لها سوى في عالم الشعر المستوعب للعديد من العوالم التي لا نهاية لها.

يوظف الشاعر عنصر الصوت توظيفًا إيحائيًا، فينتقل من الخصيصة الرئيسة للشعر، بوصفه فنًا قوليًا في المقام الأول؛ ليخفت به ضجيج الأصوات المتصارعة في عالم الواقع، ويكسب عددًا من أصوات عوالم الغيب الخافتة القدرة على بلوغ أسماع البشر عبر صوت الذات المتطلّعة إلى معرفة الأسرار، وفيها تقبع آلام البشرية، وما هي إلا نتاج رواسب تمثل الموقف النفسي الأزلي للإنسان إزاء أحداث الطبيعة ومجريات الزمن، أو جماع تجارب إنسانية انحدرت إلينا من أجدادنا البدائيين عابرة نفوسهم، وهو ما يسميه "يونج" بـ(اللاشعور الجمعي)⁽¹⁷⁾. والشاعر كما وصفه "يونج" في مقالته «السيكولوجيا والشعر»: «إنسان جماعي، إنه المُشكِّل للنفس الإنسانية الحيوية لاشعوريًا»⁽¹⁸⁾.

فها هي ذات الشاعر المتطلّعة إلى معرفة الأسرار تعود مُحمّلة بآلام البشر: «ها هي روعي ملغومة بالصاعق الغيبي، قادمة من أقصى الحزن في النشيج الآدمي تحمل ألم جماعة في ذات، وتوزع ألم ذات على جماعة. وهنا جسدي ليس إلا جسرًا يمتد بين داخلي وخارجي كالفضاء بين السماء والأرض»⁽¹⁹⁾.

وآلام البشرية كلها لا يطيق حملها سوى أرواح الشعراء: «ولا أظنُّهم إلا أولئك الشعراء الذين يحملون الأرض على أكتافهم، إلى إقليم المستقبل، وعندما يشعرون بالتعب يستريحون في القوائد»⁽²⁰⁾، وتكون استراحة الشعراء في انعزالهم عن ضجيج عالم المادة، وتطلع أرواحهم إلى أمل منشود في عالم الشعر الذي لا نهاية له.

إنَّ روح الشاعر، أو ذاته المتطلّعة قادمةً من أقصى الحزن القابع في صوت الأدمية الباكية، حاملة آلام بني آدم؛ لتوزعها على ساكني هذا العالم. وهكذا يصير الجسد مجرد معبرٍ ممتدٍّ بين

عالم الشعر الخيالي (داخل الذات)، وعالم الواقع المعاش (خارج الذات). وفي استدعاء الشاعر روحه من عالم الخيال الذاتي إلى عالم الواقع الخارجي مشقّةً مضمّنية؛ لأن في العبور بين العالمين مسافة شاسعة ممتدة كالفضاء الممتد بين السماء والأرض، يُعدّب فيها جسده بخيانة أعضائه الحسيّة، بل يُقتل مرّات ومرّات كلما كان معبراً بين عالم روحه الشاعرة وعالم الحسّ؛ في محاولة لترجمة رؤية جديدة لذاته المتطلّعة لمعرفة الأسرار الغائبة خلف واقع البشر المحدود.

والذات المتطلّعة في شعر جاسم الصّحّيح لا تتوقف عند الرحيل عن عالم الواقع لتتطلع إلى أسرار عالم الغيب فقط، وإنما لتتطلع إلى حلول السلام في الأرض⁽²¹⁾:

مازلتُ أحلمُ بالزّيّتون مندلقاً على الحياةِ بأنغامٍ سخيّات!
حرّيتي في (الموسيقى).. أن أغنيةً تكفي لأكسر أغلال الهويّات!
في خاطر الحرب لم يبرق لنا حلّمٌ ذاك البريقُ بريقُ البندقِيّاتِ

تمرد ذات الشاعر على حروب البشر، وتطلّع إلى يوم يعمّ فيه السلام، إنها تحلم بأغنية واحدة للسلام، يتغنى بها جميع البشر على اختلاف ألسنتهم وعقائدهم، تتطلّع إلى يوم تنكسر فيه قيود الهويّات بشتّى صورها بين البشر. ففي خواطر الحروب لم يبرق عقل عاقل، وما بريق الحرب إلا بريق أسلحة قتل الإنسان لأخيه.

والذات المتطلّعة إلى السلام تشعر بالظلم، وهذا الظلم المُحدّد لمصيرها يجعلها تتحد مع كل مظلومي العالم، فيصبحوا أهلاً لها، وإن خالفوا تكوينها الحمضي، وجينها الوارثي⁽²²⁾:

وكلُّ مَنْ شابهوني في مصائرهم أهلي، وإن خالفوا (حمضي) و(جيناتي)
الذات الطفولية:

تري ذات الشاعر الأشياء بعين طفل رقيق يلهو بمجازات الشعر، وكأنّه يلهو بأراجيحه وألعابه⁽²³⁾:

غرقتُ من كلّ شيءٍ في طفولتيه وعدتُ أقطرُ من ماءِ الطُفُولاتِ

كلُّ الأراجيح والألعابِ أحملها معي، وأمنحها شكلَ المجازاتِ
لي في الحياةِ كتابٌ حالمٌ، فأنا قبستُ من رِقّةِ الأطفالِ آياتي

وبقدر ما نرى الأطفال أرقاءً ضعفاء، نراهم معاندين متمردين، وهذا هو حال الشعراء؛ إنهم أطفال يضيئون الحياة بما تجود به قرائحهم من نغمات الشعر، وهم في الوقت ذاته عنيدون يفجرون ذواتهم الطفوليّة في اللغة، يذوبون في طاقاتها، يبذلون أرواحهم؛ رغبة في لقاء حورياتها، إنهم أطفال متمردون. وتمرد الطفل الشاعر تمردًا ثائرًا ضدّ رتابة اللغة، إنه تمرد لا يعترف بالقواعد القاتلة لحيويتها، لا يعترف بموازن العروض الكاذبة:

«إنهم الشعراء أولئك الأطفال الذين يشغلون الوقت بالموسيقى ويضيئون الحياة.. أجل، إنهم الشعراء أولئك الإرهابيون الجميلون الذين يرتدون أحزمة المعرفة، ويفجرون ذواتهم في اللغة، وينتظرون حوريات (الضاد) في فراديس الأبدية. ولكن لا تصدقوا العروض.. لا تصدقوا هذه الموازين الكاذبة»⁽²⁴⁾. فكثيرًا ما يكون تمردهم ناتجًا عن نظرهم المغايرة لكلِّ ما يحيط بهم؛ إنهم يندهشون وكأنهم يرون للمرة الأولى ما يراه غيرهم رتيبًا لا جديد فيه:

«جدار الحكايات القديم سقط على الطفل داخلي منذ سنين، كاد يقضي عليّ لولا أنّ القصيدة انتشلت ذلك الطفل من تحت ركام الكلمات، وأوته في أبياتها، وهبّت له بياضًا من مجاز»⁽²⁵⁾.

يتخذ الشاعر من رتابة الحكايات القديمة المتكررة على مسامع الأطفال عبر العصور رمزًا لرتابة القصيدة العربية القديمة العاجزة عن أن تكون مأوى لذلك الطفل الشاعر الساكن بداخله. وحكايات الأساطير المتوارثة التي تُحكى لأطفالنا اليوم تصنع منهم أسارى لأشباح قديمة، وتزرع في قلوبهم جدرانًا من المنع أو الخوف المتوارث، تمنعهم من التطلع، وتقتل داخلهم القدرة على التجريب والتجديد. وكما أن هذه الحكايات القديمة لم تعد تتناسب مع بناء جيل متحرر

يتطلع إلى مستقبل جديد، فإن هيكل القصيدة القديمة وجدراؤها المتهاكمة تعجز عن احتواء ذلك الطفل الشاعر المتمرد داخل جاسم الصَّحَّيْح.

إن الطفل الذي يتماهى فيه الشاعر أشرف على الهلاك؛ لأنه لم يعد قادرًا على احتمال الركام جدار الكلمات القديم الساقط فوقه منذ سنين طويلة، وإنقاذ ذلك الطفل لا يكون إلاّ ببناء بيتٍ مفعم بقوة التجديد الخلاق؛ ليكون مأوى حقيقياً لطفل متمرد يكره أن تُتلى على مسامعه حكايات الأشباح القديمة.

قدرة رمزية خلاقية يمتلكها الشاعر؛ ليعلمن تمرده على القصيدة العربية القديمة التي لم يعد في إمكانها سوى الركون إلى التقرير، ومباشرة المعنى والتكرار المملّ داخل أسوار من الوهم الصلب؛ والوزن والقافية بعض أسوارها. إنها دعوة شاعر متمرد امتلك القدرة على انتشال طفله الشاعر من تحت ركام القديم؛ ليصنع له مأوى من أبيات قصيدة جديدة، ينطلق من مجازاتها إلى عالم من الرؤى لا حدود له، يقول الصَّحَّيْح:

«لأطفئُ الحزن طويلاً، وحينما ضاقت الأرض من حولي بعالمها، بنيتُ بيتًا في نفسي، وأسكنتُ العالم فيه، وسمَّيته: القصيدة»⁽²⁶⁾.

وظفلنا الشاعر لا يتأثر بمرور الزمن، ولن تناله الشيخوخة أبدًا، وسيظل يرى الأشياء بعين طفولية، وكأنه يراها للمرة الأولى:

«لم يكبر الطفل في القصيدة، فمزال يرى الغيم حزامًا مشدودًا على خاصرة السماء.. وكلما حلَّت السماء حزامها هطل المطر. لم يكبر الطفل، هو فقط يتدرب على النصر في معاركه الورقية، ولا ينتصر»⁽²⁷⁾.

معارك ورقية، ولكنها مضنية، يخوضها طفل الشاعر، أو تخوضها ذاته الطفولية عبر قصائده الجديدة المتحررة، والنصر ليس يسيرًا؛ فالقديم قابع في الرؤوس، مختلط بالأذهان.

الذات العاشقة:

من أهم ما يميز الحدّثة الشعريّة ابتعادها عن العاطفيّة المفرطة، والنزعة الغزليّة، والتوجع الرومانسي⁽²⁸⁾، ومن هنا كان تمرد الذات الشاعرة على العشق؛ فتحوّلت المرأة إلى رمز شعري مصبوغ برؤية الشاعر، وبما يشغل عقله ويؤرقه.

وفي قصيدة (حج بمناسك أخرى)، يشتاق جاسم الصّحّيح شوق العاشق المتيمّ المحروم من وصل اللقاء الساخن؛ ليطفئ لظى الشوق بحجّ إلى شفتيّ معشوقة مُتوهّمة، لكن أنّى له أن ينال من محبوبته ما يتمنّى!

ومن يطالع قصيدته تلك في بدايتها قد لا يساوره شك في أنه يشتكي قطيعة امرأة يتعشّقها⁽²⁹⁾:

حَجِّيْ إِلَى شَفْتَيْكَ مِنْذُ نَوَيْتُهُ	لَمْ أُسْتَطِعْ يَوْمًا إِلَيْهِ سَبِيلًا
لَا تَحْرِمِينِي مِنْ أَدَاءِ فَرِيضَةٍ	فِي الْعَاشِقِينَ تَنْزَلْتُ تَنْزِيلًا!
أَخْشَى يَمُوتُ فَمِي وَلَمْ أْبْلُغْ بِهِ	فَمَكَ (الْحَرَامَ)، وَأُذْرِكُ التَّقْبِيلًا
رَكْنَ عَلَيْهِ يَقُومُ شَرْعُ غَرَامِنَا	أَنَا لَسْتُ عَنْ تَعْطِيلِهِ مَسْؤُولًا!

لقد أودع الشاعر في نصه شفرات دلالية ظاهرة، وأخرى مختفية. والظاهر منها -كعادته في ديوانه- أنه وضع الألفاظ التي لا يقصد مدلولها المباشر بين قوسين، وهي: (الحرام)، و(من كل فج)، (هاتفًا محمولًا)، (مرسولة)، (الحجاز)، (الذبيح)، (إسماعيلًا)، (الكتاب).

وضع لفظة (الحرام) بين قوسين في قوله: «فمك الحرام»؛ لينبه إلى أنه لم يرد البيت الحرام، وإنما أراد فم معشوقته الغامضة المحرّم عليه. أمّا عن وضع القوسين في قوله⁽³⁰⁾:

(من كلِّ فجٍّ) في بريدٍ رسائلي آتيكِ أركبُ (هاتفًا محمولًا)

فغايته أن يتعد عن تشبّهه بالحجيج الذين يتكبدون عناء السفر لأداء فريضة الحج؛ رجاءً أو ركباناً، ويصنع بين الحج إلى بيت الله الحرام وما يتمناه، وهو محرّم عليه، وسيلة التنصيص في بقية الألفاظ التي لا يرغب في دلالتها المباشرة. أمّا عن الشفرات المطوية التي تحتاج إلى تدقيق نظر، ففي قوله:

أخشى يموتُ فمي ولم أبلغ به فَمَكِ (الحرام)، وأدركِ التَّقبيلَا

إن بعض الأدوات أو أجزاء الخطاب أو ما يطلق عليها "موريس" المحدّات، هي علامات صعبة التحديد؛ لأنها تستعمل بوصفها روابط تغيّر من بنية العلامات المركبة أو الواصفة، وبذلك فهي تتحكم في فهم الجمل على الرغم من أنها محرومة من أي مدلول في ذاتها، كالحروف، والضمائر، والظروف، وغيرها⁽³¹⁾. كما هي الحال في حرف الجر "الباء" في: (ولم أبلغ به)، ولو كان القصد إلى لقاء عشقي ينشد العاشق من ورائه تقبيل فم معشوقته لقال: «أخشى يموت فمي ولم أبلغه». وحرف الجر (الباء) في (ولم أبلغ به)، حوّل الدلالة الواصفة لفم العاشق؛ فبدلاً من أن يكون بلوغُ فم المعشوقة المحرّم غايةً ينشدها فم العاشق، أصبح فم العاشق وسيلةً للبلوغ، وهنا يساورنا بعض الشكّ في أمر هذه المعشوقة.

وكما أنّ علامات الترقيم تُعدّ علامات نصية ظاهرة؛ فقد أسهم الخط المائل / في كشف دلالة النص⁽³²⁾:

وقراءةُ القرآنِ باللّغةِ/ الهوى تكفي المُحبَّ ليفهمَ الإنجيلا

فبين لفظتي "اللغة/الهوى" خطّ مائل يقوم مقام علامتي الترقيم () في الإشارة إلى الدلالة المرموز إليها. وما أراد الشاعر هو أنّ لغة الحب المناقضة للغة الكراهية والتعصب والتفرق هي اللغة الحقيقية التي تجمع بني الإنسان تحت لواء واحد، إنها لغة المشاعر الخيرة الموحدة للبشر جميعهم، ولو اتخذها قارئ القرآن وسيلة لفهمه لاستطاع أن يفهم بها الإنجيل أيضاً.

والذات العاشقة تشكو الغياب الفعلي للغة الحب التي تسمو بجميع البشر عن التعصب العقائدي، تلك اللغة هي لغة السلام التي لم تتجاوز كونها مجرد عبارات يتشدد بها بعض البشر فتأبى أن تتجسد في أفعالهم، ولم تزد عن كونها مجرد أحاديث تُحكى، يقول الشاعر⁽³³⁾:

حَجِيّ إِلَى شَفْتِيكَ مِنْذُ نَوَيْتُهُ مَا نَلِئْتُ إِلَّا بِالْحَدِيثِ وَصَوْلَا

وهكذا تتمرد الذات العاشقة على وصل الإنسان لقيم الحب والسلام بمجرد أحاديث لا قيمة لها؛ ولذا فإنها تخشى أن يموت فمها الناطق بدعوات السلام المُحَرَّم قبل أن تبلغ به سلامًا حقيقيًا:

أَخْشَى يَمُوتُ فَمِي وَلَمْ أْبْلُغْ بِهِ فَمَكِ (الْحَرَامِ)، وَأُذْرِكُ التَّقْبِيلَا

فتمنّت هذه الذات أن تفرغ هواجسها للحب والسلام في بقعة من معشوقة متخيلة بتمني وجود حقيقي لها بحلول السلام ولو في بقعة واحدة من الأرض تستحق التقبيل والتعظيم⁽³⁴⁾:

أَمْحُو ذَنُوبَ هَوَا جَسِي فِي بَقْعَةٍ بِكِ تَسْتَحِقُّ اللَّئِمَّ وَالتَّبْجِيلَا

وهكذا يتخذ الشاعر وسيلة أخرى للتعبير عن تمرده، بتقمّصه ذاتًا عاشقة تشتكي قطيعة معشوقها (السلام) المُفْتَقِد في كوكب الأرض. فلم يكن الشاعر من هؤلاء الشعراء الذين شغلهم المرأة، وإنما اتخذت المرأة في شعره أبعادًا أخرى للتمرد من أجل الإصلاح؛ فهو يقول: «ولست من الشعراء العُذريين الذين أشعلوا نيران الغزل ولهيب الأشواق في دواليب أعمارهم»⁽³⁵⁾.

ووسيلة الشاعر إلى بلوغ السلام هي لغة الشعر⁽³⁶⁾:

فِي الشَّعْرِ يَنْبَعُ السَّلَامُ إِلَى الْمَدَى مِنْ سَقْفِ حَنْجَرَتِي مَلَكًَا مُرْسَلَا

ولذا فهو يتخذ من لغة الشعر معشوقة أخرى يتغزل بمفاتها، فتتخذ المرأة المعشوقة بُعدًا آخر من أبعاد الرمز⁽³⁷⁾:

أميلُ نحوكِ أغدوقابَ أنفاسي
وألمحُ الحُبَّ في عينيكِ يغمزُ لي
ملاؤتني بكِ حتى مَسَنِي خَجَلٌ
كلُّ النَّساءِ أحاديثٌ بلا سَنَدٍ
كما يميلُ (نَواسِيٌّ) على الكاسِ!
فهلُ ألامُ إذا استعجلتُ إحساسِي؟!
من فرطِ ما غازلتني أَعْيُنُ النَّاسِ
وأنتِ .. أنتِ .. حديثٌ لابنِ عَبَّاسِ

ثانياً: التمرد وبنية المفارقة

من أكثر المفاهيم غنى لدى الشكلانيين الروس مفهوم العنصر المهيمن، أو القيمة المهيمنة (La valeur dominante)، ويُقصد بها العنصر البؤري، أو المحوري الذي يسيطر على العمل الفني، ويحدّد عناصره الأخرى، ويضمن تماسك البنية الفنيّة وتلاحمها، ويعدُّ معياراً للتمييز بين الأنواع المختلفة، أو لتمييز أصول مدرسة شعرية، أو فنّ حقبة معينة، أو أثر أدبي لفنان واحد⁽³⁸⁾.

وإذا كانت الذات المتمردة هي المهيمنة على ذوات الصّحیح، فإن العنصر المهيمن على معظم ديوانه هو عنصر المفارقة، وقد اتخذها وسيلة لتمرد ذاته.

والمفارقة من أرقى أنواع النشاط العقلي وأكثرها تعقيداً، تُستعمل لقتل العاطفية المفرطة، والقضاء على المظهر الزائف، وفضح التضخيم الفكري⁽³⁹⁾. والميزة الأساسية في المفارقة هي تباين بين الحقيقة والمظهر، ولا تعني الحقيقة سوى ما يراه صاحب المفارقة، والمظهر هو المعنى الذي قد ينخدع به المتلقي أو عين الرقابة، والعلاقة بين المظهر والحقيقة علاقة تضاد، أو تضارب، أو تنافر، أو عدم اتساق⁽⁴⁰⁾.

ويسعى صاحب المفارقة دائماً إلى كتابة نصوصه بطريقة تجذب القراء بما يودعه في ألفاظه وصوره من إichاءات، ورموز عميقة، وقرائن تهدي قارئ النص، ويكمن جمال المفارقة في أنها تحقق المتعة في نفس منشئها وقارئها، وهي دوماً تقاوم المعاني الطافية على السطح؛ وصولاً إلى المستور الدلالي خلف أقنعة شفافة رقيقة⁽⁴¹⁾.

يقول جاسم الصّحّيح: «أجل، نادرًا ما كنتُ أحبُّ.. كان ثَمّة ارتجاج في دماغ الفكرة التي أحملها عن النساء؛ بسبب خوفاً من أن أتعرّض بحجر الشرف الزائف. عبثًا ادّعتُ أنّ كلّ امرأة تخيئ سورة (يوسف) في جيبها إلاّ أُمي، فهي تخيئ في جيبها سورة (الإخلاص)»⁽⁴²⁾.

إنّ الدلالة الطّافية، أو المباشرة للنص تتلخص في أنّ الشاعر كان نادرًا ما يُحب؛ خوفًا من التعرّض بحجر الشرف الزائف الذي يدعيه الرجال في نظرتهم إلى نساءهم؛ فهو يرى أن من العبث ادّعاءه بأنّ أمّه هي التي تمتلك الشرف دون بقية النساء، ويتخذ من حادثة النبي يوسف -عليه السلام- بُعدًا رمزيًا للمرأة التي تجنح بها شهوتها إلى الخيانة في لحظة ضعف إنسانية، كما يتخذ من سورة (الإخلاص) بُعدًا رمزيًا لإخلاص المرأة، أو لشهادة التوحيد التي تنأى بالروح عن متطلبات الجسد، ثم يبذل إقراره بندرة الحب إلى نفي تجربة الحب على الإطلاق؛ ولذا فإن لجميع الصبايا نكهة واحدة في روحه:

«وكانت لكلّ الصبايا نكهةً واحدةً في روعي؛ لأنّني لم أجربِ الحبّ؛ الحبّ الذي يمنحُ المرأة طعمَ الفرادة، ولستُ من الشعراء العذريّين الذين أشعلوا نيرانَ الغزل ولهيب الأشواق في دواليب أعمارهم، وقطعوا بها طريقَ العشق أمام كل النساء، واكتفوا بحبيباتهم. أنا لستُ منهم؛ لذلك لا تُعجّبني المرأة التي تتعطرُ برائحة (مريم) وحدها.. تُعجّبني حين تمزجها برائحة (زليخا)؛ حيث عطرُ الحقيقة خليطٌ من الرائحتين.

هل أئمت؟

نعم، أئمتُ كثيرًا، ولكن كما يَأْتُمُ الخريفُ حينما يخلعُ الجِبابَ عن الشجرة»⁽⁴³⁾.

في المسافة الفاصلة بين المعنى الظاهري للنص والمعنى الباطني له تكمن المفارقة، ومن هنا كان الرابط الوثيق بين المفارقة بوصفها وسيلة فنية يتخذها صاحب المفارقة، والغموض الشعري الذي يفتح النص عبره على دلالات إثرانية تزيد من التشكيل الجمالي للنص وتمنح المتلقي متعة الاكتشاف.

وطبقاً للمعنى الظاهري أو الحرفي؛ لم يجرب الشاعر الحبّ الذي يمنح امرأة واحدة «طعم الفرادة» المميز لها من غيرها من النساء، لم يجرب الحبّ الذي يحتم على الحبيب أسير الطعم المتفرد أن يكتفي بامرأة بعينها، وألا يتذوق طعم غيرها، إنّه ليس كهؤلاء الشعراء العذريين المكتفين بمعشوقة واحدة، القاطعين طريق العشق على بقية النساء، فيعلن أنه لا تعجبه المرأة المتعطرة برائحة (مريم) فقط، وإنما تعجبه تلك التي تمزج بين طهر (مريم)، وغواية (زليخا).

ينشأ تعقيد المفارقة نتيجة لعملية تشفيرها (encoding)، وفك تشفيرها (decoding)؛ لذا وجب على صاحب المفارقة أن يضمن نصّه علامات إشاريّة توجّه المتلقي نحو الدلالة الموازية، أو الحقيقية التي يريدها، لكن هذا لا يعني أن يفقد المعنى الظاهري قوّته⁽⁴⁴⁾.

وتكمن علامة الدلالة الحقيقية في قول الشاعر: «نعم، أثمت كثيراً» فهو ليس اعترافاً بالإثم بقدر ما هو تبرئة منه؛ لأنّه أثمّ «كما يَأْتُمُ الخريفُ حينما يخلعُ الحجابَ عن الشجرة». فالشعراء يُفتنون بالربيع الذي يكسو الأشجار بهاءً وفتنةً، لكن شاعرنا لا يفتنه سوى الخريف الذي يعرّبها.

إنّ التوتر الذي تبعه سيميائيات المفارقة يثير لدى المتلقي بعض التساؤلات التي تسهم في ملء فراغات النص، ومنها: أين يكمن كلّ من الجمال، والقبح؟ هل يكمن الجمال في ثياب عفة المرأة المخلوع، ويكمن القبح في انكشاف جسدها؟ أو أنّ الأمر على النقيض من ذلك؟ أليس في لفظة (الحجاب) إشارة دلالية إلى أن الشجرة هي المرأة؟ وأنّ خلع الحجاب هو تعرية لحقيقتها الإنسانية، أو ذلك المزيج بين رائحتي العفة والغواية، أو بعبارة أخرى: أليس في خلع الحجاب تجرّد من ثياب الطهر، وتعرية للغواية الناتجة عن رؤية الجسد ومفاته؟

لا يحب الشاعر سوى "عطر الحقيقة"، ذلك المزيج «من الرائحتين». وتمثّله بالخريف الذي يعري الأشجار كاشفاً عن حقيقتها ينفي عنه الإثم، وفي طيات اعترافه بالإثم صرخة إدانة لمن يقترفون الآثام الحقيقية، ولا أحسبهم سوى هؤلاء الشعراء العاشقين لعطر امرأة واحدة.

لكن هل يتوقف التأويل عند هذا الحد؟

ينتهي "أرت فان زويست" في حديثه عن قضية "التأويل والعلاماتية" إلى أنه «لا يوجد تأويل نهائي»⁽⁴⁵⁾، ويقول "رولان بارت": «إن هدفنا هو التوصل إلى أن نتصور، ونتخيل، ونعيش تعددية النص، وانفتاح دلالاته»⁽⁴⁶⁾.

وجرأة الشاعر في حديثه عن المرأة/ الأم تفصح عن شجاعة لا نظير لها، ولكنها تساور المتلقي بشيء من الشك، يقول "الصّحّيح":

«أمّي هي الشجرة الوحيدة التي تحتفظ بخضرتها طوال العام مهما تغيرت عليها فصول الزمن وتبدلت مواسم الحياة. أمّي هي النخلة التي لا تفقد ذاكرتها ولا صورتها المتوهجة في مرآة الوقت.. أمّي هي شجرة السلام التي تعرج منها عصافير الأمل إلى آفاقي كلما تكثفت في رأسي غيوم الكآبة»⁽⁴⁷⁾.

الأمّ/ الشجرة/ النخلة/ شجرة السلام، أصولها ثابتة في باطن الأرض، ورأسها في عنان السماء، إنّها لا تتغير صورتها أبداً بمرور الزمن (مواسم الحياة)؛ لأنّ حسنهما حسن حقيقي لا شيء وراءه سوى الحسن.

يقول جاسم الصّحّيح عن بلوغه الخمسين من عمره في قصيدته «بلغتُ الطابق الخمسين»⁽⁴⁸⁾:

هنا أكملتُ من عمري فسيلاً تربّيتني النّخيلُ الأمّهاتُ
هنا والرّوحُ متخنةٌ صقيعاً أذابتني على الوله البناتُ

الدلالة الحرفية تؤكد تأثر الشاعر ببيئة الأحساء في تشبيه نفسه بالفسيل النابت من جذور أمهات النخيل، ودلالة المغزى تشير إلى أن الشاعر قام على تربيته كلُّ قديم أصيل، ولكنه لا يقف عند هذا الحد، بل تذوب روحه عشقاً لبنات أفكاره الجديدة، فروحه تتمرد على القديم تمرد

المجدد الباحث عمّا يحتويه عالم الشعر الذي لا حدود له، وإن كان محشّوًا بأسلافه من الشعراء
القدامى⁽⁴⁹⁾:

أنا المحشّوُّ بالأسلافِ حشّوًا وإن حاولتُ أدركُ ما أفاتوا
يثبّئني حراكي في الليالي مساحةً ما يحركني الثّباتُ
مطاري داخلي إن حلّقتُ بي إلى ذاتي حروفٌ طائراتُ

لقد أفضى بنا التأويل إلى أن الصّحّيح يكشف حقيقة المرأة/الإنسان المازجة بين العفاف
والغواية، وأنّ تزامح رموز المرأة/ الأم (النخلة- الشجرة- شجرة السلام) يخرجها من آدميتها،
ويدعونا إلى البحث ثانية عن بُعد آخر لها، أو عن الجانب الآخر للحقيقة، يقول الصّحّيح في
قصيدة "هدنة":

«مثل جنّية في المساء..»

تجيء القصيدةُ

تنقرني دفّ ليلٍ

(تخلّجني) ساق حُلُمٍ

تكورني قمرًا من سَراب

وتوهمني بالمجاز

لأحتضنَ الفكرةَ الكعبةُ

فأنصاعُ للوهم

أنصاعُ لامرأةٍ تحتويني

وترشقني في الظلام بلعنتها الراغبة»⁽⁵⁰⁾.

إنّ المرأة الرامزة لحقيقة الإنسان تمثل رمزاً أخصيحي إلى جانب آخر من التأويل، أو جانب آخر من الحقيقة، فلا فرق. فالمرأة عند الصّحّيح هي القصيدة، هي الفكرة الكاعبة التي تزوره ليلاً؛ ليحتضنها، هي الوهم/ المجاز الذي ينصاع إليه؛ ليحتويه.

إنّ المرأة رمزٌ للولادة والخصوبة⁽⁵¹⁾، والولادة لا تشبه الخلق الأول في كونها لا تكون من العدم، وإنما تنبثق من أصل قديم، تنبعث من بعض صفاته، لكن وجودها الحقيقي لا يكون إلا بتفردتها بسمات خاصة. والفكرة الواردة في ذهن الشاعر هي ولادة جديدة لقصيدة جديدة، والمرأة التي ينصاع لها الشاعر لتحتويه هي الفكرة الجديدة المبتكرة التي تنتج قصيدة تختلف عمّا سبقها من قصائد الأسلاف، أو تختلف عن قصائد الشعراء العاشقين لفكرة واحدة، أو شكلاً واحداً للقصيدة.

وهنا تتضح بنية المفارقة التي يعقدها الشاعر بينه وبين غيره من الشعراء، إنّه أتمّ من وجهة نظر هؤلاء الذين يركنون إلى أفكار ثابتة، هؤلاء الذين يخشون الكشف عن الحقيقة كاملة، الذين لا ينظرون إلا إلى ذلك الجانب الذي يبدو جميلاً في أنظارهم، ويتعامون عن الجانب الآخر، أو ما يرونه قبيحاً، ذلك الجانب الذي لا يتجرأ على تعريته سوى شجاع يؤمن بأن في الحقيقة كلّها منجاة الفكر من العطب.

لقد أخبرنا الشاعر بأن لكلّ الصبايا نكهة واحدة في روحه؛ لأنه لم يجرب الحب، والنكهة التي يستشعرها الشاعر بروحه هي نكهة الأفكار والمعاني الساميات التي قد تعجز روحه عن بلوغها عندما تثقل على التحليق⁽⁵²⁾:

إذا نُقِلْتُ على التحليقِ رُوحِي وفاتّها المعاني السامياتُ

قصدتُ الحانَ حتى أدبّتني كؤوسِي، فَمَيَّ أشياخُ ثقاهُ

وسمو الأفكار ينبعث من الحقيقة بلا تجلُّل، الحقيقة بجانبها: الحسن والقبيح، إنها حقيقة الإنسان، بل حقيقة الكون بأسره، تلك الحقيقة التي لا مجال إلى تعريتها إلا عبر شعر جديد.

إنّ البشر جميعهم ينتمون إلى الطين، مادة الخلق الأولى، وهم عند الشاعر أطفال يناغمهم
بنغمات القافيات، ويتخذهم نصًّا يحاول تأويل أسرارهِ. إنّ البشر جميعهم نصٌّ تحاول كلُّ اللغات
قراءته⁽⁵³⁾:

أحسُّ النَّاسَ أطفالي فأمضي أناغمهم وصوتي قافياتُ
ومالي غير هذا الطِّينِ نصٌّ تلاقتُ في قراءتِهِ اللُّغاتُ

وجاسم الصَّحِيحِ يقرأ البشر، بل الخلق جميعهم، بفكر شاعر متحرر من كل قيد لغوي يحد
من إبداع روحه الشاعرة⁽⁵⁴⁾:

قرأتُ الخلقَ في (جُمَلٍ)، ولكنْ شُغِلتُ بغيرِ ما شُغِلَ (النُّحاةُ)
أضيقُ بـ(جُمَلَةٍ) لم ألقَ فيها أمامَ (الفعْلِ) تُمْتَحَنُ (الصِّفَاتُ)

ألا ترى أنّ الشاعر ينفذ برموز مجازاته إلى ثورته على الشعر الدائر حول فلك أفكار ثابتة؟
ومن هنا كان نفيه أن يكون من الشعراء الذين يركنون إلى نكبة امرأة واحدة، أو أفكار ثابتة
يتوارثونها ليكرروها، وهذا هو جوهر المفارقة التي عقدها مع غيره من الشعراء بطريقة خفية،
وتلك هي الحقيقة التي فطن إليها كعب بن زهير الجاهلي بقوله⁽⁵⁵⁾:

ما أرانا نقولُ إلا رجيحاً ومُعَاداً من قولنا مكرورا

يقول "أمبرتو إيكو": «النص كون مفتوح، بإمكان المؤول أن يكشف داخله سلسلة من
الروابط اللانهائية... على القارئ أن يتخيل أن كل سطر يخفي دلالة خفية. فعوض أن تقول
الكلمات فإنها تخفي ما لا تقول... إن الأغبياء؛ أي الخاسرين، هم الذين ينهون السيرورة قائلين:
لقد فهمنا»⁽⁵⁶⁾، وهذا عينه ما نبّه إليه الشاعر في قصيدته «مَرَّق حجاب النص»:

مَرَّق حجابَ النَّصِّ..

مَرَّقُهُ

فخلف النَّصَّ نصًّا!

ليس التَّهَارُ إذا تَوَهَّجَ

غير أضواءٍ تُرَصُّ

مَرَّقَ حجاب النَّصِّ

حتى يشرق الإكسيرُ في المعنى

ويسقط عنه إسمنتٌ وجِصٌّ⁽⁵⁷⁾

ويكرر في آخر القصيدة:

مَرَّقَ حجاب النَّصِّ

مَرَّقَهُ

فخلف النَّصَّ نصًّا!

وهذا تصريح من الشاعر بأن دلالات شعره لا تتأني إلى المتلقي في يسر، ولا يدركها القارئ الكسول؛ لأن خلف النصَّ نصًّا، أو خلف الدلالة المباشرة دلالة أخرى مخفية، لا سبيل إلى كشفها إلا بتمزيق حجاب النص «حتى يُشرق الإكسيرُ في المعنى» (دلالة المغزى)، و«يسقط عنه إسمنتٌ وجِصٌّ» (الدلالة المباشرة).

لقد اهتم النقاد التفكيكيون بالقوة النقدية الكامنة في التكرار؛ لأنه يستدعي ظهور سلسلة من الاستبدالات والإزاحات تعمل على إثارة شيء من التشويش، بل تهز استقرار الأنظمة النصية؛ فتدفع القارئ إلى اكتشاف الأثر الفاعل الذي تقوم به الوحدة المكررة⁽⁵⁸⁾. والصَّحِيح يكرر عددا من الألفاظ في معظم قصائده، وهي سمة عامّة من سمات الشعر في ديوانه.

ولفظة (الحجاب)، وإن وردت في النص السابق بدلالاتها المباشرة بوصفها مؤشراً على الدلالة المدفونة في النص وحقيقته، فإنها قد وردت في قصيدة (جهنماتي الصغيرة) بدلالة رامزة إلى الكشف عن حقيقة الإنسان.

وتكررت لفظة (الصلصال) بديلاً معادلاً (للإنسان)، و(الطين):

لك من خيالك

ما يكمل فكرة الصلصال

فالصلصال نقص⁽⁵⁹⁾

ينبه الشاعر المتلقي إلى أن خياله، أي خيال المتلقي، يصنع احتمالات المعنى المغيبة، ويكمل فكرة النقص في الصلصال (الإنسان)؛ أي أنّ خيال التلقي القادر على التأويل والنفاز إلى المسكوت عنه يكمل ما يرمي إليه خيال الصلصال، أو الإنسان الشاعر:

لك من خيالك

ما يؤول روضة الكلمات..

إنّ الشّعرقص!

لك من خيالك

ما يجمل..

فالخيال بخاتم التأويل فص⁽⁶⁰⁾.

وهنا نرى كيف امتزجت الشعرية بالرؤية النقدية، فما ذهب إليه هذا النص الشعري هو عينه قول العديد من النقاد: إنّ «النص لا وجود له في خارج أذهان متلقيه»⁽⁶¹⁾، وإن حلّ الشفرة المؤدية إلى الرسالة الموازية التي تقوم عليها بنية المفارقة يتطلب مهارة خاصة لفهم العلامة، وهي مهارة ثقافية وأيديولوجية يتشارك فيها المتكلم والمتلقي⁽⁶²⁾. فما يحصل عليه المتلقي من الرموز لا

يتوقف على ما يبثه المرسل فقط، وإنما «يتوقف في المقام الأول - كما يرى "تندال" - على حساسية المتلقي ووعيه به»⁽⁶³⁾. فالرموز لا تُشكّل علامات حقيقية، بل مميزات تدعو إلى مشاركة خلاقة من المتلقي⁽⁶⁴⁾.

وكما أن خيال التأويل عند المتلقي يسهم في كشف ذخائر النص، وتوليد دلالاته، فإن خيال الشاعر المنتج للنص يكشف عن رؤيته تجاه الحياة والإنسان (الصلصال / الطين)⁽⁶⁵⁾:

ومالي غير هذا الطين نصّ تلاقت في قراءته اللغات
سأرتهن الحياة بكل شعري لأربحها وتربحني الحياة

وكأن الشاعر يرى أن الكشف عن حقيقة النصّ والإنسان مرتين بالكشف عن حقيقة الآخر، فالإنسان عند جاسم الصّحّيح ما هو إلا نصّ شعري، فهو جرمٌ صغير وفيه انطوى العالم الأكبر.

إن جاسم الصّحّيح يتأمل الإنسان تأمل الباحث عن الحقيقة، إنه يكره التجمّل الذي يُزوّر الحقائق، فالإنسان مزيج من الروح والجسد، وكما أن الروح تمثل الجانب الإيماني المثالي المُهذّب للشهوات، فإن الجسد يمثل هذا الجانب الشهواني المفتقر إلى التهذيب، ومن كلا الجانبين تتشكل حقيقة الإنسان التي لا سبيل إلى التعبير عنها إلا بوساطة النص. فالنص عند جاسم الصّحّيح هو الإنسان، والإنسان هو النص، وهذه المزاوجة لا يُصحّح بها الشاعر عبر مقطع شعري، أو قصيدة واحدة فقط، وإنما وفق بنيةٍ للمفارقة تنتظم في الديوان كله، إلى الحد الذي يمكن القول معه: إنَّ شعر الصّحّيح يؤول بعضه بعضاً، وإنَّ مَنْ يقتصر على تأويل قصيدة واحدة لا يستطيع أن يرى المشهد كاملاً من جميع زواياه، أو أن يقترب من عمق التأويل النصي، المعتمد بشكل أساسي على رؤية شاعر متمرد على قواعد الشعر كما صاغها الأسلاف؛ فهو لا يعترف بحدودها كما لا يعترف بحدود بين القصائد.

وإنسان كل عصر جديد، شاعرًا كان أم متلقيًا، لا يحتويه إلا نص شعري جديد، وكما أنَّ إنسان هذا العصر قد تحرَّر من قيود أسلافه بحكم تطورات عصره، فلن تنعكس حقيقته إلا عبر نص شعري جديد يتجاوز ما قدّمه الأسلاف في قصائدهم. هذا ما أراد قوله الشاعر المتمرد جاسم الصَّحَّيْح، وتلك هي الفكرة الرئيسة التي تُبنى عليها المفارقة في ديوان (كي لا يميل الكوكب).

وحس المفارقة لا يقتصر على رؤية الأضداد في إطار المفارقة، وإنما يتطلب القدرة على إعطائها شكلاً من أشكال الذهن، ينطوي على قدرة خلاقية مميزة تمكّن الفنان عند مواجهة قضايا الحياة، ومكونات الواقع من أن يتذكر أو يتخيل أو يلاحظ شيئاً آخر يشكل معه تضاد مفارقة⁽⁶⁶⁾. وجاسم الصَّحَّيْح يرى الأشياء الرتيبة التي اعتاد الناس عليها بعين تلحظ شيئاً آخر يناهضها، ويتخذ من ذلك مفارقة ساخرة، وشكلاً من أشكال اضطراب الحياة يتطلب التمرد من أجل الإصلاح⁽⁶⁷⁾:

لنا من الوهمِ أوثانٌ نقدسها لم تخلُ روحٌ من (العُرَى) أو (اللآت)
أرواحنا تتحرى (فتح مَكَّها) فما انتهى في الهدى عصرُ الفتوحاتِ
و(مكَّة) بضجيجِ النَّاسِ مُثَخَّنَةٌ والنَّاسُ ما بينَ (مِيقَاتِ) و(مِيقَاتِ)

يرسم الشاعر في الأبيات السابقة مفارقة تصويرية لمشهد حسي يصور فيه أجساد الحجيج المتراخمة، وقد أوهنت مكة بضجيجها، ومشهد روحاني يصور تلهف أرواحهم إلى فتح كفتح مكة، وتطهير من الآثام كما طُهرت مكة من أوثانها، فعصر الفتوحات والهدى لم ينته، ومكة لن يكفها فتح واحد⁽⁶⁸⁾:

لو كان يكفي (مَكَّةً) فتحُ إلهيٍّ وحيدُ
ما عادتِ الأصنامُ ثانيةً من الزَّمنِ البعيدِ
(هُبِلٌ) يُعادُ نتاجُهُ أبداً و(عُثْرَتُهُ) تزيدُ
نحتاجُ في كلِّ العصورِ لفتحِ (مَكَّةً) من جديدِ

تتمرد ذات الشاعر على جاهلية كلِّ عصر؛ لقناعتها بأن الجاهلية ليست إطارًا زمنيًا انتهى بظهور الإسلام، وإنما هي إطار فكري يعيش في العقول ولا يحده زمن، فكلَّ عصرٍ يحتاج إلى فتح مكَّة من جديد؛ لتطهير العقول والأرواح من أصنام الجاهلية التي تعود بين الحين والآخر. وهكذا تتخذ الذات من مكَّة قبل الفتح الإسلامي بُعدًا رمزيًا يتكرر كلَّ عصر بتكرار تصنيف الفكر وتقديس أوثان الوهم؛ مما يستوجب تطهير الأرواح قبل إضناء الأجساد بأداء فريضة الحج.

وهكذا يوظف الشاعر الموروث الديني؛ متخذًا منه أبعادًا رمزية، ووسيلة لتمرد الذات على ما اعتاد الناس عليه اعتيادا جسديًا منفصلاً عن الروح أو الجوهر المُمثِّل لفطرة الإنسان النقية؛ حتى غدت العبادات ممارسات جسدية تتكرر بدافع التعمُّد دونما أدنى أثر في الأرواح.

ولم يكتفِ الشاعر بالموروث الديني الإسلامي، وإنما تعرض للعديد من الأنبياء والديانات؛ ليبيِّن مفارقات قائمة على موروث هذه الديانات في العقول، وما تحلم به ذاته من سلام تذوب فيه فوارق الأديان والطوائف، ويتطور به الفكر الديني الذي لا يطغى على الأصول الثابتة، وإنما ينشد إحياءها في ظل عصر جديد خلا من الأنبياء⁽⁶⁹⁾:

لا وحيَ يَهْبِطُ إِنَّمَا نَحْنُ الَّذِينَ إِلَيْهِ نَرْقَى
وَنُصِيبُ مِنْ سِرِّ النَّبُوءَةِ قَدَرًا مَا فِي الْأَرْضِ نَشَقَى
الوحيَ يَبْدَأُ فِي التُّرَابِ وَيَنْتَهِي فِي الْغَيْبِ فَوْقًا
ونطيرُ نَحْنُ إِلَى مَدَاهُ فَنَرْتَقِي وَجَدًّا وَشَوْقًا
الأنبياءُ أَنَا وَأَنْتَ وَمَنْ أَضَاءَ الْحَبُّ قَلْبَهُ
حيثُ النَّبُوءَةُ لَا تُنَالُ سِوَى عَلَى قَدْرِ الْمَحَبَّةِ
فاجعلْ لِنَفْسِكَ -كُلَّمَا صَلَّيْتَ- وَجَهَ النَّاسِ كَعْبَةٍ
مَنْ لَا يُحِبُّ تَجَلِّيَّاتِ الرَّبِّ كَيْفَ يُحِبُّ رَبَّهُ!

المفارقة عند "فريدريك شليجيل" «تقوم على إدراك حقيقة أن العالم في جوهره الذي ينطوي على تضاد، وأن ليس غير موقف النقيضين ما يقوى على إدراك كليته المتضاربة»⁽⁷⁰⁾. والمفارقة في ديوان «كي لا يميل الكوكب» تتسع لتشمل ما يُسمّى بالمفارقة الكونية، أو المفارقة الفلسفية؛ نتيجة لفكرة التناقضات الأساسية بين الإنسان وبقية الكون، بين الحياة والموت، بين الروحي والمادي⁽⁷¹⁾؛ وتشكل المفارقة، بمفهومها الكوني في الديوان، في صورة صراع متأجج بين السائد وبين رؤية عصرية لشاعري يرى كل ما تقع عليه عينه رؤية فلسفية هادفة إلى إنقاذ هذا الكوكب من الضياع بالتمرد النفسي على ذات الإنسان، منذ الخطيئات الأولى حتى أخطاء هذا العصر، والتمرد على كل ما يخالف قيم الإنسانية السمحة، ووحدة البشر، وعمارة الأرض بالدعوة إلى نشر لغة واحدة تذوب بينها كلُّ الفوارق؛ ألا وهي لغة الحب والسلام، التي تشكو الذات الشاعرة قطيعتها وغيابها عن هذا الكون، ومن هنا كان قلق بلوغها خمسين عامًا انقضت في ظلّ غريبتين؛ غربة في عالم مادي، وغربة في جسد طيني إلى الحدّ الذي يدفعها إلى أن تنشد توازنًا بميلاد جديد⁽⁷²⁾:

في غربةٍ من عُمري الممتدِّ داخلَ غريبتين
يَنفَتَحُ الصِّلْصَالُ في جسدي مساحةَ رَغْبَتَيْنِ
لأبدٍ لي من مولدٍ ثانٍ، وعمريَّ بَيْنَ بَيْنِ
خمسون عامًا أدبرتُ وأنا على قيدِ الجِدادِ
سَنَةً بماتمٍ أختها تتلو مزاميرَ السَّوادِ

تُمثّل المفارقة موقفًا من التراث حين تتجه إلى إعادة تقييمه وتفسيره طبقًا لمجريات العصر وأحداثه، واستشعار وقعه على الذات التائهة في غيابات المجهول؛ بحثًا عن الحقائق وجوهر الإنسان، كأن تستحضر الذات بعض أحداث التاريخ الإنساني المؤلمة، كمقتل الحسين بن علي⁽⁷³⁾، أو قصة قابيل وهابيل⁽⁷⁴⁾، أو قصة النبي يوسف مع إخوته، كما نرى في هذا النصّ⁽⁷⁵⁾:

(الجُبُّ) أجهشَ رأفةً به (غلام)ه
يالـلـ (غلام) وللسّماء! فلم يكن
نَدَرَ الحقيقةَ للسُّؤالِ فلم يَزَلْ
ما زال في الأعماقِ يحلمُ ربّما
وتلوحُ قافلةٌ هناكَ ويَنبئني
يا للـ (غلام) أنا المُعلِّقُ في المدى
وحدي هنا و(الجُبُّ) حوي عتمةً
والغيبُ يشربُ من رحيقِ عظامِه
يرنولها إلا بعينِ هيامِه
مُستوحداً بعلامةِ استفهامِه
بُشرى تُطلُّ عليه من أحلامِه
دلّو يمدُّ إليه حبلَ سلامِه
ما بينَ أقدامِ السُّؤالِ وهامِه
خرساءً تُوصلُ بدءَهُ بختامِه

فتتماهى الذات الشاعرة بغيرها من الذوات التي عاشت هذه الأحداث؛ لتتمثل المفارقة بين عصر الذات وما سبقه من العصور. والأبيات السابقة تصنع مفارقةً بين عتمة الظلم في عصر الذات، وعتمة ظلمة الجبُّ الذي ألقى فيه يوسف -عليه السلام-، فإن أجهش الجبُّ رأفةً بيوسف، فالذات في بحثها عن الحقيقة ملقاة في جبِّ يعتمه صمت أحرص لا نهاية له، وإن كان في دلو القافلة منجاة يوسف، فالذات ما زالت في أعماق الجبِّ تحلم بقافلة تلوح، ودلو ينثني، وإن كان الحسد هو سبب إلقاء يوسف في غيابة الجبِّ، فإن الجبُّ الذي تعاني فيه الذات هو جبُّ الحقيقة المفقودة في عصر التبست فيه الأوهام بالحقائق، وقد تكون الآمال المنتظرة هي التي ألقت الذات الشاعرة في جُبِّها؛ لتظل تحلم ببارقة فجر مع كل قصيدة جديدة⁽⁷⁶⁾:

حَمَّارُ آبارِ الحَقيقَةِ كَلَّمَا فَجَرُّ القِصائِدِ شَدَّنِي بِحِزَامِهِ
ما زلتُ أسألُ: هل هناكَ قصيدةٌ تركتُ لشاعرها اختيارَ كلامِه؟!

فالواقف هي التي تجعل المؤلف أحياناً يجري بعض التغييرات في استعمال تسمياته أو علاماته النصية، وهي تغييرات ذات دلالة وظيفية في العمل الأدبي؛ لأنه غالباً ما يكون التغيير المفاجئ في التسمية أو الوصف علامة واضحة على الانتقال من وجهة نظر إلى أخرى⁽⁷⁷⁾، فتنشأ عنئذ ضدية المفارقة من تغير وجهة نظر الذات الشاعرة عبر المفارقة اللغوية في التحول من لفظة

"الجُبِّ" إلى "آبار" بصيغة الجمع؛ فالجُبُّ: «لا تكون جُبًّا حتى تكون مِمًّا وُجِدَ لا مِمًّا حفره الناس»⁽⁷⁸⁾، وآبار الحقائق تحفرها الذات كلِّما جذبها فجر القصائد. لقد كان جُبُّ يوسف واحدًا لا ثاني له، أمَّا آبار الحقائق التي تحفرها الذات فمتعددة بتعدد وجوه الزيف في عصرها، ولكن الذات تحفر آبار الحقائق، ثم تمعن في بث شكواها في عتمة (الجُبِّ) الخرساء، وتنتظر مرور القافلة وانثناء الدلو. لقد بلغت المفارقة حدَّها عبر الدلالة الساخرة لـ(فجر القصائد)، أو فجر الحقائق العاجز عن السطوع المنتظر.

لقد ذهب عصر الأنبياء، ولم يتبق سوى صراع البشر مشدوهين برغبة الشهوات وحب التملك، لقد غاب يوسف، والذئب أظهر من خطيئات البشر التي يدعونها حضارة، والريح أصدق من بشاراتهم الكاذبة عن السلام.

لا يوسفُ بيننا يزهو (الصواغُ) به و(الذئبُ) أظهرُ من كلِّ الحضارات!

والريحُ أصدقُ من كلِّ الذين أتوا يُلَوِّحُونَ بـ(قمصانِ البشاراتِ)⁽⁷⁹⁾

وفق هذه الوتيرة نجد في الديوان العديد من المفارقات، التي كان المؤلِّد الأساس في إبداعها تمرد الذات الشاعرة على واقعها، ورغبتها في الإصلاح وإحداث التغيير الذي لم يرد له الصِّحِّيح أن يكون حبيس بقعة من الأرض بعينها، وإنما يشمل كل بني الإنسان في كوكب الأرض على اختلاف عقائدهم وتباين أفكارهم. إنها أحلام الشعراء في المدينة الفاضلة، وهذا ما تشير إليه دلالة تسمية ديوانه: "كي لا يميل الكوكب".

الخاتمة والنتائج:

-تعدُّ ظاهرة التمرد، بموضوعاتها وأساليبها وصورها، الفكرة الأساسية المهيمنة على ديوان الشاعر جاسم الصِّحِّيح «كي لا يميل الكوكب»؛ مما جعل لها خصوصية أسلوبية لافتة ميّزت شعره من شعر غيره من الشعراء، وكشفت عن ذاته المتمردة بتنوعياتها المختلفة تجاه الواقع المحيط بها ورفضه، وإعادة بنائه وتشكيله فنيًا، وفق رؤية خاصة تراها الذات الشاعرة، وتنمُّ عن

درجة عالية من الوعي، واستلهاً التجارب بمعطيات حضارية تراها الذات؛ أملاً في تجاوز الصراع، والنهوض بالحاضر، وصنع المستقبل المنشود.

-استثمرت الذات الشاعرة أسلوب المفارقة للتعبير عن تمردتها؛ كون المفارقة هي الأسلوب الأمثل والمؤيد الأساس في إبداعها تمرد الذات الشاعرة على واقعها، ورغبتها في الإصلاح وإحداث التغيير. فضلاً عن قدرتها على الكشف عن صور الصراع المتأجج بين السائد وبين رؤية عصرية لشاعر يرى كل ما تقع عليه عينه رؤية فلسفية هادفة إلى إنقاذ هذا الكوكب من الضياع بالتمرد النفسي على ذات الإنسان، منذ الخطيئات الأولى حتى أخطاء هذا العصر.

الهوامش والإحالات

- (1) أبو بكر الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق، عبدالسلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1993م، ص371.
- (2) عمرو بن قميئة، ديوانه، تحقيق، حسن كامل الصيرفي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، د. ط، 1997م، ص131.
- (3) محمد الجلواح، الظاهرة.. جاسم الصّحّيح، مجلة العربي، وزارة الإعلام، الكويت، ع705، أغسطس، 2017م، ص100.
- (4) ميرزا الخويلدي، جوائز ثقافية وفنية وعربية، حوار مع الشاعر جاسم الصّحّيح، جريدة الشرق الأوسط، يونيو، 2018م.
- (5) جاسم الصّحّيح، كي لا يميل الكوكب، النادي الأدبي بالرياض، الرياض، ط1، 2018م، ص29.
- (6) نفسه، ص75، 82، 83.
- (7) تون أ. فان ديك، النص- بناه ووظائفه. مقدمة أولية لعلم النص، ترجمة: جورج أبي صالح، مجلة العرب والفكر العالمي، مركز الإنماء القومي، لبنان، ع5، 1989م، ص71.
- (8) جاسم الصّحّيح، كي لا يميل الكوكب، ص75.
- (9) نفسه، ص75، 76.
- (10) نفسه، ص77، 82.
- (11) نفسه، ص54، 55.
- (12) نفسه، ص76، 79.
- (13) نفسه، ص152، 155.

- (14) نفسه، ص 77، 82، 83.
- (15) نفسه، ص 79، 80.
- (16) نفسه، ص 7.
- (17) مصطفى سويف، الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، دارالمعارف، القاهرة، ط4، 1969م، ص 203، 204.
- (18) ستانلي هايمن، النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ترجمة، إحسان عباس، محمد يوسف نجم، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1978م، 1/ 246، 247.
- (19) جاسم الصّحّيح، كي لا يميل الكوكب، ص 7.
- (20) نفسه، ص 14، 15.
- (21) نفسه، ص 82.
- (22) نفسه، ص 82.
- (23) نفسه، ص 80، 81.
- (24) نفسه، ص 15.
- (25) نفسه، ص 7.
- (26) نفسه، ص 12.
- (27) نفسه، ص 8.
- (28) فاضل ثامر، شعر الحدائث من بنية التماسك إلى فضاء التشظي، دارالمدى، بغداد، دط، 2012م، ص 7، 8.
- (29) جاسم الصّحّيح، كي لا يميل الكوكب، ص 119.
- (30) نفسه، ص 120.
- (31) أمبرتوايكو، العلامة- تحليل المفهوم وتاريخه، ترجمة، سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2007م، ص 104.
- (32) جاسم الصّحّيح، كي لا يميل الكوكب، ص 120.
- (33) نفسه، ص 120.
- (34) نفسه، ص 121.
- (35) نفسه، ص 11.
- (36) نفسه، ص 45.
- (37) نفسه، ص 59، 60.
- (38) رومان جاكبسون، القيمة المهيمنة، ضمن كتاب: نظرية المنهج الشكلي، ترجمة، إبراهيم الخطيب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط1، 1982م، ص 81، 82.

- (39) سيزا قاسم، المفارقة في القص العربي المعاصر، مجلة فصول، م2، ع2، 1982م، ص144.
- (40) د. سي. ميويك، المفارقة وصفاتها، موسوعة المصطلح النقدي، م4، ترجمة، عبدالواحد لؤلؤة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1993م، ص163-166.
- (41) يسري خليل عبدالرحمن سلامة، المفارقة في شعر الصنوبري، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، 2015م، ص16.
- (42) جاسم الصّحّيح، كي لا يميل الكوكب، ص10.
- (43) نفسه، ص11.
- (44) سيزا قاسم، المفارقة في القص العربي المعاصر، ص144.
- (45) آرت فان زويست وآخرون، التاويل والعلاماتية، ضمن كتاب: العلاماتية وعلم النص، ترجمة، منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2004م، ص60.
- (46) رولان بارت، التحليل النصي، ترجمة، عبدالكبير الشرفاوي، دار التكوين، دمشق، د. ط، 2009م، ص77.
- (47) جاسم الصّحّيح، كي لا يميل الكوكب، ص10.
- (48) نفسه، ص30.
- (49) نفسه، ص33.
- (50) نفسه، ص23، 24.
- (51) علي خضري وأخران، رمزية مفردة النار ودلالاتها في ديوان أغاني مهبّار الدمشقي لأدونيس، جامعة سمنان، إيران، ع23، مايو 2016م، ص45.
- (52) جاسم الصّحّيح، كي لا يميل الكوكب، ص35.
- (53) نفسه، ص36، 37.
- (54) نفسه، ص34.
- (55) كعب بن زهير، ديوانه، تحقيق، مفيد قميحة، دار الشؤاف، الرياض، ط1، 1989م، ص66.
- (56) أمبرتو إيكو، التاويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة، سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2000م، ص42، 43.
- (57) جاسم الصّحّيح، كي لا يميل الكوكب، ص85، 86.
- (58) فنسنت ب. ليتش، النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينات إلى الثمانينات، ترجمة، محمد يحيى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، د. ط، 2000م، ص297.
- (59) جاسم الصّحّيح، كي لا يميل الكوكب، ص86.
- (60) نفسه، ص86، 87.
- (61) مصطفى ناصف، الصورة الأدبية، دار مصر للطباعة، القاهرة، ط1، 1958م، ص159.

- (62) سيزا قاسم، المفارقة في القص العربي المعاصر، ص144.
- (63) محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دارالمعارف، القاهرة، ط2، 1984م، ص140.
- (64) أمبرتوايكو، العلامة، تحليل المفهوم وتاريخه، ص85.
- (65) جاسم الصّحّيح، كي لا يميل الكوكب، ص37.
- (66) د. سي. ميويك، المفارقة وصفاتها، ص69.
- (67) جاسم الصّحّيح، كي لا يميل الكوكب، ص83.
- (68) نفسه، ص124، 125.
- (69) نفسه، ص124، 125.
- (70) د. سي. ميويك، المفارقة وصفاتها، ص32.
- (71) نفسه، ص32.
- (72) جاسم الصّحّيح، كي لا يميل الكوكب، ص129، 130.
- (73) نفسه، ص47، 82.
- (74) نفسه، ص82.
- (75) نفسه، ص217، 218.
- (76) نفسه، ص218.
- (77) بوريس أسبنسكي، شعرية التأليف، بنية النص الفني وأنماط الشكل التألفي، ترجمة، سعيد الغانمي، ناصر حلاوي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1999م، ص19، 40.
- (78) ابن منظور، لسان العرب، تحقيق، عبدالله على الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دارالمعارف، القاهرة، 1981م، م1، ج7، مادة "جب"، ص532.
- (79) جاسم الصّحّيح، كي لا يميل الكوكب، ص83.



Contents

- **The Anonymous Poetic Evidences between Acceptance and Rejection: A Study of Fairness by Abul Barakat Al-Anbari**
Dr. Hussein Mahfoodh Gumaan AL-Bawri.....5
- **Poetics: A New Vision in Concept and Procedure**
Mohammed Ali Salah Al-Qablany.....36
- **The Level of the Contribution of Primary School Principals at Al-Dhala Governorate in Disseminating the Culture of the Use of Innovations of ICT**
Dr. Abdul-Fatih Abdulah Ali Mohammed , Dr. Saeed Mohammed Ali AL-Qashbri.....68
- **Environmental Management of Solid Waste in Dhamar City, Yemen**
Dr. Fahd Mohammed M. Al-Dhelei 105
- **Ahmed Abdulwahab Al-Wareeth: The Pioneer of the Enlightenment Movement in Contemporary Yemen (1912-1940)**
Dr. Amin Mohammed Ali Al-Jabar.....123
- **Pleiades Portrait in Arabic Poetry between Creativity of Poets and the Treatment of the Critics and Rhetoricians in Abbasid Age**
Dr. Abdul-Basset Abdul-Hameed Ghaleb.....149
- **“The Impact of the Intellectual Capital on Achieving the Sustainable Competitive Advantage in the Yemeni Companies for Food Industry”**
Prof. Abdulatef Musleh Mohammed Ayedh, Dr. Ahmed Gabir Hussein Abu Hadi.....170
- **The Lexicography and the Target Group Reader's Lexicon**
Altaf Mohammed Al_fandi211
- **Al-Qasmiyah Dynasty Relations with Hejazi Ashraaf in Yemen: (1000-1100AH) (1600-1700AH) Yemeni Pilgrimage Convoy as an Example**
Dr. Mohammed Faisal Al-Ashwal.....237
- **The Historical Authorship Movement in Yemen in the Eleventh Century A.H /the Seventeenth Century A.D (1000-1100 A.H / 1600 – 1700 A.D)**
Dr. Ali Abdullah Mohammed Azwan.....265
- **Emotional intelligence and its relation with the quality of life of mental counselors in the district of Irbid**
Dr. Sahar Abdullah Mohammad AL-Saadi.....304
- **The rebellion phenomenon in the Diwan "So that the Planet Does not Lean" by Jassim Al-Saheeh**
Dr. Hamed Al-Belayhed330

Rules of Publication

The Arts journal is a refereed journal on humanities in Arabic, English and French Languages.

It is published by the Faculty of Arts, Tamar University. The researchers have to take in consideration the following rules:

- 1-The research paper must be original, follow the proper scientific methodology, and not published elsewhere.
- 2- The research paper will be judged according to high scientific standards.
- 3- The research paper has to be written in perfect language with respect for latest research design and accuracy of forms and figures – if included – in word form; font size (14) in (simplified Arabic) for Arabic papers and (Time New Roman) for English and French papers. Title and subtitles has to be boldfaced in (16) font size.
- 4- Space between lines is (1.5cm) with 2.5 cm. margin in all sides.
- 5- Research papers are required to be sent in Word and PDF forms to the journal's emails.
- 6- Abstract in Arabic and English has to be revised linguistically and, attached with.
- 7- Maximum number of pages is (25) including charts, figures and appendices.
- 8- Documentation has to be at the end of the research paper as follows:
 - a. Manuscripts: Name of manuscript, its place, its number and type of paper.
 - b. Books: Name of the author, title of the book, place and date of publishing, page number.
 - c. Journals: Author's name, title of the article, name of the journal, date and number of issue, page number.
 - d. Theses: Researcher's Name, title of the thesis, faculty, University, Date, Page, number.
- 9- The Psychological and Educational studies have to be documented according to APA.
- 10- The journal editorship will inform the researchers with the initial approval of their papers after receiving them. Later on, they will be informed with referees reports about validity of publishing, requirement for changes, or rejection.
- 11- The writers of the approved research papers will be informed with number and date of issue.
- 12- Research papers will be ordered according to the date of receipting.
- 13- The research papers received by the journal will not be sent back to the researcher whether published or not.
- 14- Publishing fee is (25000YR) inside Yemen and (150\$) or its equivalence outside Yemen. Tamar University teaching staff has to pay YR 15000. The scholar also has to pay sending fee for hard copies of the journal.
- 15- Money has to be deposited to the Journal's account No.(211084) at Yemen commercial Bank – Tamar Yemen.



Arts

A refereed Journal on
Humanities Published by
the Faculty of Arts,
Thamar University,
Dhamar, Republic of
Yemen

Issue: 12

September 2019

International Number:

ISSN: 2616-5864

National Number

(551 For year 2018)

- All rights reserved.

- It is strictly prohibited to republic any of the papers of the journal without permission of the commission.

-Citation of any of the journal's papers is not allowed without referring to the sources.

Faculty of Arts

Quarterly Refereed Journal of Humanities



Patron

Prof. Taleb Tahir AL-Nehari

Editor

Prof. Abdulkareem Musleh Al-Bahla

Vice- Editor

Dr. Esam Wasel

Managing Editor

Dr. Fuad Abdulghani Al-Shamiri

Assistant Editor

Dr. Fadhl Al-Omaisi

Editorial Board

Dr. Nageeb Al-wrafi

Dr. Khaldun Numan

Dr. Amin Al-Jabar

Dr. Abdullah Ali Al-Ghobasi

Editorial Secretary

Dr. Abdullah Ahmed Al-Jarfi

Nada Ezzaddin Al-Osaimi

Financial Officer

Ali Ahmed Al-Bakhrani

The Scientific and Consultative Board

Prof. Ibrahim Al-Silwi

Prof. Ahmed Al-Akwa'a

Prof. Ahmed Mohammed Shuga-Addin

Prof. Altaf Yassin Khadher AL-Rawi

Prof. Husain Al-Amri

Prof. Khaled AL-Ashab

Prof. Rabeh Khawni

Prof. Roquaya Hassani

Prof. Adel AL-nsi

Prof. Atef Abdalazziz Muawadh

Prof. Abdalkarim Asaad Qahtan

Prof. Adul Kareem Zabeeba

Prof. Abdu Faran Al-Hemiari

Prof. Ali Said Saif

Prof. Mohammed Hamzzah Ismael AL-Haddad

Prof. Nasr Al-Hujaily

Prof. Naima Saadia

Proof-reading

Arabic Section

Dr. Esam Wasel

Dr. Abdullah Ali Al-Ghobasi

English Section

Dr. Amin Ali Al-Solel

Designing & Producing

Mohammed Mohammed Sobai



Arts

ISSN: 2616-5864

Quarterly Refereed Journal of Humanities

**Published by: Faculty Of Arts,
Thamar University**

Environmental Management of Solid Waste in Dhamar City

The Impact of the Intellectual Capital on Achieving the Sustainable
Competitive Advantage

Emotional intelligence and its relation with the quality of life
of mental counselors in the district of Irbid

Al-Qasmiyh Dynasty Relations with Hejazi Ashraaf in Yemen

12